الشعر الوجداني

في المملكة العربية السعودية

تأليف

أ. د. مسعد بن عيد العطوي

الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشعر الوجداني
في المملكة العربية السعودية

© مسعد بن عيد بن مسعد العطوي ، ١٤١٧ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العطوي ، مسعد بن عيد بن مسعد

الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية .- الرياض .

٦٣٩ ص ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك ٨-٩٧٦-٣١-٩٩٦٠

١-الشعر العربي ٢-الشعر العربي-نقد -السعودية أ- العنوان

ديوي ٨١١،٩٠٠٩ ١٧/٣٤٠٤

رقم الإيداع : ١٧/٣٤٠٤
ردمك : ٨-٩٧٦-٣١-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشعر الوجداني في المملكة العربية السعودية

تأليف
أ. الدكتور مسعد بن عيد العطوي
الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بســـــم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، الخـالق العليـم ، الحـافظ المكـين ، القـادر الرحيـم ، الذي أبدع هذا الكون وعوالمه المختلفة ، وفضل الإنسان بعقله ، وعمارة الكـون، وسخر له ما في السماوات والأرض ، ومنح الإنسان الإحساس والحواس ، ونسج بماهية لا تدرك كنهها – التلاحم بين الجسم والعالم الروحي والنفسـي ، ونهتـدي بسيد البشرية الذي أنزل الله عليه الوحـي بـالقرآن ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته وسلم وبعد :

فإن الإنسان عالم بذاتـه تضاءلت حولـه الدراسات ، فكيـف بمـن يريـد أن يدرك عالم الشعور وما وراء الشعور ، ثم يدرك تلاحمها مع الحياة ، فإن ذلك من الصعوبة بمكان ، ولا سيما إذا كان مجـال الدراسـة الإبـداع ، ومـا يحـف بـه مـن ضبابيات ، ومن هنا نتمنى على القارئ إذا اطلع على عيب ستر وعذر .

وقد تناولت الشعر السـعودي مـن جوانـب متنوعـة ، ومـن خـلال اتجاهاتـه المتعددة ، لكني آثرت أن استهلها بالاتجاه الوجداني ؛ لأنـه يمثـل الحركـة الشـعرية المعاصرة ، فالشعراء الوجدانيون أكثر تطلعاً للجديـد ، وأسـرع إقداماً مما جعـل الدراسات تتكاثف حول الشعراء الوجدانيين وشعرهم ، لأنهم السـابقون للأخـذ بالجديد ، ولأن مفهوم الوجدان المعاصر يقترب من مفهوم الرومانسية المعاصرة بل إنهم يقتفون أثرها والرومانسية تحمل مفـاهيم متشـعبة استصعب النقـاد حصرهـا تحت مفهوم واحد . فالدارس يجد جوانب كثيرة ينقب فيها .

والوجدانيين أكثر إحساساً بالواقع الذاتـي ، والاجتمـاعي ومـن ثـم يكـون شعرهم أكثر قبولا لا سيما الذين تتأثر أحاسيسـهم برياح المجتمـع وأكـثر تعرضـاً للريح التي تلفح المجتمع من الخارج ، فـالوجداني بـين عواصـف ذاتيـة ، وتيـارات خارجية. فالشاعر الوجداني بمثابة مقاس الحرارة للمجتمع ، ومقاس القلب للفرد.

والشاعر الوجداني في بلادنا حمل عبء الحياة الاجتماعية ، فهو أكثر شفافية وإحساساً بما يدور في المجتمع ، وهو أكثر استشرافاً للمستقبل ، وهو الأقدر على صهر الحياة في أتون وجدانه ، ليمتزج الفكر بالشعور متشكلاً في نص إبداعي يمور بتيارات فكرية مغلفة بالوهج الشعوري .

والشعر الوجداني في بلادنا صحب قيام الدولة السعودية ، وتكوين المجتمع ، فهو يسجل مصداقية الفن الذي واكب رغبة التنوير ، والنهضة ، ونفض الضبابية عن قضايا كثيرة ، وكشف آفاقاً جديدة ؛ فالشعر الوجداني أشبه بالخيال العلمي، الذي يبدو خيالاً غرائبياً ، وما يلبث أن يتماثل للحسية والواقع العملي ، فكم من أمنيات من نسج أحلام اليقظة سعدنا برؤيتها في عالم الإنجاز ؟! وكم من الشعراء من التهب داخله وكثف إبداعه حول قضية من القضايا حتى استشعرها المجتمع ؟!

والباحث لا ينكر غرائب الشعراء الإبداعية ، ومغالاتهم أو مبالغاتهم لكنه النبض الحساس الذي يجعلنا نعذر التجاوزات عند الشعراء ، وربما أن الموقف نجم عن حادثة فردية أشعلت الشاعر في لحظة زمنية ، ومن هنا فلا نجاري الإبداع في كل إبحار في مآسي الشجن ، وسنثبت أمام أعاصيره الهوجاء - بإذن الله - لنستشرف الحق والخير والجمال وحسبنا ذاك .

وقد حاولت أن أرصد الحركة الرومانسية في الغرب وعند العرب لأنها هي التي قادت الحركة الوجدانية عند العرب ، وتثاقف الفكر الرومانسي والوجداني ، والشاعر العربي الرومانسي الوجداني له تأثيره على حركة الشعر في بلادنا مما استوقفني كثيراً عند الرومانسية الغربية ، وقد أطلعت على كتباً كثيرة لكن تفاوتت درجة الإفادة ، وحاولت أن أجمع مفاهيمها ، وتداخلت مع مفهومها بروح إيمانية - إن شاء الله - وبمنطلق عقلي ، مع مراعاة الإبداع الذي لا تكبله القيود المزعومة ؛ فالإيمان والعقل كلاهما ينبضان في أحاسيس الشعراء ، فهما يتداخلان في شعور الشاعر ثم إبداعه بلا سطوة حادة إنما يدخلان كنسيم السحر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتارة بخلسة المختلس ، ولا نجاة للإبداع منهما .

وبالمقارنة بين الرومانسية الغربية والوجدان العربي نجد أن الشاعر العربي تألم كما يتألم الرومانسي ، وكشف حول القضايا ، وشارك في الهروب لكنه هروب استراحة المستريح ، ليقدم ويصارع ، فالشاعر العربي حمل راية الصراع الفكري ، والرومانسي الغربي تمرد على القيود الدينية والعقلية والاجتماعية . أما الوجداني العربي - ولا سيما في بلادنا - فإنه يتمنى تجسيد القيم ومثاليتها في المجتمع ، بل إن الكثير منهم جعل القيم الإسلامية العليا هي حلمه وأمانيه ، فيتمرد على من لا يعنى بها وهم لم يتجاوزوا العقل ، وينحصر تمردهم على المجتمع فيما لا يخالف الدين والعقل بل يتمنون الالتزام بهما .

ومن خلال قراءة الدراسات عن الأدب السعودي ، وتصنيفي لديوان الشعر السعودي في دواوينه ومختاراته ، استشعرت قيمة (الشعر الوجداني) ، ووجدت فيه بغيتي . فكان ثرياً بتنوعه ، وتشعب فكره ، وتعدد أشكاله .

وقد تناولته من حيث علاقته بالرومانسية ، ثم أجلت النظر في مفهوم الوجدان ، ومكوناته في المملكة العربية السعودية ، وبداياته . ثم صنفت مظاهره وحاولت أن أُفصِّل القول فيها بتجلية أثر الثقافة الوافدة ، والتكوين الذاتي للفرد ، وتأثير البيئة الاجتماعية ، مشيراً إلى ارتباط الشعر بالمعتقد ، ومفنداً بعض أوجه الاختلاف بين النظرة الوجدانية والرومانسية .

ومن هذه المظاهر ، الحب والمرأة ، وغير المعقول ، والذاتية ، والطبيعة ، والاغتراب .

ثم طال بي التأمل عند المعالم الجمالية الفنية للشعر الوجداني لا سيما وأن الدراسات التي أمامي لم تقف عندها طويلاً ، وهذه الظواهر الفنية لم تكن قالباً استحضرته للمقياس ، وإنما أوحى بها الشعر ، وجعلها تتكشف لي أكثر من غيرها.

ومما استوقفني من الظواهر الفنية وتحدثت عنه بنية القصيدة ووحدتها العضوية ، والتجربة الشعورية ، وعلاقة الوجدان بالألفاظ والتراكيب ثم تحدثت عن الرمز وكذلك الخيال والصورة الشعرية ، ولفت انتباهي وجود المفارقة في بعض الأشعار ، ثم عرجت على البنية الموسيقية وتنويعها واختلاف القوافي والروي .

ثم قمت بترجمة لأشهر شعراء الوجدان مبيناً مظاهره في شعرهم ، وسمات كل شاعر ، وعلاقة كل شاعر بالرومانسية .

وإنني الآن أبتهج بتقديم هذا البحث فإن رؤيتي له متكاملة خففت من وطأة الجهد والإنهاك التي عانيت منهما ما عانيت .

أسأل الله أن يكتبه في موازين أعمالي الخيرة ، وأن يفيد به إنه سميع مجيب الدعاء .

المؤلف .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول

الرومانسية الغربية .

الرومانسية العربية .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرومانسية الغربية

- الرومانسية .
- تاريخها .
- عوامل نشأة الرومانسة .
- العناصر المكونة للرومانسية .
- التعاريف .
- الاتجاه الفني .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرومانسيـــة :

ومنه قصص الرومـانس الـتي تطلـق علـى الأدب الأدنـى(أدب الأطفـال) الذي نشأ في بداية القرن السابع عشر الميلادي واللفظة مرتبطة بالشـعبية فكلمـة (رومانس) كانت تعـني الكتـاب المؤلـف باللغـة المحليـة المتفرعـة عـن اللاتينيـة . وكذلـك تلـك الكتـب الـتي تحكـي القصـص القديمـة المشـحونة بالخيـال ، وكـان الرومانس نمطامهماً في الأدب الانجليزي في القرنين الرابع عشر والخـامس عشـر[1] وأدب الرومانس في العصور الوسطي يوحي بجذور المصطلح الحديث فهو يبحـث عي الخيال ويحلل النفس« فقد كان الكتاب يحيطون بـالعجيب واليومـي مـن دون تبديل نبرة الأسلوب وكـانت آداب الرومـانس تنطـوي غالبـا علـى تحليـل نفسـي معقد»[2] وكـان يقـوم علـى سـرد التـاريخ والأعجوبـة ، فربمـا يشـبه نمـط الأدب القصصي في العصر العباسي، لكنه يفترق عنه بالمغامرة الخيالية ولا سيما في القـرن الثاني عشر، حيث رومانسية الفروسية الـتي تحكـي «أنشـودة البطولـة» المغـامرات الحربية ومنها الملحمة الفرنسية.ونجدها في أن «كلمة رومـانس في القـرن السـادس عشر كانت تطلق على أي نـــوع من القصة غيـــــــر الدينيـة في الشـعر أم في النثر . لقد بلغت

الكلمة أقصى اتساع في المعني في هذه الفترة ،فعاد مـن الصعـب اسـتخدامها لتحديد اصطلاح مخصص ،لكننا نقدر على تمييز أنواعهـا بشـكل مفيـد»[3] ومـن هذا انطلق تحديد المفهوم لهذه الكلمة وتطـورت تعريفاتهـا. ويـرى محمـد منـدور أنها مأخوذة مـن كلمـة « رومـانيوس »الـتي أطلقـت علـى اللغـات والآداب الـتي

---

(1)

(2) انظر موسوعة المصطلح النقدي لعبد الواحد لؤلؤة من١٥٥ حتى نهاية البحث .

(3) المرجع السابق ٢٠٥ .

تفرعت عن اللغة اللاتينية القديمة ، والتي كانت تعتبر في القرون الوسطي كلهجات عامية للغة روما القديمة أي اللغة اللاتينية ، و لم تعتبر لغات وآدابا فصيحة إلا ابتداء من عصر النهضة، حيث أخذت تحل محل اللغة اللاتينية كلغات ثقافة وأدب وعلم ... والرومانسية إحدى لهجات سويسرا ، و قد قصد الرومانسيون باختيارهم هذا اللفظ عنوانا لمذهبهم إلى المعارضة بين تاريخهم وأدبهم وثقافتهم القومية أي الرومانسية وبين التاريخ والآداب والثقافة الإغريقية واللاتينية القديمة .»[1]

تاريخهـــا :ـ[2] .

الرومانسية: اتخذت معاني متعددة ودلالات مختلفة، نتيجة لاستخدام اللفظة لدلالات نقدية مختلفة حسب الزمان والمكان. وقد أدرك النقاد هذا الاختلاف فمما قالوه عن الاختلاف :ـ

« لقد أصبحت كلمة رومانتيكي تعني العديد من الأشياء ، بحيث أصبحت في ذاتها لا تعني شيئا، فهي لم تعد قادرة على الإشارة إلى أي شيء محدد »[3] ومنهم من أشار إلى اختلاف دلالاتها ومفهومها باختلاف البلدان فهي «لا تكاد تشترك إلا قليلا بين كل بلد وبلد آخر، لأن الواقع أن هناك كثرة من الرومانتيكيات التي ربما اعتمدت على مركبات فكرية مختلفة»[4] . إذن فإن التكوين الذهني والمؤثر الديني والاجتماعي، والمسار الفلسفي ، والاتجاه النقدي

---

[1] الأدب ومذاهبه ٥٤ .

[2] انظر الرومانتيكية ما لها وماعليها ،لروبرت جلكنر، تحقيق د.أحمد حمدي حمود، وموسوعة المصطلح النقدي لعبد الواحد لؤلؤة، والمدارس الأدبية لنسيب نشاوي ، والنظرية الرومانتيكية في الشعر، والمعجم الأدبي لجبور عبد النور ، والمذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا، لفليب فان تنغيم

[3] روبرت جلكنر، الرومانتيكية، ٣٧٥.

[4] المرجع السابق ٣٧٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كل هذه لها تأثيرها على الرومانسية في كل بلد. ومن هنا طرأ الاختلاف في المفهوم ، ويعتقدون «أن الأفكار الرومانتيكية كانت غير متجانسة إلى حد بعيد ، ومستغلة منطقيا، وأحيانا متعارضة أساسا بعضها مع بعض في متضمناتها».

ومن الصعوبة أن يكون هناك قاسم مشترك لهذه المفاهيم المتباعدة من ناحية الزمن ، ومن مشارب الفكر ، لكنني لا استبعد أن يكون هناك التقاء في قضايا عامة ستتضح أثناء حديث عن المفاهيم والتعريفات للرومانسية[1] والرومانسية لها مشاركتها عند جل الشعراء قديما وحديثا بنسب متفاوتة ، فلو تتبعنا مفاهيم المصطلح المتعددة لوجدنا أن هناك شعراء متعددون يمكن أن نلمح خاصية رومانتيكية عندهم ، وأن كانت هذه الخاصة لا تزيد عن خاصة ضمن حضارة متعددة ، ولعلها ليست من بين لوازمهم أو من الأشياء ذات الأهمية الأولية، والحق أني أستطيع القول :بأنه من المتعذر وجود شاعر عظيم غير مخضب بمسحة ما من الرومانتيكية »[2] إذن فهي لا تنتمي إلى حضارة مخصوصة ولا إلى عصر محدد، ولا إلى مكان ، بل لم تكن لها ملامح أسلوبية محددة .

إن مفهوم الرومانسية أو لنقل مفاهيمها المتعددة ، أقصت التحديد الزمني لخروجها فكل مفهوم من مفاهيمها يمكن أن نعثر على بور وملامح له في تكوين الشعر القديم اليوناني القائم على الخيال والغرابة ويتمثل في الشعر القصصي ، كالإلياذة ، والأوديسا ، ويظهر في الشعر الوجداني الذاتي عند الشعراء العرب الجاهليين، وهم يرون كل قضية فنية جديدة فيها غرابة تمثل عنصرا من الرومانسية، فإذا مضي عليها ردحا من الزمن تكون(كلاسيكية) ، لكنهم أشاروا إلى ظهور المصطلح ،وتكاثف المضمون لها في زمنه حول مفهوم الرومانسية ومما أشاروا إليه: ظهور الحركة في إنجلترا فيما يقارب ١٧٤٠م فهي تكاد تبرز

---

[1] انظر المرجع السابق ٢٧٦ وما بعده.

[2] المرجع السابق ٩٤.

ملامح الرومانسية لكنها معتدلة ، فهم كتبوا الشعر النابع من الرؤيا الذاتية التي تهيمن عليها الاتجاهات الروحانية وهم يمجدون الطبيعة ، ويجمعون بين المتناقضات فمن أقوالهم (الحكمة هي أن تري عالما في حبة رمل ، وسماء في زهرة بريد)[1] وهم يلجأون إلى الأوهام والغرابة في الخيال . ويرون أن قصيدة جوزيف و أرتون (المتحمس) عام ١٧٤٠م « وهي أول مثل واضح "للحركة الرومانتيكية " فهي تمثلها في اتساعها واضمحلالها »[2] وهي تمثل الثورة ضد جماليات الكلاسيكية الجديدة ، وتدعو إلى تحرر الفنان الخلاق من القواعد، وهم يرون ذلك اعتدالا لا جنوحا[3] وأشهر من تناولها " ووردز وورث" الذي كتب مقدمة لمجموعة أشعاره المسماة (الأقاصيص الشعرية الوجدانية) نشرها عام ١٧٩٨م وكتب مقدمة نحوية حول حمى الرومانسية وقد لخصها المترجم بـ« ١- أن وظيفة الشعر هي الكشف عن القوانين الأولية للطبيعة الإنسانية ٢- أن هدف الشعر هو الإمتاع ٣- أن الشاعر لا يختلف عن غيرهم من الناس العاديين إلا في درجة ما لديه من حساسية وقوة انفعال ومن قدرة على التعبير ٤- الشعر تعبير عن انفعال ، ولهذا فان اللغة التي تناسبه هي اللغة الطبيعية التي توجد على السنة الطبقة الدنيا التي لم تفسدها الحضارة »[4]

ثم ظهرت الحركة في ألمانيا فيما يقارب عام ١٧٩٠م حيث تجلت بعض مظاهرها " فهي الحركة الوحيدة التي يحق نسبة الرومانتيكية إليها بلا منازع ، لأنها اخترعت الاسم لغايتها»[5] وتكمن فلسفة الرومانتيكية على معارضة العقل

---

[1] إيليا حاوي الرومانسية ٣٠

[2] روبرت ، الروماتيكية ٨٠

[3] المرجع السابق ٨٢ .

[4] النظرية الرومانتيكية في الشعر ، المقدمة ص ج

[5] نسيب النشاوي،المدارس الأدبية ١٥٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذي هيمن على الشعر و الاتجاه بالشعر إلى العاطفة والانفعال وتأثير الروح ، بل انهم يرغبون العودة إلى الحياة البدائية التي تعتمد على التلقائية التي تعبر عن المعاناة مباشرة بلا قيود مسبقة .

« مصطلح الرومانسية أو رومنس لفظة أسبانية الأصل – تدل على نوع من الصياغة الشعرية المولفة من مجموعة أبيات لمانية مقاطع ، تكون فيها الأبيات الزوجية مشتركة في القافية ،والأبيات الفردية مطلقة ، أي غير مقفاة كما هي الحال كقصائد (السيد) الأسبانية . وهذا السياق من النظم متجذر من البيت الملحمي القديم المولف من ستة عشر مقطعا ، فيتحول فيه كل من الصدر والعجز إلى بيت مستقل »[1] ومعنى هذا أن أصل الكلمة متعلق بالشعر،فتجد أن هذا قريب من الموشحات الغنائية المنشورة عام ١٧٩٨م لشعراء الإنجليز ثم أصبحت تيارا أدبيا يقوم على خصائص متعددة منها طلب الحرية ، وغلبة الإحساس الغامض ، والتعبير عن تأزم الفكر والإرادة ، والقلق والكآبة ، وتقديم الخيال على العقل، وبروز الذاتية والدفاع عن الضعف وقد ساند تجليها ظهور فلسفة رومانسية في ألمانيا تصدت للتيار العقلاني خلال القرن الثامن الهجري[2].

ثم تلتها حركة في فرنسا في حوالي ١٨٠١م وهي متواصلة مع الحركة في ألمانيا[3] ، وكان الشاعر روسو «١٧١٢ــ ١٧٧٨م» من أوائل الذين اقتدوا بالأدباء في فرنسا بأسلوبه الذاتي . وقد نقلت مدام دي شيل اتجاهات المذهب الرومانسي الألماني إلى فرنسا ، وكذلك فعل ساتو بريان(٧٦٨ـ ١٨٤٨م ثم جاء هوجو (١٨٠٢ـ١٨٨٥م)الذي مارس الإبداع الفرنسي وكان له تأثيره .

---

(١) نسيب نشاوي ، المدارس الأدبية ١٥٦ .

(٢) انظر : موسوعة المصطلح النقدي لعبدالواحد لولوة من ١٥١، إلى نهاية البحث ، وانظر : المعجم الأدبي لجبور ١٣٢، والمدارس الأدبية لنشاوي ١٦١ .

(٣) المراجع السابقة .

عوامـــل نشـــأة الرومانسيـــة

من أهم العوامل لتجلي الرومانسية :

* نشوء الطبقة البرجوازية ،وصراعها مع الأرستقراطية ، فهذه الطبقة لما برزت معالمها ، أخذ الأدب يواكبها ، فيظهر هموم المجتمع، وما يعانيه من القهر والظلم فهو يكدح وغيره يجني الثمر .ولذلك نادوا بالحرية والمساواة اللتين هما من أهم الغايات عند الرومانسية ، وبرزت معالمها في الثورة الفرنسية ، فكان لها تأثيرها على الأدباء.فقد توجهوا بأدبهم تلقاء المجتمع ومعاناة الفرد ، وقل احتضان الطبقة الأرستقراطية للشعراء التي كان تتسم بها الكلاسيكية . «ونشأت مقاييس جديدة لفهم إنسانية الإنسان وحقه بالحرية والمساواة، والأخوة الإنسانية ... إنه نوع من التضامن الإنساني الكلي ، يتمرس به الناس ، لينقذوا أنفسهم من نقائص الوجود والمجتمع »[1] وعندما تفتحت الآفاق أمام سائر الطبقات وأخذ الوعي يدب في الأفراد ، وتمنى كل منهم الحرية والمساواة والإخاء، والحياة الرغيدة ، فإن تلك الأماني والآمال أعترضها صراع الحياة الطبقي وغيره ، مما ولد الهروب الفني والانزواء ، وظهور العجز عند شعراء الرومانسية أو الذين سموا بالرومانسيين؟!

* ومن العوامل ظهور حركة التمرد ، فمن الشعراء من أعلن التمرد على المجتمع بل على سائر مكونات الحياة ، بما فيها ومنها نمطية الحياة الأدبية التي تقوم على النظام ، والفكر والعقل والمعيارية ، والتراكم المعرفي، فأخذ الشاعر يبحث عما يخالفها ، فوجد ضالته في الخيال المترجم الذي نزح من الشرق كقصة ألف ليلة وليلة ، وغيرها من القصص الهندي ، والفارسي.

---

[1] ايليا حاوي ، الرومانسية ٣٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«والواقع أن الرومانسية في مآلها الأخير،هي أدنى إلى أسطورة الشرق وغيبياته وسحره منها إلى العقل الغربي المتزمت ، والمستأثر بكل كبيرة وصغيرة ، وقد ظل الشرق حلما يغذي الشعراء الأوربيين »[1]ومن أشهر هؤلاء فيكتور هيجو الذي ظهر في شعره سمات أساطير الشرق وله ديوان اسماه بالشرقيات[2].

العناصر المكونة للرومانسية :

* ونحن لما ننظر في غاياتها ومظاهرها ، وعناصرها نجدها تشترك مع غيرها من المدارس الأدبية أو هي تتمازج بأنواعها أو تتعارض ، ومن هنا فليس هناك عنصر ثابت لا تشوبه شائبة . ف «ربما تعذر حصولنا على الخاصة الرومانتيكية غير مشوبة بشائبة ما لأن أي خاصة في حالة تجسمها لابد أن تتعرض للتلوث بشيء ما ، ولكننا في أقل تقدير سنرى نوع الاتجاه الذي تميل إليه الخاصة إلى أتباعه»[3]. ومن أشهر العناصر المكونة لأساسياتها :

* حب الاستطلاع فهي تريد أن تدرك ما وراء الطبيعة وأسرارها ، وتريد أن تعلم ما يلج في النفس البشرية ، وتدرك غير المتناهي وتبلغ المجرد ، فالتجريد المعاصر من نبعها .

* عشق النظام ، وهذا في ظاهره يخالف كثيرا من توجهاتها ، لكنها ترغب النظام الكامل الذي لا تراه متكاملا حتى في المحسوسات ، ولاتراه في الطبيعة ، وأنها تلج إلى الأعماق لعلها تصل إلى علم يودي إلى النظام الكامل . فهي المصدر لنظرية التحطيم ثم البناء .

* والرومانسية تفصح عن ذاتية صاحبها « فهي روح تفصح عن نفسها في كل وقت ، وبمقدارٍ يختلف عن أصحاب الفاعلية من الأفراد ، وفيما

---

[1] المرجع السابق ٣٨ .

[2] المرجع السابق ٣٨ .

[3] روبرت ، الرومانتيكية ٩٧ .

يعملون»[1].

* سلبية التذوق : فالذوق محسوس ، وهي تخالف الحواس ولا تعتمد عليها ، وإنما تبتغي ما وراء ذلك . والرومانسي ، لايعجب بما يتعجب منه الناس إنما يحكم ذاته المتشائمة ، وهم لا يتذوقون شعرا إلا إذا كان محشوا بالمآسي ويدعو إلى الثبور ، والويل والعويل . فهم لا يتذوقون حل الشعر .

* وهم يتساهلون في المعيارية اللغوية والبلاغية ، فهم يتسمون بالرخاوة البلاغية فلا يشغلون أنفسهم بالبحث عن الأسس الجمالية ومقاييسها ،و لم تكن هذه تدخل في معيارهم الفني .

* وهم يتلبسون الضعف ، والهروب والعويل والشكوى من الحياة حتى صدق عليهم قول الشاعر " كفى ولولة ، وأرحل "[2] ومن هنا جاءت المقولة الأخرى وهي تحدد نظرة الكلاسيكي إلى رفعة الإنسان وسيادته بعقله في هذا الكون ، وضعفه في نظر الرومانسي وهذه المقولة هي:" «الكلاسيكية ترى الإنسان سيدا ، والرومانتكية تراه ضحية لبيئته »[3]

*ومن شعاراتها الجامعة «الحرية والإخاء والمساواة ، فالحرية تعني عندهم نقيض خضوع الفرد للنظام الأبدي للكون في الكلاسيكية»[4]

وهذا المنطلق يحمل مخالفات شرعية واضحة حتى في النصرانية ، فلا حرية في التدين ويجب الالتزام بأوامر الرب سبحانه وتعالي ، واجتناب نواهيه ، والمجتمع يسير في هذا الموكب.ثم فيه مخالفة للتراكم العلمي السليم الذي بنته الأجيال السابقة ، وهو مخالف للعقل ، لأنه يتعد عن المنطق ويتحرر منه؛إذن فحرية

---

[1] المرجع السابق ٢٢ .

[2] المرجع السابق ٦٩ .

[3] المرجع السابق ٢٤٢

[4] المرجع السابق ٢٠٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرومانسية عليها مآخذ كثيرة حتى في الشكل الفني ، فإنها أوجدت سبلا للرخاوة الفنية ، كما أن الرومانسية جعلت الفن ينطلق بلا حدود ، ويبتعد عن الواقع الحياتي .

أما" المساواة " ففيها إنكار للنظام المهيمن المستبد في عصرهم ، وكذلك هيمنة الطبقات الاجتماعية (والإخاء) يدل على الازدراء من طبقة الإقطاعيين لعامة الشعب ، فلا حب و لا تواد وإنما تسخير واستعباد[1].

* ومن أشد عناصرها ، معارضة التبعية « ففي أفضل الأحوال يعني الالتفاف حول مركز ما في نظر الرومانتيكي الكشف عن أتباع العقل ، وفي أسوأ الأحوال الاتصاف بالتزييف والتعصب »[2] .

* ومن العناصر المكونة للرومانسية ، التشاؤم ، فإن الرومانسي يتلفع به ليس من الخارج وحسب ولكنه من الداخل ، فدواخله مظلمة تكتنفها السوداوية ، وهذا يودي إلى عدم الثقة في المجتمع المحيط به ، فلا يري الرومانسي خيرا في مظاهر البيئة من حوله ، ولا في أفراد المجتمع فهو يهرب عن كل من حوله[3].

ومن المفاهيم التي شاعت للرومانسية أنها تمثل التباين الواعي ضد العقل فهي رأت الفن يخضع لبناء من التراكم العقلي والتنظيم المنطقي والمعيارية اللغوية والعقلية التأملية ، فأراد الشعراء أن يناقضوا هذا الاتجاه ، لأنهم أدركوا أهمية الأحاسيس والمشاعر الداخلية ، فأرادوا أن تنبع من دواخلهم معالم النفس الداخلية .وتلك تقوم على الأحلام والأوهام والآمال ،فهم يرون أنها تفصح «عن التباين الواعي بين ما يتصوره القلب والخيال ، وما يشيران بإتباعه وبين

---

[1] المرجع السابق ٢٠٩

[2] المرجع السابق ٣٩ .

[3] انظر : الرومانسية لحاوي ٤٦ .

العقل»[1] أي ما يراه المجتمع معقولا من حيث الممارسة الاجتماعية وبعضهم يخفف من الغلو ويري أنها «هي النزعة المباشرة للنفس في حدسها الأول حين كانت تنفعل بالوجود وتعانقه قبل أن تثبته أو تضعه في الأطر ، وتعتكف عليه لتفهمه »[2] .

ومادامو قد تفلتوا من القيود الاجتماعية فإنها ظهرت عندهم فكرة التمرد على كل ما يكون مقيدا ، وأخذوا يبحرون في التمرد على الأساسيات الاجتماعية والدينية وأخذوا يعارضون معارضة عاطفية تارة وأخرى يعملون على التشكيك فيها. وهم يلجأون إلى الطبيعة التي تعني فطرة الإنسان وتمثل البساطة التي تنأى عن القيود،وكأن الإنسان مل ثقل التراكم المعرفي والعقلي والنهج في منهج المنطق الذي نجم عن ذلك،فأخذوا يرتدون إلى الحياة البدائية وعقلية البداوة والقرويين .ويرى بعضهم أن أدب شكسبير يخالف هذا الاتجاه وأنه يمثل فنا واعيا في رومانسية حديثة يخالف الاتجاه نحو الفطرة ، وهو يبتعد عن العودة إلى البدائية الساذجة[3] .

* ومن الظواهر المهمة في أسس الرومانسية النظرة إلى الطبيعة والطبيعة تنقسم قسمين في نظرهم:-

١- الطبيعة التي تماثل أو ترادف الفطرة عند الإنسان وهي تقرب من النظرة البدائية ، وقد أشرت إليها هناك ٢- الطبيعة المتمثلة في ما عدا الإنسان ، من المظاهر الجمالية كالجبال والوديان والأشجار والأزهار ، فهذه استوحوها من جوانب متعددة فمن ذلك النظرة إليها من بعد والاستمتاع بالمنظر الكلي الجمالي

---

[1] روبرت ، الرومانتيكية ٦٠ .

[2] إيليا حاوي، الرومانسية ٧ .

[3] المرجع السابق ٨٢ حتى ٨٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فمن أمثلتهم الدارجة « البعد يضفي على أي منظر سحرا »[1] فإن جمال الطبيعة يأتي من النظرة الكلية ، ولايأتي من التأمل في غصن واحد ، أو شجرة ، أو زهرة منفردة إنما يبدو جمال الأشجار متضامة متناسقة في كتلة خضراء يكون ذلك من البعد أفضل من القرب ،وكذلك منظر تجمع الأزهار من بعد أفضل من منظر زهرة واحدة ، وهنا صدرت مقولة بعضهم « عليك ألا تزيد من الاقتراب من الأشياء ، ولو فعلت ، فإنك ستشعر بالغم بكل تأكيد »[2] لأن قرب الشيء يكشف لك عن واقعية الأشياء ، فتري نقصا في كل شيء في هذا الكون ذبولا في الورق ، وجفافا في الأغصان ، وذبولا في الأزهار. وهكذا ولاكمال إلا لله سبحانه وتعالي ، وهو عند الفلاسفة الكامل المطلق الذي يبحثون عنه في الأشياء فيحللونها حتى يصلوا إلى كمالها .

وأكثرهم يميل إلى المناظر البعيدة بقصد الأمل باكتشاف كنهها ، لكنه يرجيء ذلك ليتمتع بالأمل لكنهم لايرغبون أن يخدعوا بتلك المناظر ، ويحولوا دون معرفة واقعها « فالأشياء عن بعد تخدع خدعة رائعة ، وهي لن تبدو في نصف روعتها ، وهي قريبة منا ، إن الحقيقة هي ما تبحث عنه بصيرة الحكم ، وأنا لا أبالي بالألوان المهوشة بل في الأشكال الصحيحة في الأشياء ، وباللون الواضح الصحيح فيها ، ولا أرغب في زيادة البعد بيني وبين مظاهر الأشياء الذي يحول بيني وبين رؤيتها في صورتها الحية الساطعة »[3] إذن فالبعد في حدود معقولة يؤدي إلى الدهشة بالجمال الكلي،لكن لا يحجب المعرفة الواقعية لأنه رأي معتدل ، فهو أقرب من الذي لا يميل إلى الكشف، لكن يريد المناظر الأعم للطبيعة عن بعد ، وفيه غموض لواقعية الأشياء.

---

[1] روبرت ، الرومانتيكية ٩٨، ٩٩

[2] المرجع السابق ٩٨،٩٩ .

[3] المرجع السابق ١٠٢ .

وهناك من تجاوز ذلك ورأى أنه يميل إلى رؤية الغمام في السماء ، ويريده هكذا بلا معرفة لماهيته ، وهذه مرحلة أولى للغموض من جانب فلسفة الرومانتيكية الطبيعية . فهذه الفلسفة تفضي إلى الميل إلى الرقة والتراخي ، والغموض في المشاعر ، وتطوره في الشعر الحديث أدى إلى «تأثير بدأ في شكل إثارة ، وانتهي في صورة المخدر »[1] . وعزلة في الاتجاه الطبيعي تظهر من تلبس الصور الطبيعية في الإبداع بنفسية الشاعر وعزلة مشاعره،فهو يبحث عن الطبيعة التي تشاكل حياته السلبية التي أطلقوا عليها القدرة السالبة « وتعني قدرة أي امريء على العيش في قلق وفي جو من الغموض والشكوك دون سعي محموم وراء الحقائق والمنطق »[2] ومن هناك جاء تعريفهم للرومانسية الطبيعية بأنها « فكرة غامضة إلى حد عضال ، يرجع إلى خفاء التجارب التي تتحدث عنها ، وتوحي لدي استعمالها بوجه عام بوضع أو مناظر معينة توحي بدورها بجو معين ، فالغابات والشواطيء الصخرية ، أو السهول ورعب القبور في الليالي المقمرة ، كل هذه المشاهد توحي برحابتها أو وحشتها بالجو الرومانتيكي »[3] .

* ومن الرومانسية ما يبحر في الصراع الداخلي ، ويجعله منبعا فنيا له.وهذا وسيلة إلى اكتشاف عالم الحياة الباطنية ، وأُعجِب كثير من الشعراء بهذا المنحى واستمر إلى يومنا هذا ، وهم يرون أن الإنسان لا يستطيع أن يستنفد هذا المنهل ، بل عاش فيه كثير من الشعراء ، ويرون أنه وسيلة للاكتشاف أكثر من العقل .

والصراع الداخلي يدور حول الغرابة والأوهام والضبابية الشعوريةفهي تنتقل إلى الفن المبدع،وهذا يميل إلى التجرد من العقل ويمثل قاعدة من قواعده غير المتناهية أو هو وسيلة إلى هذا المنحى . وهم يحتجون بأن هذا البحث في غور

---

(1) المرجع السابق ١٠٤

(2) المرجع السابق ٢٦٨ .

(3) المرجع السابق ٢٦١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المشاعر يؤدي إلى فكرة النفس المتسامية الخالدة ، فهم يعودون إلى فلسفة البحث عن المطلق عند اليونانيين .

* وبعضهم يرون أن الإنسان لامتناه ، وما دام كذلك فانه يحمل هذه النظرة إلى الكون والحياة ، فإنه يراها غير متناهية ويعارض العقل الذي يراه يقف عند حدود[1] وأري أن ما أودعه الله للإنسان من قدرات تكون في حدود العقل تلك المفيدة المثمرة المصلحة.وما تجاوزها فإنه أوهام وخواطر تذهب كالموج .

* ومن الجوانب الذاتية التي لها تأثيرها على الإبداع الرومانسي ، ما يعتلج في كيان الشاعر من رؤيته للقيم العليا والمثل ، التي وجه بها الدين ، وانطلق من منطلق العقل عند بعض الأمم ، أو ما صدرت من مصدر إنساني ، تؤدي إلى التساوي والتحاب لكن الممارسة الفعلية للبشر لم تلتزم ذلك المتجلي للعيان.من خلال هذه النظرة للمثالية يصاب بحالة انفصال أو انفصام ي الشخصية ، فإنه يرى الإنسان قادرا على الأفعال المثالية ذات القيم الإنسانية ومع ذلك ينحرف عنها ولايعمل بها ، فيصاب الرومانسي بخيبة أمل تؤدي إلى زهده في الأشياء ثم إلى الانزواء ثم يستسلم للاكتئاب ، وهو في ذلك دائم التحليق في خيال غير متناه[2] الذي يؤدي إلى الغربة الكامل ، أو يؤدي إلى الروح الثائرة المترددة. ومن هنا قالوا : إن الرومانسية دليل المرض ، والكلاسيكية دليل الصحة[3] لالتزام الكلاسيكية بالعقل والتدبر والتأمل ومن ثم يؤدي إلى الإبداع السوي .أما الرومانسية فإنها تؤدي إلى الإبداع السقيم وإلى الأدب غير المتناهي الذي يؤدي إلى التجريد « نعم لقد لوثتنا الرومانتيكية إلى حد كبير حتى أصبحنا ننكر أسماء

---

[1] انظر ، الرومانتيكية روبرت ٦٦ .

[2] انظر ، الرومانتيكية لروبرت ٦٦ .

[3] المرجع السابق ٥٠ .

الأشياء ، ما لم تكن مشوبة بمسحة من الغموض تتخللها »[1] والتمرد على الأشياء يعود به كثير منهم إلى كون المجتمع يعيش على تقاليد اجتماعية غير مقنعة عقليا ، وكذلك يعيش أنظمة فكرية يرى فيها الجور والظلم ، ويعود ذلك التمرد إلى منطلق ديني في النصرانية ، وهو التمرد على الجسم واللجوء إلى الروح والتمرد على ممارسة المجتمع والهروب إلى الكهوف والأدغال . وهو يحمل نقمة على المجتمع الذي لم يمارس الطقوس الدينية النصرانية كما يرى ومن هنا ، فهو في صراع « تعتمد المسيحية من أولها إلى آخرها على الصراع ، فهي لا تعرف أي مهادنة في الحرب بين الجانب الروحي ، والجانب الطبيعي في الإنسان ، وهي لا تعرف أي نهاية لمهمتها في الترويض الذاتي الداخلي »[2] بينما نجد أن الدين الإسلامي يقوم على الاعتدال ، فهو يتلاءم مع الروح الإيمانية الزاهدة ، ويروض النفس الغريزية ، ولايترك للصراع ميدانا إلا من أراد الإفراط كالصوفي الذي يتجاوز مرحلة الزهد المباحة بل المرغوب فيها، فالإسلام يروض النفس ولا يحرم الإنسان من الملذات أو الشهوات المباحة .وهو ينظمها ويضبطها ضبطا دقيقا متقنا هو لمصلحة الإنسان روحا وبدنا ليكون إنسانا سعيدا قائما بدوره في الحياة على أفضل وجه وأكمله وله – إن قام بذلك مؤمنا – الوعد بالسعادة والخير في الدنيا والآخرة معا .

* اتجاه الرومانسية للتجربة الباطنية بدل التجربة الخارجية ، فالشاعر يتأثر بالعوامل النفسية الداخلية ، وما تأتيه من أمواج نفسية ، بدلامن التأثر بالعوامل الخارجية .

فالرومانسية تقوم على سحب الثقة من الحواس ، فلا يؤمن الرومانسي بها بل يحول تلك الحواس إلى أوهام متطايرة كأنها الأطياف بعرف مزعوم. يعتمد

---

[1] المرجع السابق ٧٠ .

[2] المرجع السابق ٨٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على زعم إدراك ما وراء المحسوس .وهذه الأوهام تتجاوب مع الحياة الباطنية ، ومن هنا استعانوا بخيال بعيد عن الواقع يقوم بتصويره الجن ولا يودي إلى الواقع إلا بالرمز الغامض[1].

* والبساطة التي يرغبون فيها إنما هي من المشاعر ، ولا يقصدون بها وضوح المعني ، وقرب مآخذه « أما البساطة – الرومانتيكية – فشيء بعيد الاختلاف عن الوضوح المنطقي فلقد انتقل الاهتمام في الشعر من حسن التعبير المنطقي إلى صفاء مشاعر الشاعر وأعرب الشاعر الرومانتيكي عن عدم ثقته في العقل بوصفه معاديا للمشاعر محطما للتلقائية »[2].

والنقاد الإنجليز أخذوا عليها هذا الاتجاه الذي أدي إلى النكوص عن الحضارة والعلم والمعرفة والوعي الشامل « سننظر في مراجعتنا لتاريخ الأدب الإنجليزي إلى الحركة الرومانتيكية كنكسة متعارضة مع العلم ، فلقد تراجعت – كما نعلم – عن الاتجاه العقلاني المعتمد على النظام والتصنيف ... وظنت على نحو ما أن سيترتب على ذلك هو العلم ، ولكن رد فعلها كان مهوشا »[3].

ولذلك أطلقوا عليها : « إنها أدب المنى » وأنها تتعلق باللامعقول ، وأنها علامة على التدهور وتدعو للهروب من الواقع »[4] .

فالمنى حيلة الإنسان العاجز المتردد الاتكالي الكسول ، واللامعقول أدب الجنون ، فقد العقل مع سبق الإصرار والترصد .وما دام الإنسان تخلى عن العقل، وإنجاز العقل من المعرفة المتراكمة ، والإنجاز العملي ، وهرب من الواقع ، وأعرض عنه ، و لم يقدم إليه مايعالج قضاياه ، فذلك التدهور بعينه للمجتمع .

---

[1] انظر ، الرومانتيكية لروبرت ١٠٦

[2] المرجع السابق ٢٠٢ .

[3] انظر المرجع السابق ١٩٣

[4] المرجع السابق ٢٠٧

التعـــاريـــف :ـ[1]

* ونتيجة للتنافر بين اتجاهات الرومانسية عبر العصور ، وفي كل الأماكن. تكـــاثـرت حولهـا التعريفات ، وقد أعجبت بجمعها في مقالة واحدة (لأرنست برنباوم) ومن هنا فإني أنقلها إلى بحثي هذا لتكون في متناول القراء ، ولكي ألقي الأضواء كاملة على الرومانسية ، مع الإشارات والتحليل للأفكار الواردة فيها.

١- فالتعريف الأول يقارن بينها وبين الكلاسيكية ف« الرومانتيكية بمثابة المـرض ، والكلاسيكية هـي الصحـة » أذن فالكلاسيكية بحارية العقـل، والعلـم والوعي والبناء الفني والإصلاح للحياة بجميع مساربها . أما الرومانسية ، فإنها في أحسن الأحوال تكشـف عـن مـرض وتشـخصه ، أو هـي نابعـة عـن مـرض فـني وعضوي للمبدع كما يظهر،أو هي مرض للمنهج الشعري القائم على الكمال في الفكر والمضمون و الشعور والشكل الفني فهي مرض في مسيرة الإبداع. كـل هذه المضامين لها مبرراتها في مسيرة الرومانسية .

٢- ويتمثل مرضها في تعريف برونتير « أنهـا الحركـة الـتي بحـدت كـل مـا رفضته الكلاسيكية المستندة على الانتظام الدال على الإدراك السـليم ، والكمـال عن طريق الاعتدال . وتمثل الرومانتيكية فوضى الخيـال ، وهـــياج نشـــب عـن الابتعاد عن الصواب ، وإنها موجة عمياء من الأنانية » .

فهذا التعريف يوضح انحرافها عن النظام والانتظام المبني على العقـل والمعرفـة والوعـي السـليم ، وهـو يوضـح الشـطط في الخيـال لاسـيما السـالب الشـيطاني المنحرف ، ويقف عند الأنانية التي تصبغ الشاعر الرومانسي .فكـل شـيء متعلـق بذاته يمزجه بذاتـه السـوداويةو برغباتـه بمشـاعره المتشـائمة، وهـذا لايـؤدي إلى الاعتدال في الحياة بل يخضع للانفعال .

---

[1] انظر ، الرومانتيكية لروبرت ١٣٤، ١٣٥ لجميع التعاريف الواردة تحت هذا العنوان .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- بعضهم يقارن بين المتناهي وغير المتناهي « ما يصوره الفن الكلاسيكي هو المتناهي ، كما يوحي الفن الرومانتيكي باللامتناهي » وهذا انحراف في التفكير. فالإنسان موطر بعقل متفاوت لكن له قدراته وحدوده في هذا الحياة ، فإذا خرجت الغرائز عنه فإنه شذوذ وأنانية ، وإذا خرج الخيال عنه فهو يندح إلى الجنون ، وما دام خرج فكر الرومانسي عنه ، فإنه لا يرى التناهي في الأشياء فلايقف عند المحسوسات أو الصور الذهنية القريبة .وهذه بذرة من الأسس للنص المفتوح الذي يتمثل في موت المبدع ، وكذلك للغموض غير المتناهي، لكنه لم يطرأ في تلك المرحلة على الشعر الرومانسي لوضوح العبارة، غير أنه طرأ على المضامين الرمزية البعيدة .

٤- ومنهم من يرى أن الوهم هذا نتيجة الوعي الطبيعي « إنها وهم رؤية اللامتناهي ، من خلال تيار الطبيعة ذاتها ، بدلا من رؤيته بمعزل عن هذا التيار».

فالرؤية عن بعد وهم ، والرؤيا من وراء الأشياء يؤدي إلى الوهم فالتوهم من خلال الكهوف المنعزلة المظلمه ، الموحشة ، ورؤيا ظلام القبور ، و رؤيا الغمام ثم التجاوز للمحسوس من الطبيعة لمعرفة الأوهام من ورائه ، أو تجريد الطبيعة بزعم معرفة الكمال من ورائها .كل هذه تودي إلى الرؤيا غير المتناهية .

٥- النظر إلى اللامتناهي من خلال المقارنة وإيجاد التشابه بين الواقعي وغير الواقعي « إنها الرغبة في الاهتداء إلى اللامتناهي من خلال أحداث توافق بين الواقعي واللاواقعي، والتعبير في الفن عما قد يسمى في اللاهوت بالتحمس لمذهب وحدة الوجود »[1] .

فتحليل الروابط بين الواقعي وضده ينجم عنه أفكار تتأتى بواسطة المفارقة الجدلية التي تُكشَف بتلاقي الفكر البعيد ، ويكون ذلك استدلالا ودليلا على المعرفة الناجمة عن طريق اللامتناهي ،أو بلوغ الكمال المتمثل في مذهب وحدة

[1] انظر ، الرومانتيكية برونير ١٣٤ ، ١٣٥

الوجود ،وربما هو الذي أوحى للفلاسفة بكمال المطلق .

٦- ومن أقرب التعريفات إلى النفس ما يقف بك عند إدراك كنه الجمال في الطبيعة « إنها العودة للطبيعة والإحساس بسر الكون ، و إدراك جماله» وهذا الذي أخذ به الشعر الغنائي في الأدب العربي ولاسيما في الأندلس ، وكذلك أكثر الشعر الغربي القديم الذي تلاقى مع الطبيعة في العصور المتأخرة .

٧- ومنهم من يري فيها احتذاب الواقعية ، والبعد عنها « يعد الشيء رومانتيكيا عندما يكون- مثلما قد يقول أرسطو - أقرب إلى الإدهاش منه إلى الإمكان وبعبارة عندما يتقاضى عن تعاقب العلة والمعلول إرضاء لروح المغايرة والحركة برمتها مشحونة بالثناء على الجهالة.. ».

وهذا التعريف يجعلها تقف في معارضة الدعوة إلى الأدب الواقعي ، ولابد من دخول الخيال المدهش. لكن لايصل إلى الخيال السلبي ، وتعمل الصدفة مساندة للخيال التي لا تخضع للبراهين و الأسباب . وهذه النظرية من أوائل معالم الرومانسية للأدب ، فهي دخلت في الأدب القصصي اليوناني وفيه الإشارة للعودة إلى البدائية .

٨- ومن هذه ما يشير إلى نماذج الأشياء المتضادة أو المتنافرة فهي «التحرر في الأدب ومزج الغريب بالمأسوي أو الجليل - إنها الحقيقة الكاملة للحياة » ومنهم من يراها " إنها محاولة للهروب من الواقع الفعلي».

فحياة الإنسان مزيج من الكد والمعاناة والفرح والسعادة ، والحزن و الغم، فإذا الشاعر استطاع أن يجوب في هذا الفضاء الحياتي فإنه يمثل جانبا أو عنصرا من عناصر الرومانسية .

٩- ومنهم من يعرفها بأنها إحياء حياة العصور القديمة « تمثل إعادة إيقاظ حياة العصور الوسطي ،وفكرها » ولكن بالمقابل هناك من يعرفها بتجاهل القديم « فالمزاج الكلاسيكي يدرس الماضي ، والرومانتيكي يتجاهله » .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٠- ومنهم من يرى هيمنة العاطفة على العقل « إيثار العاطفة على العقل، وإيثار القلب بوصفه متعارضا مع العقل » فهم يرون أن الإحساس والمشاعر الداخلية وسيلة من وسائل المعرفة بل هي أقدر من العقل ، فإن بثها للملأ يودي إلى اكتشاف أشياء لم يقدر عليها العقل .

١١- ومنهم من نظر إلى الرومانسية الخيالية في « الخيال كشيء متباين مع العقل والإحساس بالواقع »ويقول آخر« نمو غير عادي لحساسية الخيال » ويرى آخر أنها «غلبة الانفعال في صورة واضحة بتأثير رؤى الخيال أو استثارتها ، ثم تعمل هذه الرؤى بالتالي على استثارة الخيال وتوجيهه » ، والخيال يودي إلى « ارتفاع درجة التعجب والدهشة ».

فهذه التعاريف تجمع ألوانا شتى من الرومانسيات ، وفيها تعارض كبير بين أفكارها وبعضها عدائي للإنسان ويحمل الجانب السلبي، وآخر يدعو إلى الإخاء والمساواة ومنها ما يجمع بين جمالي الشكل والمضمون ، وآخر يهمل الشكل الجمالي بل يتمرد على مكوناته وأسبابه . وأنها أغرت بالتحرر من الشكل أولا ثم الفكر ثانيا ثم المجتمع ثالثا . بل تجاوزت ذلك إلى التحرر من الدين في الغرب.

ومن هنا اعترف الكثير بعدم الاستطاعة لجمع شتاتها في خصائص موحدة أو متضاربة ، ولكن رأي القليل من النقاد استطاعة جمع هذه المتفرقات في تعريف واحد ومن ذلك تعريفهم بأنها «محاولة في مواجهة العوائق الواقعية المتزايدة للاحتفاظ - أو تبرير تلك النظرة الموهومة عن العالم والحياة ،التي تجيء نتيجة لمزج خيالي بين المألوف والغريب، وبين المعروف وغير المعروف ، و الواقعي والمثالي ، والمتناهي وغير المتناهي ، والمادي و الروحي ، والطبيعي وما فوق الطبيعي »[1] .

فهذا التعريف أشمل التعريفات لأنه جمع المتناقضات ، والمحتملات والواقعي

---

[1] روبرت ، الرومانتيكية ١٥١ .

والخيالي ، والمتناهي وغير المتناهي . إنه تعريف يحتاج إلى شروح كثيرة . ويتسع لألوان شتى من المذاهب الفنية والمدارس المعاصرة .

الأتجـــاه الفنـــي :

إن حضارة اليوم هي المتشعبة المتلاحمة المتمازجة الكثيرة التعقيد أدت إلى إفرازات فنية كثيرة ، وربما إلى الاستخدام اللغوي وتوظيفه ، ولكي تتسع اللغة لذلك، فإنهم جنحوا إلى التكثيف ، والإشارة بالدلالات الكثيرة التي تحملها الحروف ، و الألفاظ ثم التراكيب والصور . وقد أشار إلى ذلك (أليوت) : « تحتوي حضارتنا على قدر كبير من التنوع والتعقيد ،وعندما تتفاعل مع هذا التنوع وهذا التعقيد أية حساسية مرهفة ، فلابد أن تزداد وقدرتها على الإحاطة، والتلميح واللا مباشرة حتى يتسنى إرغام اللغة على التوافق مع معانيه ، وقد تدعو الضرورة إلى إحداث تغيير في معني اللغة » وهو ما أفضى إلى الدعوة إلى تفريغ اللغة من مضمونها كما يظهر في النتاج الحديث للشعر .

ولأن الرومانسية تسعي سعيا حثيثا إلى كون الشعر « مشبعا بجمال جديد غريب في الفكر والرؤى و الجمال والإيقاع » فإنها اتخذت اللغة وسيلة لها، واعتنت باللغة ، واستعانت بها . فنتيجة للوقوف الطويل عند تلك الأحاسيس ، فإن اللغة ازدادت ثراء بعد أن تحولت الكلمات « إلى رموز بدلا من أن تكون مجرد علامات مميزة مشحونة باللون والإيحاء، وكذلك بالمعاني الواضحة المحددة ، ويزداد إيقاع الشعر و النثر تنوعا وقدرة على التعبير حتى لو في صورة مبهمة – عن أدق تيارات الفكر والمشاعر »[1] .

ولأن الرومانسية تعتمد على النسب المتفاوتة من حب الاستطلاع والرغبة في الجمال أي على الميول الطبيعية للروح الفنية في كل العصور ، فإنه يتحتم أن

---

[1] المرجع السابق ٤٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تكون على الدوام مسألة مرتبطة بالمزاج الفردي فالرومانتيكيون « بفطرتهم الذين يبدأون بمادة أصلية لم تسبق محاولتها »ويتصورنها تصورا حيويا ، ويتشبثون بها باعتبارها جوهر عملهم »[1] فالغرابة الفنية تتأتى من جانب الخيال ، وربما الأشكال الفنية ، ومن توظيف اللغة توظيفا رمزيا .

ويخضع فنهم من « أنهم أولئك الذين يستخلصون عاجلا أو آجلا من كل ما هو غير متناسب عضويا مع نظرتهم بتأثير ما فيها من حيوية وحرارة، حتى يتوافق تأثير الكل مع نفسه في شكل منسق منظم واضح »[2] على شعراء الرومانسية بل ينداح فيها كل الشعراء العباقرة ، فيكون إبداعهم مميزا بجديد غير معهود ، ثم بعد فترة يكون ظاهرة شاملة متعارف عليها حتى تدخل ضمن القديم من الكلاسيكية . ومن هنا يري (ستندال) : « أن كل فن جديد كان رومانتيكيا في زمانه »[3] كمثل الألياذة والأوديسا .

* ومن المعالم الجمالية التى ترشحت عندهم الغرابة التي أصبحت معلما من معالم جمالهم الفني ، فهم جمعوا روعة الخيال ، ولم ينسخوا معالم الجمال عند الكلاسيكية وإنما استمدوا منها بنسب متفاوتة .

* والخيال هو مكون الغربة الفنية ، وربما أشعل الغربة النفسية . والخيال هو اختراق المحسوس ، واستدعاء أحداث خارقة للعقل والمتعارف عليه . ولكن الإنسان والمبدعين بصفة خاصة ، يجب عليهم ألا ينحرفوا ، ويتيوها في متاهات الضباب والآفاق المعتمة . ومن هنا أدرك النقاد في الغرب الفوارق بين خيال إيجابي يؤدي إلى المتعة وتفتح العقول ، وآخر يفتح أبواب الشر ، ويلوي في متاهات لا خير فيها. ولذا فرقوا بين الخيال المفيد والخيال الشاذ « وهنا علينا ألا

---

[1] المرجع السابق ٢٢٣

[2] المرجع السابق ٢٢

[3] المرجع السابق ٢٢، ٢٣

تخلط بين الخيال الجوهري ، والأخلاقي ، وبين الخيال الشاذ أو المنطلق عشوائيا»[1] .

* والشعر الرومانسي يفتقد إلى الوضوح المملوء بالثقة أو الدال عليها ، فتجد أن الحالة النفسية المضطربة في فكرها حول الأشياء تتبلور في فنه، ففيه الغموض والضبابية في طرح فكره .

* وهولاء لا يؤمنون باتزان النزعة الإنسانية المعتدلة ، التي تتعايش مع الواقع ولها متطلبات كثيرة ، ربما تفرض الصراع ، فالرومانسي يؤمن بما تمليه عليه ذاته ومشاعره، أو فى أحسن الأحوال يسعى إلى المثالية الكاملة التى يستحيل تطبيقها .

* وهو لا يفكر في الصحة المكتملة من ناحية ذاته وسلوكه ، ومظهره الخارجي ، ولأ من ناحية صحة الإبداع ، فكلا الجانبين يبدو في هلهلة عند بعض منهم .

* وهو يتمرد على الشكل الفني البديع ، والتناسق في التركيب والاتساق، أي يخالف النسق والجمال الفني عند الكلاسيكية، أو هو لايبالي به و لم يروض ذهنيته عليه ، وبعضهم لا يبالون بطلب المعرفة التي تبني وتعي .

وقد أجملها أحد النقاد « فتفتقر إلى الوضوح الدال على الثقة ، وإلى إتزان النزعة الإنسانية ، و إلى الشكل البديع التناسق والاتساق، والصحة المكتملة »[2] وهذه السمات ليست عامة على الشعراء أو غالبة عليهم إنما هى متفاوتة . فكثير منهم يمثلون عباقرة الشعراء في مكونات الإبداع الشعري، لكن تتجلى لديهم العناصر التي تنتمي إلى الاتجاه الرومانسي . ومن هنا تقع الشبهة والاختلاف حول انتماء بعض الشعراء ، فكل مدرسة تدعي انتساب عباقرة الشعر لها . وهم أدركوا هذا اللبس فالرومانسية تعد « عنصرا » في الفن يساعد على تحديد

---

[1] المرجع السابق ٢٦

[2] المرجع السابق ٤٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خصائص مميزة للأشياء ، يصعب مصادفتها منفصلة عن الحالات الأخرى انفصالا مطلقا ، وأن أمكن رغم ذلك مصادفتها كصفة غالبة»[1]

* وبعض النقاد يرى أن التعارض بين الرومانسية والواقعية من جانب وبين الكلاسيكية من جانب آخر ليس مرضا مدمرا يهدم الكلاسيكية ، وإنما من ضروريات الصحة لها، فكلاهما يشارك في بناء الكلاسيكية، ولذا نجد معالم واضحة للرومانسية في ثنايا الكلاسيكية كما نجد إبداعا ثرا يحفل بالواقعية[2] .

* ويرون معالم الانحراف في التطور الأدبي المعاصر، أو لنقل الاتجاهات التي تنأى عن الواقعية أو التعقل أو الغاية الإنسانية « يجنح اتجاه الغرب في الوقت الحالي جنوحا شاملا إلى الابتعاد عن الحضارة بدلا من الاقتراب منها »[3] ومنهم من يرى أنها أدب الكسالي الذين يرتمون في أحضان الطبيعة

* وآخرون يرونها إفرازا لأمراض المجتمع فهي « تطلب ذلك بالضرورة، كالتشكك في مباديء التعايش التي تنبت عليها كل حضارة » بينما النقاد والمؤيدون يرون أن نقد المجتمع يتيح لهم الفرصة لتحسين أحوالهم . لكن الظاهرة الغالبة أنهم يصبون جام غضبهم على المجتمع من حولهم ، وأهم من ذلك يلقون بالمعاذير لأحوالهم التعيسة على المجتمع ، ولاريب في واقعية المجتمع من ظهور سلبيات كثيرة ينبغي معالجتها الدائمة . و لله حكمة بالغة في إيجاد هذه الحياة المتصارعة ربما لتكون اختيارا واختبارا لعقلية الإنسان وتفاعله معها. لكن السلبي المنعزل يتعلل بأنه ضحية الأقدار ، أو انحراف المجتمع ، وأنه يتضاءل أمام سلوكيات المجتمع ، ولا يعمل بالإقدام بل يحجم فيلجأ إلى نفسه ، ويتأثر بتغلب مزاجه ، ثم يؤثر العزلة ، والابتعاد عن الآخرين ، وربما جاء من التأثير الديني

---

[1] المرجع السابق ٩٦ .

[2] المرجع السابق ٩٧

[3] المرجع السابق ١١١

النصراني ، ومن هنا يتشكل صداه في النتاج الإبداعي[1] .

* ويرون أن أسباب ضمور الرومانسية ، أن طبيعة أي شيء جديد لابد أن يكون قديما ، وعادة الفن لا تخرج عن هذا . فالظاهرة الفنية تكون جديدة ، ثم ما تلبث أن تكون قديمة . أي أنه ينمو وليدا ثم يتكامل البناء حتى تستنزف ما لديها من معالم للجمال تصلح للبناء ، وكل زيادة بعد ذلك تظهر نشازا ثم يتداعى بناء الظاهرة الفنية ، ويتولد عنها ظواهر أخرى ، أو تكون مع غيرها إسهاما في ظاهرة جديدة .

وكذلك فإن الرومانسية لها تواصلها مع مظاهر مدارس أخرى ، ربما تلاشت فيها كمثل تلاشي الإبداع الجديد في الخيال والغربة الوجدانية، فكلها أضحت قديمة .

اللفظـــة :

* ونظرا لابتعادهم عن التراكم المعرفي ، ولتجردهم من مباديء الاتباعية، ولتحللهم من جميع القيود، فإنهم تعاملوا مع اللفظة تعاملا مباشرا كأنها مولود جديد أو صفحة بيضاء ، يكتبون فيها ما يشاءون فيودعونها، انفعالاتهم ومشاعرهم ، ويشحنونها شحنا جديدا، بعيدا عن الدلالة القديمة الموروثة في الشعر فأودعوها ، دلالة تتماوج بانفعالهم نحو الحنان والحنين والألم والندم فاللفظة تفيض بالنفس المبدعة فهي «لفظة شعرية بطبيعة اختيارها ، لفظة مستمدة من التعامل اليومي مع الحياة ومع الانفعالات ، وقد اكتست من ذلك بالمراسلات والأحلام ، ولها هالات من المشاعر تواكبها من التعامل الوجداني »[2] لكنها قريسة المأخذ، فليست مثقلة بالدلالات القديمة ، ولا بالصور الموحية عن بعد، الناجمة عن تفاعل الصور مع بعضها التي ربما تستدعي الإشارة ، إنما يعمد لرسم

---

[1] المرجع السابق ١١٢، ١١٣

[2] المرجع السابق ١٠٢ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

صور مباشرة يعتمد على الإضافة . ومن هنا فإن السياق والدلالة الناجمة عنده ، وعن تركيب الصور نكاد نفقدها ، فتركيبهم سطحي ساذج فالعبارة« تميل إلى التهالك والعياء ... ترد بأيسر السبل وأدناها »[1] .

ومع هذه الرحالة الطويلة للرومانسية ، وتشعب مظاهرها ، واختلاف أطوارها ، وبلوغها الذاتية ذات الانفصام المرضي ، وغياب الوعي في اللاشعور . الناجم عن أدب المخمورين وعن إعراضها عن العقل ، وتحكم الإحساس وبلوغ الإبداع درجة الانغلاق وضبابية المضمون، وعدمية الغايات ، والهذيان بلا وعي، فإن النقاد في أوربا رأوا احتضارها ، وانقل هنا نصين ليوضحا خاتمة مطافها :

« واليوم ما زالت الرومانتيكية سائدة في أدب الكثيرين ، وحتى في أدب القلة . ويبدو لي أن آثارها المنحطة والمعربدة مازالت بعيدة عن الانقراض، رغم شيوع بدعة آلان بين النقاد بالتظاهر باتباع الكلاسيكية والاستخفاف بالرومانسية ، وكان حصول منها على قدر وفير أو يسير ، أمر مستبعد». وكتب ناقد حديث « أهم شيء فيما يتعلق بالأدب المعاصر إنه معاصر (أي يعبر عن روح العصر) ومن سوء الحظ إنه كثيرا ما يكون آخر ما قبل . واعتقد بيتر ولم يكن رأيه بعيد الإقناع ، أن كل الفن يتطلع إلى حالة الموسيقى . أما الآن ، فإنه يتطلع إلى محاكاة الصحافة وهكذا تتقدم »[2]

إذن فالعودة إلى محاكاة الخطاب الصحفي أمر يلائم الواقعية أيضاً ،ويبلغ ذروة الوضوح وليس ذلك ببعيد .

* وتأثير المدرسة الرومانسية كبير في الأدب الغربي و الآداب العالمية الأخرى ومن أشهرها :

١- أنها كانت الرحم الذي تولد منه المدرسة الرمزية ، فالحاحهم على

---

[1] روبرت ، الرومانتيكية ١٩١ .

[2] روبرت ، الرومانتيكية ١٩١ .

الانفعال . والباطن ، وما يعتمل في دواخل الشعور المضطرب والتعبير عن الذاتية كل ذلك كان الأساس الأول للمدرسة الرمزية .

٢- أنها كانت التمهيد لظهور الغموض الذي لا يتناهى عند حد ،فالخيال للطبيعة ، ولكيان الإنسان تمخض عنه النص غير المتناهي الذي يقوم على التجريد، ويكون نصا مطلقا لبلوغ المطلق ولتجريد الفكر عن المحسوسات الساذجة في نظرهم .

٣- المذهب التعبيري : وهو وليد البحث عما وراء الطبيعة والواقع فهي، متوالدة عن فكرة الرومانسية الخيالية والبحث عن العلم بواسطة الشعور الباطني ، لكنها تخالفها في البحث الظاهر عن الطبيعة " هناك العالم ومن السخف أن نعيد تصويره « كما هو ، أن مهمة الفن هي البحث عن جوهره الذاتي ، وإعادة خلقه من جديد »[1] وتلك أوهام مرضى الأنفصام عصمنا الله منها .

٤- المدرسة السريالية وغايتها « تغيير الحياة إطلاقا لخلق إنسان جديد إنسان يجد الحرية المطلقة عن طريق الخيال ، إذ الخيال وحده هو القادر على ذلك»[2] فهي تبحث عما وراء الواقع وتدعو إلى الانعزالية ، والهلوسة الذاتية ، والغرائبية ، و الهذيان .

* ولكن هذه المدرسة قامت عليها ثورات متعددة تمثلت في بعض المدارس منها :

١- العودة إلى الكلاسيكية الحديثة التي تجمع بين إيجابيات الكلاسيكية القديمة ،والرومانسية الحديث ، و تماثل روح العصر .

٢- المدرسة البرناسية ، التي تهدف إلى الاعتناء بالنص ليبلغ درجة الجمال الفني والابتعاد عن الخيالات و الأوهام ، والمناسبات ، و وصف المشاهد .

---

[1] إحسان عباس ، فن الشعر ٩٦ .

[2] المرجع السابق ٩٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣- المدرسة الواقعية ، فالرومانسية تعتمد على الخيال والذاتية ، والواقعية تتحدث عن الحياة اليومية ، وتجتنب الإيغال في الذاتية ، وتنأى عن البحث عما وراء الكون والتجريد من المحسوسات وسائر المدركات بل تلك موضوعاتها المفضلة .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرومانسية عند العرب

- في الشعر القديم .
- في الشعر المعاصر .
- مظاهرها .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معالـم الرومانسية في الشعر العربي القديـم :

الشعر الانفعالي ينبـع من تجـارب الفـرد وعلاقتـه بالحيـاة ، وقـد كـثر في الأدب العربي القديم ومنه شعر رثاء الديار ، و الوقوف على الأطلال ،

وكل شعر فيه الرهبة من الحيـاة ، و الزهـد فيهـا ، والتمـرد علـى الأوضـاع الاجتماعية كتمرد طرفة بن العبد ، وشعر الصعاليك كعروة بن الورد .

ومن معالمه البكاء و الوقوف عند موحات الحـزن و الألم في الرثـاء والفـراق والقتل ، ويدور حول هذا جل مقدمات الشعر العربي لاسيما مضامينها المتعـددة من الوقوف على الأطلال ، ومناجاة المعشوقة، والرحلة الطويلة المضنية وقد أشـار إيليا حاوي إلى مظاهر الرومانسية عند امريء القيس ، وطرفة بن العبد وعنترة[1].

وتظهر التجربة الرومانسـية في العهـد الإسـلامي متجليـة واضحـة في الشـعر العذري عند عـروة بـن حـزام ، ومجنـون ليلـى ، وجميـل بـن معمـر ففيهـا الذاتيـة المتجاهلة للحياة من حولها ، وفيها التأوه ، والخنوع ، ويتجلـى الهـروب بأشـكالٍ مختلفة وفيها يظهر الإهمال الذاتي في المأكل والملبس.

وأشاروا إليه في العصر العباسـي ، في تمـرد أبـى نـواس علـى وصـف القديـم والدعوة إلى الوصف الجديد. وإضافة إلى ذلك فإني أري أنه يظهر في منحى آخر لم يتنبه له الكثير هو مخاطبة الطبيعة و البحـث في جبالهـا وكهوفهـا ، وعواصـف رياحها ، وتسـاقط أمطارها ، و موت وحوشها ويتمثل في قصيـدة أبـى نـواس في رثاء خلف الأحمر وهو حي ، ومثل ذلك قصائده في رثاء البرامكة ، وإن رمز لها رمزا .وتظهر ملامحه في شعر الزهد عند أبي العتاهية ، و الوراق وغيرهما .

والرومانسـية تـأتي في مخاطبتـه بأشـكالها ، فهـو يتخيـل - والخيـال مظهـر رومانسي - لهذه الكائنات حياة ويجعل الحياة للجماد الجامدة فهي تنبض بالحياة

---

[1] انظر : الرومانسية ١١٦ .

كحياة إنسان بكامل شعورها وانفعالها وهو يدخلها للطبيعة من الحجر ، والشجر والحيوان . ذلك منحى رومانسي ، ومن ذلك قصيدة ابن عبدون المشهورة في رثاء أسرة آل الأفطس في الأندلس . وتظهر الرومانسية كذلك في الموشحات كموشحة لسان الدين ابن الخطيب .

وإيليا حاوي عرج على معالم الرومانسية في الأدب العربي ،واصدر حكما عاما قال فيه . « إن الشعر العربي ألم بالتجارب الرومانسية على مستويات مختلفة، وإنه غلب الانفعال على العقل في مظان ، إلا أنه لم يقم على ذلك ، ويتخذه كمذهب مطلق وحيد ، كما فعل الرومانسيون الغربيون – وفضلا عن ذلك فإن طبيعة الصور ظلت غالبا في الحدود الكلاسيكية المأثورة»[1].

والشاعر (المجنون) قيس بن الملوح يخاطب الطبيعة ويجعلها تحس بإحساسه بل إنها تستجيب له ، فالسيل كأنه له صداه على الشاعر ، حيث فاضت عيناه عند رؤيته ، وماذاك إلا لأنه من وادي المحبوبة ، وماء السيل يكون ملحا إجاجا إذا كان بمنأى عن المحبوبة ، فإذا مر بواديها كان طيب المذاق وعذبا فراتا :

جري السيل فاستبكاني السيل إذ جرى ... وفاضت له من مقلتي غروب
وما ذاك إلا حين أيقنت أنه ... يكون بواد أنت منه قريب
يكون أجاجا دونكم فإذا انتهى ... إليكم تلقى طيكم فيطيب
فيا ساكني أكناف نخله كلكم ... إلىالقلب من أجل الحبيب حبيب
أظل غريب الدار في أرض عامر ... إلى كل مهجور هناك غريب
وإن الكئيب الفرد من أيمن الحمى ... إليّ وإن لم آته لحبيب
و لاخير في الدنيا إذا أنت لم تزر ... حبيبا ولم يطرق إليك حبيب[2]

وله كثير في مخاطبة الظباء ، والأشجار والجبال والتلال وسائر الحيوان .

---

[1] انظر : الرومانسية ١٣١ .

[2] الأنطاكي ،تزيين الأسواق ١٠٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* والتأمل مدعاة لمناجاة الطبيعة، والشاعر أبو نواس في العصر العباسي وقف عند الطبيعة كثيرا، متأملا في حيوانها وأشجارها ، لكن ذلك لا يدعوه إلى معرفة ما وراءها إنما دعاه إلى إدراك نهاية الأشياء واتخاذ العبرة والعظة ـ فالمزلم من الخيل أو الإبل الكرائم ، أو الوعول الجميلة، التي تنعم في الرياض الجميلة ، وتستظل في ظل السدر، فهي ناعمة بالظلال والغذاء ، وهي تستشرف بالغمام الهتان ، ونسيم العليل الجميل، في هذا التكوين الطبيعي الذي جمع معالم الجمال للأرض ، والفضاء والنعيم من كل جوانبه ، وإذا بالأمر لا يدوم، ففي اكتمال النعمة تأتي البغتة فتبهت هذا الوعل الجميل بالموت المفاجئ .

ومزلم يقل الشغاف ترى له ... مسكا على أرساغه وذبولا[1]
يثني عليه الضال ظلا ناصبا ... فأطاب حيث قضى المقيل مقيلا[2]
بل لا تزال غمامة من فوقه ... غراء تنسجها الرياح سليلا[3]
ألقاه مشتعب النفوس برمية ... للقف الكفين أو محبول[4]

وهو ينظر إلى ذلك البقر الوحشي المختال في مشيته ، الناعم في مرعاه المتستر في نهاره ، لكنه يفاجأ بجمع من كلاب الصيد تنطلق عليه ، فتودي بحياته.

ومؤنف المدرى يخال إذا مشى ... جنبا من الخيلاء أو مشكولا[5]

---

[1] المزلم: القصيرالخفيف ،والفرس المقتدر ، ويطلق على الوعل ، يفل : يقشر ، الشغاف : شجرة الغاف له ثمر حلو، المسك:الخلاخل من القرون ، الذبول :الأسورة تتخذ من العظام .

[2] الضال : شجر السدرالبري . المقيل : المكان الذي يقال فيه وقت القيلولة

[3] غراء : بيضاء . تنسجها الرياح: يريد تؤلفها وتجمعها وتسوقها . السلسل:الشراب الخاص

[4] مشتعب النفوس : صادعها أو مقرفها وهو الموت. ملقف الكفين :سربعهما أو شدة رفع اليدين للفرس عند السير أو ضرب الأبل لباتها بأيديها في السير. المحبول : الواقع في الحبالة.

[5] المؤنف : المحدود . المدري : القرا . والمراد بمؤنف المدري ، بقرالوحش . الجنب : ككتف الذي يتجنب قارعة الطريق . الخيلاء : العجب . المشكول : المقيد بالشكال ككتاب حبل يوضع بين يد الفرس ورجله .

نتجت له الأهوال أهول ليلة ... في الأرض دمتها ، وأطول طولا[1]

حتى إذا صدع الدجي ذو فرجة ... ورد تخال بمقلته قنديلا[2]

غاداه من جلان موسد أكلب ... غضف يخلن من التحفظ حولا[3]،[4]

الرومانسية العربية :

يري بعض النقاد أن الشاعر خليل الخوري - ١٣٨٦ - ١٩٠٧م[5] هو الذي بدأ به اتصال الشعر العربي بالمذهب الرومانسي ، وكانوا محقين في ذلك ما دام له إبداع دقيق فيه معالم الوجدان المتواصل مع الرومانسية، ولأنه أتصل بكبير الرومانسيين الفرنسيين (لامارتين"١٧٩٠-١٨٦٩م)وقالوا عنه «أن شعره منسجم في غاية الرقة والطلاوة والسلاسة» «وكتب لامارتين الشاعر الفرنسي الرومانسي عنه عدة مقالات أذاعت صيته في أوروبا »[6] .

وفي مصر يرون أنها استهلت بديوان " ضوء القمر " لعبد الرحمن شكري الذي صدر عام ١٩٠٩م[7] .

وأشار صلاح لبكي إلى بداية تاريخها ما بين عام ١٩٢٠ - ١٩٣٠م ، وهي أيضاح ظهرت في شعر صلاح لبكي الذي استماله الليل ، فهو مصدر الأشياء ،

---

(١) دمتها : سوتها وطحنتها وأهلكتها وطلتها بالظلام .

(٢)صدع الدجي :شقة . ذو فرجة : هو الصباح . الورد : الأحمر . قال المتنبئ يصف الأسد :

ورد إذا ورد البحيرة شاربا ** ورد الفرات زئيره والنيلا

القنديل : المصباح .

(٣)غاداه : باكره . جلان : اسم قبيلة . موسد أكلب : مغريها على الصيد من أوسد الكلب إذا أغراه بالصيد و الاكلب جمع كلب .غضف : جمع أغضف وهو الكلب إذا أرخي أذنيه وكسرهما أو الذي أرخى عينيه غضبا أو كبرا . التحفظ : الاحتراز .

(٤) الديوان ٥٨٣ ،

(٥) نسيب النشاوي ، المدارس الأدبية ١٦٥

(٦) المرجع السابق ١٧٩

(٧) المرجع السابق ٣١٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مصدر الخير والشر ، و الحياة والعدم ، وفيه شجن وحرية ، وله قصيدة مطولة (سأم) تصور تجربته الشعرية الرومانسية القديمة والحديثة[1] وأكثر من خاض غمارها في لبنان الشاعر أبو شبكة ، فسار من مستهل حياته على نهج الرومانسيين في الغرب وغاب في أوهامهم وخيالاتهم ، وهو يتفاعل مع الخير والشر،ونظر إلى المرأة من هذا المنطلق ،فهي أحيانا ملاك، وتارة لبوه مفترسة ، ووظف الأسطورة التوراتية في شعره توظيفا رومانسيا[2] .

* ونلحظ المعالم الرومانسية في شعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير) فهو تفاعل مع الطبيعة ، أدرك ذيولها ، وزوالها ، وكأنه قرن حياته بحياتها ، فاستشعر فاجعة الحياة المنتهية بالموت لا محالة ، وهذا منحى ذاتي رومانسي ، ولكنه بألفاظ وعبارات وصور محافظة ذات أصالة قائمة على المعيارية[3] ومع إدراكه لزوالها إلا أنه يذوب معها رقة ومتعة بجمالها :

إيه ريحانه الرياحين فيضي	مرحبا ، واملئي الجوانح وجدا
امسحي جبهة الظلام تفض نورا	ومري على الصخر فتندى
حملت كل روضة أجمل الزهر	وصاغت منها لجيدك عقدا
واغتدى كل جدول يتمنى	وانبرى كل بلبل يتصدى[4]

ويرى جميل صليبا أنها لم تبدأ بداية حقيقية إلا بعمر أبي ريشة ، فهو الذي اقتفى (بودلير) (وفيرلين) وهناك من يحدد البداية الفعلية للرومانسية بنهاية الحرب العالمية الثانية[5] والشاعر عمر أبو ريشة يتحدث بلسان الطبيعة ، ويمنحها الإحساس والشعور ،تماما كالإنسان ففيه استمداد من التراث الذي يستنطقها ،

---

(1) ايليا حاوي ، الرومانسية ١٦٢

(2) المرجع السابق ١٦٣

(3) انظر المرجع السابق ١٥٣ .

(4) شعر الأخطل الصغير ١٣٥ .

(5) نسيب النشاوي ، المدارس الأدبية ٣١٤ .

وفيه تأثير من العمق النفسي الرومانسي. والشعراء العرب حينما يتحدثون عن الطبيعة يستحضرون حياة أمتهم ، وأبطالهم ولا إخال أبا ريشة إلا كذلك ، فهو حين يتحدث عن البلبل ، ذات الكبرياء ، الذي أخذ يعاني من شظف العيش ، وطواه اليأس فكأنه يتحدث عن ذاته الشاعرة المغردة :-

لو يعلم الصياد ما صيده ... لم يجعل البلبل في صيده
الفيته ينثر ألحانه ... ويقول : كأغا ينثر من كبده
كم أطبقت منقاره غصة ... فمد ينقر في قيده
أسقمه العيش على وفرة ... لما رآه ليس من كده[1]

الرومانسية في المهجر :

تتأتى معالم الرومانسية عند المهجرين من جانبين ١- من الشوق ، والحنين والإحساس بالغربة فإن فراق الأهل والوطن مدعاة للشكاية والتشكي في الشعر القديم ، فكيف بمن يهاجر هذه الهجرة البعيدة في غربة من اللغة ، والمجتمع؟!

٢- الثقافة ، الفرنسية التي نشأوا فيها في لبنان ، منهم أقرب العرب وأقدمهم إطلاعا على الثقافة الغربية ثم الثقافة الأمريكية التي هاجروا إليها ولاسيما إمريكا الشمالية ، وهم أيضا في شغل عن الصنعة الشعرية ، و لم يوجد الجو الذي يؤدي إلى ذلك وإنما ينظم شعره بتأمل وانتقاء لم يصل لمرحلة الصيغة . وهم في رومانسيتهم لم يعتمدوا مذهبا مخصوصا ولكن ظروفهم الخاصة أو لجتهم في هذا الاتجاه . فالوجد الذاتي الذي يزرع الحرقة زرع الاتجاه الرومانسي ، ومن ذلك مطولة « بساط الريح » لفوزي معلوف ، والتي تحكي « غربة الإنسان» في الوجود ، ويحن إلى عالم الأرواح السماوية[2].

---

[1] إيليا حاوي ، عمر أبو ريشة ١٥٣ .

[2] ايليا حاوي ، الرومانسية ١٥٥ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقريب من هذا «عبقر » لشفيق معلوم ومنهم ايليا أبـو مـاضي في مطولتـه «الطلاسم » وجبران من أشهر الرومانسي في جـل كتاباتـه ، فكلمتـه ذات نبـض شعوري ، تنبض بلوا عج النفس وروحانيتها وكانت رومانسية « هي أكبر تجربـة في الأدب العربي المعاصر ، لأنها فتحـت أكمـام اللفظـة المطبقـة في قبضـة الذهـن والمعجم ، واستشرف اللهفة الروحية ، وسكن الخيال في الأطر الحسية ، ولم يقف عند أي حائل ، فكان ابن الحرية الإبداعية التي أو لجت إلى الأدب العربي روحـا جديدة»[1] .

* والشـــعراء الذيـــن هاجروا لأمريكـا كونـوا لهـم روابـط أدبيـة منهـا « الرابطة القلمية » برئاسة خليل جبران ، وناقدها مخـائيل نعيمـة، متـأثرة بالاتجـاه الغربي ، وتتمثل الاتجاه في لبنان وسورية ولكنهم تأثروا بغربتهـم ويـري النشـاوي أن الرومانسية تظهر « في البوح والبث ، والذكري ، والحنين ، والشـعور بالغربـة في الأرض والشوق المبهم المحموم ، والثورة والتحسس بالطبيعة ، وفي موضوعـات الذاتية »[2] .

وهيمنـة الرومانسية الطبيعيـة علـى شـعراء لبنـان لأن أكثرهم مخاطبهـا مـن الاغتراب ، فهم يتمنونها ويوظفون الطبيعة رسلا لهم كالقمر ، والنسـيم أو يـرون في الذبول والصفرة مثـالا لمـا يعـتري المغـترب ، ونهايـة المغـترب كنهايـة الأوراق المتساقطة ، أو الخريف الذي يوحي بنهاية العمر وقرب الأجل »[3] .

فهذا إيليا أبو ماضي يقارن حيـاة الشـباب بالطبيعـة ، فـالأقحوان يتـألم عنـد قطفه من الحقل ،والنبتة في الوادي لم تنج من السيل، وكذلك الطائر يصدح مغرد في الروض لكن الروض يذبل ويفنى بعد الربيع ،والطـائر يبقـى في وحشـته وهـو

---

[1] المرجع السابق ١٥٦

[2] المدارس الأدبية ١٧٦

[3] انظر الرومانسية ، ايليا حاوي ١٦٧ .

يضرب مثلا للشاب الذي ينزع عن وطنه أو يحمل الهم و الحزن في دنيا شبابه ،أو ينزعه الموت .

فلا تك مثل الاقحوانة راعها ... من الحقل أن تجنى فلم تسكن الحقلا
وأعجبها الوادي فلاذت بقاعة ... فجاء عليها السيل في الليل واستلى
فما عانقت نور الكواكب في الدجى ... ولا لثمت فجرا ولا رشفت طلا
وزالت فلم يستشعر النور و الندى ... على فقدها غما كأن لم نكن قبلا
و لاتك كالصداح اذ خال أنه ... إذا اذدخر الألحان أكسبها نبلا
فضن بها والشمس تنثر تبرها ... وفضتها والأرض ضاحكة جذلي
فلما مضى نور الربيع عن الربى ... ودب إلى أزهارها الموت منسلا
تحفز كي يشدو فلم يلق حوله سوى الورق الهاوي كأحلامه القتلي[1]

فهو قد حادث الطبيعة الناعمة الرقيقة،والتى تمرح وتفرح ، وتكتسى جمالا وتمنحه وتستوقف الإنسان ، فلما وقف عندها الشاعر تأمل ما وراءها فإذا بها زائلة ذاهبه ، وهو يسقطها على حياة الإنسان وحياته الذاتية .

وأكثر الشعراء في مصر تأثروا بالشعراء والانجليز وقد دعا إليها النقاد مثل المازني وعبد الرحمن شكري وكلاهما قال شعراء مقلداً لأولئك ، واشهر الشعراء الذين تأثروا بهم خليل مطران ، وعبد الرحمن شكري ،وأبو شادى[2] وقد تداول الشعراء مختارات من الشعراء الرومانسي الأنجليزي بعنوان « الكنز الذهبي » وهي شعر وجداني غنائي شاع بين أعضاء مدرسة الديوان ، العقاد والمازني،وعبد الرحمن شكري ، وقد لاحظ النقاد إتباعهم لمنهج تلك المدرسة النقدي كما أدركوا المتابعة الإبداعية الفاضحة ، بل سرقوا منها ، واستعانوا بألفاظها[3] ثم تابعهم عدد من الشعراء مثل على محمود طه ، و أبو القاسم الشابي ،وهولاء

---

[1] من أعمال الشاعر إيليا أبو ماضي ٣٦٦ .

[2] أنظر ، المدارس الأدبيةلنسيب النشاوي ١٦٠ .

[3] المرجع السابق ١٦٩ ، ٢٢٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جميعا ينتمون إلى مدرستي الديوان، وأبولو وهذه المدرسة ترأسها الشاعر المحافظ أحمد شوقي ١٩٣٢م ولم يرأسها إلا جلسة واحدة ثم مات وخلفه الشاعر الوجداني خليل مطران ، واستغلت النقد المحافظ والمجدد معا لكنهم يميلون إلى التأثير النفسي النابع من الإحساس ، فالقصيدة تنبع من أعماق الشاعر تلتهب بالانفعال ، وحارب بعض رجالها شعر المناسبات، وما دام تقوم على وصف الطبيعة أو الحالة الشعورية أو مأساة، أو حكاية فإنها تدعو إلى الوحدة العضوية واعتمدوا على الصورة، والتجأوا إلى الطبيعة يحادثونها ، ويستلهمونها ،ويتأملون في جمالها وحريتها ومن فلسفتهم أن الحب متعة للروح لا للجسد ،وهم كذلك سيروا النفس التى تنزع إلى الحزن والندم وترسف تحت الحرمان والسقم والكآبة والألم[1] .

وإبراهيم ناجي من أشهر شعراء مدرسة أبو لو ، وأكثرهم ميلا إلى الشعر الوجداني ،وهو يخاطب الطبيعة ، ويستنطقها لكنه لايثقلها ،إنما يسألها كأنها شاهد، فهو يقف عند صخرة الملتقى ، فكأنها تعلم متى يلتقيا ، فهي التي جمعتها من قبل بحسنها ، وجمال منظرها ، وكأنه يستحضر العهود والمواثيق الصلبة بالإشارة إلى قوة الصخرة .

سائلك يا صخرة الملتقى ... متى يجمع الدهر ما فرقا

فيا صخرة جمعت مهجتين ... أفاءا إلى حسنها المنتقى

إذا الدهر لج بأقداره ... أجدا على ظهرها الموثقا

قرأنا عليك كتاب الحياة ... وفض الهوى سرها المغلقا

وهو يصف الشمس عن بعد ، فهي ذائبة في العباب كذوبان الشاعر في الحب، وهي تنتظر البدر كانتظاره لفتاته ، فذاك مستحيل فلا القمر يدرك الشمس ولا الشمس تدرك القمر ،واحتراق الشمس وإحمرارها فيه أفول ليوم

---

[1] انظر ، المدارس الأدبية لنسيب نشاوي ٢٢٧ ، ٢٢٩

كامل ، وكأنها حياة في نظر الشاعر ، فهي جريحة تحتضر،وجهة الغرب تجللت بحمرة الشمس ، كما تجلل الشاعر بفراقه ، فيستحيل عليه أن يلحق بها كما يستحيل على الشمس أن تلحق بالقمر ، ومن هنا كان مصدر الحزن:

نري الشمس ذائبة في العباب ... وننتظر البدر في المرتقى

إذا نشر الغرب أثوابه ... وأطلق في النفس ما أطلقا

نقول هل الشمس قد خضبته ... وخلت به دمها المهرقا

أم الغرب كالقلب دامي الجراح ... له طلبة عز أن تلحقا[1]

فالشاعر لم يوغل في خيال ما وراء الطبيعة أو يجعلها تخرج عن إطار حياة الإنسان ، فكأنه عاد بها إليه ، و لم يجعل منها حال غربة للإنسان .

---

[1] وراء الغمام ٩٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عناصر الرومانسية العربية

أولاً : الطبيعة :

١- استنطقوا الطبيعة ،كي تفصح عن أحوالها و أوصافها .

٢- حاولوا أن يشخصوها بالإنسانية ، فهي مكمن الشعور الداخلي الملتهب ،ولها غاياتها ، وأهدافها وتعتلج بهواجس ملتهبة .

٣- ومنهم من جعلها تتلبس كيان المبدع ، فألقى عليها أعباء حياته ، وجعلها كأنها رمز لمعاناة الشاعر . فجعلها تحب من أحب ، وترثيه إن مات ، وتغضب مما يغضب بل تتخيل ما يتخيل . ومن هولاء جبران خليل جبران والشابي .

٤- منهم من كشف عن أسرار الطبيعة بطول تأمل الشاعر العبقري كجبران خليل جبران .

٥- منهم من استوقفه جمال الطبيعة ، وأذهله زوال وانعدام هذا الجمال الأخاذ ومن ذلك الأخطل الصغير .

٦- ومنهم من يتوقفه أطلال الطبيعة على العالم في قدرة لا تتأتى للإنسان كالمغترب حين يناشد القمر عن أوطانه كالشاعر القروي .

وكان الشعراء الأوائل خليل مطران ، وايليا أبو ماضي ،يتعاملون مع الطبيعة من منطلق العقل و الواقع معا ، فهم يعقدون مقارنات ومقابلات ، وتأمل يولد الحيرة ، ويطلب البرهان ،وهم يتخذونها عبرة وعظة شأن الأوائل ، فالمساء عندهم يمثل الحياة الفردية للإنسان فالحياة سوف تنتهي تماما كما ينتهي اليوم ، والإنسان سوف يغيب في عتمات الظلام كما تغيب الشمس . فهي مقارنات بين الطبيعة وحياة الإنسان وهذا الأخير يدخل في الدعـــــوة الإيمانية للتدبر

والتأمل إذا صدر من قلب مؤمن ، فإنه يزيد إيمانه ، وإذا صدر من قلب لا يؤمن بالآخرة ، فانه يزيده وحشة وألما ، ويتولد عنه الرعب من الموت المقبل لا محالة .

ومن العاشقين للخيال المتولد عن الطبيعة الشاعر عبد الكريم الطبال الذي يعشق البعيد من المناظر الطبيعية ،شأن الرومانسي بل هو يبحث عن المحال لا عن الفعل وهو سيهبط إلى كل مجهول في البحر وسيعلو كل عال في الآفاق ، وسيجوب كل غائب مجهول. إنه يريد أن يكتشف المستحيل الذى يعلو فوق أمل العقل ، والشاعر لم يترك شيئا من الطبيعة لم يحاول اكتشاف ما بعده ،فهو دائب التنقل بين أشجارها وأزهارها وجبالها ووهادهاوسهولها وأغوارها ، بل يصعد إلى السحب، وهو يبحث عن كماله ، لكنه بقي في التيه أكثر من عمره الزمني ، فهذا ابن المغرب العربي الأقرب اتصالا بالغرب ولاسيما فرنسا، يقتفي أثر السندباد:

ابتاه ان ضاع الشراع وغبت عني في متاهات الطلاسم والخيال
وسلوتني ومحوت اسمي من كتاب الذكريات وكنت برا بالرحال

فأنا هنا ميلاد آفاق به ... شوق إلى دنيا الصواري والرمال
أنا صورة من عاشق الجزر البعيدة ... من رفيق البحر يغريه المحال
سأطوف في قاع البحار.سأعتلي ... هوج العواصف في سفين كالجبال
سأصارع الحيتان.اكتشف ... الأعاجيب التي هي في النهى فوق المنال
سأجوس غابات بالربيع أسائل ... الأشجار والأعشاش في خضرالتلال
والفجروالأضواء والأزهار ... والأنهار والأغصان في دنيا الظلال
والعندليب الحائرالولهان ... والأدواح والأنغام في عرس الجمال
سأرود أصقاع الشتاء أسائل ... الأمطار والرعد المدمدم في جلال
والليل والأشباح والأوهام ... والآفاق تطويها الضبابات الطوال
حتى رفيق البحر والشطآن ... والأمواج والأعصار والسحب الثقال
حتى أنا سأجوس في نفسي ... أسائل أين أصلي أين رسام المثال؟
فأنا بلا أصل كقيثار بلا ... لحن كواحات تموت لها الظلال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كالفجر في ليل شتائي كأزهار بلا عطر. كمهجور الفلال[1]

فهذا شاعر يمثل نظرة الرومانسي الكاملة للطبيعة ، فهو يراها من بعد ثم يحاول أن يكتشف ما وراءها وهو يعلن تمردها على كل محسوس ، وهو يبحث بخياله لعله يكتشف من تلك العلاقة الخيالية بالطبيعة ما يتمناه من كمال لا يجده في أرض الواقع .

وإسماعيل صبري (١٨٨٦- ١٩٥٣ م)[2] من الشعراء الذين عاصروا الاتصال مع المذاهب الأدبية المعاصرة لكنه يقف خاضعا معترفا بحدود الدين ، بل يمنح الطبيعة الاعتراف بخالقها والالتزام بتسبيحه وليس التمرد على سنن الكون بخلاف الإنسان غير الملتزم فهو تنازل عن عقله ، ونسي توجيه ربه :

كل شيء مشى على الأرض حيا أو غما في مراتب الحيوان
أم أودع المهيمن فيها ملهمات من فيضه الرباني
شاكرات لأنعم الله دوما ذاكرات آلاءه كل آن
ألسن سبحت بذكر إله خالق رازق عظيم الحنان
تلك شتى عوالم الأرض إلا عالم الظلم عالم الإنسان
نسي الله وهو نشوان يلهو بين كأس أطلال ودل الغواني
فتنته الدنيا وألهاه غاو أبعد الرشد عن مدى العرفان

بل يعيب على الإنسان جريه وراء الشيطان ، وميل النفس ، حتى جرفته إلى الضياع ، والتيه ، والظلم ، واندياح إلى الحرمان والكآبة .

زين الفسق والفجور وأملى كل كيد يدعو إلى العصيان
هيأ النفس لارتكاب المعاصي فاستباحت رذيلة العدوان
من أطاع الشيطان لابد يلقى في الحياتين زفرة الندمان
تقضي دنياه يوما فيوما بين حال الوسنان واليقظان

---

(1) الأشياء المتكسرة ٧١ .

(2) الملقب بأبي أمية ، وليس بإسماعيل صبري باشا فالأخير أكبر سنا ومنزلة في المجتمع

زخرف خادع وصفو كذوب ومتاع مهما تفاخر فان
مشرقات أعارها ثوبا من جمال طلاؤه من دخان[1]

ونحن إذا ننظر إلى الطبيعة بمنظار الرومانسية الغربية ، فإننا نعيب على شعرالتأمل المتدبر فيها ، لكننا نثق بالتوجيه الرباني الذي يدعونا الى التامل والتدبر ، وهذا منهج أدبي في الشعرالعربي قديما في الإسلام ،فهذا أبو أميمة، يخالف التيارالرومانسي في الطبيعة ،والذي يدعو إلى الخيال ومعرفة ما وراءها فيقف عند تأمل قدرة الخالق في عالم البحار، مرتع الحيتان، السابحات في فضاء المياه وكيف سخرالله ذلك البحروما فيه للإنسان فكيف لا يشكرالله:

أودع البحر رحمة منه رزقا بارك الله مرتع الحيتان
سابحات الأسماك تكثر ذكر الله فيه ما سبح الجاريان
أكل طيب طرى شهي فيه شتى الأنواع والألوان
وحلى تألقت لامعات بين أصدافها كلمح الحسان
لؤلؤ نادر ودر يتيم وعقود من فاتن المرجان
نعم ساقها الخضم إلى الناس بأمر من مبدع الأكوان

وأمم الطير التي يتمنى الرومانسي أن يكون مماثلا لها،أكثر الخلق تسبيحافنعيمها وحريتها، وما تصدح به من أناشيد فرحة،مغردة فوق الأشجار والأزهار وحداول المياه،ذلك لم يفتنها عن تسبيح باريها :

أمم الطير أكثر الخلق حمدا ما سهت لحظة عن الشكران
ما تبدى نور وغشى ظلام ومع الكون كبر المشرقان
إذ تهادى النسيم يحمل شدوا رجعته الآفاق بالألحان
سبح الطير فيه ربا رحيما قد تجلى باللطف والإحسان
واحد منعم حليم كريم غمر الخلق بالندى والحنان

---

[1] الديوان ٥٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يـرزق الطـير أينمـا حلـت الطـير بـأقصى القفـار والوديـان
عـالم الطـير في الوجـود عجـاب فهـو رمـز للشـاكر اليقظـان
نعـم ساقهـا الخضـم إلى النـاس بأمـر من مبـدع الأكـوان[1]

إذن فإن الشاعرأبا اميمة وظف الطبيعة الرومانسية توظيفا نابعا من الدين والتأمل العقلي الذى ينظم الحياة الكونية ، وتسير في سننه .

وهذا يدل على أن رومانسية الطبيعة في الشعر العربي لم تقف عند التقليد بل اتخذت مسارا يحبس عنها المغالة في الخيال وما توحي به من أوهام وهم يجعلونها تعبد الله بينما الشاعر الغربي يتوصل بها إلى المجهول لمعرفة المطلق .

ثانياً ـ الحرية في الرومانسية العربية :

ومن سمات الرومانسية التمرد على المجتمع ، ولاسيما وقد وضحت للشعراء العرب قضايا اجتماعية تخالف العقل وتعارضه ،فكانت مدعاة للتمرد عليه والدعوة إلى الحرية من هذه القيود، فأخذوا يعرضون بمؤسسات المجتمع وقيمه البالية وتقاليده وأعرافه ، لكن ذلك في حدود العقل والواقع، وأكثرهم لم يتجاوز الدين،والقليل منهم الذي يدعو إلى مخالفته . إذن فهم ثاروا على التقليد الأعمى وثورتهم محدودة تخالف الثورة الشاملة للرومانسية الغربية – الثورة ضد العقل الاجتماعي ، والقيم الدينية .

فالحرية هي :«التجاوزشروط الواقع والامتناع عن الخضوع للحتميات الداخلية والخارجية، فبالحرية يفعل الإنسان أفعاله بفعله ،ويتخيرها وفقا لمثله العليا»[2] وهذه عودة بالإنسان إلى طفولته ،وإلى الفطرة قبل أن يعقل وهم يزعمونها للإنسان البدائي الأول مع أن التوجيه الرباني صحب الإنسان

---

[1] الديوان ٤٥ .

[2] إيليا حاوي ، الرومانسية ١٩٨ .

الاول،وهو الذي ينحرف عنه حتى يظهر الرسل ، فيحاولون الإصلاح ، وما هذه الحرية إلا تمرد على الأديان كما كان يفعل أسلافهم لكن هؤلاء زادوا بأنهم رفضوا ما وجدوا عليه آباءهم ، ورفضوا النظام الاجتماعي ، حتى بلغ مرحلة الحرية من كل شيء. بل تجاوزوا حد البهيمية إلى الجنون.هذا مبدأ الحرية في الغرب ، فهل أخذ به العرب ؟ الواقع أن جلهم إن لم يكن كلهم لم يستطع مجاراة الغرب ، لان الله نجاهم بالتوجيه الرباني .

وإن حدثت مخالفات كثيرة متفاوتة،لكنها لم تبلغ الجنون الغربي .والذي ظهر من هذا القبيل يكون عند النصارى أو من تحلل من التوجيه الديني من الشاذين .ولذلك اتخذت الحرية الإبداعية في الشعر العربي مسارات لم تتجاوز الدين في اغلبها ، و لم تتجاوز القيم الفاضلة،وتمردت على التقاليد والعادات البالية التي ليس لها روابط دينية صحيحة، ولذلك تمردوا على العقلية التي ترسف على نظم غير صحيحة .وعلي مسلمات تبين أن مخالفتها ليست مخالفة دينية ولا تخالف العقل وكان الرائد في هذا شعراء مدرسة الأحياء مثل شوقي وحافظ ، والرصافي فإنهم ينشدون الحرية التي تدافع عن المظلوم ، وتعلن التمرد على الظالم وتسعي إلى إنصاف الضعفاء من أبناء المسلمين . فالحرية يريدونها شاملة لأبناء الإسلام . و لذلك فهي تخالف حرية جبران الذي يوله الإنسان[1]، وتنبع الحرية عند الشابي من التأمل في حياة الطبيعة ،من الطيور المغردة كما يمثله(في قصيدةالصباح)، وهو ينفذ إلى تلك الحياة الكونية للطير، ويرى القيود التي كبل الاستعمار بها الشعب في تونس فيتمنى لشعبه حرية كحرية الطير . والحرية عنده تقوم في سنة الوجود ، فالأشجار تتجدد أغصانها،ويضرب مثلا بتشذيب الأشجار من الورق الذابل والأغصان اليابسة،والجذوع الميتة.والحرية عنده حتمية في النفس البشرية،وتتطورمع الحياة والظروف،فلا بد لها من اليقظة،واستعادة الروح وكان

[1] إيليا حاوي،الرومانسية١٩٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يرىأن البقاء للأصلح ، فالكفر والطغيان يزولان.إذن فتجربته في الحرية تأملية أولا وثانيا مستمدة من التفكير الإسلامي آو لنقل غير متعارضة معه .و لم يذهب إلى ما ذهب إليه شعراء النصرانية في الحرية.وخير مايمثل ذلك قصيدته « إذا الشعب يوما أراد الحياة » فإن سنن الكون التي أودعها الله هذا العالم تجعل هناك أسباباً ونتائج، فأسباب القوة والحرية للشعب هو العمل والإنجاز والجهاد والتآزر ، والنتيجة هي إذن بالإجابة التي فرضها الشاعر المتمثلة في قوله "فلا بد أن يستجيب القدر "فلهذه نتيجة أرادها الله فالعدل سينتصر ، ولو بعد حين، والبقاء للأصلح ،والحق أني أعارض تأويل إيليا حاوي لحرية الشابي التي يرىأنها« الحرية التي تتولد في النفس من تحمل تبعتها في التعامل مع الوجود، ومن اعتبار الإنسان ذاته بداية لذاته ونهاية ، وأنه لم يخلق ليقضي حاجات ويذعن لضرورات»[1] فنرد عليه بأن تأويل (إذا الشعب يوما أراد الحياة) فالشعب جمع، وإرادة الحياة بعقل و لم ينف الدين ومن هنا فإن الشابي يجعل حريته تتمرد على الدين والعقل والعلم، إنما تتمرد على الظلم ، والذلة والخنوع الظلم من المستعمر، والاستسلام من الشعب.و لم يصرح الشابي بأن الإنسان بداية ونهاية لذاته والله أعلم.

ومدرسة (أبولو) من الصق وأقدم الاتجاهات القرية من مظاهر الرومانسية ، وأشهرهم زكي أبو شادي والشابي ، ثم إبراهيم ناجي - وتدور في متاهات الغربة النفسية ، والتبرم من الواقع ، والحب الوجداني عند إبراهيم ناجي ، والتجربة الصوفية عند الشابى .وكذلك يتجلي عنصر (الحرية) في شعره « لقد كانت الحرية بالنسبة للشابي تتعدى إطارها السياسي إلى الإطار الوجودي والنفسي بل الروحاني، الحرية هي التقدم ، وهي تحقيق الإنسان لإنسانيته »[2] وهذا المبدأ أخذ به شعراء العربية فيما بعد. فهم يرون أنها « تعيد تقييم الأشياء والمفاهيم بل إنها

---

[1] الرومانسية ٢٠٥ .

[2] إيليا حاوي ، الرومانسية ١٥٨

هي التي تدفع بالإنسان إلى الصمود والمقاومة أمام بواعث الاندثار والانقراض والعدم »[1] ذلك ماجعلها تتشكل في الشعر العربي إبان الاستعمار وضعف العالم العربي وتغطرس إسرائيل . فردة الفعل أن الشعر العربي ألهب العواطف بدعوته للحرية . ويقول إيليا حاوي عن الرومانسية العربية : (فإن الرومانسيين حاولوا أن ينقضوا الواقع ، ويبتنوا عليه واقعا آخر أتم وأكمل» وهذه مقولة من جانب النقص الاجتماعي ، وهيمنة الاستعمار ، فهم أحوج ما يكون إلى التمام والكمال. لكن عبارته الآتية عليها مآخذ (إنهم أنفوا من العقل والمنطق في الشعر ، فإنهم أنفوا كذلك العبودية)[2]. الذين فعلوا ذلك هم شريحة قليلة من شعراء النصرانية المتأثرين بالثقافة الأوربية ، وقليل من الشاذين ، أما جل الشعراء فانهم لم يعارضوا الدين ولا العقل ولا المنطق وليس أدل على ذلك من قول الشاعر العراقي أحمد الصافي النجفي :

إذا طغى العقل على ربه ... فالعقل معناه هو الجهل

يعترض العقل على خالق ... من بعض مصنوعاته العقل

إن بان فضل العقل في صنع ... فصانع العقل له الفضل

عبدته لم أدر ما كنهه ... والجزء هل يعرف ما الكل؟![3]

ثالثاً ـ الحب والمرأة :

والرومانسي ينظر إلى الأشياء، الذي ينفعل إليها ، نظرة إعجاب لكمالها في معتقده الباطني ، ومن ذلك نظرته إلى المرأة فهو لم ينظر إليها نظرة شهوانية « فالحب لم يعد عاطفة بين رجل وامرأة، و لم يعد أمر شهوة متقنعة أو سافرة ،

---

[1] المرجع السابق ١٥٩

[2] المرجع السابق ٢٠٦

[3] هواجس ٢٣٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إنما هو حالة من التآلف بين روح وروح التقيا في غربة الوجود، وأنس أحدهما بالآخر »[1] وهذه النظرية تمثلت في الحب العذري الذي حصر كل منهما حبه للآخر رغم وجود الأجمل والأفضل ، فهم عرضوا على جميل بثينة فتيات أجمل منها لكنها كانت المهيمنة على كيانه . ومثل ذلك عروة بن حزام وعبد الله بن عجلان النهدي .

ومن هذا المنطلق فإن نظرتهم إلى المرأة تغيرت فأعطوها الكمال الذي فاق وجودها الواقعي «والمرأة سقطت عنها ماديتها، وشهويتها، ولم تعد من لحم ودم، وانما غدت فكرة مثالية، تلتقي عندها الأشواق ، وتتركز السعادة النهائية»[2] ومن هنا خاطبوها كأنها الحرية التي تجلب السعادة البشرية، وهذا ما شاع في الشعر العربي في منتصف القرن العشرين. وبعضهم يسقط على المرأة خيبة الأمل ، فهي التي تمثل الإنسانية الضعيفة أمام رغباتها ، فلها شهواتها ونزواتها مما جعل الرومانسي يحقد عليها في شعره[3]ويعود ذلك لأنهم لم ينظروا نظرة عقلية واقعية. وتيار نظرة الكمال للمرأة يتجسد عند الشابي « هي من روح وأثير كلها ، تآلفت فيها الطبيعة ، وأوفت إلى غايتها الكلية، فتون الطبيعة كله متجسد فيها ، بل إنها ملاك الوجود، تبعد الشاعر عن الغربة والتوحد، وتعيده إلى فردوس السعادة »[4] أما مظاهر الغضب على المرأة فتظهر جلية في شعر أبي شبيكة[5].

وملخص القول أن النظرة للمرأة في هذه الأمور .

١- تكون المرأة رمزا للحياة ، فالحياة كالمرأة إذا « انتهكت ، وأهينت على

---

(١) الرومانسية ٨٥ .

(٢) المرجع السابق ٨٥ .

(٣) المرجع السابق ٨٦ .

(٤) المرجع السابق ١٥٩ .

(٥) المرجع السابق ١٦٠ .

كرامتها وسعادتها وسوددها ، وكأنه عبر من خلال ذلك عن هـون الحيـاة ذاتهـا وافتقادها لكرامتها وجدارتها ، وطهارتها »[1] كما يظهر عن خليل مطران .

٢- تارة يوظف الشاعر الطبيعة لرسم معالم الجمال عنـد المـرأة ، كقصيـدة الأخطل الصغير « الصبا والجمال ملك يديـك » وتـارة يـرى في ذبـول الأزهـار ، وإصفرار الأوراق ، ذبولا لجمال المرأة ، ومن هنا فإن الشاعر يبكـى هـذا الجمـال الزائل . إذا فرثاء الورود الطبيعية هو رثاء لجمال المرأة عند الأخطل الصغير[2] .

٣- يتجاوزن الحواس في المرأة و واقعيتها ،وينطلقون إلى تلاحـم الحـب بـين الروحين المفردتين في الفضاء اللتـين تخلتـا عـن جسـديهما اللـذي يمثـلان الشـهوة الحسية، حيث السقوط في هيمنة الغرائـز كمـا يظهـر عنـد جبران[3]وهـو وظـف التحرر للحب للرمز لتحرر الإنسان في حياته كلها ، وهـذا المنـزع مخـالف للديـن بجميع مقاييسه ، ومخالف للعقل المنظم لحياة الإنسان ، ومخالف للإنسانية ويـتردى بهـا إلى البهيميـة . فـلا حريـة شـاملة و لـو أراد الله الحريـة الشـاملة لمـا منـح الإنسـان العقـل . وحتـى الحيـوان حريتـه محـدودة في عـالم خـاص بـه . وكيـف تحكمت تلك الغرائز في إبـداع المبدعـين هـؤلاء ، مثـل جبران خليـل جبران إنمـا خضع نتاجه الإبداعي لهيمنت الغرائز[4].

أمّا حب المرأة عند الشابي ، فإنـه يتمثـل المـلاك الـذي لا يطـال و لاينـال ، ويتمثل فيها الحرية الطاهرة ، فهي ليست امرأة واقعية .

أما حب أبي شبيكة فإنه يرى أن المرأة أفعى ، وكأنه يرمز بها للدنيا المادية[5]

---

(١) إيليا حاوي ، الرومانسية ١٨٢

(٢) المرجع السابق ١٨٣ .

(٣) انظر المرجع السابق ١٨٥ .

(٤) المرجع السابق ١٨٧ .

(٥) المرجع السابق ١٩٢،١٩٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رابعاً ـ الغربـــــة :

للغربة عوامل داخلية في نفس الرومانسي الغربي . تلك العوامل جسدت عنده معالم الغربة ومنها :

١ـ تأليه الإنسان لذاته[١] ، فيرى أنه الاكمال بل ينزع إلى النهائي المطلق . تلك الفكرة الإلحادية ، فهم ينتقصون واقعية الأشياء ، وعقلية أقرانهم الذين يرضون بالواقعية ، ولذلك فإنه يستشعر الغربة عن هذا العالم الاجتماعي الناقص في نظره ، إذاً فهي غربة ناجمة عن انحراف في التفكير ، وفيه خضوع للذاتية ، وإعلاء لشأنها فلا يجعلها سوية ، ومن هنا كان أكثرهم متهم من المجتمع بالجنون أو الشذوذ .

٢ـ لذلك فالرومانسيون يكتئبون لوجودهم في الحياة ، لأنهم في صراع دائم مع المجتمع وفكره ومعتقده ، فهم يعمهون في إلحادهم ، وتمردهم على دينهم.

٣ـ وهم في غربة فكرية فهم متمردون على كل فكر ، وغربة عقلية ، فهم يعرضون العقل ويلجأون إلى الشعور الداخلي، ويرون فيها الميدان الأرحب . وما دام الواقع لا يتيح لهم التصرف حسب ما تمليه المشاعر فإنهم في غربة عن هذا الواقع . فالرومانسي لا يرضى بواقعية الحب الوجداني ، وهو لا يرضى بما لديه من المال ولا يقنع بجميع سبل الحياة.

وأكثر من يمثل تلك الغربة الشاذة في الأدب العربي جبران خليل جبران، ففي غربته الدينية إلحاد وفيها تجاوز المجتمع وأبناء البشر[٢] .

ومن الشعراء العرب الذين أحسوا بالغربة، الشاعر الشابي ، لكن غربته لا نجد فيها الانحراف الذي نجده عند شعراء الرومانسيين الغربيين، ولا عند جبران

---

(١) ايليا حاوي ،الرومانسية ٢٠٧

(٢) المرجع السابق ، ١٢٠، ٢١١

خليل جبران ، إنما نحس منه غربة لا تبلغ البوح الصريح بالتمرد على المعتقد ولا الفكر ولا العقل، بل توحي بأمنيات لصالح المجتمع ، لكنه عندما يئس من صلاحه أحس بالغربة:ـ

أنا كئيب أنا غريب
ليس في عالم الكآبة من
يحمل معشار ما أجد
كآبتي مرة وأن صرخت
روحي فلا يسمعها الجسد
كآبة الناس شعلة ومتى
مرت ليال خبت مع الأمد
أما اكتئابي فلوعة سكنت
روحي وتبقى إلى الأبد[1]

وتظهر الغربة في الأدب المهجري كثيرا ، ويمثلها فوزي معلوف، في (بساط الريح) الذي يرتقى بخياله إلى الفضاء وإلى عالم الطيور ، هاربا من عالم الحزن والظلم والحقد :

بين روحي وبين جسمي الأسير كان بعد ذقت مره
أنا في الأرض .. وهي فوق الأثير أنا عبد وهي حره

وهو يطلق لروحه الحرية في عنان السماء لتحلق بعيدا عن قيود الإنسان وعقله .

يا طيور السماء في الريح روحي بي حريا ، على الجلد
وبجسمي طيري إلى حيث روحي فيه تحيا بلا جسد

وهو يصور حالة الطائرة واستغراب النسور لها :

قال نسر لآخر : أي طير هو هذا – ومن رفاقه

---

[1] إيليا حاوي ، الرومانسية ٢١٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إن يكن قادما إلينا الخير فلماذا اعلا زعاقة[1]

والشاعر المهجري فوزي معلوف متأثر بالرومانسية الغربية « وزاد الطين بله »غربته في المهجر، فهو يهرب من الحياة الإنسانية إلى حياة أخرى ، لعله يسعد فيها ، فهو تمرد على واقع الحياة الكونية.

ها أنا ذاهب إلى الغاب ياشعبي لأقضي الحياة وحدي بياسي
سوف أتلو على الطيور أناشيدي وأفضي لها بأحزان نفسي
فهي تدري معني الحياة وتدري أن مجد النفوس يقظة حس
عن مصب الحياة أين مداه؟ وصميم الوجود أيان يرمي
وعبير الوجود في كل فج ونشيد الطيور حين تمسي[2]

فالشاعر لجأ إلى حياة الفطرة ، وحياة عدم التكليف في الغاب لعله يعيش حياة الطبيعة ، أو يختفي عما يدور في حياة الإنسان ، فالطبيعة تجمع له الغايتين معا، فهي تسلية مع الأطيار ، منعزل عن الإنسان بأثقاله .

والشاعر ليس هاربا من عقله ولا من العلم ولا من الحياة الاجتماعية ،غير أنه يشتكي توظيف هذه الأشياء في غير معانيها الإنسانية ، فهو يتمني المثالية لكنه لم يعثر عليها ، فالمكتشف لم يسعف الإنسان باكتشافه بل دمره ودمر الطبيعة معه، بل هو الحيوان الشرير الفاتك في خلسة من أمره إنه الأفعى ، فوظف العقل في ألاعيب الحياة ، في الغدر و الخيانة والضرر والأذى .

نسي الخير حين أوغل في الشر فداس الضمير في عصيانه
ملأت قلبه الأفاعي فلا يسمع غير الفحيح في خفقانه
أعطى النطق والحجى ميزة تفرقه في الوجود عن حيوانه
فإذا بالأذى وليد حجاه وإذا بالشرور بنت لسانه

---

[1] شاعر الطيارة٦٩ .

[2] المرجع السابق ٣٧ .

عـاث في أرضـه فحـالت جحيمـــا فـآتى الخلـــد عـــائثا في جنانـه
زج بـــالعلم في الفضـــاء طيـــورا مـــن جمـاد يديـــرها بـبنانـــه
مـا بناهـا إلا لهـــدم المبانـــي ولـــسفك الدمـــاء في طيرانـــه
ليتـه لـم يكـن ذكيـــا فـكـــل الويل في الكون مـن نهى إنسانـــه[1]

ويمثل الشاعر اليمني أحمـد الشامي الهروب الذاتي المتمثل في الصراع مع الطبيعة ، فهو هروب عن ذل وعن هوان ، أي عما يجافيهـا العقل والمجتمع ، لا تمردا على ما يمليه العقل السليم ، والعلم والمعرفة، بل هو تمرد على انحراف غير معتدل لمظاهر مخصوصة ، واستعمل خيالا متقارب الشبه؛ فجعل الذل ميناءا وبحرا لا يريد أن يمكث فيه أو حوله وصور الإباء والأنفة ، و قوة الإرادة بسفينة تعبر البحر إلى غير ذلك من الصور التي توحي بتجاوزات رومانسية غربية موغلة إلى خيال شاذ أو توحي بهروب دائم، لكنه متذبذب لم يجعل الريح تحمله ولا الأمواج تدفعه إنما وقف في وجهها تارة، أو يناجيها، ويحاكي وضعها تارة أخرى

أقلعـت عـن مـرافيء الـذل نفسـي بشـراعين ، مـن إبـائي، وبأسـي ،
أتحـدى الأمـــواج مـــا أن أبالـــي كيـف اجتازهـا ، ولا أيـن أرسـي
وأغـني الريـاح لحـن انكسـاري ، وأنـاجي في شـاطيء التيـه رمـسي
وغدي في غيـاهب الغيب لايعـــرف يومـــي ،ولا يبـالي بأمســـي

وهو يكاد يجنح إلى المغالاة في الهروب الذي يجمع إليه ،تكوين الرومانسية الغربية. ولكن التأويل يمنعنا من إصدارحكم جارح عليه؛لأنه خص تحدى العقل لكونه نابعاً من مجتمع ، و لم يقل الكون ، وهو يذكر أن النفس سولت له لكنه لم يعمل به ، بل هو يصارع نفسه ضد الهروب

كم تحـدى عقلي نواميس كونـــي ، ولكـم سولـــت لي الشـر نفســـي
صنتها فهـــي حـــرة ، وتمـــادى بي هواهـا ، تزهـو ، وتكبـو وتنسـى

---

[1] المرجع السابق ٤٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في مـدار الزمـان خفضـا ،ورفعـا وبشتـى الأفلاك : سعـد ونحـس ،
تتزامى بى الظنـون علـى الآفـاق حسرى من طول ريب وهجـس[1]

والشاعر أحمد الشامي يدخل في حيرة من أمره ، فهو لايفـرق بـين الأنس والبؤس،تساوى الأمران في عقله وإحساسه ، فتجرد من التميز العقلي بـل تجـاوزه إلى التجرد من الانفعال وتحكيم الأحاسيس بخـلاف الرومانسية . بـل تجـرد عـن تحديد الزمن فنفي عنه الغد المنتظر :

قد سئمت النضال ، واشتهت عندي ليـالي انسـي ، وأيـام بؤسـى
لا قنوعا ،ولا خضوعـا ، ولكـن " لم يكـن لي غـد فـافرغت كاسـى"
يارفاقـي بحـت حناجـر لحنـى فـاعذروه إذا تغنـى بهمـس
طـال تهيامـه ، يهمهـم أن أضحـى ويشـدو مغـردا حـين يمسـى
يتهـادي مـع " القوافـل " في قفـر المآسـي ، أو في مهامـه ملـس
هذبتني كوارث الدهـر ، حتى ... أملي في الحيـاة صـار كياسي[2]

وهو حين هرب إلى هذا الفضاء الرحب إنما كان نتيجـة يـأس غمره لطـول الزمن وتجارب الحياة في محاولة الإصلاح حتى اختلط عنده الأمل واليأس، فذابا في الفضاء الرحب ، وكذلك تداخلت الأشياء في نظره حتى غاب عن حياته، فهو لا يميز بين المحسوسات بل بين المعنويات والحسيات ، بـل تجـاوز ذلـك إلى الهـروب عن ملذات الحياة المحسوسة إلى معنويات وهى تحقيق رغباته الفكرية، فهـو يلتقـي مع الرومانسية :

وتغالـي في التهجـد حتـى ... لـم أفرق ما بين معنى وحـس ،
لم يعد يطبى فؤادي مـن اللـذات ... ... إلا مـا لا يحس بلمـس

ثم ينزع منزعا صوفيـا ، فهـو يلجـأ إلى الوحـدة ، وإلى التجـرد مـن مظـاهر

---

(1) ديوان أطيـاف ٢٢ .

(2) المرجع السابق ٢٣ .

الحياة الجسدية ، ليذوب كما يذوب الصوفي ، أو كما يتطهر الرهبان والتائبون في الدنيا. لكن الصوفي هرب بمحض إرادته، أما الشاعر فإن اليأس والغضب من الواقع هو الذي دفعه إلى ذلك ، فتوبته هذه اجبارية لأنه كان يعمل صالحا في أول الأمر كما يصور ذلك .

في لظى توبتي حشرت ذنوبي ... وبماء الغفران طهرت رجسي
وتلاشت في النواميس روحا .. فتلاقى غدي ، ويومي ، وأمسي
واليتم الحبيس بين ضلوعي ... قد وهى من تطلعاتي وهجسي
أرهقته وساوسي ، ومتاهات ... ظنوني، وعيل صبرا بحسي
كم، إلى كم .. أحدو "قوافل"وهمي، وهي تنساب في خشوع ونكس
ترامى بي المتاهات من أنجاد.. حزن ، إلى مواطىء دهس
ورفاقي الأشباح : من أحمر قان.. وذي صفرة، وخضر ،وطلس
بين عان يرنو بعين هوان ، وأبي يزهو ببسمة نـدس[1]

فالواقع أن الشاعر رومانسي غير أنه لم يعلن التمرد الكامل وربما أن ثقافته ، وواقعه الاجتماعي ، ومكثه في لندن وغربته ، والواقع السياسي في اليمن كل هذه المؤثرات جلبت له هذا اليأس .

الناحيـــة الفنيـــة :

شعراء الوجدان في العالم العربي تأثروا بالاتجاه الرومانسي،من الناحية الفنية فهم جاروها في السمات الآتية:-

١- تحطيم الأنظمة والقواعد، فهي خرجت حاملة لواء المعارضة للكلاسيكية التي تلتزم النظام والمعيارية ،وتقوم على البناء في المعرفة والوعي والمنهج وتلتزم بالعقل المنظم . والرومانسية تحللت من جميع هذا الضوابط اللغوية

---

[1] أطياف ٢٤ ..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والنحوية والضوابط النقدية والبلاغية، وتمردت على مثالية الجمال عند المحافظين ، فاستمدت اللفظة من المجتمع الذي يحفل بالألفاظ الدارجة ، وأخذ الشعراء يعبرون في مراهقتهم ، وبتدفق وانفعال غير أن الشعراء العرب حاولوا الالتزام بالمعيارية النحوية في جل إبداعهم لكن بألفاظ شائعة .

٢- التلقائية التي تقوم على السليقة التي تدعمها قدرة الموهبة .

٣- الخيال ، والصور الوجدانية ، فهم يناجون في أمواج الخيال تصحبها أمواج نفسية. فالصور نابعة من هيجان الأنفعال مستعينة بالصور الطبيعية وغيرها لإبراز الملامح النفسية.

٤- الوحدة العضوية فهي أشبه ببناء الحكاية ، ولذلك فانهم يعمدون للبناء القصصي .

ومن هنا يرى مندور أنها ثورة نقدية على كافة القيود الفنية والكلاسيكية الأدبية « حتى ليمكن القول بأن الرومانسية قد كانت حالة نفسية ، وتعبيرا عن تلك الحالة أكثر من كونها مذهبا أدبيا أحل أصولا فنية محل أصول أخري ، وذلك لان جوهرها كان التحلل من كل الأصول والقيود ، والتخفف من أعلاها، لكي تتحرر العبقرية البشرية وتنطلق على سجيتها»[1] .

المبالغة في الانفعال :

وبعض النقاد جعل الانفعال هو مصدر الجمال الإبداعي، فلا سمات أخرى ترفع من مكانة الشعر إلا هو، ومن ذلك مصطفي السحرتي الذي يقول : « يوسفنا حقا ، أن نجد بعض شعرائنا المصريين في عام ١٩٤٧م لايزالون يقلدون القدامى ، ويخرجون من شعرهم طبعات مكرورة ،لاروح فيها ولا انفعال وأقرب مثال إلى ذلك ما قرأناه في كتاب " أدب العروبة " من شعر لا جذوة فيه

[1] محمد مندور، الأدب ومذاهبه ٥٥

ولا أصالة ، ولا حيوية " اللهم إلا القليل من مثل ناجي،وعبد الله شمس الدين،ومن حسن الحظ أن ما جاء في كتاب«أدب العروبة»لا يمثل الشعر المصري الحديث ، بل هو صورة فاصلة للشعر العربي في عصور آبدة ، وإلا فليقل لنا[1] المنصفون : أية هزه انفعالية نجدها عندما نقرأ لأحمد عبد المجيد الغزالي الربيع ، في قوله :

يا طيور الروض غنينا النشيدا وانشري فوق الربى زهر الربيع

واهتفي باللحن ريان جديدا واسبحي في ذلك الأفق الوسيع[2]

فهو افتقد الانفعال فعاب على الشاعر قوله وعلى آخرين أمثاله ،وهذا مبالغة في هذه الخاصية تجعل الشاعر ينظر بمنظور واحد ولا سواه ، ونتيجة لهذه المغالاة في الانفعال ، فإننا نجد الاتجاهات المحدثة ترفضه البتة ، فهي تريد نصا مفتوحا ، غامضا يتيم الأب والبيئة .

لكنه يعود فيما بعد فيجعله عنصرا من عناصر تقدير القصيدة « وليس من ريب أن من عناصر تقدير القصيد ، النظر في انفعاله » ثم نراه ينحي منحى جيدا حين يقسم الانفعال إلى شكلي وموضوعي.ومع تجاوزه الانفعال الشعوري المؤثر، فإنه يضمنه الموضوعي. ومن محاسنه أنه يقسم الموضوعي قسمين انفعالا راقيا رفيعا ، وانفعالا سيئا نازلا . فقال عن الانفعال الرفيع الراقي « أو ليس الذي يضمن قصيدة انفعالات الحب الطهور ، والأمل والفرح و الهدوء والطمأنينة والجمال ، وهي انفعالات راقية رفيعة »[3] ويضرب مثلا لذلك بقصيدة " الصباح الجديد " للشابي:-

أسكتي يا جراح واسكتي ياشجون

---

(1) الشعر المعاصر علي ضوء النقد الحديث ٩١

(2) المرجع السابق ٩١ .

(3) المرجع السابق ٩٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مـــات عهـــد النـــواح وزمـــان الجنـــون
وأطـــل الصبـــاح مـــن وراء القـــرون[1]

ويقول عن النوع الثاني وهو " الانفعالات السيئة النازلة ، والتي ترمي إلى الإثارة فقط ، فهي مادة غير صالحة للأدب والشعر ، ولاعبرة بإجادة التعبير عنها، لأن الفن مهما انفصل عن الأخلاق ، فهو لن يسمو بإثارة الخواطر العابثة ، والعواطف المنحرفة الشاذة»[2] ويضرب مثلا بشعر نزار قباني في قصيدته " نهداك"

سمراء صبي نهداك الأسمر في دنيا فمي[3]

إذن فهو يرفض الانفعال المعبر عن الأحاسيس المبتذلة كذلك الذي يودي إلى العزلة والكآبة ، والغربة، بل يرفض تجاوز العقل والحكمة والواقع. وبعد أن يأتي بأمثلة يقول: « ومن الملحوظ أن هذه النازعة الجنسية المنحرفة تخطر كثيرا في شعر شعراء الشام المعاصرين أمثال عمر أبوريشة وإلياس أبو شبكة ،ونزار قباني وأمثالهم ، ولعلها من الهام بودلير، وفرلين ... »[4] فهو يعيب هذا الانفعال كما يعيب الخيال الشاذ ، والتحليق في أوهام جنونية ، وشعر الكآبة والإلحاد .

وهو بعد ذلك يستثني الانفعال الهابط الذي ظاهره يكشف عن سوءة ، ليتم معالجتها كمثل الكشف عن حالة البوس ، أو الحزن ، أو اليتم لأخذ العبرة والعظة ، لا يقصد نشر الظاهرة ، لكن ينكشف ذلك من القصيدة ، وأثرها . لكن بلا إسفاف ولا سقوط في الألفاظ والصور[5] والسحرتي ، استقى هذه

---

(1) المرجع السابق ٩٣ .
(2) المرجع السابق ٩٣
(3) المرجع السابق ٩٤ .
(4) المرجع السابق ٩٥ .
(5) المرجع السابق ٩٧ .

الفكرة عن أرسطو ، فالأول يقول :« إن المأساة تثير انفعال الإشفاق والخوف ، وهما يجلبان مددا من المسرة ، وان كانت المأساة محزنة ، إلا أنها تعمل على تطهير الانفعالات المحزنة ، وطرد كدرها ، وتنسى المرء متاعبه وآلامه، لأنه يرى فيها آلاما أكبر من آلمه ، فيشعر بجذل نفسى »[1] لكن هذه محصورة في المآسي العامة وليست التى تلوب على الذاتية ، فالأولى فيها عبرة والأخرى لا تعد عملا جللا وهو يشير إلى من يخالفه في هذه النظرية ويرى أن الجمال يظهر في كل انفعال[2] .

الناحية الفنية :

ومن الناحية الفنية استمد شعراء الوجدان العرب اللفظة من واقع الحياة اليومية ، ونزعوا منها مدلولها المتطور عبر الأجيال ، بل أفرغوها من مدلولها الشعري المتكون في ذهنية الأديب أو استخدامها الديني أو الاجتماعي ، والبسوها حلة جديدة من المضمون المنغمس في وهج الشعور.؛ إن اللفظة لها إشعاعها المتكون من حالة التجربة المبدعة . وهم استمدوا من الألفاظ الشائعة الاستخدام وابتعدوا عن اللفظة المعجمية أو حاملة الدلالة الاجتماعية ، و لم يلووا أعناقهم إلى الغريب من الألفاظ .

والمدرسة الرومانسية الغربية ارتكزت على الخيال ، والشعراء الوجدانيون العرب ، استمدوا من هذا الوقوف عند الخيال والتأمل فيه وتوليد الصور ، ولذلك فإنهم تجاوزا الصور القديمة ، واستمدوا من الحياة المعاصرة ، بشتى مساربها ومن تأملهم ، توليد صور متباعدة كالتحليق في الفضاء أو تكوين الأوهام ، أو الحديث مع الجن. وصورهم مشحونة بالتجربة الشعورية ، فجمالها

---

[1] أنظر الشعر المعاصر ٩٧

[2] المرجع السابق ٩٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وظهراللون القصصي فى الشعر الوجداني في شعر خليل مطران ، فله عدد من القصائد القصصية منها " فنجان القهوة" و "فاجعة" وأشهرها " الجنين السعيد "[1] وكذلك المطولات المهجرية كبساط الريح لمعلوف.

*الشعر الوجداني شعر غنائي بلغة عذبة ، فألفاظهم سهلة ميسورة ، وعباراتهم منسجمة في لحن عذب ، ومتدفقة في جرس صوتي داخلي متناغم مع نبضات الشعور مع التزام بالموسيقى العربية في جل شعره ، فكان ذلك لون هذه الموسيقى تلوينا خاصا في تدفق وتلقائية .

---

[1] انظر المدارس الأدبية لنسيب نشاوي ٢٤٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني

- مفهوم الوجدان .
- دواعي الشعر الوجداني .
- أوليات الوجدان .
- الفكر في الشعر الوجداني .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مفهـــوم الشعر الوجدانـــي :

ذكر ابن منظور المعاني حول كلمة (وجد) ومنها :

(لمن وجد الضالة يجدها)، ومنه الحديث « إني سائلك لا تجد علي » أي لا تغضب ، ووجد به وجدا: في الحب لا غير ،وإنه ليجد بفلانة وجدا شديدا ومنه قول الشاعرة :

لقد زادني وجـــدا ببقعـــاء أننـــي وجـــدت مطايانـــا بلينـــة ظلعـــا

ومنه «وجد الرجل في الحزن وجدا، وتوجدت لفلان أي حزنت له»[1].

فهذه معان تومئ إلى أصل كلمة وجدان ، وقد أضحت مصطلحا أدبيا أشار إليها جبور عبد النور فقال:-

١- «وجدان: حالات نفسية من حيث تأثرها باللذة أو الألم » ويرى أنها لا تنجم عنها معرفة واستشهد بقول جبران:«إن الوجدان البشري لا يدرك نواقص الحياة،وحتى معاني الحياة إلا من الصدام المؤلم » فالوجدان يتأثر بمؤثرات الحياة ، وتنوعها وتضادها ، فيحدث له ذلك جدلا، مما يثير انفعاله ،وجبران اعتمد على الانفعال الإنساني المتمثل في الوجدان في فلسفته كثيرا.

٢- « الانفعالات والعواطف والأهواء »

٣- « الوجدان الأدبي : الإحساس الداخلي الذي يتكون في ذاتنا عن قيمة عمل ما في المطلق ، ويعبر عنه بكلمة ضمير »

٤- « الوجدان التأملي : الإحساس الواعي أو المعرفة التي نتوصل إليها بعد التحليل ، بحيث نتمكن من تحديد الفعل النفسي بوضوح ودقة »

٥- « الوجدان العفوي : الحدس الغامض الذي يتكون لدينا عن ظواهرنفسية تعتمل في ذواتنا »

---

[1] لسان العرب ٦: ٤٧٧.

٦- « الوجداني " فنيا" صفة ما هو متعلق بالوجدان في معناه الأول» فنقول: شاعر وجداني .

٧-« الوجدانية »"فنيا" التأثيرية والانفعالية الشديدة الحساسية بالألم أو اللذة »[1] .

أدرك الباحثون والنقاد العرب أن الرومانسية لم تنتقل إلى الشعر العربي باتجاهاتها المختلفة ، ولا بفكرها الشاذ ،و لم تنقل إلينا تمردها على الدين ،و لم تجنح بالذاتية إلى الكآبة والعزلة،

وإنما كونت اتجاها ذاتيا وجدانيا ينظر بمناظر الأحاسيس التي لم تدمر و لم تحطم، و لم تعزل وإنما أخذت تلك السمات باعتدال وهذا نسيب النشاوي بعد بحث طويل يقول عنها:

«ففضلوا التعبير بالصور المتوحة بالطبيعة على الخيال المجدب ، وقصدوا إلى الإيحاء باللفظ المؤثر ذي الرنين ، وحاولوا تحقيق الوحدة العضوية في القصيدة دون التطرق إلى الأغراض التقليدية المتباينة ..... وطبعوا أشعارهم بالطابع الوجداني الصرف ...متأثرين في بعض ذلك بالآداب الغربية وفلسفاتها الوجدانية ، أو بالتجربة الانفعالية الذاتية »[2] إذن فالوجدان المعاصر هو الذي تشكل من هذه الحركة، والوجدان الانفعالي للذات والمجتمع بل الأمة والوطن لكني لا أري رؤية الدكتور نشاوي حين أشار إلى عدم تطرقهم للأغراض التقليدية ، فالواقع أننا نجدها عندهم كأبي شادي ، وعند خليل مطران،والعقاد ، وخليل الخوري ، وكثيرين ممن ترجم لهم المولف نفسه.

والرومانسية نابعة من الذات ومن هنا تشترك في الوجدان، والإبداع الرومانسي نابع من المشاعر وثقل الحياة عليه ، والوجدان يتمثل في تعاطف المبدع

---

[1] لكافة هذه النصوص ،انظر،المعجم الأدبي٢٨٩ .

[2] المدارس الأدبية٣١٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإبداعه مع الحوادث الإنسانية » «وإذا كان الرومانسي يفرط في الانثيالات العاطفية ، فإنه يلحف أحيانا بالدقائق الواقعية ، ويخضبها بالانفعال والواقعية في وجدانيتها تماثل الذاتية ،وتتحول معها إلى نوع من سجل للأحداث »[1] وقد مثل ذلك بيت لعبد الرحمن شكري المنتمي لمدرسة الديوان ، فكأنه يعلن اتجاه المدرسة للوجدان:

ألا يـــا طائـــــر الفـــــردو س إن الشعـــــــر وجـــــدان[2]

وشعراء العرب المجددون لم يلتزموا بمذهب أدبي معين ، وإنما كانوا يدعون إلى التجديد ، وربما أن كل تجديد له علاقة بالرومانسية ، وكأنهم لم يجدوا خيرا من التعبير الذاتي وأمنية الحرية وانتشال الشعب من التخلف ، والكبت الاستعماري ، فكانت غايتهم ذاتية اجتماعية ، وهذا أبو شادي الذي اتجه إلى المذهب الرومانسي الإنجليزي يدعو إلى أن يأخذ الأديب ما يتناسب مع تجربته « إنه ليس من المحتم أن يدين الأديب أو الشاعر بمذهب واحد فحسب، فقد تجتمع له جملة مذاهب في شعره، وقد تتداخل وعلى الأخص إذا كان وفيرالانتاج»[3] ومن أمثلة ذلك عمر أبو ريشة ، الذي ينبض شعره بالعاطفة الصادقة الموثرة ، وكأنه يحد لأمته العربية والإسلامية ، فهو لم يلوب على ذاته ، وإنما فجر مشاعره بأحوال أمته ، فهو يعبر عن الوجدان الإسلامي الجماعي حينما تنتظم الجماعة الفرد،والفرد الجماعة ومن ذلك قوله :

اسمعي نوح الحزانى واطربي وانظري دمع اليتامى وابسمي
ودعي القادة في أهوائها تتفانى في خسيس المغنم
(رب) وامعتصماه) انطلقت ملء أفواه البنات اليتم

---

(1) ايليا حاوي، الرومانسية٥٣ .

(2) نسيب نشاوي٢٢٤.

(3) نسيب النشاوي المدارس الأدبية ٢٢٦

لامست أسماعهم لكنها لم تلامس لمحوة المعتصم[1]

فالشاعر عمر أبو ريشة يمثل الرمانسية الوجدانية، التي تكون ذا غاية اجتماعية ، فهو لم يشعر بالقهر لذاته، وإنما لأمته العربية والإسلامية . والشاعر الإماراتي الدكتور مانع سعيد العتيبة ، يذكر أن الشك جاء وافدا زائرا وليس نابعا من القلب ،إنما هو ضيف ثقيل يبتغي ارتحاله في حالة اليقين الراسخة في نفسه عمن يحب؛ التي ترفض الشك ، والحيرة؛فهو يرفض الغربة النابعة من الشك في الحياةباسرها.

أيها الشك الذي شيد في أرض أحلامي وأوهامي خيامه
أنت ما جئت صديقا حانيا بل عدوا طالبا مني انتقامه
ابتعد يا شك عني وارتحل فحبيبي يرفض القلب اتهامه
لا تقل خان عهودي في الهوى إن بعض الظن للاثم علامة
فالهوى إن شابه الشك فلن تترك الأيام لي إلا ركامه
يا حبيبي لا تلمني فأنا منك احتاج حنانا لاملامه[2]

بل هو يرى رؤية دينية فإن بعض الظن أثم ، والظن أيضا لا يودي إلى حكم قاطع واضح ، وهو يريده ويتمناه بينما الرومانسية ينبع الشك من داخلها، ولاتسعى لليقين ، فهو يفضل العقل على مصدر المشاعر النفسي .

و يرون: « أن الوجدانية تتغلب في المرأة إجمالا على الناحية الذهنية»ويتجلي أكثر في شعر المرأة ونرى مصداق هذا في شاعرية سلطانة السديري ، ورقية ناظر،ومريم البغدادي. فشعرهما ينبع من التأثر الوجداني الذي ينجم عن موقف أو حادثة ، أو يلامس شعور الشاعرة .

ويقول شوقي ضيف عن مطران:« في شعر مطران وجدانية ، وهي وجدانية

---

[1] الديوان ٩ .

[2] الرسالة الأخيرة ٣٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شاكية تفيض حزنا وألما ، وهو يعكسها على ما حوله في الطبيعة ، فيجعلها بجزيئاتها وكلياتها صدى لأحاسيسه "[1] .

وكتب عن الوجدان الأديب السعودي : عبد السلام عمر ، مقالا وجدانيا. نظر إليه بمناظر المبدع الذي يحمل ضميره هاجس القيم والمثل العليا . والضمير الإنساني ، فهو لوعة في النفس تتعلق بالخير والجمال والحق. فهو يقول عن الوجدان :

« قوة من قوى الشعور كامنة في النفس تنزع بصاحبها إلى التجمل بكل خلق كريم ... فهو إحساس رقيق علوي سمته النبل والنزاهة و اللطف وظواهره الشرف وكرامة النفس والإحسان ، وله احتكام على النفس »

ويرى أن" صاحب الوجدان الطاهر لو تجمعت لديه كل أسباب السعادة دفعة واحدة أو انفرد بشيء أو فاته الكل ، إنما يجد لذة السعادة الحقيقية حينما يوفق إلى إرضاء غلة وجدانه ،ويرى أن ما قامت به نفسه، وعملت يداه من أثر جاء وفق ما كان يرجو وجدانه ، ويمليه عليه وازع الوجدان ... وإنما هو سر خفي في منطويات النفس لا تدرك حقيقته إلا في نتائج الأعمال والغايات ، فهو كالقوة الكهربائية لا يظهر كنهها وجمالها إلا حينما يتألق نورها الوهاج على الأسلاك الذهبية في ثريات البلور »[2] والنقاد والشعراء السعوديون ، حاولوا البحث في مهمة الشاعر ، ووظيفته ، ووظيفة شعره ، وكان لهم تنظيرهم في الشعر ، مضمونا وشكلا . فالعواد الذي مارس الإبداع و النقد معا يرى أن الإنسان والكون هو موضوع الشعر « و موضوع الشعر هو الحياة العامة بأسرها وأصل ما فيها – في رأينا هو الطبيعة ، وأعمق ما في الطبيعة هو الإنسان...فهو الموضوع الأحرى بالعناية والدرس إذا تصدى الدارسون لعناصرالأحياء... ورسالة

---

[1] لكافة هذه النصوص انظر ، المعجم الأدبي ٢٨٩

[2] عبدالمقصود وبلخير ، وحي الصحراء ٣٤٣ .

الفن هي تعميق الحياة ». وهم لا يقفون عندما وقف إليه الرومانسيون في النظر إلى الطبيعة والنفوذ بخيالهم إلى ما بعدها، إنما يقفون عندما تدب فيها الحياة،وعناصرها المتشابكة مع الإنسان ، فالعواد يفصح عن مفهوم الحياة في نظره:

« والحياة هنا هي الحياة العامة ، وليست الحياة الإنسانية وحدها – وانما ثروتها في النفوس ، والصعود بالآدمية إلى آفق سام من آفاق الحياة » .

ويعرج على ارتباط الشعر بالوجدان فهو الذي يثير كوامن النفس إعجابا، أو ألما بالمؤثر الخارجي، ويملأ المتلقي بروحه ،وإيقاظ فكره : «ومقياس الشعر الصحيح والشعر الحي هو أن يغمر النفس بالإعجاب ، ويحفزها إلى إفاضة الثناء على الشاعر»[1] أذن فهو متولد من الإحساس ، ويخاطب الأحاسيس المنفعلة بالإعجاب .

ويقترب منه رأى حسن القرشي الذي يرى أن صدى الشعر في نفوس المتلقين وأثره على نفوسهم مقاس جيد : « الشعر الصحيح وأن تدرك شعور قائله وأصداء عاطفته كمرآة لشعورك الذاتي ، وأصداء نفسك ، بلا تعمل ولا تصنع ولا افتعال ، وأن تشعر بأن الشاعر قد استطاع أن يضع بصمة بارزة من بصمات نفسه في محيط شعورك وعواطفك»[2] وهم يأنفون من أولئك الشعراء الذين حصروا إبداعهم في الآهات ، والأنين ، والانطواء ن وما ينبئ عن الاكتئاب يقول الشاعر محمد سعيد العامودي :

الشعر فن جميل لدي الطباع الجميلة
إني أراه دوما سر الحياة النبيلة
لكنه بات يشكو ذوي النفوس العليلة

---

[1] آماس وأطلاس ١٠ .

[2] الفوزان ، الأدب الحجازي الحديث ١٣٤٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هـــم صيروه مهانـــــــا يحيـــــا حيـــــاة ذليلـــة[1]

أذن فمفهوم الوجدان لايقوم على الذاتية وما يدور في فلكها ، إنما هو صدي الحياة في نفس الشاعر .

ويكشف الشاعر سعد البواردي عن العوامل المكونة لرومانسيته أو لتقل إثارة وجدانه الذاتي ، فهو يبوح به شعرا ، فهناك الطعنات ممن حوله بينما كان يثق بهم ، فقد دفعه ذلك إلى عدم الثقة ، ومعاناته من سمعه وإدراكه لحالة التزلف والتملق التي يخادع بها الآخرون ، وهو أضعف مما يتصورون ، فهو لا يستطيع البوح بجميع أفعاله وتلك ظاهرة تودي إلى التمرد ،وتكون اشد كل ما كان الخطأ كبيرا فوقعها على الضمير أشد فتكا،ومن العوامل تلك العقبات التي تعترض مكابدته للحياة ، فهو دائم التعثر، ومنها أن الشاعر لا يستطيع أن يلبي رغباته ، ولا أن يحيا حياة هانئة يقول:

«على بساط الاعتراف يجب أن نحكي عن أنفسنا كل شيء »

سـكبته لحنـا ضنـين المـدى فما هوائي اللحن والسامـر
وقلتـه شـعرا بلـيد الصـدى فمـا أجـاد الشـعر .. والشاعـر
وجرحتـني في الحشامديـة فما أسا ني في الحشاء " ماهـر"
وخـانني سمعـي سـوي فتحـة خرسـاء . لاحـس بهـا شاعـر
وخلـف الزيـف عيوبـي فمـا زكـي . وكنـت المبصـر الناظـر
ومـات في سـعي لهيـب الخطـى فكـل خطـوي يـا أخـي عاثـر
وكنـت حيـا غيـر أن الحيـا طـوا عـني جـوع الكافـر
وكنـت أنسـانـا .. ولكنـه مسـخ ذليـل مدنـف حائـر
تضـج في نفسـي خطايـا الأنـا يفيضهـا في مهجـتي الشاعـر
كأنما الدنيـا لأجلـي أنـا كـانت .. ومـا فـرد لهـا آخـر

---

[1] مقصود ، وبلخير ،وحي الصحراء ٤٠ .

يغيظني فيها ابتسام الصبا ... لأنه معنى الصبا الطاهر
ولا أرى في الكون من دمعة ... يذيبها جفن الوفا الساهر
هذا أنا .. في قصة مرة ... فهل لها في وعيها من آخر[1]

فهو يحتقر ذاته أمام غيره وهذه نظرة معتدلة، فان الرومانسي الغربي يهرب في كبرياء وانتقاص لمجتمعه . ولا يستشعر إثمه بينما الشعر في بلادنا يئن من مخالفة المبدأ والضمير ،ومخالفة المعتقد ، وهو يشتكي من الأنا التي تمثل العنصر الأقوى عند الرومانسية بينما هو يطفئها ، ثم يدلف إلى عهد البراءة وعدم التكليف المتمثل في حياة الطفولة .

والشاعر البواردي يشخص لنا صورة الوحداني الجسمية والنفسية فكأنه يرسمه لنا في لوحة أو يعرضه على معرض مسرحي ، فهو يتألم من الواقع الذي يعايشه فيكون صداه كالشرر يقدح من نفس الأديب ، وينابيه صوت الإباء عن الوقوع في المحاذيرلكنه ما زال متدفعا لمعركة الحياة،غيرأنه يستدعي عدوا آخر تلك الآلام القديمة من غير أنه يصرخ في وجهه تلك الحشود بإبداعه لعله ينتصر في معركته .

النشيد الحي
خطي السعي في مهجتي كالشرر
ودقات نفسي كبض القدر
وفي دمعتي تسبح الأمنيات
ويهتف صورة الابا .. والحذر
ويزحم رأسي نشيد الحياة
يواكبه من ضميري الوتر
ومن آهة الأمس ابني جناحي

---

[1] ابن إدريس ، شعراء نجد المعاصرون ١٦٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن صرختي سيطل السحـــر
ومن غمد سيفي .وظل قناتـي
سينتفض الصبح يغشى البشـر
أنا من أكون إذا ما غفوت ؟ !

فلواستسلم للنكبات لكان رومانسيا لكنه يأبي ذلك، فيصير وجدانيا، فهو لو اعرض عن المكابدة في الحياة لولى إلى الحفر ،فالشاعر يدعو إلى العصامية.

وأسلمت نفسي مهاوي الحفـــــر
سوي صنم من دمـاء ولحـــم
يماثله صنم من حجـــــــر
وما عشت يوما إذا ما اعتصمـــت
ولذت بصمتي أهـد الفكـــــر
ولا كان لي العيش أن لم يثرنـــي
أنين الكسيح .. ومن العبـــــر
و لاخفت في ضلوعي الحيـــاة
وغيري من الناس دامي الأثر[1] .

فإن الذين انعزلوا أضحوا جرحي معزولين وهو بعلمه وجهده يضمد جراحهم . والبواردي لم يلج إلى الرومانسية بمبدأ الهروب والانزواء ، والتمرد وإنما جعل إبداعه عبرة وعظة ، واستلهم نبض الحياة للمساواة وحب الخير ، ودخل معترك صراع الحياة الفردي ، فهو يدعو إلى العمل ، والبناء وتحطيم كل سد يقف في وجه الإنجاز والإصلاح فهو يشعر بالمسئولية التي تميز الوجداني عن الرومانسي.

نفس تعاف غذاءها لا تسمن ... وإرادة تخشى الردى لا تُسمن
والناس بين مدافع عن حقه ... أودى بلقمته ظلوم أرعن
وذليل قوم ذاب في ضوضائه ... من حول مزمار الهوان يدندن

(1) ابن إدريس شعراء نجد المعاصرون ١٦٣

ومغـامر غـر يعـب مـن الدمـا ... مـن حـول أقـداح الجريمـة مدمـن
لا العيـش أن نبكـي فيحرقنـا البكـا ... أو نسـتجب إلى النعـاس ونذعـن
العيـش أن تبنـي الخطـى أمجادنـا ... وتـرف بسـمة عزنـا وتهيمـن
العيـش آمـال يثبـت غرسهـا ... كـف عنيـد لا يهـاب فيجبـن
والحـي في عـرف الحقيقـة فـارس ... يبـني ..ويوقـظ نومـا قـد كفنـوا
والمـوت في شـرع الكفـاح فضيلـة ... كـالمجد حـين تسـود أو هـو أثمـن
وقوى الحيـاة سواعـد بنـاءة ... كالريح تجتـث البغـاة وتدفـن[1]

ومن مهمات الأديب الوجداني الذي يعاني معاناة المجتمع ، أن يستعيد للإنسان إنسانيته ويجعلها ماثلة للعيان لسائر المجتمع ،وأن يشخص المقاييس والمثل التي تمثل تلك الصور العمليةويزرعها في مشاعر وأحاسيس المتلقين ، وأن يسجلها في لوحات مغرية يتمناهـا المجتمع، ويجعلها كل فرد هاجسا له، ونحن في مجتمعنا المسلم يجب على الشاعر أن يوقظ في الناس حب الإيمان لأن فيه صلاح الفرد لذاته ومجتمعه،ويتمثل القيم الإنسانية الفضلى ،ويبني المجتمع الفاضل .

" فمهمة الأديب الفكرية والاجتماعية أن يبقي هذه المعرفة بأنفسنا حية ، وبهذه المعرفة تظل الفنون تثير ذلك الجانب المظلم من البشريـة»[2] .

وما يقع في نفس الأديب ويكون هاجسا له فإنه يتماثل مع مجتمعه لكن الأديب أكثر وعيا بالفكر والثقافة وأكبر موهبةللادراك ، وأكثر حساسية لاستشراف المستقبل ، فعليه التوعية واليقظة ، والتحذير وكشف المستقبل بما فيه من خير أو شر . وكم من الشعراء حاولوا ذلك وانذروا بأحداث فقد راجت أبيات في عام ٦٥٦هـ تحذر بغداد من السقوط قبل شهرين ،ولكن ليس هناك من سامع .

---

[1] المرجع السابق ١٦٣ .

[2] ألن تيت ، دراسات في النقد ترجمة د. عبد الرحمن ياغي ١٢٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكم هنا من كتابات قصصية ومقالة ،تنذر بالمخاطر المعاصرة فهل من مجيب في كل مكان من العالم لكن هناك استجابات في الحضارة الغربية تتمثل في الدراسات الأكاديمية الاجتماعية .

والأدب يشارك في حركة المجتمع وأقرب مثال مشاركة الأدباء في بلادنا أثناء تكوين قيام الدولة السعودية وتكون المجتمع وقد أفضت عن هذا في كتاب (المجتمع في الشعر السعودي) .

والأديب السعودي أدرك بوعيه الوحداني،وعقله المتنامي مهمته ، فهو أخذ يشارك في البناء الفكري وبناء المجتمع ، وبناء الحياة بعامة.

وأخذ يشخص المثل التي ينبغي أن نسير في موكبها ، وشخص معالم الانحراف فإن اهتزازه الوحداني أحس بالخطأ ،فصرخ ينادي بكشفه للحذر منه . وأخذ يرسم الصورة المثالية لإنسان العصر في مهمته الفكرية والوظيفية ، والاجتماعية .

والرومانسيون يرفضون مقوله « أن الشعر مرآة للمجتمع » فهو في نظرهم « أغنية يسلي بها الشاعر وحدته »لكن الوحدانين يرون خلاف ذلك فهو يصور الذات المعتدلة لكنه ينهض بمهمته التنويرية للمجتمع .

والرومانسي يرى أن الشعر قيمة ذاتية فقط بينما الوحداني يعني بمجتمعه فحبه للمجتمع يعلو على حبه الذاتي ،ومعاناته معانة المجتمع.

والمعتدل من الرومانسين يعتقد أن : «كل شاعر عظيم فهو معلم »[1] وسيلة مكاشفة ،ووسيلة إيقاظ وتوجيه ،وإثارة للهمة والعزيمة . بل أن بعضهم باشر ذلك بانفعال في تقريرية صريحة فهو يعلو صوته بدعوة مجاهرة.

ونسج الشاعر عبد السلام هاشم قصيدة في مهمة الشاعر المعاصر ، بله الشاعر الوحداني الذي يسمو برؤاه لما وراء الأحداث ، و وراء الطبيعة، وما

---

[1] المرجع السابق ١٢١ .

يستقبل من الزمن أنه الخفاق بإنسانيةالإنسان . الذي يـري وراء حجـب الواقـع ، ما يثير الدروب للمجتمع .

النور في عينيه حول كل درب أنهرا تسقى المـلا

وهو كيان كامل انجذب وراء ربات الخيال ، يدرك لغاتها ،وإيماءاتها ، فهـو دائم الحلم هائما بالفضيلة التي لم ير تحقيقها ،وإنمـا يدعـو إليهـا في نظـرة واعيـة ، يبدد الشهاب حول القضايا الاجتماعية ليسعد الناس في عزٍّ ورفاه :

هو عالم سحرته ربات الخيال ولقنتـــه لغاتهـــا
وسقته كأسا من ضراوتها تناسى نفســه ولذاتهـا
ويعيش يحلم هائما بالشعر بالذكرى يود حياتهـــا
لم يعنه هم كذكرى في الغد المأمــول رام ثباتهـــا
هو مشعل وضاء يخترق السنين على جناحي طائر
ويبدد الظلمات والأشباح عنها بالضمير الطاهـــر
ليظل كل الناس في أمن وإسعاد وعز سائـــــر
فالشاعر الإنسان حب عالمي للبقاء الزاهـــــــر

وهو دائم الهيجان يهيم بهمومـه الـتي تغذيهـا المشـاعر الحـيرى، الـتي تتلظـى بقدح التفكير .

هو يقظة لا تعرف التهويم إلا في الصدور الشاديـه
ومشاعر حيري معذبة تفتش عن عوالم حانيـــــه
فهب يسيره إلى دنيـا مذهبة الجوانـب نائيـــــه
لكنه أبدا يرى كتل السراب على الأماني طافيـــه

والشاعر تتوزعه الأحاسيس ، فهو وجداني عاطفي ، وتارة ثائر هائج ، يميل حيث تميله العواطف الهوج فيتصدى لها ، فتزيده اشتعالا.

هو شاعر الوجدان والثورات والأزهار والورد النضـــر
ولكـل عاطفـة مقدسـة يغـرد في ربيـع أو غـــدر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آلامه من حسه المشبوب و الروح السجين على الزهر
فحياته -وكما يريد- طليقة .. لكنها يد القدر

♦♦♦

وهو شوق أجيال تشعلله الأماني والمحبة والهمم
إحساسه من رقة الورد المفتح للصباح مع النسم
وحياته رفات قلب وارتعاشات تعبر بالنغم
فإذا المشاهد كلها في مجهر الوعي المغرد تزدحم

♦♦♦

فيرى بها مالا يراه الناس من سحر وأسرار الهوى
ويحس ألفان المعاني مايثير ويستجيب إلى الندا
ويصور الأشياء حسا صادقا متدفقا حلو الندى

♦♦♦

هو عاشق للحسن تمنعه رؤاه .. وحظه منه النظر

والشاعر يعرج على الطبيعة والجمال .فيستهويه جمالها،وتستدعي ذكرياته ، وفكره ينجم عن حلمه الوردي المثالي الذي يهتز لصدى الوقائع ، من حوله، فيدمن قلبه للأسى، وهو كثير الاستشراف للمستقبل.

يهوي الطبيعة والجمال وذكريات العمر والأفق العطر
والحب عند فؤاده حلم وتقديس وشوق يستعر
حب بلا أمل .. صدى فن يصوغ به المشاعر والذكر

♦♦♦

هو حالم في المعبر الوردي يرجو لو تطول به الطرق
لكنه يقظ على همسات هذا الخلق تأمل في الغسق
وتصيه .. ويشوب شاعرنا وفي برديه آثار الحرق
والشوك أدمي خطوه .. لكنه أبقي لنا قلبا خفق

♦♦♦

من فنه وصموده لنضاله .. وهي الحياة الباقيه
وإذا تغرب في الوجود .. لكونه يشقي لذكرى آتيه
فلأنه شغل لها الدم زيت أيام ستأتي ثانيه

وبها الشموع تنير درب السالكين وتنتهي متباهيـــــه[1]

دواعي الشعر الوجداني :

عاد النقـاد بأسباب ظهـور الرومانسية في الشعر السعودي إلى مظاهر متعددة، متأثرة بنفس الناقد واتجاهه، وما يلامس شغاف قلبه من قراءة الإبداع الشعري ومعروف أن الرأي النقدي لا يكون موضوعيا ، بل تدخل عليه العوامل الذاتية للناقد مهما حاول أن يكون محايداً ، وتارة أخري يبتغي أن يكشف فكره من خلال نقده، فتقع عينه على مايماثل الذي يعتلج في فكره ، وينكشف هذا في تعليل النقاد لظهور الشعرالوجداني الحديث في بلادنا أو ما ينسب إلى الرومانسية المعاصرة . فعبد الله عبد الجبار يعللها من منطلق ما يوحي به فكرة القلق المضطرب ، فيري أن الشعر الرومانسي وليد هذه الظاهرة في شعر الحجاز الذي هبط فيه الوحي ،وملاذ قلوب المسلمين ، ففيه الكعبة المشرفة،ومسجد الرسول صلي الله عليه وسلم، وأن شعراء الحجاز لجأوا إلى الشعرالرومانسي المغترب لعدم قدرتهم على تحقيق آمالهم الخيالية التي كانوا يرجونها، لاصطدامها بعقبات تمنعهم من تحقيقها. ولذا لاذوا بالفرار إلى مناجاة الطبيعة[2] بينما نجد أن الناقد عبد الله إدريس يذكرمن أسبابها « أن الشعراء وهم من طليعة الطبقة المثقفة في بلادنا كانوا يعيشون في وسط مجتمع لا يقيم للنبوغ وزنا ، ولا للعبقرية قدرا، ذلك لأنه مجتمع جاهل لا يفهم عنهم، ولا يتجاوب معهم ...»[3] ويرى أنه لم يتح المجتمع للشعراء مجالاً واسعا للتعبيرعن آلامهم وآمالهم واظهارآرائهم وإبراز مكنونات أفكارهم التي هي سياط من نار في عرف الذين يألفوا حرية التفكير و لم

---

(1) السياسي الموسوعة ٣:٥٥

(2) انظر، حركات التجديد في الشعر السعودي للصويغ ٢/٤٥٠ .

(3) شعراء نجد المعاصرون ٣٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يتذوقوا الانتفاع بأفكار الآخرين » ومن هنا أخذ الشعراء النجديون« ينطلقون مع قوى المد الفكري فيما ينتحون إلى مسارب الطبيعة ، ومجاليها الحلوة الفاتنة مع أحلامهم العذاب وأمانيهم الرطاب حينا ومع سواد الحياة الذي يجلل آفاقهم ، ويملوها باللوعة والأنين حينا » نتيجة لما فرضت عليهم أوضاعهم الاجتماعية الخاصة أن يعتكفوا داخل ذواتهم هربا مما تعج به حياة المجتمع والتي لا تكفل لهؤلاء الشعراء الراحة النفسية على الأقل فكيف بهم إذا ما التفتوا الى ما صدم به البعض في عالم الواقع لذلك فروا. ملجئين إلى عالم الرؤى والأحلام عالم الطبيعة والخيالات المجنحة »[1] والحامد يقتفي أثر ابن إدريس في إثارة القيد الاجتماعي ويطلق على شعر الاغتراب شعر القلق ويري أنه: «يحول الألم عن طريق الحيل الشعورية وغير الشعورية إلى تنفيس آخر كالمخاض الذي يتفاعل تحت الأرض لا بد أن يمزق غشاءها عن زلزال أو بركان»[2] ويرى « أن الرومانسية حالة مرضية في الغالب إن لم نقل دائما »[3] ويعود بها إلى ضيق الأفق الاجتماعي، لشدة معارضة كل جديد من المذياع والصحافة وغيرها .

والدكتور حسن الهويمل يري أن « الشعراء النجديين أمام ثلاثة حواجز أو ضوابط مستقيمة .. وداخل هذه الضوابط تكاملت تجاربهم الجديدة وهذه الضوابط يمكن أن نلخصها بالآتي: -

١- الالتزام بروح الإسلام وعدم الخروج على مفاهيمه.

٢- احترام وازع السلطان، الذي يرى من واجبه أن يحكم بنص قطعي الدلالة والثبوت.

---

(١) شعراء نجد المعاصرون ٤٠ .

(٢) عبد الله الحامد، اتجاه الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية٨٩.

(٣) المرجع السابق ٨٩ .

٣ـ مفاهيم المجتمع وقوة سلطانه[١].

والدكتور عثمان الصوينع يكرر الأسباب التي ذكرها النقاد في ميلاد الرومانسية في البلاد العربية عامة التي تعود إلى الظلم الاجتماعي ، الاستبداد السياسي، والاستعماري فهي من أهم العوامل في ظهورها[٢] ومكونات الرومانسية هذه أخذها نقادنا كما أخذها غيرهم . من سمات الرومانسية الأدبية فأسقطوها على ما يماثلها في مجتمعنا،والواقع أن أسبابها ودوافعها كثيرة بكثرة اتجاهات الرومانسية ، هذا من جانب ، والجانب الآخر أن المؤثرات الداخلية لكل مجتمع لها خصوصية ، ونحن قبل أن نفيض في رصد الأسباب نشيرالى أن الظاهرة عندنا لم تبلغ درجة الغليان والانعزال والكآبة التي وجدت في الغرب ، وخفت وطأتها في الأدب العربي، وفي بلادنا أخف مما في البلاد العربية.

وفي هذا البحث سأحاول إن شاء الله رصد الدوافع من خلال التجارب الشعرية التي نظمها الشعراء ، وقد دونت في الدواوين، أو في الكتب الجامعة فأغلبها استنبطها استنباطاً من الشعر:

١ـ الدين الإسلامي وضع لنا قيما تجعل الإنسان في قمة مثاليته ، يأخذ حق ذاتيته ويؤدي واجباً اجتماعياً كل منهما يكمل الآخر ، ويكون الاعتدال في الحياة، والإسلام يمنع الظلم والقهر ، ويمنح الإنسان حرية صالحة معتدلة،ويتيح العمل والترقي فيأمر بأن يكون الرجل المناسب في المكان المناسب ويمقت العصبية والإقليمية،وينظم الحياة تنظيما يسوده الحب والتآخي والتكافؤ في العدل والمساواة، وكل مسلم مطلع على تعاليم الإسلام يعي هذه ، فإذا رأي مخالفة لها فإنه يحمل همه الفردي، وهم أمته فيتمنى لها التقدم ، والقوة الوحدة وعالمنا الإسلامي اليوم يذوب في ظلمات تعلوها ظلمات، فمنها من الفرد ، ومنها

---

(١) اتجاهات الشعر المعاصر في نجد ٢١٨.

(٢) حركات التجديد في الشعر السعودي ٤٥١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ماكان من فعل الجماعة ومنها ما كان خارجا . تلك أثقلت كاهل المثقف الإسلامي، ومنهم الشعراء فكانت داعيا من دواعي تكوين الروح الوجدانية الجمعية، فإذا رأى نقصا من تلك الأوجه فإنه يتلوى في حيرة ويودي إلى غربته لكن حلهم لا يبلغ درجة العزلة والكآبة ولا التمرد على الحياة، والإعراض عن العمل ، إنما تلك تكون وازعا له للتصدي لمعترك الحياة ، ويكون من كاظمي الغيظ . فكانت رومانسية المسلم غضبا لفقدان حدود التشريع الإسلامي لاتمردا عليه

والشاعر الدكتور عبد الله العثيمين حين تقرأ بعض نصوصه، الإبداعية ، تتعجب كيف أن خياله حشد تلك الصور المعتمة التي تدفع إلى الرومانسية المغالية،غير أننا نعرفه رجلا عاملا متفاعلا مع مجتمعه ، ملتزما بتعاليم دينه ، ويتشكل هذا الإحساس في إبداعه الذي يعالج قضايا كثيرة من قضايا المجتمع والأمة العربية والإسلامية ، وهو في قصيدة (فتى الوطن) يتلظى بلهيب نار الأسى التي تجري في دمه ، ويلتهب غليله بشعلة الهموم ونزفت جراحه من قيود المآسي ،واستوطن خيمة يعلوها سحاب كثيف من الحزن الفاتك فهو يتقلب في جحيم الحياة، يعاني ضروب الشقاء ،وتجرع كأس الشجن ،ولج شعاب الحياة فوجد فيها الكآبة ، حتى الأنوار يجدها مظلمة معتمة حين يكشف حقيقتها : تلك موجات من مآسي الحياة ، طوقته بالفشل المؤلم :

هيب اللظى هاج في مهجتي ... ونار الأسى أضرمت في دمي

تعذب قلبي بنار الهموم ... وأدمت قيود الأسى معصمي

وخيم فوقي سحاب كثيف ... من الحزن الفاتك المضرم

فأصبحت فوق جحيم الحياة ... أقلب كالوالة المغرم

طريحا أعاني ضروب الشقاء ... وأرسف في قيده المحكم

أسير التعاسة جم السقام ... رهين الأسى الفادح المؤلم

شربت من الدهر كأس العذاب ... وجرعت من خالص العلقم
وسدت بوجهي طريق النعيم ... فلم ألق في الكون من معصم
نهجت كتيبا شعاب الحياة ... وطوفت في جوها المعتم
فلم أر في الكائنات ... سوى مهمه قاتم مظلم
ولكن نورا بدا من بعيد ... وضيء السنا ساحر المبسم
وألقى على مسمعي النداء ... إلى إلى موردي أقدم
إلى دفقة النور كي تحتسي ... رحيقا يسل غليل الظمى
فأسرعت كي استشف الضياء ... وأبحث في النور عن بلسمي
فألفيت ذاك الضياء الجميل ... إلى من يفدي الحمى ينتمي
وأطرقت رأسي وقلب يكاد ... يذوب من الألم المضرم
وقلت له : أيهذا الشعاع ... لك الله من مورد أكرم
ولكن جسمي عراء السقام ... وماذا يرجى من المسقم
ومالي يد بعوادي الزمان ... وصدر بأسقامه منعم
تبدد حلمي بتلك الحياة ... وطوقت بالفشل المؤلم
شباب الحمى أين منا الأباة ... وأين هواة ذرا الأنجم[1]

لكن كل ذلك يراه في أمته التي يتمنى لشبابها أن يحملوا مشاعل الذود عنها ونحن ندرك استغراب أبي ذر في العهد الصالح ، فكيف بنا في هذه الأعصر المتأخرة ، فلا نستغرب ذلك عند المفكرين والشعراء والكتاب ، فطوبى للغرباء .

والقارئ للشعر الوجداني في بلادنا يجد أن هذا العنصر يتداخل في شعرهم فهم يتغون المثالية الإسلامية ، ويظهر تأثر المغترب بالروح الإيمانية عندما يستسلم للقضاء والقدر ، وكذلك انطفاء جذوة التمرد والهروب بعض الشيء ، وعدم الاستسلام للذل والكآبة بل إن الشاعر في بلاده يكون متألقا في حياته العملية كمثل محمد حسن فقي،ومحمد فهد العيسى لكنه مثقل بهموم الأمة .

---

[1] ابن إدريس ، شعر نجد ١٩٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢- الذاتيـــــة :

الذين بحثوا في أسباب شيوع المذهب الوجداني في الأدب العربي ، والأدب السعودي ، أغفلوا مصدرها التراثي ،فأدبنا العربـي يقـوم علـى الذاتيـة في مراحلـه الأولى ،واستمر عبر العصور على التزامه بالغنائية الوجدانية ، ومخاطبـة الوجـدان ، وربما يقول قائل : إن هذه نزعة شعريةمأخوذة من التسمية الشعرية ذاتهـا ، ومـن التجربة الشعرية عامة ، والباحث لاينكر ذلك لكن حتـى التمـادي والإغـراب في الذاتية الرومانسية أو ما هو أشد ، وُجِدَا في شعرنا وأقرب من يمثـل ذلـك شـعراء الحب العذري من مثل عروة بن حزام ، وقيـس بـن الملـوح ،وجميـل بـن معمـر ، وجاء في شعر العباس بن الأحنف ،وتظهر الغربة في تمرد شعر الأعشى الهمذانـي ، وفي شعر دعبل الخجائي . والشاعر البطائحي[1] :

ونعثر على شعراء متأخرين في الأدب العربي تبدو معالم الرومانسية عندهم كثيرا، ومنهم الملك الأمجد وتاج الملوك بوري والشاب الظريف، ويظهر أيضا عند شعراء الطبيعة كأمثال كشجام ، والسري الرفاء ، والصنوبري وتتجلى الذاتيـة في شعر الشعراء الصوفيين كابن عربـي والصرصـري ، وابـن الفـارض ، والصنوبـري ومازال النقاد يشيرون إلى الرومانسية الصوفية حتى في الأدب الغربـي ومـن ذلـك ذاتية الشعراء في الغزل بمعالم الجزيرة العربية في نجد والحجاز .

إذن فالقاريء أمام ظاهرة متوارثة من الرومانسية تتمثـل في عنصـر الذاتيـة الأهم في إبداع الوجدانيين من شعر العربية .

وبلادنا ليست بمعزل من هـذا المـوروث الذاتـي بـل هـي منبعـه ومصـدره، فالشعر العذري في شمال الجزيرة عند قبيلة بني عذرة ،وبـني عـامر القبيلتـان اللتـان أستوطنتا حول وادي القـرى وتيمـاء ،وتبـوك .وهنـاك الشـعر الغنـائي في الحجـاز

---

[1] الأول في العصر الأموي ، الثاني في العصر العباسي والثالث في القرن السادس الهجري

الذي أظهر الروح الحجازية التي أشار إليها شوقي ضيف ثم الشعر الوجداني الرقيق في نجد الذي أصبح رمزاً للشعر الوجداني العربي . وظهر في نجديات الأبيوردي وألفت حوله كتب متأخرة ، وكثيرا منها يوحي بغربة الشاعر .

وطه حسين الذي كان على إطلاع واسع على المذاهب الأدبية و الرومانسية في فرنسا لم يعد بالشعر الوجداني عند شعراء الحجاز المعاصرين إلى الرومانسية ، إنما عاد به إلى الروح الحجازية في عصر بني أمية . عند عمر بن أبي ربيعة ، والعرجي وعبدا لله بن قيس الرقيات[1].

ومن أقدم الشعراء إبراهيم فطاني الذي يغذي حبه العفاف ، فهو يقوم على فلسفة ،من النزاهة ، فليس فيه ارتكاب للذنوب وإشباع للغريزة ، و إنما هو تآلف بين المحبوبين ، لكنه يستميله المرح والمداعبة ،والملاطفة ، فهي ريحانته .

تدعين الهوى وأنت لعوب ... بينما القلب من جواه يذوب
ليس معنى الهوى صدود وهجر ... ودلال وقسوة وقطوب
إنما الحب عاطفات تسامت ... ليس في الحب عندنا مايريب
إنما الحب طاهر ليس يرضى ... بالدنايا وليس فيه ذنوب
إنما الحب شجرة ذات غصنين ... تساوى زهاؤها والشحوب
لايصح الهوى إذا كان غصن ... منهما قد ذوي وغصن رطيب

* * *

هل نسيت العهود أيام كنا ... مثل روح في مهجتين تجوب
نغم اللهو والصفا كيف شئنا ... في ظلال الهوى وليس رقيب
أنت ريحانتي وأنت هنائي ... أنت روحي لك الجمال المهيب
فخدود تجسم الحسن فيها ... حاطها العز والجلال الرهيب[2]

وأستطيع أن أقول أن فطاني أول شاعر وجداني ذاتي في العهد السعودي

---

(1) انظر وحي الصحراء ديوان القرشي الجزي الأول .

(2) الساسي ،شعراء الحجاز ٣٣١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

غير أنه لم يتأثر الرومانسية المعاصرة وأتى من بعده الأمير/ عبدالله الفيصل ويحيى توفيق .

وهو يقف بنا عند محاسن المرأة المباشرة ،التي لا تستطيع إسقاطها على أي من غايات الرومانسية ، فهو حب متدفق من عاطفة الشاعر الوجدانية ، التي تقدح المرأة شعلتها فتضيء قلبه :

وعيون أذبل أم مراض ... أم صحاح يحار فيها الأديب
وقوام لدولة الحسن عز ... وقوام وإن رمى فمصيب
هاك قلبي تصفحيه برفق ... إن قلب المحب رحيب
فيه صدق وعفة ورموز ... لا يحل الرموز إلا اللبيب
باديلي عواطفا وشعورا ... ما كذا يهجر الحبيب الحبيب
وتعالي معي لنرفع لطفا ... وراية الحب حوطتها القلوب
نطلق الروح في سما العشق ... تسمو فتلاقي الروحين أمر عجيب
نتباغى في جوه فكأنا ... ذات طوق يثيها العندليب
نرسل اللحن ساميا عبهريا ... رب لحن يذوب وهو يذيب
هات كف الرضا نجدد عهدا ... بيمين الإخلاص منا يطيب
وعلى الطهر والوفاء وصدق ... نشهد الله فهو منا قريب
وهلمي إلى النعيم بوصل ... إنما الحب بالوصال يطيب
إنما الحب بالخلود حقيق ... جنة الحب ليس فيها لغوب
وبشير الجمال نادى أدخلوها ... بسلام فرفرفي ياقلوب[1]

فهو ينعم بالحب الصافي الذي لا يضمحل بإشباع الشهوة الجامحة ، إنما الحب هو القائم على الطهر والوفاء وهو نعيم الحياة وسعادتها .

وهو يصف موقفا من المواقف العاطفية :

خطرت فأخجلت الغصون ... ورنت فمأرسلت المنون

---

[1] المرجع السابق ٣٣٢ .

خـــود رداح بضـــــــــة حـــوت المحاســـن والفنـــــون
فله مـــا أحلـــى الهـــــــوى في خلـــوة بـــين الغصـــــون
جعلـــت تســـاقيني الجـــوى الصـــا في بكـــأس مـــن معـــيـــن
وغـــدت تشنـــف مسمعـــــي إن الحديـــث لـــذو شجـــون[1]

٣ ـ الدعوة إلى التحرر من التخلف :

* ناجمة عن حالة التحرر من التخلف ، التى يرجعونها إلى هيمنة الدولة العثمانية وقد ظهرت مظاهرها عند المهاجرين أو المجاورين من الشام ، إلى الحجاز، وكونوا جريدة القبلة ، وكانوا مستشارين للملك حسين فدفعوا به إلى الثورة العربية والواقع أن العالم العربي كله في عملية جدلية كبرى لما رأى المفارقة بين الحضارتين الحضارة الغربية المتقدمة والتخلف للحضارة العربية والدول الإسلامية المتأخرة الجامدة هذه دعت جميع المتنورين من الحكام والمحكومين إلى الصراع كل قدر جهده ، فالحكام الذين تنوروا أرادوا لشعوبهم الانطلاقة لكن معظمهم أرادها انطلاقة عقلية بل ربما تواجه الحاكم من العقبات ، ما تجعله يتراجع عن كثير من رغباته ، و المثقفون الموالين أو الذين خاضوا غمار العمل السياسي أو صحبوا أهلها المنفذين عن قرب يدركون هذا مما جعل الاعتدال يظهر في كثير من الشعر كأحمد شوقي في مصر والغزاوي في الدولة السعودية بل ظهر عند الرومانسين كخليل مطران والأخطل الصغير .

وهناك شعراء لم يدركوا العوائق للعملية التطبيقية وأرادوها مثالية كما تبنتها أفكارهم المستنيرة ، التي لا شك في صلاح كثير منها، وبعضها يقترب من المثالية،هؤلاء اصطدموا بالأمر الواقع و لم يستطيعوا تفنيد أفكارهم، وحال وبينهم وبينه أمواج من الموانع ، مما جعلهم يميلون إلى الغربة النفسية المعتدلة،كالعواد ،

---

[1] المرجع السابق ٣٣٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومحمد سرور الصبان وأحمد العربي. وحسين عرب . وحمزة شحاته ، وإبراهيم الفلالي .

ومن الجيل الذي عايش التخلف ،وعزوه للحكم العثماني ، وهيمنة العنصرية التركية بفرضها على العالم العربي محمد سرور الصبان المولود عام ١٣١٦هـ[١] ، وقد رأي وسمع من مظاهر التقدم الحضاري الأوربي وأدرك ما في العالم العربي من تخلف ، ومن هنا لجأ إلى الليل يخطابه ، فالليل إشارة إلى ظلام العالم العربي ويشير إلى هروب رومانسي ، والقصيدة تظهر التمرد العقلي على واقع يخالف العقل ، فهو يلجأ إلى الليل الذي يستر أنين المتألمين من جراح التخلف لا من هموم فردية ، فيطلب تخفيف آلام الجماعة لا الفرد ، أولئك الذين أضناهم العشق ثقل التخلف :

يا ليل صمتك راحة ... للموجعين آسى وكربا
خفضت من آلامهم ... ووسعتهم رفقا وحبا
أو ما ترى حدث الزما ... ن أمضهم عسفا وغلبا
يا ليل فارو محدثا ... أخبارنا غبا فغبا
فلنا بذلك حاجة ... إن تقضها فرجت كربا
وابدأ حديث بالأولى ... عانوا من الآلام وصبا
فعس بهم ناسوا وعل ... لنا بذلك منه طبا[٢]

ومن آثار هجرة بعض المفكرين من بلاد الشام ،ودعوتهم إلى الوحدة العربية ماجاء في أشعار الشعراء الأوائل الذين يدعون إلى تكوين كيانا عربيا موحدا ومن أقدمهم الشاعر ، محمد حسن عواد ،فهو يدعو إلى إزاحة الحدود وتجاوزها بعد أن يعدد أسماء الدول العربية فيقول :

---

[١] أديب وشاعر، تولي وزارة المالية في المملكة العربية السعودية ثم ترأس رابطة العالم الإسلامي توفي عام ١٣٩٢هـ انظر شعراء الحجاز ٢٣ ،والموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي ٦١ .

[٢] عبد السلام الساسي ،شعراء الحجاز ٢٤

أحب بلادي بأسمائهـــا
وألقابهـــا
وتقاسيمهـــا
وأعشقها دون تلك الحدود
موحدة – كهدي خيمها
و أحلم بالمجد يحتاطها
وأسمعه في ترانيمهـــا
لا بصرة في غد عاجل : كيانا يهز لتكريمها
وألمسه وحدة حـــــرة
من الشاطيء العربي للخليج
لا قصى " أغادير " في المغرب
ومن منبج في أقاصـــي الشمال
إلى عدن والمراح الأبـي[1] .

والشاعر عبد الله بن عثيمين كأنه تعرض لعقبات في مستهل حياته العملية فأرجف منها، وفاضت دموعه ،و تأجج بنار الألم ، وعـانى من البؤس والشقاء فخيمت عليه الدياجي التي حجبته عن أمانيه وتطلعاتـه ، وتلك مأساة كثير من شباب الأمة العربية والإسلامية بعدم إتاحة الأعمال المناسبة ، ولشيوع البطالة فعلى المؤسسات الوطنية أن تحتضن الشباب.

آه مـن دمعـة تفيـض مـن الحـزن وهـم يؤجـــج النـار فيـــا
آه مـن ظلمـة يكـن بهـا البـؤس فتلقـي بمـا لديهـــا إليـــا
كلمـا خيمـت علـى الدياجي جـددت في الفـــؤاد جرحـا خفيـــا
أرقـب البـدر وهـو يسـبح في الكـون ويطـوي السـماء والأفـق طيـا
عله يطرد الهمـــوم عـــن القلـــب المعنـــى فينجلـــي ما لديـــا

[1] حفاجي ، وشرف الدين ، الرؤيا الابداعية في شعر العواد ١١٥ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يـــد أنـــي أرد طـــرفي حســـيرا ... و الرؤى الســـود جاثمـــات عليـــا

وإذا كـــانت المشـــاعر جرحـــى ... لم تـــر النـــور في الحيـــاة جليـــا

أنـــا في هـــذه الحيـــاة كئيـــب ... أشرب الهم بكرة وعشيـــا

جرعتـــني الحيـــاة حزنـــا وبؤســـا ... وشرابـــا مـــن الأســـى علقميـــا

أنـــا للهـــم والشـــقاء صديـــق ... منذ أن كنت في المهاد صبيـــا

آه قـــد عـــذب الزمـــان فـــؤادي ... وقضى الدهـــر أن أعيـــش شقيـــا

آه مـــا أتعـــس الحيـــاة وأقســـى ... فتكات الزمان ضربا وكيـــا

لم أجـــد مـــن الحيـــاة إلا همومـــا ... تقتل الحـــر والهمـــام الأبيـــا

أنـــا مـــن أصبـــح الزمـــان عـــدوا ... لأمانيـــه وخصمـــا عتيـــا

لســـت أدري لم الخطـــوب اعـــادتني ... وآلام القيـــود تدمـــي يديـــا

أي ذنـــب جنيـــت ؟ مـــا هـــو إثمـــي ... لم أجـــيء في الحيـــاة شـــيئا فريـــا

ليتني مـــت قبـــل هـــذا فإنـــي في ... جحيم الشقاء مـــا دمت حيـــا[٢]

وتلك مأساة فرد في المجتمع يرى أنه صورة من مآسي شباب الأمة العربية والإسلامية تنجم عن فقدان الفرص للأعمال المناسبة فشيوع البطالة في العالم الإسلامي والعربي أثقل شبابهم بالهموم وجعلهم يعانون من الألم بدلا من إن ينجزوا العمل فعلى المؤسسات الاجتماعية لا اقصد الجمعيات الخيرية ، وإنما العملية أن تحتضن الشباب .

والفقر والحرمان مدعاة للشاعر إلى استدعاء صور من المآسي تطوق الشاعر فتدفعه إلى الذوبان في المعاناة المأسوية ،ومن ثم الفيض الإبداعي يوجدان مصبوغ بالآسي فالشاعر إبراهيم الدامغ ، عانى ما عانى من الفقر والحرمان فخانه الزمان واحتراق بالآسي يصارع الحياة فيقترب من الهلاك مما جعل الدنيا تظلم في وجهه فيراها برؤية سوداوية :

شـــاعر خانـــه الزمـــان ففنـــى ... تأيـــه الحـــزن للســـامع لحنـــا

---

[٢] ابن إدريس ، شعراء الحد المعاصرين ١٩٦ .

شـــاعر أخلـــوق الأســـى شـــفتيه ... فـانطوى ملهـب الفـؤاد معنـــى

شـــاعر كلمـــا أراد حيـــاة ... أنصـت المـوت لـلإرادة أذنـــا

شـــاعر كلمـــا أراد نعيمـــا ... ضمة البؤس فـاصطفى اليـأس خدنـا

شـــاعر قلبه قضى الحيـاة شـقاء ... شـاعر ينشـد القريـض عـــزاء

شـــاعر يسـمع الغنـاء بكـــاء ... شـاعر يتصـدر الوجـود فنـــاء

شـــاعر إن تأجج الظـلام ترامـت ... حولـه ابلـغ المصائـــب داء

شـــاعر حطمهم الزمـان قـواه ... فـارتمى يرشـف النجيـع دواء

تلتقـي الليـل والنهـار فيطوى ... حـالك الأفـق بالمخـاوف مكـــى

يحتـي الصبـاح كـي ينـال شـفاء ... يألـه القلـب قـد أصيـب بمـــس

أيهـا الليـل الـذي سـر بلانـــي ... أيهـا الليـل أنـت رجـع نحيـــي

أيهـا الليـل فيـك تغـزو فـؤادي ... وطـأة اليـأس والشـقاء الغضـوب

أنـت مسـه أنـت سـر رهيـب ... فيـك للقلـب قاسيات الكـــروب

أنـت مـا أنـت ؟ وجـه غضـوب ... كاشر الناب مستديم القطـوب[1]

ويعد الابداع الفني لوثة رومانسية لكنها عابرة راحلة وليست دائمة فهي لم تفض إلى العولمة بعد.

٤- التأثير الثقافي :

ويعد من أهم مكونات الوجدان الذي ينتمي للرومانسية المعاصرة ، التواصل الثقافي المعاصر في الفكر ، والحياة الاجتماعية بين جميع شعوب المعمورة ، ولاشك هيمنة الثقافة الغربية وبريقها ،وتأثيرها والأدب أكثر عناصر الثقافة والحضارة تأثيرا، وهو وسيلة فكرية وجدانية.

وهو الأسرع انطلاقا من الأوطان والأكثر قبولا لدي القلوب التي تدفع به

---

[1] ابن إدريس ، شعراء نجد المعاصرون ٢٢٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى الفكر .

وبلادنا كان لها اتصالها مع بلاد الشام قبل العهد السعودي، لكنها مع شريحة مخصوصة من الوطنين العرب الذين يحاربون الانتماء الفلسطيني، ويدفعون لمحاربة التحلف كمحب الدين الخطيب وفواد الدين، والزركلي وأمثالهم تأثيرهم على ألفاظ الوحدان الجماعي ،وأخذت تفد للبلاد العربية نفحات رومانسية للبنان وتمتد منه للبلاد العربية .

ثم بعد قيام الدولة السعودية أخذت المسارب الثقافة من مصر تتوافد فمصر في تلك المرحلة زعيمة الثقافة في العالم العربي . فتتبع الأدباء في بلادنا الصحف المصرية و الدوريات وماتنقله من ثقافة ، بل توزع الأدباء الشباب مع أحزاب الأدب في مصر ثم تزاوروا وتبادلوا الصداقة معهم كعلاقة عبد الغفور العطار مع العقاد . وحسن عبد الله القرشي مع طه حسين . وتابع هذا جميع الاتجاهات الفكرية ، والفنية ، واقتبسوا منها، ومن تلك الحركات بل اشهر الحركة الرومانسية ، التي وجدت قبولا عند الشعراء العرب ، لأنها ليست حركة التحديد ذلك المنطلق الذي يخطف الألباب ،ولأن الذاتية الفنية متجذرة في كيان الشعراء ، إنما اقتبسوا بعض المظاهر الجديدة من الرومانسية ، والشعراء والنقاد

والأدباء استوعبوا الثقافة المعاصرة لهم ، فهم لم يقتفوا الأدباء العرب في مرحلة متأخرة ، بل متزامنين معهم ، وربما قلدوهم لشهرتهم ،ولان الشعراء السعوديين في مرحلة الشباب وآثروا المهجريين لقرب تناولهم الشعر وفلسفتهم في الحياة ،فهذا محمد عمر عرب المولود عام ١٣١٨هـ يشطر قصيدة (موطن الإنسان منه ضيم) لإيليا أبي ماضي " المولود عام ١٣٠٨هـ ١٨٩٠م

ويشطر الشاعر عرب القصيدة ،لما جاش في داخله من مشاعر أثارها إيليا أبو ماضي ، حين تخيلا وطنا فاضلا كما تخيل الفلاسفة مدينة فاضلة وذلك خيال رومانسي ، فيه هروب من صراع الحياة الدنيا الدائم إلى حياة يسودها السلام

والتحاب والتصافي ، يتساوى الأفراد فلا طبقية، ولاغني و لافقير إنما هم سواسية.

(موطن لاينا هم فيه ضيم) أو صغار فهم به سعداء
في نعيم منه فلا بؤس فيه (لا ولا يدرك الشباب الفناء)
(وكذا يولد الرجاء من اليأ) س إذا ما طفى عليه الشفاء
حبذا البأس أن يبعث البأ س إذا مات في القلوب الرجاء)
(يجمع العدل أهله في نظام) محكم الوضع فالجميع سواء
فنراهم كلحمة وسداها (مثل ما يجمع الخيوط الرداء)
(ولا ضعيف مستبعد لا قوي) ظالم يستثيره الجهلاء
لا ولا مدقع إزاء غنى (مستبد . بل كلهم أكفاء)
(كل شيء للكل ملك حلال) لم تدنس جلاله الأهواء
كل شيء للكل حق مشاع (كل شيء فيها كما الكل شاءوا)
(كل ما النفس تشتهيه مباح ومتاح جادت به النعماء
فلعمري هدى (الحياة) بحق (لا صدود لا جفوة لا رياء)[1]

ولست أدري هل الشاعرين استمدوا الأفكار من التوجيه الديني للإسلام و النصرانية في مشاهد الجنة أم من واقع الفلسفة ؟ والحقيقة أن المعرفة تتآزر في هذا حتى الفلاسفة لا إخالهم اهتدوا إلى مدينتهم الفاضلة إلا بضياء من الدين الذي لم يصلوا منبعه الصافي ، واقتبس منه فيما بعد الشيوعيون وليست بغربية على عرب أوصاف الجنة التي وردت في التنزيل ، والحديث ، وكتب الترغيب ، فهذه الأفكار مستقاة منها للسعداء عند الله . وليست لنا نقول : إلا إن الفكر موجود ، وان ما أخذه الشعراء هو طريقة الأداء بل ليست ببعيدة عن تصوير ابن قيم الجوزية للحياة الآخرة في جنة الرضوان .

ومن الحصاد الثقافي الذي أثر في التكوين الذهني لجل الشعراء ، ذلك الفيض من المترجم ،ولاسيما الذي أشاد به كبار الأدباء والمفكرين في مصر ،فهذا العواد

[1] عبد السلام الساسي، شعراء الحجاز ١٢٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من أنصار العقاد – وهو يعجب بما ترجمه عن كبار النقاد ، فينظمه العواد شعرا كما هي قصيدة (لتوماس هاردي) الذي يتأمل القمر ، ويسأله عن مشاهداتها عبر الأزمان ، وحوب الأرض ذهابا، وإيابا ، ومارأى وما سمع وقد مال إليها الشعر لأنها تمثل جانبه العقلي ،ففيها تأمل وتدبر :

« قصيدة لتوماس هاردي موضوعها أسئلة يلقيها الشاعر إلى القمر عن الحياة وأحوال الزمان فيدور بين الاثنين حوار عجيب تستخرج منه العبرة والموعظة ،عندما يسأل الشاعر القمر بقوله : ماذا رأيت ، وبماذا تسليت،ومم عجبت ، وما رأيك في الحياة ؟؟ فيجيبه القمر (لسان حالة طبعا !) بما يجول في ذهن الشاعر الفيلسوف من أسرار الكون ، وقد ترجم القصيدة عن الإنجليزية الأستاذ عباس محمود العقاد نثرا، ونحن هنا ننظمها شعرا) .

أيا بدر طال عليك الشباب !
فماذا رأيت ، ألا من جواب!

رأيت وكثر ما رأيت من الورى ... عظيما ، ومرد ،ولا غرا ومغرما
وذا حزن يستشعر الهم والأسى ... وذا مرح يلهو ، وبرا ومجرما
ورأيت جنود الليل، والليل نفسه ... وشمت النهار، سافرا وملثما
وماذا سلاك ... وأنت الفريد ،
على ما حيت ... وأنت البعيد
تسليت بالأجيال تحيا وتنفني ... بها أم تلقى خسارا ومغنما
تجن ويعروها الدوار وتنتشي ... بذلك قد سليت دهرا تصرما
ومم عجبت ... وأنت القصي
عن الأرض في ... ذا الجمال البهي؟
عجبت–وكثر ما عجبت وشائق ... لأصداء أهل الأرض إذ تبلغ السما
توارد نحوي في قصي تجولي ... فهذا التسامي قد عجبت ، وطالما

الشاعر :

وماذا يرى في طريق السماء !!
أحق حياة الورى أم هباء؟
القبر

أرى ، ولصعب ما أراه ،وطالما أرى ولمثلي أن يطيل التبرما
أرى، أنها السوق اشتد وقتها وسيان أن تبقى وان لاتتمما
فليست حياة المرء إلا تظلما من الأمل الخابي ، وإلا تألما
فكم من يد النفس فيها تقدما وكم عامر الأخلاق والفكر أحجما
وكم أسد أودى به الجوع والظما وكم غرد أمسى يعاف الترنما
ومورد حل عاد فيها محرما وحب عميق عاد صابا ، وعلقما
صنوف تهاويل وشتى معابر يعز على الإنسان أن تبهما !![1]

وله قصائد أخرى في البدر كثيرة[2] .

إذ فهذا تأثر بالثقافة الأخرى وله دوره في تكوين ذهنية الشعراء والنقاد، فهو يوجه الحركة الفكرية .

وظاهر زمخشري يقتنص أثر العقاد في الحديث عن الطبيعة والحياة فالعقاد له قصيدة عن كلبه (بيجو) واستعار زمخشري هذه التسمية ، لصحبة كلبه في منشية البكري في مصر ، وهو يجد فيه الوفاء ، وتبادل التواد ،والشعور بالخوف إذا أدلهم الليل ، وهو يقترب من الشاعر يحرسه من أمامه ومن خلفه ويظل دائما يصحبه ، ويغضب أن غاب ويسر أن حضر :

سلاما أيا بيجو وشوقا أبثه إليك أيا هذا الصديق المؤدب
ألفت نباحا منك و الليل مطبق وذقت حنانا منك والكون غيهب
نباحا أرى الأوتار تخرس دونه ومن رنة الألحان أشهى وأعذب
فإن كان للميعاد لحن محبب فصوتك يا بيجو ندي ويطرب

◆ ◆ ◆

(1) خفاجي ، وشرف : الرؤيا الإبداعية في شعر العواد ٢٢٨ .

(2) خفاجي ،وشرف ،الرؤيا الإبداعية في شعر العواد ٢٢٨ (٢) المرجع السابق ٢٢٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أليس غريبا أن أري فيه مؤنسي ... له عند أقدامي وأستاذ ملعبي
فإن غبت عنه ضاق بالبعد حسرة ... ويلهث مكلوما وعيني بقلبه
ولم ألقه إلا شهورا عديدة ... ولكنها في عالم الحب أحقب
وودعته أسوان يبكي لفرقتي ... وجاء لتوديعي ضحى وهو مغضب
فحييته بالعين رد بمثلها ... يسألني : أين اللقاء المحبب ؟
صديق وفي عجماء أفصح منطق ... يعبر من صدق الوفاء ويطرب
وفاء ولا داع سوى أن خافقي ... يفيض عليه بالحنان ويكتب[1]

وصحبة الكلب والحديث عنه في المنازل جديدة في المجتمع ،والحديث عنه في الشعر أكثر حدة، لكنها توافدت من استطاق الطبيعة الرومانسي الذي يجد الشاعر فيها ، ما لايجده عند البشر وهي ظاهرة جديدة أيضا في أدب بلادنا .

٥ ـ الثنائية الثقافيـــة :

وهناك الثنائية الثقافية لها دورها ، فالالتزام الشرعي بالأمور التوجيهية أمر لاشك في شموله لأفراد المجتمع . غير أن هناك شريحة اتخذت التشريع منهجا لهم في سائر الحياة، والتزموا به ضابطا موجها لكل قضية من القضايا وما أجمله أفضله و أحوج الأمم الأخرى العربية والإسلامية إليه . وهذا الاتجاه هو المهيمن الذي يلتزم به أفراد المجتمع وأعضاء المؤسسة السياسية لكن لا نقول : بمثالية هؤلاء تماما ، فإنا نجد عند بعضهم تجاوزاً في السلوك الفردي فهو يقرب المقربين وتلك شائعة إلا ما رحم ربي ، لكن هناك فئة كبيرة منهم ، نظروا نظرة شاملة ، فهم يقدمون من له القدرة على العمل في سائر الأعمال .

. وهناك شريحة التزموا بالتوجيه الرباني ،لكنهم مالوا إلى الحياة الثقافية المعاصرة ، وافسحو لها المجال وتأثروا بالثقافة الغربية الأوربية ،ودعوا إلى الانفتاح

---

(١) مجموعة النيل ٢٥٨ .

والأخذ بالمثاليات التى رأوها في الغرب ، ويرون أنها لاتعارض الإسلام ،وابتنوا لهم مثالية،فهولاء و أولئك لايخفى التنافس بينهم ، وكان له تأثيرهم في المجتمع ،وحوارهم الثقافي ، ومن هذه الشريحة ظهر عدد من الشعراء الذين رأينا عندهم ميلا إلى الرومانسية المعتدلة أو الوجدان الجماعي- ومنهم خالد الفرج ، والرميح والقصيبي ، وأسامة عبد الرحمن .

والذين بلغوا مراتب التنفيذ من هولاء لم يكونوا كلهم بأحسن حال من بقية الفئات فبعضهم يقرب القريب لا عن جدارة وأفضلية عملية وعملية وإبداعية، وإنما للقرابة ولحسن المعاشرة والتقارب في التكوين الذهني .

وتلك ظاهرة يجب أن تتنبه إليها الدولة وتعالجها لأن تفاعلها يودي إلى الضعف الإداري ، وفساده وقد تفاعل في الشعر الوجداني فكان من موارد القلق والتبرم .

٦- تنافس الشرائح الاجتماعية :

التنافس الإقليمي والعنصري : لأن تكوين المجتمع الجديدة اقتضى أن تضم الدولة أقاليم متعددة تحت كيان واحد والجزيرةالعربية لم تكن لها سابق عهد بالوحدة وقد تكون المجتمع من ثلاثة عناصر هي الحضري والريفي والبدوي . وبناء المجتمع والدولة . و دواعي النهضة كل ذلك دعا إلى التنافس على الوظائف العليا ، ونفوذ السلطة ، ومنافذ الفكر ، ومهما كانت هناك من ضوابط ، فإن الأفراد الذين يقودون المؤسسات لهم تأثيرهم الذي لايخفي، فلا تستطيع القول بمثاليتهم وتجردهم من الإقليمية أو العنصرية ونقول: عليهم أن يراقبوا الله ، وينشدوا الرجل المناسب في المكان المناسب أو يلتزموا بالإنصاف في الضوابط إن مثل هولاء قليل ، لكن الكثير من حاول أن يصلح شأن ما تولاه ، وقد تعرض الشعر لهذه الظاهرة كثيراً ، فهذا ابن عثيمين يتحدث عن شاب يسعى للابتعاث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلا يجد له سبيلا ، ويحث طالبا الوظيفة فيتعثر بالطرق الملتوية[1].

ومن تلك المعالم لهذه الظاهرة حديث الشعراء عن أقاليمهم ،فالشعراء في الحجاز يخاطبون الحجاز في مستهل النهضة ، وبرزت هذه الظاهرة متأخرة عند الشعراء النجديين ثم تبعهم الشعراء في الجنوب .

وقد تجلت هذه في التأليف أيضا ، فهناك شعراء الحجاز : وشعراء نجد المعاصرين لابن إدريس ،والاتجاهات الشعرية للهويمل في نجد ، والشعر في الجنوب لأبي داهش ، وشعراء الخليج للعبيد ، وشعر هجر .

فهذه الظاهرة لاريب في وجودها ، لكن هل هي ظاهرة صحية؟ أقول: إن الاعتدال في الأمور أفضل لكن لا يكون مثيرا يحدث صراعا ، ولايكون وسيلة للتفضيل في طلب العلم والتوظيف،وإنما تحسن في جمع المعلومات عن الأقاليم و احتضان مبدعيه ، وتشجيع التأليف والبحث كما يعمل في النوادي الأدبية ، وأفضل وأكثرما اطلعت عليه يتمثل في الدعوة الشاملة التي لا تنحصر في إقليم ، أو مجتمع أو شريحة لكن هناك بعض الشعراء الذين مثلوا المجتمع في أقاليمهم[2].

أوليات الشعر الوجداني :

من أوائل الشعراء الذين كونوا ذهنيتهم تكوينا معاصرا الشاعر خالد الفرج – ١٣١٦هـ – ١٤٣٧٤ هـ وهو متنوع الثقافة كان هاجسه يدور حول فكر الأمة الإسلامية شأنه شأن المعاصرين له الذين تنادوا لوحدة الأمة العربية ، فوظفوا إبداعهم لإيقاظ المجتمعات ، والشاعر يوظف الطبيعة توظيفا رمزيا في انتظار الحياة تدب في الأمة وأنوار التقدم تظهر حتى يذهب الشعب مهطعين إلى أدواح النعيم، ونظرة الحب الوجداني ليست نقمة وانتقام إنما إصلاح وعفو .

---

[1] انظر ديوان عودة الغائب

[2] انظر ، وحي الصحراء وشعراء نجد، وشعراء الحجاز.

اصبري ريثما يسرى نسيم السحر
وانظري في أفق الليل شعاع القمر
ومتى هب النسيم وتهادى كالسقيم
فاذهبي مسرعة نحو أدواح النعيم
تجديني حيث كنا نرشف الحب القديم
ونباهي من حوالينا بحب البشر
واغفري للدهر والواشين سوء المحضر
واسكري بالهوى مثلي ، بخمر الكوثر
في أباريق الثنايا وتناسينا الوصايا
وغرقنا في بحار الحب لا نخشى المنايا
وغدونا سعداء دون مجموع البرايا
وشهور الحب ورد ذو أريج عطر[1]

فالشاعر في مخاطبته للمرأة وولوجه في رياض الطبيعة ليس المراد تصوير التجربة حب حقيقية وإنما أماني الوحدة والحرية التي دأب الشعراء في تلك الأيام يعزفون على أوتارها ،وهو قد عايش انطلاقات في عالمنا المعاصر تقترب من المشرق لفجر هذه الأمة ، لكنه يخشى من هجوم العدو الغاشم ليكسوها ظلاما .

فاحذري فالفجر في الغيم كواش حذر

وواقع الأمة المدلهم الأسود الذي تعرضوا له ، من التخلف الداخلي، والأخطاء التي وقعوا فيها ، ومن مكائد العدو المستبد المستنزف لهم، الذي يقف في وجه أي بارقة خير لهذه الأمة تلك التي عايشها الشعراء المعاصرون الأوائل ، ومازالت حروبها الاقتصادية والفكرية تترى على الأمة، ذلك ما رمز إليه خالد

(1) ابن إدريس ،شعراء نجد المعاصرون ٧٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفرج برؤيته لهذا الطائر الذي نال من الحرية بعض الزمن ، فإذا به لم يواصل المسيرة إنما يكل ويعيا ، والنجوم التي ترمز إلى معالم التنوير لحياة هذه الأمة أخذت تتضاءل أنوارها وتخفو ، والشجر الذي استقى بروح المجاهدين والمخلصين من الأمة يذبل وتتثنى أغصانه ، والبدر لهذه الأمة أخذ في النقص والأفول .

رقد الطير وأغفت ... حدق الزهر الجميله
ورنت نحوي الحاظ ... من النجم كليله
وتثنت فوق رأسي ... أغصن البان النحيلة
وبدا لي قمر النقص ... بأنوار ضئيلة
وهيب الشوق في ... قلبي قد زاد غليله
ومضى الليل وما أبقى ... لنا إلا قليله
وسرت في الجو أرواح ... من الطل بليله
وأنا أنتظر الوصل ... بساعات طويله
اخلف الوعد حبيبي ... ليس في الكذاب حيله[1]

لهذه الأماني طال انتظاره في حياته التي تماثل الليل في سوادها وما يداعبها أحيانا من أشراقات القمر والنجوم، لكن العمر انقضى و لم يتحقق الأمل.

إذن فخالد الفرج من أوائل الذين أدركوا توظيف الطبيعة توظيفا رمزيا لكنه لم يجنح بها إلى الخيال ، أو ينعزل إلى طبيعة الطبيعة .

والشعراء في بلادنا أدركوا معاناة الأمة العربية والإسلامية ،فحملوا المعاناة وأثقلهم التخلف للأمة ، ولايقف الأمر عند هذا الحد، فان الحروب تتدافع إليهم والخلاف يدب فيهم من الداخل ، فحالة العالم العربي غير مستقرة :

والشرق ويح الشرق من جهله ... وهي به الإحساس من علته
أرهقه الغرب بويلاته ... واستنزف القيراط من لوزاته

(1) المرجع السابق ٧٦ .

ويقول عن الشرق :

ومستقل الشرق في عزه كمستقل الشرق في ذلته
منقسم حتى على نفسه مشتت الأوصال في أسرته

ومن هنا فإن حب هذه الأمة ، وإرادة الخير لها ،جعل الشعراء يتطلعون إلى وحدة تكون بمجتمعا ناهضا ، تمنع العدو من تمزيق كيانها ، فمتى ضعفت دويلة، فإن الأخرى ستلحق بها ،وضعف فرد يتبعه أفراد ، ومجتمع يتبعه مجتمعات فهذا خالد الفرج يصرخ في قصيدة بعنوان (الغرب والشرق) ألقيت في الكويت في ١٣٤٦/٣/٤هـ .

يا قوم في أحوالنا عبرة فليفهم النائم من رقدته
فمن تفدى بأخي ضحوة حتما تعشى بي في ليلته
وكلنا ينشد في سره ما قاله الشاعر في حكمته
" من حلقت لحية جار له فليسكب الماء على لحيته "

لاريب أن صوت الضعيف ، خافت لا يسمع له همسا ، ولايحس أحد له لمسا ، و لايقف في وجه العدو إلا بسلام يماثله إذا كان فكرا فليكن ذلك ، وإن قوة فليعد لها أبناء الأمة .

الوقت قد دار بدولابه ونحن لا نعبا في دورته
تدور لكن دوران الرحى والناس مثل النور في سرعته
و"الغرب" لا يسمع صوتا لنا إن لم يك المدفع في نبرته
لا يدفع الغرب سوي بأسه أو قوة تسمو إلى قوته
أولا ، فإن لم نجتمع عاجلا ونحصر العنصر في وحدته
ستأكل الغربة أولادها ويحصل القط على حصته
فحسبنا "الإسلام" من جامع ونحن من يعرب في دوحته
لا تسأل الآخر عن مذهب في دينه وأساله عن أمته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يحمي كيـــان القـــوم إجماعهـــم أولا، فارسلهـــم، إلى رحمتـــه[1]

وتطور الحروب اتخذ أشكالا متسارعة ، فهل نجاري الحرب الفكرية في الأقتصاد أو الإعلام أو الصناعة ، أو الوحدة والتكوين الجمعي ، فهذه شكوى الشاعر قبل أكثر من سبيعن عام ، فكيف حالنا اليوم بعد حرب الخليج .

والشاعر خالد الفرج يخوض غمار الرومانسية من بابها الواسع حينما يهزأ بأبناء حواء ، ويعطف عليهم تارة أخرى ، فهو يعلن معارضة للتعارض بين أقوالهم وأفعالهم ، فهم يقولون قولا معسولا ، بلا عمل ولا إنجاز ، بل هو يتمرد تمرد الرومانسي ، فيرمي المجتمع العربي بأشد الشتائم / من السخافات والأفئدة الفارغة ، وكون خلافهم مدعاة لدوام الشر والظلم والتخلف :

لأبناء حواء منى الهزء والعطـــف فأقوالهـــم صنـــف وأفعالهم صنـــف
عقول ولكن السخافات جمـــــة وأفئدة لكنها - غالبـا - غلـــــف
هم اختلفوا في البدء واتفقوا معـــا على أن يدوم الشر والظلم والخلـف
وهم صوروا ما قد دعوة فضائـــلا وما هي إلا دون شرهم سجـــف
فلا خير إلا أن يكون وسيلـــة ولا بذر إلا أن يراد له قطـــف
إذا أولوا النعمى طغـوا وتجبـروا وسرعان مايلوون إن جاءهم صرف
سكارى كأن الموت يأخذ غيرهـم فداء فهم كيلا يمر بهم حتـــف
فهل نفس الإنسان منفاخ نافـــخ ونار الأماني من ترددة تخفـــو
عجيب لمن يرتاع من شيب شعره ويذهب عنه خوفه الصبغ والنتـف
ومن طامع لا يكتفي بحياتـــه فيرنو لما بعد الحياة له طـــرف
يريد خلود الذكر وهو بقبـــره ويسرى إلى أعقاب أعقابه " الوقف"
فيامن هم في الناس ذكر مخلـــد أياتيكم عما يقولونه كشـــف؟
واني أرى التاريخ أكـــذب كـاذب أيصدق فيما قاله عنكم الوصـــف

وهو يعلن ضعفه وعدم قدرته فلاحيلة له ،مع أن عواطفه مشبوبة لظا

---

[1] ابن إدريس ، شعراء نجد المعاصرون ٨١ .

وجحيما فهو يرى الحق وليس بقادر على أن يعمل به ، فيغضب بعفة ونزاهة لكنه لم يجد من يشاطره الإنجاز والعفاف والإخلاص :

وها أنا أسلوا ماملكت عواطفي ... ولكنها مذ شبت أدركها الضعف
فما حيلتي و الإجماع مقيدي ... إذا شئت صفوا فالموارد لا تصفو
أري الحق رؤيا الشمس والحظ منها ... شعاع ولكن لا تنافما الكف
أعف كفافا ثم أهدأ قانعا ... سعيدا فأين الآخر القانع العف؟[1]

فهذه حالة تشاؤمية وجدانية من الشاعر الذي أُلتهبت أحاسيسه بقضايا أمته بعد أن رأي معالم الفكاك من قيود المستعمر ، ورأي معالم النهضة للمجتمع ، لكن الشاعر لم يقدم شيئا مع رؤيته الواضحة في تقديره لذاته ، ومن هنا أصيب بالإحباط .

ومن أوائل الشعر الرومانسي الذي يفيض بالحزن والألم ، ويرمز إلى أسى الشاعر من جراء وضع المجتمع قصيدة " يا ليل " لمحمد سرور الصبان المولود عام ١٣١٦هـ .

يا ليل حزنك دائم ... أدعوك للسلوى فتأبى
يا ليل هل لك موطن ... مثلي قضى قتلا ونهبا
يا ليل مالك مطرق ... أبدا فقد أمضيت حقبا
يا ليل هل ذقت الغرام ... ولوعه أو كنت صبا
سري وسرك غامض ... فدع الخلائق منك غضبى[2]

فالشاعر يخاطب الليل، ويفيض عليه من حالته الحزنية ، فيشغل بها ذلك الليل، فالليل لماذا تجلل بالسواد ذلك سر دفين تماما كسر الشاعر وظلام نفسه والأكيد أنه لايعني لونه الأسود .

---

[1] ابن إدريس ، شعراء نجد المعاصرون ٨٤ .

[2] عبد السلام الساسي، شعراء الحجاز ٢٥ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويأتي بعده محمد حسن العواد ،يتساءل في حوار مع الليل فإن الظلام يجمع بينهما ، ويمطره بأسئلة نابعة من أعماق فكر الشاعرلا من شعوره لأن ظلام الشاعر نابع من همومه الاجتماعية ، فهو معني بمعاناة البشر وهو إلى جانب الظلمة يرمز باستكانة الليل ، وإخفائه لأسراره .

هل أنت مثلي ؟ أيهذا الظـــــلام ؟

تشعر بالويل فتخفي الغـــــــرام؟

وتلبس الصمت ، فتعلو الأنـــــام

برهبـة القانت في قمـــة ونظـرة الخاشع في همـــة

وفكرة الشيـــخ و روح الصغيـــر

* * *

أو أنت خلاب خفي الخطـــــــــر ؟

أرود لا يعني بسر البشـــــــــر ؟

خب أناني محاب أشـــــــــر؟

ناء عن الخير كما يزعمـــون عار عن الروح الذي ينشـــــدون

يعيبك أن تطلب مجـــــد الكبيـــر[1]

وهو يفيض بما يعتلج في نفسه فتلبس ذلك الليل ، فالشاعر لا يدرك واقعه هل يسير في منهج مستقيم أم في طريق معوج ؟! إنه الغموض الذي يكتنف الحياة المشتعبة ، فهل نحن سلكنا سبيل النهوض أم نكون قد ضللنا الطريق ، فخشيته على وطنه الذي أحبه مصدر شقائه وعذابه .

ومن أوليات الشعر الوجداني المتواصل مع الرومانسية الحديثة ، شعر الشاعر محمد عرب المولود عام ١٣١٨هـ فهو معاصرللمهجريين ومع هـــذا، استقي من فلسفتهم الشعرية ، وأطلق خياله لحياة فاضلة ، أسوة بأبي ماضي كما ذكرت

---

[1] المرجع السابق ٢٩ .

سابقا والشاعر عرب نزعته الإيمائية نحو الدعوة إلى الحرية والمساواة ، و التآخي التي كانت من غايات الرومانسية كقوله :

(يجمع العدل أهله في نظام) محكم الوضع فالجميع سواء

(كل شيء للكل ملك حلال) لم تدنس جلاله الأهواء[1]

ولن يكون ذلك إلا في الدار الآخرة في جنة النعيم ، ولعل الشاعر يريد ذلك لكن يخشى من تأويله إلى الشيوعية .

وهو يدلف إلى الطبيعة هروبا من حياة الاضطراب إلى الصفاء والبعد عن الجهالة ، وملهيات الحياة ليستمد العفو من بهاء الطبيعة وجمالها ، ونسيم الروض، وخضرته ،ويهجر الهاجرة إلى الاستظلال بظلال الدوحة الوارفة ، وهناك يعتكف على أوصاف من يحب وما تهواه النفس ، ويخلب بجماله :

صاح باكر إلى ارتشاف الشمالة ودع الغير سادرا في الجهالة

واطلب الصفو في رياض كستها حسنات الربيع أبهى غلاله

واقصد الدوح في الصباح ودعنا نطيأ مع الحبيب ظلاله

وأتل أوصاف من لحب وذرنا نتغنى بذكر ذات الجلالة

واقض في الحديث عنها فقلبي دائما - يعشق الجمال وآله

فهذه هروب صوفي يلتقي مع الهروب الصوفي عند ابن الفارض ،ويلتقي مع هروب الرومانسية المعاصرة وتحمله الأمنيات وترداد ما يستحسن في خاطره ، فالصوفي يجلو نفسية بتكرار ذكر الله سبحانه وتعالي ، والرومانسي ،بذكر أوهامه وتارة للحرية من الحياة ،فهو لم يفارق الجماعة في نزعته تلك بل حمل الرسالة ، وتمنى أن يعيش الناس في نعيم الطبيعة :

صاح هات المصباح واطرق قلوب الناس -سلما - وقم نؤدي الرساله

وأتل أسطورة الهوى كل حين إن آياتها تزيل الضلاله

---

[1] عبد السلام الساسي، شعراء الحجاز ٣٤ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ليس هـذا الجمال إلا قوى تبعـث ... في النفس روعة وجلالـه
ليس هذا الجمال إلا قوام الـروح ... والنفس فاكسي سربالـه
ليس هـذا الجمـال إلا رواء ... للقلوب قد أظمأتها الجهالـه
ليس هذا الجمال إلاشفـاء ... لجروح فاضت دمـاء حيالـه
ليس هذا الجمـال إلا بهـاء ... وسنـاء ونضـرة وطلالـه[2]

والشاعر محمد عمر عرب ،يقف عند معالم الجمال للمرأة ، مستعينا بالطبيعة يتمنى على البلبل أن يعزف للمولع المدنف بوجده ،يساهر النجم ، كما كان العاشق البدوي في صحرائه يرقب النجم بل يركب الركب ، ويرتحل ، فهو قلب عاطفي وجداني ، يستمد من نسيم الطبيعة الرقة .

يا بلبـل الروضـة حـي الصبـاح
مقبلا عني ثغـور الأقـاح
واصدح فإني مولـه مولـع تيمه الحـب
واعزف فإني قد دهتني الشجـون
ومضني الوجد ولا من معيـن
فبت دامي القلب لا أهجع وعقني الصحب
أساهر النجم وأهمي الدمـوع
وأذكر الحب بقلـب هلـوع
وقد تناءى الحب والمربع وأقلع الركـب
فصرت من وجـد حليف الشجـن
وبت من شوق أليـف الحـزن
وشفني السقم ولا مطمع وهكذا الصب [1]

وللشاعر محمد عمر عرب إبداع رقيق الإحساس ،جالب الأنس ،ملتذع

---

[2] الساسي ، شعراء الحجاز ١٣٠ .

[1] المرجع السابق ١٣٤ .

بجمال الطبيعة فله شعر تكاد أن لا تلمح فيه معالم الرومانسية الحديثة التي تلمح إلى ما وراء نسيم الحب العاطفي بخلاف قصائده التي أشرت لها سابقا ، ونهج فيها منهج الرومانسية ، ففي قصيدته (ذكرى قديمة) يقف عند ذكريات الصبا، وأيام الأنس ، ومناجاته وحسب:

أما تذكرين زمان الصبا وعصر السرور و أوقاته
وأنسا تقضى بتلك الربى نعمنا مليا بلذاته
نناجي السكون ونهمي الشئون ونبني صروح الهوى والغرام

وهو بجميع جمال الطبيعة ، وجمال معشوقته ، فلم يستغن بأحدهما عن الآخر شأن أكثر الرومانسيين فجمال صفا الغدير ، وصدح البلابل مكتمل بمتعة المحبين بل تفوق تلك الطبيعة بكونها ملاك :

أما تذكرين صفاء الغدير وصدح البلابل وقت المسا
وأنت بقربي ملاك السرور يزيل من النفس وقع الأسى
نقضي الغداة بث الشجون ونظفي فيب الجوى والأوام

◆ ◆ ◆

أما تذكرين وقد جدت لي بقطف الورود ورشف اللمي
وقلت مكانك قف واجتل سناي فعندك بدر السما
فرعيا لعهد الولا و الحنين وسقيا لعصر الهنا والوئام[1]

وهذا الشعر استمرار للشعر الوجداني الحجازي ،عند عمر بن أبي ربيعة والعرجي ، وعبد الله بن قيس الرقيات . إذن فشعر الشاعر عرب متأثر بالشعر الوجداني الذاتي القديم ،ومستمد من الاتجاه الرومانسي المعاصر، بخلاف العواد ، الذي يلجأ إلى التأمل ، وينضب عنده الشعور حين يقول:-

يا ليل ، ما أنت وهذا الغموض ؟
يا ليل ، هل تعرف سر الفيوض ؟

---

[1] المرجع السابق ١٣٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يا ليل ، هل تدري حياة النهـــــوض ؟

يا ليل ، هل أنت بحب تهيـــــــم ؟ يا ليل ،لا أنت الأصم البهيم

فاصمت فإني في ظلام أسير

* * *

ثم هو يشتكي لليل من هذا الشقاء ، فإن علته تكمن في أمانيه التي يجهل مصيرها .

يا ليل ، لا رحمة عند التـــي

كانت شقائي فغدت علتـــي

أمنيتي ، ويلاه أمنيتـــــــي

أواه ؟ما تفعل هذي الكلـــوم دائمـــة ، نـــبأ لها إذ تـــدوم

إن ضحاياها كثير كثيـــر

ثم بعد هذه الأسئلة والتشكي يستنطق الليل فيجاوبه بروح رومانسية، فإن الليل المجيب مضني بأثقاله خائر الجسم مذبوح الحياة ، فالناس نيام والحياة هادئة.

يا شاعـرا مرقمـه روحـــــه !

الليل مضني الجسم مذبوحـــه !

هذا النجيع الجم مسفوحـــــة !

وذا ظلام حالك قاتـــــــم والكون في جملته نائـــم

فاغفر إذا كنت من الغافريـــــن

لاتستثر في الهوى والغـــرام

لا ترج مني بسطة في الكـــلام

لا تتطلب في شعوري الضـــرام

هل يعرف الوجد سوي واجديه أو يدرك القول سوي ناقديه

أو يضرم الحس سوى الشاعـــرين

* * *

حسبك مني أيها الشاعر
هذا الصدى المستوفز الحائر
والمركز المنخفض العالي
أني بهيم هل عرفت البهيم ؟ فاعذر وأني في عذاب أليم
لو لا الصدى أصبحت في الهالكين[1] .

لذلك لا أستطيع أن أضم العواد إلى موكب الرومانسية لأن مخاطبته للطبيعة ليس نابعا من شعور داخلي يفيض بتجربة الإحساس، وإنما هو نابع من عقل فلسفي ، ومن هنا فإنه يصف حالته وصفا :

إن لي قلب يراه الله كاليم يلبي وينادي
فيه للعاطفة الحمراء إيثار يغذيه ودادي

ويقول :

وفيه من فلسفة الشهوة والحب فتون مستمرة[2]

فهو إذا يصف حالته من الخارج ويزعم ذلك وليست نابعة من الوهج الشعوري الداخلي في حل شعره .

وينزح الفاسي إلى الرومانسية الكئيبة التي لا تهتدي إلى سبيل ، وتنتج الغربة فهو يستعين بالألفاظ الرومانسية عند المهجريين ، كالحيرة ، والبغض والكآبة ، والبعد عن السلوة فمتى غزت الحيرة فؤاده ، فإنه فارق لذيذ الحياة و الأنس بها- فهو في غربته الفكرية ،يناجي حمامة الوادي كما ناجاها الأسلاف والمعاصرون ، فلا سلوة له إلا بهديلها الشجي وألحان الطيور المغردة .

يا عين جودي بالدموع فقد مضى
عهد على صفو المودة والرضى
ناديت حين جفا ودادي مبغضا

---

[1] عبد السلام الساسي،شعراء الحجاز ٣٤، ٣٥

[2] المرجع السابق ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(أحمامة الوادي بشرقي الغضا إن كنت مسعفة الكئيب فرجعي)

هزي بألحان الغرام مشاعري

استأثري مني بقلب الشاعر

واستنزفي دمع الفؤاد الحائر

ياسلوة الصب الحزين الساهر غني فلحنك سلوة للمولع

وهو لا يلتمس حقيقة يصل إلى نهايتها ، فهو يلاحق الأفق ويسعد بالبروق اللامعة لكنه لا يبلغ سقوط أمطارها ولا هو بالراغب فيها، إنما هو رهن أوهامه ، وخياله ، ومثاليته :

صب أباح الحب قلبا خافقا

وغدا لما يقضي الغرام موافقا

أولم الوصل استطار معانقا رهن الهوى نهبا لكل ممنع

والشاعر تارة أخرى يهوي بنا إلى الواقعية ، فكأنه يرثي حالة حب عاطفية وتلك ظاهرة عند الرومانسيين حيث وظفوا المرأة وهجرانها وحبها كي ترمز عن معاناتهم لغاياتهم :

كم راعني هجر الحبيب وبعده

وجفوت نومي مذ توالى صده

وبكيت من ألم تفاقم وقده

أين الحبيب وأين مني عهده ياعين رفقا بالفؤاد الموجع

فالرومانسي لا الوجداني لا يستقر له قرار ، ولا ينطفيء الوهج عنده ، فهو يموج مع أمواج المشاعر التي تثور كالبركان ، تضطرب كالزلزال :

قد بت والشكوى أنين دائم

ومرارة الهجر الشياع عارم

أشكو وليل الحب ليل قاتم

والفكر من فرط الصبابة ساهم وهيب حرماني يؤجج أضلعي

ومن يقتدي بالانفعال ، ويسلك سبيل الهوى ، فإنه لا يهتدي ، فهو في غير رشاد وتلعب به الهواجس المتلاحقة .

قد ضل مسراه فؤادي في الهـــوى
ومضي إلى غير الرشاد وما أرعوى
وهواجس الأوهام زادتـه جـــوى
ورمته عادية – الغواية – بالنـــوى حتى غدا مثلا لكل مولع

* * *

أودت بقلبي في الهوى آلامـــــه
ورمت به في لجهـا أوهامـــــه
وطغي عليه – في الحياة – غرامه
فرئى له من بؤسه لوامـــــه ومناه لم يرحم ولم يتورع

* * *

ما كنت أعلم والهوى فضـــاح
أن التنكر في الغرام مبـــاح
حتى أتي ما ليس منه يتـــاح
فعرفت أن الغدر فيه ســـلاح ووفاء من تهوى فنون تصنع[1]

و الواقع أن الفاسي يلج في رومانسية لا تصل إلى التمرد الأوربي، وإنما يقترب من رومانسية المهجريين الذين التاعوا بالغربة ،واستشرفوا مفاهيم الرومانسية الغربية ، فتأثروا بها .

. العواد شاعر من أوائل الشعراء ، الذين صحبوا بداية التشكيل الاجتماعي الجمعي في بلادنا ،وهو من أوائل الشعراء ، المثقفين الذين لهم قدرة على استيعاب الفكر الوافد ، والاقتباس منه ، وهو متأثر بالروح الوطنية العربية فالرجل مجمع لثقافات متعددة ، مع قدرة فكرية، وموهبة إبداعية ،فهو متدفق العطاء فكرا ،

---

[1] المرجع السابق ٢٦٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ونقدا و إبداعا ، وكأنه يهتز لكل فكرة تموج عليه فيصبها في قوالبه الفكرية والإبداعية ، وينفث بها ، ومن هنا فإن شعره متأثر بتيارات متعددة فمنها ، المنبت الديني ، والفكر الوطني ، والنبع الفكري الحضاري وكلها تدفع به إلى العقل ، والتشكيل الفني يدفع إلى الرومانسية .

ومن هنا فإنه صهر الفكر الرومانسي ، في إطار الفكر الحضاري الذي آمن به وجعل العقل موجها له بل هو وسيلة البناء الحضاري المرتقب للوطن والأمة العربية في تحديد مدرسته الفنية .

واتفق النقاد على أنه مجدد وتوقفوا عند إبداعه فرأوا فيه معالم متعددة ، منها ما ينتمي إلى العقل ، بله هو دعوته الصريحة في قصيدته « الشعر " عقل لا لحن » .

واسمعي العقل شاعر واتركي القلب ... إذا ما حباك شعر الجنون

وانبذي الزاعمين أن مجال الشعر ... في مرائع الهوى والفنون

زاعمي الشعر معزفا عاطفيا ... يتنزى بمغريات الشجون

وهو لا يفصله عن النبع الوجداني بل يريد من الفكرة أن تصقل في العقل وتثير الوجدان ، فيتفاعل معها ثم يخرج الإبداع متلبسا بالأسس الثلاثة الرئيسية وهي المضمون الشريف ، والشكل الجميل ،و التدفق الشعوري.

فالشعر إن لم يكن إزجاء عاطفة ... لها الحماسة لحم والهياج دم

في موقف وطني يجد صادقة ... فيها اللواحظ والأرواح والكلم

فلا غناء لما يحوي ، ولائقة ... فيما يقرر أو مامج منه دم

ويقول :

من القوة العليا من النفس من لدن ... خصائصها من سرها فهو عامر[1]

فالحامد يراه يلتقي مع مدرسة أبولو تارة ، وتارة ينتمي إلى الشعر العقلي

---

[1] خفاجي ، وشرف ، الرؤيا الإبداعية في شعر العواد ١٦٥ .

الذي يميل إليه العقاد « وهو في الإشادة بالشعر الوجداني النابع من الإحساس المحترق يلتقي مع مدرسة أبولو لكنه في دعوته إلى الشعر العقلي ، الذي يعبر عن عمق الفكر ، أكثر مما يعبر عن حرقة الألم ، وفوران العاطفة ينحاز إلى مذهب العقاد الذي يرى - كما في الديوان - أن أروع الشعر ما احتفظ بتيمته حين يترجم إلى لغة أخرى »[1] .

ويقول المؤلفان حفاجي وشرف أن« شعره ذو ألوان ، ولكن معظمه رومانتيكي ، وأنه مجيد في كل ما عالجه »[2] .

. و الواقع أن العواد يتأتى إلى الشعر الوجداني من بعض الجوانب .

١- دعوته للتجديد فكل جديد مخالف للمذهب التقليدي (الكلاسيكي) في نظر المنظرين يعد رومانسياً . فلاشك في أن انطلاقة العواد الشعرية أعرضت عن منهج الشعر القديم من ناحية الاسترسال الذي لم يتصنع البلاغة ومظاهرها ، والبحث عن موضوعات جديدة ، واستدعاء الأساطير الإغريقية ، وبناء القصة الشعرية ، لكن هذا الجديد سرعان ما يكون قديماً ويفقد ظاهرة الجدة كما النظرة لكثير من شعر العواد . فقد تشكلت مظاهر تجديد أخرى بعده.

٢- دعوته إلى توظيف القوة النفسية العليا التي تصبغ الشعر باللون الوجداني

٣- تأمله في مظاهر الطبيعية .

ومع كل ذلك فإن القارئ وسائر المتلقين لشعر العواد لا ينسبونه إلى الوهج الوجداني ، الذي يقوم على الانفعال ،ويوظف الخيال ، ويتفاعل مع الطبيعة ، ويحلق في الأوهام كل هذه ينأى عنها العواد ، ومن هنا فإني أري أن في شعره معالم وجدانية لكنها لا ترجح بشعره إلى الشعر الوجداني ،لذلك لا أرى أنه من الشعراء الوجدانيين ،بل من شعراء الفكر الذين كتبت عنهم بحثا آخر . لكن لا

---

[1] في الشعر المعاصر ، في المملكة العربية السعودية ٨٧ .

[2] حفاجي ، وشرف، لرؤيا الإبداعية في شعر العواد ١٦٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يمنع ذلك من اقتباس شواهد لبعض مظاهر الوجدان لأنه كان من أوائل الشعراء ولوحا إليها .

ينهج العواد سبل الرومانسية في الوقوف عند الطبيعة كثيرا لكن من منطلق ديني وعقلي ، فهو يناجي القمر ، بأنه مصدر الضياء لهذا الكون ، والملهم لخطابه القولي ، بجماله ، ثم يسأله عن معالم الكون ،وكأن الشاعر يحل مكان القمر أو يمنح القمر عقلاكي يجيب على استفسارات عقل الشاعر فهم يجردون القمر من صمته وكونه جامدا لايحس بل يمنحوه العقل،والأحساس ،والتأثير والتأثر . فهو يحب ، ومحبوب فهو قلب خفاق ،يذوب وجدا :

أنت أنت المجلل الكون بالنور ... وأنت الموحي إلى خطابه

إن وحيا اشعرتنيه ، لوحي ... طرق القلب فاتحا أبوابه

أنت أنت الجمال يسري إلى النفس فيوحي عذب الغرام وصابه

أنت أنت الذي يبدد بالحسن غيوما خداعة كذابه

أنت يا بدر في الوجود حياة ثرة بالسعادة الوثابه

فلا تبتئس في خلال الغيوم

إذا جللتك فان النجوم

حواليك فاتقة المنظر

تزيد بهاك على الأعصر

وحسنك فينا مقيم ، مقيم

أيها البدر هل عرفت تصاريـ ـف الهوى وانتصاره وغلابه؟

هل ترانا وأنت كالملك السا بح يرعى جنوده وصحابه ؟

هل تحست أن في الأرض قلباً قد دعاه لك الهوى ، فأجابه ؟

وتولاك بالرعاية والإعجاب والعطف ، وملأت إهابه ؟

هو قلب يظل يخفق للحسن ملكت اكتماله وارتقابه

لك منه الوفاء والحب يابد رغراما ليست به من غرابة

وإذا الغيمـــة انمحـــت عنك يـــابد ر سيبقـــي لا ينمحـــي مـــا أصابـــه

فكـــن هـــانئـــــا بالهـــوى المستديـــم

وقلب بهـــــذا الجمال يهيـــــــم

ويرعـــاه طـــول مـــدى الأدهـــــر

عميقـــا قويـــــا أنت الحـــــــرى

بأن تتلقـــــــى غـــرام العظيـــــم[1]

فهو لجأ إلى القمر خوفا من زيـف الإنسـان الـذي لا يفضـي بهـا في صـراح وبوح، وإنما يخضع لأهوائه وغفلته بينما هو يريدها على فطرتها ، أو تكون صدي لرغبات الشاعر التي يعتقد مصداقيتها .

وينظر الشعراء إلى الطبيعـة في بلادنـا ، بمكونـاتهم العقائديـة الـتي تدعـو إلى التدبر والتأمل، وأن الكون كل يسبح لله سبحانه وتعالي، وأن هذه الكـــون فيـه عبرة وعظة ، فجاء إبداعهم الشعري خاضعا للتوجيـه الربـاني ، والـذي يوظـف العقل للتأمل والاتعاظ ،فهم خاضعون لتدبير الله لكونه يقول العواد :

كلهـا كلهـا ، الأنـــاس والأنـــــام والطـــير ، والـــرؤى والطيـــــــوف

والجمادات ، والبهائم ، والأمـــــلاك والجـــن والصـــدى، والخفيـــــف

والأمـــــاثيل ، والعناصروالأزمـــــان والقفـــــــــر ، والمكـــان الأليـــف

والســنا، والظـلال والصـوت والفكـرة والحســـن ، والهـــوى الملفـــــوف

كلها تضمـر الصـلاة وتبديهـــــــا صـنوفـا تمتـاز عنهـا صنـــــــوف

قومـا بالخشـوع للواحـد القـــــــر د الوفـا تـيزهن ألـــــــــوف

فمجموع منها توائـــب ســـــــرا وجمـوع على الحيـــاة تطـــوف[2]

فهم لم يعرضوا عن الحياة الإنسانية ، ويلجأوا إلى الطبيعة كمـا حـاول أبـو شادي ، فأعرض عن دنيا الإنسان وحياته ومال إلى محـراب الطبيعـة وارتمـى فيهـا

---

(1) حفاجي ، وشرف ، الرؤيا الإبداعية في شعر العواد ٢٣٠ .

(2) المرجع السابق ٢٢١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بلسان شعره لا بعمله فإن أبا شادي لم يكن من المنعزلين :

ورجعت للماء المعربد مستزيدا ما حكـــاه

ورجعت للزهر المبادل من يضاحكه أســاه

وتركت كون الناس في يأس إلى كون سواه .

. وعبد الوهاب آشي من المثقفين الذين اطلعوا على الاتجاهات الأدبية المعاصرة، ومن الذين تابعوا حركة الشعر العربي الرومانسي في المهجر وفي مصر وفي العراق ،واطلع على توظيف الطبيعة ، وهو هنا يعجب بالطبيعة ، وهو يريدها الحجاز معشوقته المفضلة :

ظبيـة في الحـي أصلـت مهجتـي ... نـار وجـد واشـتياق وحنيـن

أطمعتـني بـالمنى في حبهـا ... وأرتـني رقـة تغـري وليـن

يالها معشـوقة القـد رمـت ... ليـث غـاب بسـهام من عيـون

فتصـابى وهـو في صولتـه ... وعنـى للحـب في ذل وهـون

ودنـا يرجـو وصـالا ولقـا ... وضـي مـن بعـد ميثـاق متيـن

وارتمـى مستعطفـا تلقاءهـا ... فاجتوتـه . يـا لهـا خـب ظنـين

صرمـت حبـل وداد طالمـا ... كـان يرعـاه علـى مـر السنيـن

وأرتـه في هواهـا كلمـا ... يمنـع النـوم ويحتـز الوتيـن

صـاح لمـا أن كسـواه حبهـا ... وأضـاع الرشـد فيهـا والخدين

يـا رعـاة الحسـن هـل لـي منقـذ ... منكمـو ينشـل قلـبي أو معـين

فأجـاب الكـل مهـلا أننـا ... مـا سمعنـا قـط شـكوى العاشقيـن

مـا جحيـم الحـب للعشـاق إلا ... نـار إبراهيـم بـرد اللأجنيـن

كتـب الحسـن علـى أبوابهـا ... أدخلوهـا بسـلام آمنيـن

فتولـى قـائلا في دهشـة ... رب صـب يتلظـى مستكيـن

يا لها مـن خدعـة رمتـم بهـا ... أن تضلـوا الضعفـاء البائسـين[1]

---

[1] الساسي الموسوعة ١٨٢ .

فهو نظر من خلالها ، مثلا لجمال الوطن ، فهو يبث الطبيعة ذاتـه ويسـقطها على ما يفتعل في وجدانه .

والشاعر محمد حسن فقي باشر مخاطبة الطبيعة ، واستعار ذلك الطائر المغرد لكنه لم يستنطقه غير أنه كساه بحلل الإحساس ،من الطرب والحرمان ، ثم البكـاء مما أثر في الشاعر وظهر صداه ، فأخذ يبكية ويثير الشجن ،بل يواسي الطائر :

يأيهـــا الغريـــد في روضـــــه
وأيها المحـــروم من غمضـــــه
نبشت في قلبـــي الشقاء الدفيـــن
فحسبك الآنـــا
يكفيك يا طائـــر هذا النحيـــب
لا تبك إلفـــــا قاسيـــا لا يجيب
وخل ذا النـــوح وهـــذا الأنيـــن
فالفجر قد حانـــا

والشاعر لا يندفع وراء أوهامه، وتدفعه إلى الانطواء ،ويظل سـادرا في نحيبه شأن الرومانسيين الغربيين ، وإنما يدعو الطائر إلى الكف عـن النحيـب ، وممارسـة الحيـاة ، والإعـراض عـن الحالـة المأسـوية إلى حالـة السـعادة بالانطلاقـة إلى المتعـة بالروض وجماله ،وفطرة الطبيعة ،فالشاعر يعاني معاناة الطائر الحزين لكنه لا يجزع ،فيكتم الداء .

حتام تبكيـــــه وتذري الدموع
وأنت لا تأمـــل منه الرجـــوع
فكفكف الدمـــع الذي قد أهيـــن
في أثر من خانـــا
وقم معي نقـــــرا سـر الوجـــود
في الروضـــــة بين الـــــورود

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وصغ على الجدول هذا الحنين
بالشجر الحانا
وبح بما تحمله من غرام
وما تقاسي في الهوى من سقام
فإنني مثلك صب رهين
قد ذبت أشجانا
لكنني ياطير يا طير لا أجزع
لحادث الدهر ولا أضرع
وأكتم الداء العياء الكمين
ماذل من صانا
فشق في القلب ضريح الشقاء
وأدفن مآبك به والبلاء
واصبر على الكرب فنعم المعين
أو فابق حيرانا[1]

والواقع أن الشاعر وظف القصيدة توظيفا رمزيا فما طائرة إلا أحد أصدقائه، من أولئك المغتربين عن أوطانهم ، اغترابا فعليا لمعاناة ألمت به أو مغترب اغترابا فكريا وجدانيا .

والقصيدة من أوائل شعر محمد حسن فقي ، فهي بمثابة أوليات الاندفاع لمحاكاة الطبيعة .

ويبدو أن الاستغراق في المعاناة ، ينشدها القراء كيما يولد الإبداع، وليس ذلك بمستغرب ،فإن موارد الهموم كثيرة ، ووقوف الشاعر عندها ، والتأمل في أسبابها ،وعلاجها ، وما يعانيه وما تعانيه الأمة العربية من القهر ،وما يقرأه من إبداع ينضح بهذا كفيل بإشعال جذوة الحرمان ،فينبعث من صدر

(1) مقصود ، وبلخير ، وطي الصحراء ٤٢٠ .

حزين يقول طاهر زمخشري : -

هل تذوقت لـذة الحرمـــان وتعطشت بعدها للأمانـــــي
ورأيت الشجون تذكـي لهيبا في حنايا ندية بالحنـــــان
وسمعت الأنين من قبل حـــرة أولقته الصروف بالأحـــزان
وإذا لم فإن ذوب فـــؤادي في لحوني أصداء تلك المعانـي[1]

ويبدأن الصراع النفسي تبلور عند الشعراء في بلادنا ، فان الشاعر طاهر زمخشري استثارته قصيدة (التائة فهد[2])تحت عنوان (سأنتحر)، وتلك غربة موغلة في الهروب الرومانسي بل سمة المرض والخنوع ، لكن هذه الظاهرة ،تجلت في شعر شعراء مرضى بالانفصام في أوربا، واقتفى أثرهم في إبداعهم ،من إغرام بالفكرة وجرى خلفها ، لكنه صحيح معافى يخوض غمار الحياة ، وقد أفصح زمخشري عن واقع معاناة الشعراء في بلادنا ، وأبان عن منهجهم الذي يقدم إلى خوض معترك الحياة ، محتفظا بالمثل والمبادىء ،مجتنبا الذل والرذائل :

" سأعيش رغم الداء والأعـداء " وأصـول في الدنيـا بعـزم إبـائي
سأعيش لا أرضـى المذلة هازمـا عنـت الخطـوب بهمسة قعســاء
سأعيش كالأسـد المزمجـر كاشـرا عـن نـاب مفـترس لكـل شقـــاء
ساعيش أدعـو للمحـامد تاركـــا في كـل معـترك صـدى أبنائـــي
سـاعيش كـاللحن الطـروب مغـردا ولـو أن الحـاني تثـأر دمائـــي
وأظـل أطـوي العمـر سباق الخطـى حتـى أحقـق في الحيـاة رجـائي
وأبيـت أدفـع للخضـم سفينتـــي صـبري شـراعي والثبـات حدائـي
وأضـم في طـي الجوانـح خفقـة جذابـة الترنيـم والأصـــداء

◆ ◆ ◆

سـاعيش لا تثـني الخطـوب عزيمـتي عمـا أروم لوالـه بمضائـــي
وتـدوس أشـلاء الطعـام أنـاملي إن حـاولوا صـدى عـن الجـوزاء

---

(1) مجموعة النيل ٣٦٧ .

(2) مجموعة النيل ٢١٦ .، والمقصود (بالتائه فهد) هو الشاعر محمد فهد العيسى .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأعيش موفـــور الكرامـــة واضعـــا نفسي الأبية في الـــــذرى الشمـــاء[1]

الفكر عند شعراء الوجدان :

الشعر الرومانسي في أصله قام على عدد من الفلسـفات الفكريـة،استلهمها وروضها ، وكان عباقرة الشعراء في أوربا لهـم فكرهـم الـذي أبدعـوا في إطـاره ، كذلـك شـعراء الرومانسـية والوجـدان العربـي المعـاصرون ،لهـم فكرهـم، وهـم يتفاوتون ، ويختلفون لكـن الشـعراء عامـة روضـوا الفكـر الفلسـفي إلى مضـامين داخلت الإبداع .

وشـعر شـعراء الوجـدان في بلادنـا صـدى لانعكـاس الواقـع مـن حولهـم، والوجود بأكمله على ذواتهم ومنها، فإن معرفتهم وآراءهم الـتي يحويهـا إبداعهـم إنما تجمع إشراقا ت العقل والإدراك الحسي، واستلهام المستقبل من خلال رؤيتهم.

وشعراء الوجدان أكثر شفافية لاسـتقبال الفكـر المعـاصر، واسـتجابة لجـل فكره النير . وهم أيضـا أكـثر اندفاعـا ومثاليـة ،وهـؤلاء لهـم تواصـل مـع الثقافـة الكونية ورؤاها المعاصرة ، فقد انغرست في نفوسهم ، فكان من مـيزات إبداعهـم الدعوة إلى المعاصرة، وفكر هؤلاء يتدفـق بالعطـاء نتيجـة لاسـتجابتهم للمؤثـرات الفكرية والثقافيـة الـتي تمـوج تياراتهـا في مسـارب الحيـاة البشـرية ، وهـؤلاء لهـم آراؤهم الفكرية ومشاركاتهم الإدارية ،وهم وان قدح إبداعهـم بـالحب العـاطفي إلا أن عاطفتهم أخذت تنداح مع هيمنة الفكرلكل منهم، فهم ينادون بحرية العالم الإسلامي والعربي في فكر واضح ، وهـم يلامسـون القضـايا الاجتماعيـة ، وهـم يشدون بالمناسبات الوطنية ، لكن كل ذلك في انصهار تام في الشعور الذاتي لكل منهم.

---

[1] مجموعة النيل ٢١٦ .

وشعراء بلادنا حملوا راية الفكر في المملكة العربية السعودية، وهم قد سخروا إبداعهم للفكر الحضاري، ومن هؤلاء الذين عندهم معالم رومانسية و لم تهيمن عليهم ، ومنهم الوجدانيون الذين أخلصوا لمشاعرهم ومن الصنف الأول محمد سرور الصبان ، ومحمد حسن عواد، وعبد الوهاب أشي ،فهؤلاء لهم آراؤهم الفكرية بل نهجوا نهج المفكرين العرب والأدباء المعاصرين لهم فكل منهم يدعو للتجديد في الفكروالأدب والمجتمع ، وأما الصنف الثاني وهم الوجدانيون ، فإنهم بذلوا مشاعرهم عند أكثرهم إلى أحب السامي الذي يشمل الغاية الجمعية للمجتمع والشاعر محمد عمر عرب المولود عام ١٣١٨هـ من أقدم الشعراء الذي يجلو عن ماهية الفكر الوجداني فهو يري أن عليه أن يحمل رسالة الخير، فغايته وهواه وما يحبه إنما هو إزالة الضلال ، وإن الجمال من مخلوقات الله ، وهو قوة للنفس البشرية ينزع بها إلى الحق والخير.

صاح هات المصباح واطرق قلوب م الناس سلما وقم نؤدي الرساله
واتل أسطورة الهوى كل حين إن آياتها تزيل الضلاله
ليس هذا الجمال إلا يد الله م ترينا آياته وفعاله
ليس هذا الجمال إلا قوي تبعث م في النفس روعة وجلاله
ليس هذا الجمال إلا رواء لقلوب قد أظمأتها الجهاله
ليس هذا الجمال إلا شفاء لجروح فاضت دماء حياله
ليس هذا الجمال إلا بهاء وسناء ونضرة وظلاله[1]

إذن فنحن أمام شعراء يحملون فكرا مستنيرا، يحملون الأمانة الدينية والاجتماعية ولا شك أن إشباع النفس بالتوجيه الديني بالدعوة السلفية التي حملت رايتها الدولة السعودية والعلماء كان لها أثرها في نفوس الشعراء ، وفي توجيه الفكر وقد اندفع الشعراء الوجدانيون إلى الإبداع الفني ،ومنهم من حمل

---

[1] السامي ، شعراء الحجاز ١٣١

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مهمة الفكر من بداية تكوينه ، وآخرون غاصوا في التجربة الذاتية لكنهم لم يلبثوا أن يشاركوا الأدباء في الفكر الحماسي لبناء المجتمع وتقدمه ونحن نجد أن الأمير عبد الله الفيصل يلح على عاطفة الحب ، لكنه عندما انتقل إلى العمل الوزاري ألحت عاطفته على أماني المجتمع أو لنقل الوطن[1] والشاعر عبد الرحمن رفة ينسرب في حياة المدينة التي انزرعت في نفسه وبحياة الوطن ، فتظهر وجدانياته في حبه الوطني وحبه للمجتمع وللمدينة المنورة[2]

والشاعر طاهر زمخشري الذي ملئ بالحب ، فهو وجداني في معالجته الشاعرية ، وهو من الذين حصدوا الثقافة المعاصرة ،وزاده مشاركته الفاعلة في الحياة الثقافية الإعلامية وغيرها ، ومجالسه الأدبية ، والمنتديات التي يخوض حوارها، ومن هنا نجد أن فكره يتلبس بعاطفته، فتخرج الفكرة واضحة الذاتية حتى في مدائحه ومراثيه، وقد تعددت موضوعات شعره من غزلي ذاتي ، وحب للخير في مناحيه الاجتماعية والسلوكية ، حتى البلدان التي زارها فاض بحبه لها وسمى مجموعاته بالمجموعة الخضراء ، ومجموعة النيل، وفاء لتونس ومصر.

وهو يشارك في الوطنيات والإسلاميات ، وهو في آخر حياته عاد إلى الوجدان الذاتي الحزين، الذي ينبع من مشاعر غارقة في الألم ، فكأنه يرثي ذاته ويتمنى قرب أجله[3].

وتظهر الثقافة والمعطيات الفكرية المعاصرة عند حسن قرشي حيث المعاصرة الفكرية والثقافية ، نتيجة المعرفة أو الوعي بالأسفار ، وبأراجيف الحياة، فهو أخلص شعره لفلسطين، وللأمة العربية .

ومنهم إبراهيم العواجي أيضا له وجدانياته ، ومناجاته للطبيعة ثم غلبت

---

(1) انظر كتاب الشعر ، إصدار النادي الأدبي.

(2) انظر ، ديوانه ، جداول وينابيع ٢٠٦ .

(3) انظر ، مجموعة الخضراء، الديوان الأخير.

عليه الوطنية في مسارب حياتها، والقصيبي الذي تبارى في موكب إبداعه الحب العاطفي ، وحيشان الوطنية، ثم اتخذ شعره مسارب فكرية غير أنه اتخذ من المرأة حللا لإبداعه الفني ، لكنك ترى معالم الفكر المعاصر وطرح الحلول الوطنية ، وقدرة التعامل مع الأحداث العربية.

إذن فإن شعراء الوجدان في بلادنا لم ينحبسوا داخل الذات وإنما انصهر الفكر، وانصهرت الحياة داخل ذواتهم ، ومن هنا فإن شعرهم يمثل موج الحياة المتتابع في الداخل والخارج ،وظهرت عندهم التباريح الإيمانية، من ابتهال ودعاء ثم تأمل في الكون، حتى شمل ديوانا كاملا عند الجوهرجي سماه (اليقين) .

والشاعر زمخشري يتمرد على وحدانيته ورقته ويندفع بانفعال ضد الواقع العربي المؤلم و لم يعد يثق بالعهود والمواثيق والبيانات الصادرة، وقد صدق حدسه بعد حين ،حيث تفرق شمل الأمة العربية بحدث الصلح مع إسرائيل والحرب الخليجية.

النصر أقسم لا يأتي به العرب ... إن الخصام لهم إن فاخروا نسب
إن أجمعوا أمرهم صبحا فإن لهم ... عند العشية خلفا أمره عجب
فبعض أيمانهم ضاع الوفاء بها ... فالغدر فيهم ويدري طبعه الدرب
تنافروا شيعا ما لم سعثهم ... إلا النفار له في الملتقى القلب
تنكروا لأصول في عروقهم ... وفي جوانحهم تيارها لهب
قد لوثوه بما تخفي سرائرهم ... من الشرور بها الأحقاد تصطخب

وهو يشير إلى الجامعة العربية ، والعهود والمواثيق العربية التي لم تثمر و لم يلتزموا بها فتتالت الهزائم وكثر الخلاف وأصبح الناس لا يثقون بالخطب المنبرية المروعة ، ولا بصخب العامة الذين يصفقون لهم ، ولا بالصحف التي تشدوا بأعمالهم .

ميثاق عروتهم حبر على ورق ... تمحو النقائض فيه كل ما كتبوا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والخبر من أعين تجري الدماء بها ... من الحنايا التي تبكي وتنتحب
دمع الهزائم إن جفت منابعه ... إن العيون التي اعتادته ترتقب
فلا انتصار لناس لا خلاق لهم ... من الوفاق التي دوت به الخطب
على المنابر من غوغائهم هرج ... وفي المحافل من تهريجهم صخب
الحق جاش به والبغض أرسله ... قذائف نفثها التدجيل و الريب
إذا دعتهم إلى الجلي ضمائرهم ... فليس إلا هراء نسجه كذب
وكل قلب له من وقعه كلم ... وكل سمع له من رجعه نشب
فقد هدمنا صروحا كان شامخها ... يزهو بمن شادها والشاهد الحقب
وما جزعنا ولا سالت مدامعنا ... إن العروبة في الأعراق تنتحب
فقد ورثنا من الآباء عزتهم ... فضيع الإرث ضغن ما له سبب
فالخزي ألبسنا ذلا نهيم به ... ومن أساه عن الأنظار نحتجب

والمؤتمرات التي تعقد لرؤساء الدول العربية ، ويصحبها الوهج الإعلامي ، وتصدر عنها القرارات حتى تجمع الأمة وتوحد صفوفهم كلها لامرة منها في نظر الشاعر ، فهي لم تمنع العدو ، و لم تنتشل الأمة من التخلف ،بل إن كثرة الأمة العربية لم تجعل لها أهمية تماثل أهمية الأقلية اليهودية ، والشاعر يستدل بواقع فلسطين وتوالي الهزائم عليها .

في كل مؤتمر تجتاح زوبعة ... كل الذي يرتجي من عقده العرب
فما الوفاق سوي أصداء شنشنة ... كأنها الوقر في الأسماع ينسكب
ولا اللقاء الذي نشدو بفرحته ... إلا رجاء لنامن بعده الوصب
ولا الجموع التي نزهو بكثرتها ... إلا غثاء وكالأمواج تضطرب
فكم تنافرت الآراء واختلفت ... و دونت عن حديث الفرقة الكتب
لا تستجيب لمن يدعو لوحدتها ... فالسد دون قيام الوحدة الشغب
إن استغاث بها أبناء ملتها ... فإن أحلى غياث بره النوب
تصيبهم بالذي يدمي جوانحهم ... ويستبيح دماءهم أينما ذهبوا

فسل فلسطين هل عادت لساكنها ... أم أنها في يمين المعتدي سلب
فكم سفكنا دماء في جوانبها ... ولم نعدها ولم يضرب بها طنب
وكم ذرفنا دموعا ليت لو جمعت ... لأغرقت بالندي أوطان من نكبوا
فلا تزال بأيدي من أباح بها ... مقدسات إلى الإسلام تنتسب
و(فتح) تزحف بالأعباء لاهثة ... وخطوها بين أحواض الردى خبب
والعازفون لحون النصر صوتهم ... على الأثير وتسري بالصدى السحب
وإننا وضباب الوهم يخدعنا ... نظن أن نوح النكبة الطرب
آمالنا انتحرت أحلامنا ذبلت ... وذوب العزم في أوصالنا النصب[1]

فهم شاركوا بالفكر في أحداث العالم العربي وكان لهم حضورهم في كل قضية من القضايا ،ومن أهمها محاربة الاستعمار كما في الثورة الجزائرية التي حفل الشعر السعودي بها، وقضايا الحروب الأخرى على العالم الإسلامي ،وقضايا التخلف ، والغزو الفكري .

والشاعر القرشي يستمطر الخير من الوحدات العربية التي طرأت كوحدة الدول الخليجية ،ووحدة المغرب العربي ، ويتألم لأحداث العالم ، ويرثي لبنان الذي فتكت به الحرب الأهلية :

وحد(المغرب الكبير) سراه ... وبه جدد الإخاء خلوده
قبل أحيا (الخليج) وحدة شعب ... ثم أدنى مسارها و حدوده
وبدت (مصر) في شمائلها الغر ... بجمع القلوب جد سعيده
هي بيت القصيد في أمة العرب ... ومنها الزمان أهدى نشيده
حملت راية الكفاح ومازالت ... تباري أيامه المشهوده
فاحمد الصبر كم أنار سبيلا ... كم به حقق الزمان وعوده
لا أرى الأفق غائما مثلما كان ... ولكن أحس رغما رعوده
فائتلاف النفوس يرجو مزيدا ... من صفاء العروبة الممدوه

[1] مجموعة الخضراء ٩٠٢ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ورفاق الكفاح مازال فيهم عاتب ،غاضب ، و روايا عنيدة

* * * *

ويقول عن حرب لبنان التي طال أمدها تلك الحرب،الأهلية في البلد قليل المساحة :

لا تسلني عن أرز (لبنان) غاب (الأرز) واستهدف الجوى غريدة
ويح (لبنان) قد عراها ذبول وأسى أرث الصراع وقوده
غاله آله ، ورب سلام ضاع في محنة الأماني البليدة
لحن في موسم الربيع ، فلم لا نتغيأ ظلاله المنشودة[1]

والشاعر الوحداني عثمان بن سيار المحارب يثور على تلك الحدود والقيود بين البلدان العربية ، وأيضا لا يعترف بمصطلح المشرق العربي والمغرب ، إنما يريد أن تضمها الوحدة العربية وحسب :

هم صوروك مغربا نائيا وصوروني المشرق المكتئب
حبيبتي يا درة المغرب لا تسألي عن نسبي وأقربي
كيما أنا جيلك ،وأشكو الجوى لقلبك المبتسم الطيب
مزقنا البين ، وأودت بنا أضحوكة المشرق والمغرب
شقها مستعمر ظالم أرادنا ألعوبة الأجنبي
باعد ما بين الحبيبين فالتاث م علينا النسب اليعربي
يشدني لحوك يا فتتي إخاؤنا ، وديننا والنبي
والحب أغلى ما هتفنا به رباط قلبينا بلا مآرب[2]

وهم يصورون الكوارث فيشاركون أبناء المجتمع ويلاتهم ،ويئنون مع أنينهم، فهذا الجوهرجي يشارك مصر في أحزانهم جراء الزلزال عام ١٤١٣هـ :

جل المصاب وحشرجت زفراتي من روعة الزلزال في الساحات

---

(١) أطياف من رماد ٥٨- ٥٩

(٢) انه الحب ٢٢ .

فكأنني أحسست أني غـــارق ... في بحر إغماء مـن الظلمـــات
فوجئت بالحدث العظيم فلم أنـم ... ولواعج الأحـزان في خلجاتـــي
لتسير في كوامنـــا محمومـــة ... في الخافقيـن بنـازف العبـــرات
أنحى القضـاء علـى مرابـع مصرنـا ... يرمي بقوس نـافذ الطعنـــات
مـا بالهـا أرض الكنانـة صوحـــت ... فنن الريـاض وزهـرة الواحـــات ؟
هـل غالها جور الزمان فلم تعـــد ... تقوى علـى صد لـدى الأزمـــات!
أم أنها تشكو لهيا طافحـــا ... في نبضهـا المشحـون بالآهـــات؟
فمضت تُصدِّع كل بيت سـاكـن ... غضبى تحيـل رسومـــه ... ذارت
الأهـل والأحباب لاقـوا حتفهـم ... والطفلة الثكلى بغيـر أنـــاة؟
يا مصر.. يـا بلـدا تنعم أهلـــه ... بـالخصب بالإغـاء بالخيـــرات
العين تدمع والفؤاد ممـــزق ... يذكي لهب الحـزن والحســـرات
(ا لله) يكلأكـم بوافـر عطفـــه ... ويزيح عنكم لجـة الأزمـــات
من يعتصـم با لله حاشـى يبتلـى ... في خفاقيـه بروعـة وشتـات[1]

وهم يقفوا عند الفكر العام بل تناولوا الفكر الأدبي والنقدي ، يقول ت – س – أليوت ، إنه « لاشكسبير ولادانتي قاما بأي تفكير حقيقي .. ويقال : « إن معظم الشعر الغنائي يقع في العادة تحت مبالغة مفرطة » « ولو حللنا عددا من أشهر القصائد الحائزة على الإعجاب بسبب فلسفتها لاكتشفنا على الأغلب مجرد لغو يتعلق بفناء الإنسان أو قلق مصيره »[2] لكن شعراء الوجدان استوعب مجالات الفكر قاطبة[3] .

وقد عبر عن الأفكار النقدية نقادنا وشعراؤنا الأوائل ، فاستبان لهم

---

(1) اليقين ١٢٣ .

(2) وفي مثل هذا الإبداع عالجوا القضايا الاجتماعية التي نطرأ في مجتمعنا ، بفكر ثاقب ، ووجدان يغمره الحب،وهم يستلهمون التوجيه الرباني .

(3) نظرية الأدب ٤٢١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التكرار، والتناص في الشعر ، وربما وسموه بالسرقة والانتحال، ومع كل ذلك فان الجمال الفني وقوة تأثيره تظل هي الملتقى الأول مع النص ، ومن هنا فان كثيرا من الشعر لا يهدف لمخاطبة العقلانية وإيراد البراهين والمنطقية ولا العمق الفكري ، إنما الشعر رسالة ، جمالية بحد ذاتها تنقل ما هو معروض في مساحة الإنسان المبدع وربما تنثال الأفكار على الشاعر عن طريق الإحساس .

وشعر يحيى توفيق من الشعر الغنائي ، الذي يأخذ بالألباب وليس من الشعر العقلي الذي تقف أمامه العقول كيما تتأمل أثر العقلانية في تراكيبه أو في مضامينه، وإنما تحس إن شعره شريحة واحدة تنعدم أمام القاريء تلك الاحالة الفكرية ، ومع هذا لا نعدم المعاني العميقة وتمكن سهولتها في قدرة الشعر حيث لامست شعوره فأخرجه بأسلوب شعوري لا عقلي.

ولغة الشاعر الوجداني منتقاة لها خصائص صوتية سخرها للإيقاع ، ونبرها متقارب الجرس ، فتلونت موسيقيا ذات مستوي صوتي متناسق من أساليب متوترة و رخوة وتشكيلية وموسيقية ،فهو عاشق للتأنق اللفظي والتركيبي ، والكلمة لا تحمل معناها المعجمي وحسب ، وإنما تحمل ظلالا من الدلالات ، وكثافة من التراكمية الإيحائية ، وإشراقا بفعل الفيض الشعوري المشحونة به .

واللغة الشعبية لا العامية ، خاصية أخري تبرز للعيان في أسلوب الوجدانيين اللغوي ، فلغتهم سهلة ميسورة ، مقتبسة من اللغة الشائعة المتداولة ، غير أنها لا تنزل إلى العامية ولا الكلام السوقي الدارج ، ولا تنغلق عن الطبقة الشعبية، ولا تسقط من عيون الملأ من الأدباء ، والنقاد وأرباب الكلمة ، فهو الأسلوب السهل الممتنع ، وأقربهم إلى ذلك يحيى توفيق فقد اقتفي أثرأبي العتاهية، وعباس بن الأحنف وغيرهما من الذين آثروا الشعبية على الأسلوبية ، ومن خصائص لغته أنه يرسم شعرا ملونا بما يجيش في داخله ومتفاعلا مع الخارج . فيكثر الحديث عن ذاتيته ويندر أن يتخلص منها .

وبائـــة تكنفهـــا الشقـــــــاء ... وأذبـــل ورد خديهـــا البكـــــاء
تكفكـــف بـــالدموع دمـــوع طفـــل ... وقـــد جـــاع الصغـــير ولا عشـــاء
وتبكـــي مـــن فـــؤاد بـــات مضنـــي ... ولا عيـــش هنـــاك ولا كســـــاء
وتحنـــو بـــالضلوع علـــى رضيـــع ... وقـــد جـــار الشـــتاء ولا غطـــــاء
وتقضـــي الليـــل تلتحـــف الســـمـــاء ... فـــلا بيـــت لديهـــا أو خبـــــاء
وتشـــكو مـــن قـــام راح يســـــري ... بمهجتهـــا وقـــد عـــز الـــــدواء
ولـــو شـــاءت لعاشـــت كيـــف شـــاءت ... منعمـــة تهدهدهـــــا الإمـــاء
تنـــام علـــى فـــراش مـــن حريـــــر ... وتفعـــل مـــا تريـــد ومـــا تشـــاء
ولكـــن كـــم يـــروم المـــرء أمـــــرا ... ويمنعـــه ضمـــير أو إبـــــاء
خليلـــي إن خـــبرت الدهـــر يومـــا ... ســـتعلم أنـــه حتمـــا فنـــــاء
أرى الدنيـــا علـــى الأبـــرار شـــحت ... وأهـــل الفســـق يغريهـــم ثـــــراء
ســـيندم مـــن رأى الدنيـــا مقامـــا ... يـــرام وغـــره منهـــا الـــــرواء
فأســـرف في المعـــاصي لا يراعـــي ... حفيظـــة مـــن لـــه وجـــب الـــولاء
إذا الإنســـان قـــد أعمـــاه جهـــل ... فـــلا عقـــل يفيـــد ولاذكـــاء[1]

---

[1] أودية الضياع ٢٣٩ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث

مظاهر الشعر الوجداني

- هيمنة الحب والمرأة
- غير المعقول .
- الطبيعة .
- الذاتية .
- الاغتراب .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمتدبر في الشعر في بلادنا يجد أنه تفاعل مع مظاهر الرومانسية في الشعر الغربي والعربي ، لكنه انفرد بسماته وخصوصياته الذاتية التي جعلت مظاهره تختلف في خصوصيتها عن مظاهر الرومانسية وإن اتفقت المصطلحات والمسميات أو تقاربت . وسأتناول هنا المظاهر في الشعر الوجداني السعودي ومنها :

أولا : هيمنة الحب والمرأة:

المرأة من عناصر الحياة الكبرى التي خلقها الله في هذا الكون ،هي العنصر الأول للحياة ، وهي المسقية الزرع من الضرع ، هي مقومة الطفولة بغذائها وإشرافها،وهي ملهمة الجمال بعنايتها. المرأة هي روض الحياة ، فهي الطبيعة البشرية الأولى ، يقاس بجمالها،ويخاطب بضميرها، وهي مرابع ورياض الأنس في الدار، ومن هنا فلا غرابة أن تحتل المرأة مساحات كبرى من وجدان الشعراء، فتكون الملهمة الأولى للحياة الشعورية، وللصور الخيالية، إنها إكسيرالإبداع، المنسربة فيه كاندفاع الشرايين في أجسام الأحياء. ونظرة الشعراء والنقاد في عصرنا هذا في بلدنا هذا ، إنما هي نابعة من الوجدان الإنساني الشامل ،ومعتدلة بالتوجيه الرباني ، ومتأثرة بالنظرة المعاصرة وقد كتب الأدباء عنها ومما قاله محمد حسن الكتبي « لقد عرفت المرأة في قلبي مجموعة منسقة من الفضائل، وفي عقلي حسنات موتلفة من الخواطر ،وفي تفكيري روحا لا تقوم دونها قائمة هذا الوجود، .. »[1] .

إذن فهي متداخلة في حواسه وروحه وعقله وتفكيره ،فهي ذات تأثير عميق في تكوين الرجل ، يستمد منها إلهامه، ويتأثر بها إبداعه وإنجازه. وهي مجهر الشاعر الذي يكتشف بها الأشياء ، ويري معالمها ترتسم في كل شئ، « لقد رأيت المرأة في حس كل شئ جميل، فرأيتها في النبات الغض الطري لم يقم على

[1] هذه النصوص تحت عنوان المرأة من كتاب وحي الصحراء ٤٦٠

ساق ،ورأيتها الساق يجتمع عليها كمها،ثم رأيتها وقد انفتق ذاك الكم فإذا هي عطرمسكرللنفوس، ونور يذهب بالأبصار، وتثن يعطف بالقلوب، وفتنة ليس وراءها فتنة».

وهو لا يراها في الشجر الجميل وحسب ، إنما يراها في الدوح العظيم الذي يتغذى بالمياه في الصحراء المجدبة، فتغوص عروقه لتمتص كي تكون ظلالا يستظل بها ، وغذاء يتغذى منها، «ورأيت المرأة وهي دوحة في منقطع الصحراء المجدبة ، تحفظ الظل ، وترطب النسائم، وتجمع المياه من بين عروق الأرض، وتولف منها منبعا عذابا، فيأوي إليها المنبت يستظل بظلالها ،ويشرب من مائها، ويستفيد من خيراتها ».

ثم هو ينظر إليها بنظر الرومانسية المعاصرة بأنها(اللهب المقدس) التي تحرق الرجل قبل أن يصل إليها . ويقول عنها: « إنها القوة التي خلقت لتشذب من وحشيتكم معشرالرجال وحيوانيتكم ، ولتسموا بأذهانكم المتبلدة، وأفكاركم المحدودة إلى حيث تفارقون مستوى المادة المغموسين فيه، ولتستمدوا من طبيعة خلقها بعض علومكم ، ولستم ببالغين كل ما في طبيعة المرأة من العلوم، ولتأخذوا عنها إلهامكم..... »

ويقول:« إن المرأة هي السعادة، وهي الكمال ،وهي الغنى ، وهي الحرية»[1]

وتتكشف مظاهر الحب والمرأة في شعر بلادنا في ثلاثة مظاهر:

١ـ غلبة الذات الوجدانية الغزلية الناجمة عن تجربة عاطفية أو إحساس داخلي غريزي بجمال المرأة تميز عن غيره وهيمن على تفكيرالشاعر، فكانت له الغلبة على سائر الموضوعات الشعرية.

٢ـ منهم من تسامي بالحب والمرأة، فجعلها رمزا للحياة التي يتكامل فيها

---

[1] المرجع السابق ٤٦١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحق والخيروالجمال ، فوظفوا المرأة والحب لما يستوحيه فكرهم.

٣- ومنهم من تجسدت عنده في الحب العاطفي،وتميز أيضا بتوظيف معالم الحب والمرأة لترمز لمكونات الكون المثالية.

والتصنيف ليس قاطعا، وإنما يتداخل الإبداع حتى في إبداع الشاعر لكن العبرة بالغلبة.

أولا : - الحب الذاتي :

وهولاء هم الذين غلب عليهم وجدهم الذاتي، وتأثروا بالإدمان الشعوري الذي يلج في أحاسيسه، تجاه عواطفهم الذاتيه التي غلبت غريزة الهوى على غيرها،وليس معناه أنهم مغرمون بالإشباع الغريزي، أو الارتواء من الظمأ العاطفي بل إنهم يتمتعون بالجمال الأنوثي حسية ومعنويه، ويتمتعون بالهجران،بل يتمتعون بالحرمان ، وهولاء هيمن عليهم حب المرأة، فهي اتخذت مساحة كبرى من وجدانهم .

ويحكي فلسفة الهوى الشاعرزمخشري ، فهو رقة الأنسام تسري في كيان العاشق،والمرح الدلالي و وقارالحياء ، ورقة الحديث،وهمسه الخافت،فتهتز الروح والجسم وتشتعل جذوة الحب الكامنة :

رقة الأنسام في أعطافه ... تلهي بعيون وقلوب

والصبا المراح في نضرته ... ينزع الأكواب من نور وطيب

في نطاق سكب الحب لنا ... أعذب النشوة في أكرم كؤوب

وهي في أعراقنا لاهية ... تشعل الصبوة فينا بالدبيب

والشظايا كل لفظ هامس ... يعبر الصمت بخطو المستريب

والشاعرتتلظى مشاعره بوهج الهوى، تدعوه إلى الإبداع ، الذي يلتهب

ويكتوي بحرارة الحرمان.

وأنا والشعر في روضته ... نتناغى بنشيد ونسيب

والصدى المسكوب في سمع الدجى ... يتهادى بفتون وطيب

في وشاح يرقص النجم به ... ضاحك الإشعاع للصبح القريب

وحكايات هوانا بالمنى ... تضحك الوردة في الروض الخصيب

وشراع الليل رفاف المدى مرحا ... يخطر بالحسن الطروب[1]

وهؤلاء ليسوا بمنأى عن الحياة الأخرى حتى إبداعهم ،فإن له مشاركات لكن تتكشف الغلبة والجمال الفني والوهج الشعوري في شعرهم الذاتي ، وأشهرهؤلاء إبراهيم فطاني،والأمير عبد الله الفيصل،ويحيى توفيق، وعثمان بن سيار وعبد السلام هاشم ومن الشعر العاطفي الغزلي ديوان (وحي الحرمان) للأمير عبد الله الفيصل الذي خضعت جل تجاربه الشعرية،لمعاناة وجدانية ذاتية،فهو أغرم بالمرأة، وهام بجمال عينيها، ورشاقة قدها ،وسحرها وعذوبة حديثها ، واستحضرحكايات الغرام، لكنها بعيدة عنه تحاول أن تتمنع فلا تتبذل مما جعل الشاعر يجري خلفها،ويستحضر صورتها ،ويتمني محادثتها، فيزعم أنه فتاها المأسور بجمالها.

كلما لاح رضاك في التداني

خلتني أني فتاك أتراني..؟

خيريني وهواك عن مكاني

كل ما أرجوه يا ليلاي منك

لفظة تمحو خيالاتي وشكي

ويعلن الشاعرتعالي ذاته حينما يبتغي معشوقته أن تعلن ولهها وحبها به كي تزول الحيرة، ولو صارحته لزال الحب .

---

[1] مجموعة الخضراء ٦١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أسكبي في مسمعي ألحان حبـــــــك
واكشفي لي لحظة مكنون قلبـــــــك
لا تطيلي حيرة الصب بربـــــــك
فلعل القلب أن يهنأ بقربـــــــك

* * * * *

لو علمت ما ألاقي في غرامـــــــي
من سهاد واشتياق سقـــــــام
وجوى في الصدر باق من ضـــــرام

والعاشق يعتقد أن لا مثيل له في حرمانه ومكابدته في العشق، فكل متآلفين تهنيا بحبهما ما عداه.

كل إلف قد تهنا وغرامـــــــه
غير قلبي لم يزل يشكو هيامـــــــه
يا ترى هل آن أن ينعم بالـــــــي
بعد ما لاقيت من تلك الليالـــــــي
من صدود وجفـــــــاء ودلال
أم ترى الآتي كأيامي الخوالـــــي[1]

والشاعر يحيى توفيق من أشهر شعراء الوجدان في بلادنا،وشعره يستلهم المرأة لكن ليس برومانسية فلسفية،وإنما بعاطفة غزلية،فالمرأة ملهمته الحياة،وملهمته الابداع،وجمالها الحسي منبع تجاربه ،وصوتها هاتف يدق أوتار مشاعره،وعلاقته بالمرأة علاقة حب ، فكأن شهوته الرؤية والتملي في الجمال ، وهمس الحديث وعذوبته ،وخطرة الحركة ودلها.والتمنع في ود ،والاقبال برضى،والوداع في وله، حب عارم في الحضور والغياب، فذا رأى خداع وخيانه فإنها الصدمة:

خدعـــت بـــالهمس النـــدي فـــؤادي والفـــؤاد العميـــد يســـبيه همـــــس

---

[1] أبي إدريس ، شعراء نجد المعاصرون ٩٢ .

فجمـــال الوجودحـــب كريـــــم　　بـــين قلبـــين لا خـــــــداع ودس
أنت ماأنت غـــــيرســـــم زعـــاف　　ميت الروح من يمت فيـــه حـــس[٢]

وينقل يحيى توفيـق صـورا مـن ألـوان عشـق العصـر، فـروح الحيـاة وآلياتهـا وحـدت سـبلاللحياة غـير معروفـة فالرسـول بـين المتعاشـقين والرقيـب يذكرهمـا الشعراء في تجاربهم والآن جاء الأشـراف مـن الشـرفة ، والمهاتفـة عـبر الهـاتف ، والشاعر يصور وجيب الانتظار،ورفيف القلب والاضطراب عند سماع الهاتف.

قالت(سـأهتف)ياحبيبي في المســـــا　　وأتـى المســاء فمـا لهـا لا (تهتـــف)
وجلست في صمت أراقب (هاتفـــي)　　ويـدي علـى خـدي وقلـبي يرجـــف
(والهـاتف)المسـكون بـالصمت الرهيـب　　علـى يمـيني ميـت لا يعـــــزف
والحـزن في عيـني ينـام ودمعتـــــي　　جمـدت علـى جفـني وروحـي تـزف
ماذا دهاها كيف تنسى وعـــــدها　　لم لا تحـن علـى الشـجي وتـــراف
وعدت تكلمني فماذا رابهـــــا　　ليضن (هاتفها) علـــى وتخلـــف

فالرنين كالعاصف الذي يذهله حتى أنامله أخـذت ترتعـش،وسـرى الهمـس عبرها وانطلقت المداعبات والضحكات.. وعبارات الوله والهيام.

وفجـأة عصـف الرنـين(بهاتفـــي)　　فرفعتـه وأنـاملي تتلهـــــف
وسـري إلى مـع الغـروب هديلهـــا　　همسـا تبـادلني الحديـث وتلطـــف
راحـت تضـاحكني ورحـت أبثهـا　　كلفـي بهـا فتهيـم في وتســـرف
ورأيتـني أسمـو بـأحلامي إلـــى　　أفـق السـماء محلقـــاأتعفـــف
ولمست من شفقي النجوم وهمـست في　　ظلل السحـاب كـأنني متصـــوف

ثم يعود لحسيته الغزلية التي تذوب رقـة ، برقـة الإيحـاء الـدلالي للصـور الـتي يرسمها عبر اللغة الشاعرة.

مـأروع الحـب العفيـف لغـــادة　　حســن فطرتهـا فـلا تتكلـــف

---

[٢] سمراء ١٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السحر عيناها ونفثه جيدها ... فإذا مشت رقص القوام الأهيف
والعطر رياها وأشهى حسنها ... شفتين من جمر وثغر مرهف
ويد ككأس الخمر شف بهاؤها ... وصفاؤها يبدو أرق وألطف
نغم يذوب إذا تحدث صوتها ... وصبا تهيم به القلوب وتكلف
وشجا يذيب إذا تمادى هجرها ... يا ويح روحي كيف ينجو المدنف
فكأنني في الحب لم أذق الهوى ... وكأنني ما كنت غيرك أعرف
يارقة الإحساس في أعطافها ... قلبي يذوب فهل تحن وتنصف[1]

والشاعر ينبض إبداعه بالأحاسيس الوجدانية، فكأنه بذل شعوره وانفعاله في سبيل الحب الحسي للمرأة،فهو يصورها تصويرا جميلا للعين والأذن وفي المس وعذوبة اللفظ.فقدرة الشاعر في تصوير المرأة والحب لها قدرة لا ريب في تجليها وابداعها،وتساميها ، ترفعه إلى مصاف شعراءالوجدان العربي. إن لم يكن من السابقين.

وهو يذهل أمام جمال المرأة ،فالعينان بحر عميق من الروعة والفتنة والسحر ، جذب جمالها السحري روحه الشفافة ،وقد استقرت روعتها في كيانه ، فتشتعل أحاسيسه عند الذكريات ، حتى ليمرض، ويتمنى أن ترقية بروح الحب ، وهو يستعيد حسية المرأة من اللمس والهمس .

لكم يوقظ البعد أوجاعي ويشعلها ... فأين أنت بروح الحب ..ترقيني
عيناك بحر عميق لا قرار له ... غرقت فيه بروحي قبل تكويني
أصبحت للصبر منقادا ألوذ به ... إن طال ليلي على يأسي يعزيني
لا همس عند الضحى للحب يوقظني ... لا لمسة منك إن أمسيت تحييني
كنا معا وليالي القرب تجمعنا ... فبت وحدي وليل البعد يطويني
الحب قربنا .. والدهر مزقنا ... وكم يمزق وجد قلب مفتون

---

(1) سمراء ٤٦ .

والشاعر من الغزليين الذين استحوذت المرأة على أحاسيسهم - بل إن النزعة الذاتية الغزلية مالت بالنزعات الغريزية الأخرى ،فالمساحة الزمنية لحياته لم تستوعب عشقه فمداد الكلمات ينفد قبل أن تنفد كلمات الحب وحكاياته فالنعيم بالتلاقي والجحيم بالفراق ،والألم والأسى بالذكرى ، فهو يستحضر الحب دائما ويعرض عما هو أمامه .

قد كنت أحسب أيامي وأسافها ... هل أسطرالعمر تكفيها وتكفيني
لكي أذيب شبابي في أناملها ... وأبذل القلب أرويها وترويني
حتى قضى الله أن تنأى وتتركني ... للبؤس للسهد للحرمان يصليني
رأى الرفاق شرودي ليتهم عرفوا ... كي يعذروني فطول اللوم يشقيني

وتستوقفه ساعة الوداع المفعمة بالوجد،الذي يشعله التقبيل حتى كادت تبلى وتبليه والدموع تنسكب جزعا .

راحت تقبلني يوم الرحيل وقد ... كادت لفرط الهوى تبلى وتبليني

وهو ما زال يواصل البكاء الذي ما ينفك عنه في اللقاء والبعد،وهي هيامه الدائم،وهو مبهوت بلوعة الفراق التي لم تخطرله من قبل .

ودعتها ودموعي لا تكف أسى ... وعينها جزعا تبكي وتبكيني
قد كنت أغبط نفسي في مودتها ... والحب يغمرني والوصل يدنيني
واليوم أبكي عليها بعد مارحلت ... بقلب واه جريح الروح محزون
قالت وأدمعها تجري فألثمها ... من فوق وجنتها (بعدي سيضنيني)
ما كنت أعلم والأحلام تخدعني ... أن الزمان سيقصيها ويقصيني
تبكي وتسألني هل سوف تذكرني ... بعد الفراق وفي جفنيك تؤويني

وهي لم تغب عنه فطيفها يخطر في أحلام اليقظة والنوم،فهي أروع أحلامه وهو كان مصدرالسعادة،والآن يشجيه ويحزنه سر أمانيه وآماله وطيفها ملازمه ملازمة الهواء في كل مكان وزمان.

من قال إنك إن غيبت عن نظري ... يغيب طيفك عن فكري وتخميني

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأنت أروع حلم عاش في عمري وأنت حبي الذي قد بات يشجيني
وأنت سري الذي روحي تقدسه فكيف أنساك لا بل كيف تنسيني
وأنت آمال نفسي منذ نشأتهـا وأنت أنت الهوى في القرب والبين

وهو يستلهمها في نسمة الفجر ، بل هي مصدر روعة تلك النسيمات السحرية فمن يهيم بإشراقها وسحرها ، وابتسامتها ومنطقها وسواد عيونها، إنه يستذكر معالم جمالها معلما معلما.

يا نسمة الفجر هل داعبت وجنتها ففيك من نشرها عطر يهديني
ويا رياح الأسى.. ما كان أعذبها روحا من النور لم تخلق من الطين
وجه تتيه به الدنيا لروعته جسنا ويزري بسحرالخرد العين
ومبسم كالسنى في ذؤبه عبق من الأريج كأنفاس الرياحين
ومنطق كحنين الناي غنته يناب كاللحن في أذني يغنيني
عيونك السود.. يا سمراء تغسلني من الشجون وتظميني وترويني
وكم لجأت إليها من شجى زمني أشكو فكان بها أمني وتأميني[1]

فهذه القصيدة تمثل علوق الوجدان بشعور يحيى توفيق في سائر أحواله، عند الالتقاء والتداني وعند الفراق والوداع، والتذكر وحضور الطيف ،فهو واله عاشق متيم.

ثانيا :- الحب الجمعي :

وشعراء الوجدان تساموا بوجدانهم فوق ذواتهم ،ورغبوا أن يكون الحب مصدرا للتعامل البشري،وأن دوافع الحب نابعة من الكمال ، فهم ينقمون على النقص والواقع أن الرومانسي الغربي تفتح عقله العلمي فأدرك الهوة السحيقة في الممارسة الدينية في أوروبا و لم يجد البرهان الإقناعي، فأخذ يبحث عن الكمال ،

[1] سمراء ٢٠

فرفضهم ليس لرفض دينهم وإنما لممارسته وفكره المتأثر المنحرف عن النهج الرباني. من هنا نجد البون شاسعا عند الوجدانيين في بلادنا، فالشعراء في بلادنا يجدون المثالية في الدين بما يقنع العقل،وينقم في رومانسيته على فقدان هذه المثالية عند الأفراد ، وعند المجتمعات ، ومن هنا انطلق الحب السامي في الوجدان في بلادنا من البحث عن كمال القيم وكمال السلوك، وما خالفه فهو شاذ ويخفف منه إمكانية تأويله للأخف ، وهم يرون الكمال فيما يكتمل فيه العقل وهو غيرمتعارض مع الدين ، يخالف الرومانسي الذي يتمرد على العقل، وربما تمردالابداع في بلادنا على الواقع لكن هذه المخالف لا تمثل المخالفة الرومانسية الغربية، التي ترفض جميع القيود، أما الوجداني في بلادنا ، فهو يرفض من الواقع المخالفات التي تظهرمعارضتها للدين والقيم والسلوك والعقل ، فإذا كان الواقع متكامل فيه هذه الجوانب، فإن المبدع في بلادنا لا يرفضه بل يتمناه . ويحبه ويعشقه،وقد أبان الزمخشري عن وظيفة المرأة في بعض الشعر:

ليست فتاتي كما شاءت حقيقتها لكنه الفن في شعري وتبياني

صورتها بقريضي يوم ساجلني طير يدغدغ إحساسي ووجداني[1]

وأشهر الشعراء الذين مال إبداعهم إلى هذا الاتجاه هم : العواد، ومحمد حسن فقي، ومحمد فهد العيسى، والرميح، ومقبل العيسي، وسعد البواردي، القصيبي .

ومن الشعر الوجداني شعر أحمد عبد الله الفاسي المولود عام ١٣٤٠هـ لكن هذا الشاعر متأثر بشعر المهجر فهو يتحدث عن غربته ، ووحدته ، والحرقة فحبه ليس حبا عاطفيا نابعا من تجربة حب صادقة ، إنما هو يسمو بحبه إلى آمال وخيالات طال انتظاره لها .

وحدتي طالت وقد زادت بما ألقى شكاتي

---

(١) مجموعة النيل ٣٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وليهب الشوق قد ضرم بالنار حياتي
ظمأ أحرق قلبي واكتوت منه فاتي
واحتملت البعد حتى خانتني أناتي أه يا فاتني لستر ترحمين

فالشاعر يرى في الحب المتعلق بملذات الحياة خداع وعذاب، لأنه يحب جمالا مكتملا في أعمال الحياة لكنه يراه مثل السراب شأنه شأن الرومانسي الهارب من جحيم الحياة .

هكذا الحب التواء وخداع وعذاب
ومنى الظامىء أغراه على البعد السراب
وأعاصير صدود عاصفات بالرغاب
وأفانين احتيال صاغها طيش الشباب
آه ما أقساه من داء دفين

فالشاعر لا يستقر له قرار ، ولا يسعده من معالم الحياة ما أسعد البشر ، فكل ما حوله يدعوه للآهة والحسرة فأمانيه بعيده النوال .

آه والآهة في نفسي حيرى تضطرب
إنها روحي قد أقلقها الشوق فراحت تنتحب
وهي قلبي ثائر من بين جنبي يشب
وهي أنفاسي قد حنت وأصلاها اللهب * وهي جسمي ذاب من فرط الحنين
كل من في الكون قد أسعده هذا الصباح[1]
والدنا فيه جمال" ورواء " ومراح
غير طير آده القيد وقد قص الجناح
ساكن في ظل غصن شاقه فيه النواح * من تراه ذلك الطير الحزين

إذن فمصدر شقائه هو قلبه الثائر الذي يصطلي بلهب الحياة بينما غيره يسعد بما يجد ،وهو كالطائر المكبل في قيده وهذا شعور رومانسي .

والشاعر الفاسي هائم في هواه الذي لا يدرك كنهه ،فهو يتيه في مسارب لا يعرف نهايتها هل إلى خير تقوده أم إلى شر تقذف به ، إنها الرومانسية المعاصرة

---

[1] الساسي، شعر الحجاز ٢٥٨

التي تمثل التمرد على الحياة :

هائم أودى به في هواة الهم هـواه

ورماه قلبه في مسرب ضل صـواه

كل من لاقاه لا يعرف ماذا منتهاه

وهو المسكين لا يعلم ماذا قد جناه * حائر في كنه سر لا يبيـــن

وهو يدرك أن فلسفته هي قيده ،كبل ذاته عن التفاعل مع مكابدة الحياة ، فلاجني لها بلا معاناة .

هو رهن القيد قد أسلمه للمخـــدع

ظامئ يلهث والماء قريـب المنبـــع

لا يدانيه ولا يرتاده مـــن موضـــع

منع الماء ومنه الماء قيد الأصبع * ظامئ والماء فياض المعيـــن

هذا المبدأ الذي أوجد له الحرمان ومنعه مما ينهل منه سائر الناس ، فالماء والخير قاب قوسين عنه لكنه لا يستطيعه فهذه مثالية الرومانسية التي لا تسعد بالسعادة .

لم يا قلب ؟ وقد مثلت حب الأبريـــــاء

لم تكن فيه كما يبغي الهوى جم الرجـــاء

أو تكن فيه صريعا في عداد الشهـــــداء

إنها تعلم ما يلقاه منها الأوفيـــــاء * شأنها في ذاك شأن الغادرين

وهو يخاطب القلب مصدر الانفعال ، الذي هيمن على الرومانسية ، وأذعنوا لقيادة ،وأعرضوا عن العقل .

لم تعد ترعاك حتى تشتكي أوترتجيهـــا

فهي قد عافتك والأجدر أن لا تصطفيها

سوف تلقي ما جنته من يد لاترتضيهـــا

آثم يلهو بها أو ماجـــن ينضو سنيهـــا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فتلاقي منه أنواع المآســي والشجــون
ويريها كيف يشقي في الحياة العاشقــون
وستحيا في ادكار لوفــاء المخلصيــن
وستبكيك بدمع من مآقيها سخيــن[1]

فهو يأمل أن تكون سعادته في ذكراه الحسنة في مثاليته ،وفي إرادة الإصلاح للبشر ،في التمرد على واقعه ؛ كل هذه من المآثر التي ينشدها الرومانسي .

ويرمز حب المرأة إلى حب مسارب الحياة ولاسيما الذهنية منها كالمساواة والحرية ، والعدالة وهؤلاء يجعلون الحب سامياً فوق الحب الحسي الذي يتولد عن غربة غريزة من الغرائز . إن الذين يتجاوزون الحسية يجعلون المرأة مصدر السعادة الشاملة ، والحب الفكري لكل متكامل فيرمزون بالمرأة لجميع القيم الإنسانية، وللوطن و للنهضة ، ومن هنا فإن روابط الحب بالمرأة ،يكون إذعانا للحب السامي ، والذي يحب هكذا فإنه يشقى في سبيل أهدافه لكنه يسعد بهذا الشقاء ، وحب متنزه عن إشباع الرغبة الغريزية ، بل هو الحياة الشاملة في نظر العواد مما يتجلي من قوله:

أنا وا لله يا حبيبة نفســي بــين يديك كالحسام وأمضــى
كالمني السانحات ،بل كاشارا تك للأمــر كالأسير الرقيــق
فتقي بي ،يا زهرة الأسحــار
يا فتاتي التي مآلي إليهــا! كلما يجدب الفؤاد المعــذب
ألأني أعطيتك القلب أشقى؟ أم لأني وهبتك العمر أغلــب
ليس منّا أني وهبتك في الحب النزية الكنز الذي لي يوهــب
وحياتي وقف عليك ،وأنــي أنا ذاك الملقى سدي في الطريق
قلق النفس لا يقر قــراري

(1) الساسي شعراء الحجاز ٢٥٩ .

وهو يريد أن تستجيب له لقاء هذا البذل ،فهو مستبد في رغبته ، يريد أن تذعن له دواعي السعادة وتكون روحه ونعيمة بل شعلة فكره ، وجنته وناره .

أشعري الصب ، يا جميلة ، أن الوصل من حقه متى ما أراده
ثم قولي له : اتخذتك خلا خالصا ،مفرد الهوى،وزيادة
وهنا يعرف الحياة ، وتأتي مذعنات له دواعي السعادة
ويناديك : يا نعيمي ،يا ناري حي ، يا سكر فكرتي ، يا رحيقي
يا حياتي ،يا جنتي، يا ناري

وأنت عند قراءة الأبيات تستدعي الوطن ، والذي أرجح أنالجفاء من مجتمعه الذي بذل له فكره ويبتغي أن ينزل الشاعر في منزلته :

* * *

يا لبئس الجفاء ،لولا شعور القلب في غمرة الهوى – بالرجاء
ولنعم الرجاء ،لولا نداء الفكر إن الهوى مناط الشقاء
ثم يا حبذا الهتاف باسمي ثلث بين النعيم والبأساء
فاسلمي لي في غبطتي يا رواني حين تلقيني بعطف الصديق
واراقبيني في شقوتي يا أواري[1]

هذه قراءة لتلك المقاطع الشعرية ، التي تجعل الحب مصدر إشعاع الحياة البشرية ، ومصدر الفكر ،ومصدر السعادة والشقاء .

وتارة يجعلون المرأة رمزا للحياة ، بل للدنيا بأسرها ، فجمالها وروعتها ، وجاذبيتها و الإغراء وتزينها بمعالم الجمال ، وتبخترها ، وتعرضها بمغريات جسمها كل ذلك مدعاة إلى التعلق بها ، والجري خلفها ، فتلك الحالة الكاملة للمرأة هي التي أسقطوها على الدنيا كما يتشكل ذلك في قصيدة " الفتاة اللعوب " للجهيمان المولود عام ١٣٣٣هـ يقول فيها :-

---

[1] حفاجي وشرف ، الرؤيا الابداعية في شعر العواد ٢٢٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ماست بقد كله فتنه ... وأقبلت في حسنها الفائق
قد سترت من جسمها نصفه ... ونصفه تبديه للوامق
وازينت بالحلي في جيدها ... واطيبت بالعنبر العابق
ولبست ما كان عن جسمها ... يشف عن ساقيه والعاتق
فاستلفتت أنظار من حولها ... بالسحر في منظرها الرائق
وأجفلت هاربة عنهمو ... هروب لاه بالنهى لاصق
وأجفل الناس على أثرها ... يسعون سعي العاشق الصادق
وامعنت في سعيها عنهموا ... فأمعنوا في أثر الآبق
ثم انثنت تسقيهموا درها ... من ثغرها المعذوب الدافق
فاستعبدتهم بأفاويقها ... عن طاعة المخلوق للخالق[1]

فالرمز واضح في القصيدة حين صور الدنيا في صورة امرأة عصرية فاتنة .

وحين يتحدث الرومانسي عن المرأة فإنه يلتاع بمفاتن جمالها الجسدية، ويذوب في رقة وجدانية وكذلك الوجداني فالرومانسي يجعل من المرأة مصدرا للحياة ، ومصدرا للسعادة ، أو الشقاوة، فيجمع اللذة والحسرة ،وهي عند البواردي دعاء ينادى فيلبى ، وهي حرقة ،وهي جنة ، إذن فهي رسول الحب الشامل في هذه الحياة ، فهم ينظرون إليها

بمناظر الأمومة الحانية ، فيريدون المجتمع كله يحمل هذا الحب ويفيض على الشعراء به :

لا يرى في النشيد إذ يصدح الشادي ... بأغرودة.....ويهتف ملهم
غيرما تهمسين في دوحةالحب ... نشيدا إذا الشفاه تبسم
غير دفق الحنان إذ يشرق الصادي ... بدفق الحنين....وهو المتيم..!
أنت في خاطري دعاء يناديني ... وكم خاطري لقلبي تكلم
أنت في أضلعي لهيب من الحرقة ... هل تطفئين نارا تضرم؟

[1] ابن ادريس ، شعراء نجد المعاصرون ١٧٣ .

أنت لي جنة عشقت مغانيـــــــك وما عاشق لمن حب يحـــــرم
كل ما منطقي أحس مع النجوى بمن قد.....هوى وتلعثـــــــم
أيقظي بالوصال جذوة آمالـــــي فكم مسحة شقاء..... وبلســـــم
أنت يا جنتي ويا نار آمالـــــي أنا في الحياة (أس) محضـــــرم
بين نار البكا . ونور من الحب فهل تمسحين بالنور ماتـــــم ؟ !
إن عشقت (الوفا) فاني لما تهوين باق .... على وفاق محتـــم ؟ !
أو عشقت(الجفا) واشعلت للحرب فتيلا فسوف تطفـــأ بالـــدم
إن عرشا بناه حبك..في كفـــك إن شئت سيبقى . وان أردت تحطـم[1]

فهي تمسح الشقاء ، وتواسي المأتم ، وهي قادرة على الوفاء والجفاء، وهي تبني وتحطم . إن المرأة في نظرهم لها قدرة خارقة،وهي رمز الحب الذي يولف بين أبناء المجتمع. ليتآزر ويتعاضد. وهم يجعلون المرأة رمزا للوطن بل رفعوها إلى أعلى درجة، فجعلوا المرأة الأمة والوطن ، فالأرض والأم كلاهما نبع الانتاج،و رحم الحياة ،و مراضع ومرابع الطفولة فهم يلحقون الوطن بها فكل فرد ينافح عن أمه، ويدافع عنها،ويتمنى العودة لها إذا غاب عنها، إنها مصدر النداء الذي لا يرفض بل يلبى بإخلاص ، وأنه سيشق طريقه إليها محطما جميع العقبات،فهذا الشاعر إبراهيم الدامغ يجعل من فلسطين أما لأبناء الأمة العربية والإسلامية ، وأهل فلسطين.

سنعود يا أماه في فجر الصباح المشرق
سنعود يا أماه في نبع الهتاف الشيق
سنعود في إشراقه النصر المهيب الريق
سنعود يا أماه رغم الطامع المتحذلق
ويجلجل الصوت الأبي على ترابك المورق

---

[1] ابن إدريس شعراء نجد ١٦٨ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فتهيم فيه ضمائر وتعب منه وتشقي
وتعود يكسوها الجلال بنوره المتألق
فتردد الذكرى على سمع الوجود المطرق
وتقبل الزهر الندي على الصعيد الموفق
وتجيب أغنية الكفاح بلحنها المترقرق
نشوى يرلحها السرور بسحره المتدفق
يا منبع الإشراق في قدسي الأبي المعرق
هدهد جروحك وانتظر لا بد يوم للتقي
لا بد أن تشفى جراحات الفداء المخفق
ويزيح أذناب القرود ظلامهم عن مفرقي
ويعود لي وطني فأحمل فوق رأسي معتقي
علم يظل شعاره يسمو الأبي ويتقي
ويرود أطراف الرماح بهمة المتوثق
لا الموت يرهبه ولا عصف القضاء المحرق
فكأنه في قلبه نجم السماء المشرق[1]

وقد وظف الشعراء في بلادنا المرأة توظيفا وطنيا، فكلاهما يشترك في الأمومة والمتعلق بهما، فالمرأة التي تهيمن على الوجدان ومن هنا أسقطوها على الوطن،واستدعوا صفاتها للوطن ، وهذا عبد الوهاب آشي يخاطب الحجاز،ويطلق عليها (ربة الحسن الفريد) فهو يبتغيها جميلة وضاحة الجبين،ترفل بالطهر المكين،وهو يمازج بين المكانة المقدسة في مكة والمدينة ، وبين السمات المستحسنة في المرأة ، لكنه يعرج على ما تحويه الحجاز ، ومنه يتأكد الإسقاط الذي ذكرناه.

أتراني أنظر وجهك الوضاح مصقول الجبين

(١) المرجع السابق ٢٢١ .

يارية الحسن الفريد ورايـة الطهر المكـــــــــين
وآية العطف المنيع وفتنة المبتلـــــــــــين
أم أنظر السحر المبين يشع مـن نـور العيـــــون
فقد سفرت كطلعة الفجر المنير على الغصـــــون
بين المخائل والأزاهر بـين ألحـان الفتـــــــون
ولقد جمعت محاسن الكون العظيم ولا أميـــــن
وكسيت أبراد الجمال - فيا لعجـز الواصفيـــــن
في الشمس بهجة حسنك الوهاج تصبي الوافيـــن
والبدر فيه سناك يشرق في الدجي للمهتديـــــن
والروض فيه بهاؤك الفتان ليس له قريـــــــن
والبحر فيه هدوءك الجبار يهزأ بالظنـــــــون
والورد مفتضح الصيال تجاه خدك والجفـــــون
والأقحوان الغض يغضي الطرف عـن خجـل وهـــون
عند ابتسامتك التي يفـتر لؤلؤهـا المصـــــون
من بين خطى شفق قان يحـاذره الأميـــــن
نظراتك السكرى إذا غـزت القلـوب فـلا معيـــن
تنصـاع حانيـة الـرؤوس لحكمهـا القاسـي الضنـين
أما خطرت نزا الفؤاد يطل من حـــدق العيـــون[1]

والشاعر العيسى الذي غاص في أعماق الوهم،يثوب إلى نفسه ، فقـد كـانت له قصائد متعددة متمـردا على الواقع وهـو الآن يحـاول أن يتمـرد على أوهامـه وأحلامه ، ويعود إلى الواقعية، فإنه لم يحقق آماله التي أخلص لها لكنه لاينـأى عـن المرأة ، فهى التى غرست الحب العارم في قلب الشاعر:-

حطمـي الأغـلال يـا نفسـي فإنـــي قـد سـئمت العيـش في ظـل التمـني

---

[1] الساسي ، الموسوعة ٣/١٨٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كم قضيت العمر ،في ذل مهين ... بين الآم وأحزان وغبن
لا أبالي اليوم إن كنت وحيدا ... بشقاء من تباريح التجني
فلأ حطم كل أصفادي بنفسي ... ولأحطم بيدي أسوار سجني
ليت شعري أتراني بضلال ... إن رغبت اليوم عن حبي ودني
لا فأني قد شربت الكأس حتى ... أثملتني بين آهات وحزن
وشدوت العمر أرجوه لقاء ... وملأت الأرض من شعري وفني
وأرقت الدمع زلفى لحبيب ... خاب فيه كل عشمي كل ظني
وشكوت الحب للناس جميعا ... لم أجد في الناس إلا سوء ظني
والليالي لم تكن تأسو جراحي ... فنحيبي وبكائي ليس يغني
واكتئابي سئمته الطير شجوا ... بعد تغريدي وأنغامي ولحني
أنا وحدي فلأحطم ذكرياتي ... ذكريات الحب من وهم ووهن[1]

فيجعلنا الشاعر في ضبابية هل هو حب غرامي، فإن لم يكن كذلك فهو غرام بمبدأ ومطلب في الحياة استحوذ عليه ، حتى تفانى لتحقيقه ، ولا يستبعد أن يكون مكانة اجتماعية أو ظيفته ، فتلك من العظائم التي يسعى إليها الإنسان ويصاب بإحباط عند ما يرى من يماثله يتحقق مطلبه أو من هو أقل منه كل ذلك لا يودي إلى التمرد في مظاهر الحياة ،وعلاج هذه يتأتى من ناحيتين أحدهما : إيمان الإنسان بالقضاء والقدر ،وثانيهما ،تنبه المجتمع ونشر العدالة والمساواة .

ثالثا: الشعراء الذين جمعوا الحب الذاتي والجمعي: -

وهؤلاء من تكثر في شعرهم القصائد الذاتية، ويتكاثر في شعرهم أيضا القصائد التي تفيض بالحب المتسامي لصالح المجتمع،ويتداخل اللونان عندهم،حتى أن القصيدة الواحدة تحتمل قراءات متعددة يمكن أن ترجح إحداهما على الأخرى

---

[1] ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١١٥ .

بعد طول تأمل وأشهر هؤلاء،طاهر زمخشري، وغازي القصيبي، ومحمد عيد الخطراوي.

ومن شعر القصيبي الذي يميل أكثر إلى الذاتية،قصيدته (أحبك) وتظهر معالم الذاتية في تجلي الحسيات،والمحادثة .

على كفي من كفيك عطر ... وفي شفتي من شفتيك نار
وأزعم أن حبك كان ليلا ... من الأوهام .. يفضحه النهار
وأزعم أن نشوتنا دوار ... يفارقنا إذا انقشع الخمار
وأزعم أن أشواقي طيور ... مروعة يطيب لها الفرار

وهو يعدد مواطن الغيرة التي يزعم أنه لا يحس بها،لكن من حوله يدركها،فهو يغار أن تذكر اسم أي أحد غيره ويغار عليها من رؤية الآخرين ومن المحادثة والنقاش.

أغار عليك ؟! أقسم لا أغار ... ويدري الكون أجمع كم أغار
فإن همست شفاهك باسم غيري ... شعرت بأن همستها انفجار
وإن فر الحوار إلى صديق ... وددت .. دعوت .. لومات الحوار

وتغريه عيون الغيد ، وبروز النهدين.

ولي شوق يجن إذا تثنى ... له قد .. وشجعه سوار
وما زالت عيون الغيد تغوي ... وما زال الصبا كأسا تدار
ولي الدنيا نهود من رخام ... يثور على تثاؤبها الإزار

ولكن الأبيات الآتية ،تزيد الشك في حكاية التجربة الغزلية العابرة كأنه يجد حبا متسميا لا يخص مخصوص .

ولي في كل عاصمة غرام ... ولي في كل أمسية ديار[1]

لكن يقابل ذلك حديث عن المرأة يرمز إلى القيم وغيرها وهو كثير أشرت

---

[1] المجموعة الشعرية ٢٨٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إليه في المباحث الأخرى .

. وألهبت الروائع الجمالية مشاعر طاهر زمخشري ،ولاسيما ما يمت إلى المرأة وقد امتزجت برقة عاطفية فطرية عند الشاعر ،يكسوها الحب ،فهو شاعر الحب وقد تأثر شعره ، بمعالم جمال المرأة التي تتثال على الزمخشري فتثير أشجانه ، ويسلتذ بطيفها ،ويشعر بالحرمان لفراقها ، وجذوة الغرام كامنة في كيانه، فالمؤثر الخارجي كتيار العاصفة يشعل شعلتها .

أشعلت جذوة الغرام و أروت ظمأ النفس بالرضاب البرود
وتهادت فأيقظت بفؤادي ذكريات ثارت به من جديد
وتبدت فخلته فلق الصبح تجلى بحسنه المشهود
عربد السحر في اللحاظ وقام الحسن يلهو بوجنة وبجيد
لو تراها لما تمالكت إلا خشعة عند حسنها المعهود
هي ريانة يميل بها التيه ليغرى بقدها الأملود
وترانيم صوتها رجع لحن عبقري مستعذب التزديد
وأفانين سحرها زهرات وشذاها العطري موحى النشيد

والحب لا يضيء محيط زمخشري وحسب، ولكنه يضيء الكون كله ، كما صناء وجهها الغدائر السود ، ومحبوته تخلب الناس أجمع رجال ونساء ، ورقته تجعل مشية محبوبته كالنسيم العليل بين الزهور .

ففض النور وجهها فأضيئت صحفة الكون بالضياء الفريد
مذ تراءى كأنه البدر يسرى في دياج من الغدائر سود
وأطلت فتيمت بسناها كل صب ،وكل غيداء رود
ومشت مشية النسيم تهادى بين زهر منظم التنضيد
وقفا موضع الخطي كل قلب هام بالحسن دائم التسهيد
واستطابت مكانها فتعالت حين أضحت منار هذا الوجود
فهي للفن والجمال مثال هي غصن مكلل بالورود(١)

والمرأة المحبوبة تعالت وسمات عن تأثيرها الفردي إلى أن تشع ضياء للوجود، وهي ملهمة الفن ، ولوحة الجمال الكامل ، إذن فهو يوظف الحب لوجدانه الذاتي في ظاهرة لكنه يستدعي حبه للوطن فأنت ترى أنه يعنى بالمتعالي الذي أضحى منا يريد به الوطن فحبه يفيض على المجتمع ،وقد شع هذا التمازج في شعر زمخشري حتى أنك لترى فيض الحب الذي يلامس قلب الشاعر يبرق من خلال إبداعه .

وقصيدة القصيبي (ليلة العودة) ينحسر فيها لوعة الغزل العاطفي ، فليس من الذوق أن يخاطبها بعدم الفهم ، ثم الوداع ولا وداع ، والقصيدة تظهر فيها مفردات ، تجرفها إلى الغموض ، فما هي بنت الربى الخضر أخت الفجر ؟

بنت الربى الخضر أخت الفجر ملهمتي

تدرين بعدك خضت اليأس واللهبا

هل هي الزهرة البيضاء ؟ لا أظن ذلك ، فلم نعهد القصيبي هائما للطبيعة ، وهوتخلى عن الحب بدليل قوله" بعدك خضت اليأس واللهب ، ثم ينسى الحب والمرأة في معمعة الحياة الجديدة التي يرمز إليها بالجموع، وتحدى الزيف أنه شعر يجلله الغموض حتى إدراك الرمز المنطقي لا وجود له إنها النص المفتوح القابل للتأويل لكن المرأة تشع إضاءتها في ثنايا القصيدة على استحياء للرمز بها لا لذاتها.

مل الجموع وجوه لست أعرفها ... وفي الوجوه عيون تتقن الكذبا

لو أسلم الرأس صدرا لا يضيق به ... وراح يشكو إليه السقم والتعبا

وكنتِ أمس بقربي نخلة نثرت ... على هجير حياتي الظل والرطبا

وكنت شلال حب ما شكوت ظما ... إلا أطل على دنياي وانسكبا

وكنت هل أبعث الذكرى فتلعنني ... أواه ما أعنف الماضي إذا غضبا

وهو يدخل في يأس حتى الآمال الداخلية ماتت في قلبه .

لا تسألي لم ودعت المنى ومضي ... يومي إلى غده المجهول مغتربا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لعلني خفت من حب يطوقني حنانه كلما ناشدته وهبا
من فتنة كلما نادمتها هطلت عليّ شوقا وعطرا مسكرا وصبا[1]

والقصيدة تدور حول حكاية ندبها الزمن ، واحتجبت عنا ، مما جعل القصيدة تتخمر بخمار الغموض .

ويصف الشاعرطاهر زمخشري مشهدين من مشاهد حكايات الحب يتمثل في الانتظار واللقاء، وما يصحبهما من نزعات نفسية،ناجمة عن خفقات في القلب فهو يسري مع الدماء أو تحمله لسائر الأعضاء، وما الخفقة القلبية والرعشة الجسمية إلا دليل على قوة التأثر التي يضرب بها سهم الهوى وصدى المكان والزمان مستمدة من الواقع في غراميات زمخشري:

دقت الساعة في الأفق الرحيب تسأل الخفقة من قلب حبيبي
وهي ملقاة على موج سنا داعب الفتنة في مجري الطيوب
والبشاشات على أثباجه تتلهى بعيون ، وقلوب
وذهول النظرة الحيرى على طرفي الساهم يذكي من لهبي
اللظى المشبوب من فرط الجوى في تضاعيفي يجري بنحيبي
وهو نار خير ما يبردها ضاحك الورد من الغصن الرطيب
ورؤى الفتنة في مجري الشذا تشعل اللهفة بالسحرالعجيب
وعلى الأهداب في مقلتها غرد النور، فناجاه وجيبي
وهو يستدني الخطى من موعد نلته من همسة اللحظ الطروب[2]

إن هذا الشعر يصور تصويرا صادقا تفاعل النفس البشرية، ويكشف عن السر الكامن في كيان الإنسان حين يسود الحب، وتسود الرغبة،وتخيم السعادة . إننا نكتشف هذه لكننا لا ندري ماهيتها وكيفية تفاعله ،إنها تفاعل الروح والنفس والجسم ، في رأي من يجد فارقا بين الروح والنفس.

---

[1] المجموعة الشعرية ٢٥٧

[2] مجموعة الخضراء ٩٦

والشاعر الخطراوي ينجذب نحو معالم المرأة الجمالية، وحركاتها الرشيقة، ويعصف به تأثير اللقاء، الذي يسكب الحب في القلوب ، وجمال الوجه ، وروعة البسمة، كلها تذهل هذا الشاعر الوجداني:-

ذات الخمار الأزرق ... رفقا بصب عاشق
عصف الهوى بفؤاده ... منذ اللقاء المشرق
واعشوشبت فيه المنى ... مخضلة بتألق
وترنحت أعطافه ... بجمالك المتفوق
بسواء وجهك مزهرا ... كورود فجر عابق
الظل داعب جفنه ... في خضرة الإستبرق
بجمال ثغرك أسفرت ... بسماته عن بارق
كالأقحوان تفتقت ... أنواره بتألق
ماذا أقول إذا مضت ... عيني بعينك تلتقي
تطوي وتنشر مهجتي ... بتشدد وترفق
فكأنني في كفها ... منديل حب مرهق

ويوظف الشاعر الخطراوي المرأة لحكاية التاريخ ، فهي ترمز للسيرة القديمة ويستدعيها الشاعر للمخاطبة لعلوقها بنفسه لا لمنطقية الشعر لقديم.

احملي في ذراع الحنان ... وامنحيني مرافئا للأمان
وهبي لي اليقين في زحمة الدرب ... وجودي بومضة اطمئنان
فلقد ماتت الأماني بصدري ... وترامت على سفوح الزمان
والظلام الرهيب عاث بنفسي ... والأعاصير عربدت في كياني
لاتقولي فات الأوان فإني ... عشت لبارقات الأماني
يا ضلال التاريخ في موكب المو ... ت وشكوى القلاع للشطآن
أترنا جننا الحياة لنشقى ... ونعاني من شرها ما نعاني[1]

---

[1] همسات في إذن الليل ٦٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الشعراء الذين يغلب الوجدان على مشاعرهم الشاعر إبراهيم عبد الله مفتاح ويجمع بين الذاتية والتسامي إلى القيم العليا ، وقصيدته " عفوا إنها خواطر " تمثل اتجاهه الذاتي ، وترسم لنا لوحة من حكايات الهوى الواقعية ، وتلتحم الحكاية مع الأشواق التي أججها الموقف ، فهو التقي بها في الطريق ، فاسقطت اللثام بحركة تجمع بين الحياء والنزق .

دون قصد وفي التواء الطريق ... كان لقيا المشوق نحو المشوق
أسقطت كفه اللثام وحيا ... باضطراب بين الحيا والنزوق
لا تلمني فما الطريق بخال ... والتراس العيون ملء الطريق
أشرقي أشرقي فإن عيوني ... ظمئات إلى الندى والشروق
وامتصاص الأزهار في غسق ... الفجر وذوب الأسحار بين الرحيق
إيه يا روعة القصيد أمالي ... رشفة من دماء هذا العقيق !!
رشفة تطفيء الجفاف من ... النفس ويسري فيها في عروقي
رشفة تطفئ الجفاف من ... النفس ويسري فيها في عروقي[1]

وهذا الموقف الأقل من الحكاية ،يمثل الإثارة عند الشعراء الذين تهفو نفوسهم إلى مغريات المرأة ، ونزقها وجمالها . فهي كفيلة بتوليد تجربة إبداعية .

وله شعر آخر يمازج فيه بين العواطف الذاتية ،والرمز الى الوطن، وقضايا المجتمع[2] .

---

(1) إحمرار الصمت ٥٥ .

(2) انظر ، المرجع السابق

غير المعقول : ـ

قال عنه الدكتور عبد الواحد لؤلؤة (فإن (لا معقول) هو :

« موسيقى : لا متناغم »

وغير المعقول هو : « غير منسجم مع العقل أو اللياقة، وفي الاستعمال الحديث، واضح التضاد مع العقل »[1].

ولا معقول، يطلق على المضحك والسخيف

وعرفه جبور بقوله :

« صفة ما يتعارض مع المنطق، ويعجز عن تبريره أو تعليل وجوده، وتنطبق أحياناً على ما نحسه من عواطف أو ما تقدم عليه من أعمال » ومنه مسرح اللا معقول . وعرفها مخائيل نعيمة الأديب :

« ثورة الشعر العربي الحديث الشكلية امتدت إلى الصميم في محاولة كبرى، لارتياد أعماق الذات الحضارية المتفتحة على عوالم اللا معقول، والخرافة والسأم»[2]؛ وهذا مستقى من الأسس الرومانسية.

والواقع أن الاتجاه إلى غير المعقول جاء من فلسفات متعددة واتخذ مسميات متعددة، فمن الفلسفات اللا عقلانية وهي :

« أن العقل لا يدرك الواقع، أو لا يبلغ منه إلا طرفاً يسيرا، لأن الواقع غير قابل للإدراك » لأنهم يبحثون عما وراء المحسوسات عن ماهية الأشياء، كي يقفوا عندها ويحللوها حتى يتجاوزوها.

وقد اعتمدت واستمدت الرومانسية من هذه الفلسفة؛ مما أوحى لها بـ « أن

---

(1) موسوعة المصطلح النقدي ١٠.

(2) المعجم الأدبي ٢٢٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الواقع قابل للانكشاف بأساليب أخرى غير العقل، مثل الحدس »[1] . وقد انعكست هذه الفلسفات على المذاهب الأدبية، وكانت وسيلة فكرية، وأسلوبية لها.

ومن مكونات المذهب الرومانسي، والمؤثر في يقظة الإبداع الوجداني حركة (لا شعور) وهو :

« مجموعة العوامل النفسية والفسيولوجية غير المحسوسة التي تؤثر في السلوك البشري، ويطلق عليها أحياناً : العقل الباطني، واللاوعي ».

« يقع اللاشعور في منطقة خارج الوجدان، ومع ذلك فإن فعله يتجلى في كثير من تصرفات الإنسان خلال حياته اليومية، ولاسيما هفوات اللسان، والنسيان، والأحلام، والأعراض العصابية، وقد توصل العلماء إلى إرتياد اللا شعور بتحليل الأعمال الفاشلة ودراسة الأحلام »[2].

وضبابية اللا شعور تندس أحياناً قليلة في التتابع الأدبي لكنها قليلة، وقد كثرت في الشعر الرومانسي الغربي لأن فيه شعراء مرضى أو تمارضوا حتى يبلغوا درجة اللا شعور. وهي مصدر من مصادر الغموض الفني.

وقد حصروا عوامل التكوين الإبداعي لغير المعقول في :

١ــ « الطبيعة الآلية في حياة كثير من الناس، قد تودي بهم إلى التساؤل عن قيمة وجودهم وغايته، وفي ذلك إيحاء بالعبثية » ومخالفة دينية، و لم يدركوا حدود العقل البشري .

٢ــ « إحساس حاد بمرور الزمن، أو الإدراك بأن الزمن قوة تدمر» وهذا عند غير الأسوياء.

« إحساس بأن يكون المرء متروكاً في عالم غريب » ويغلب أن يكون تابعاً

---

[1] المرجع السابق ٢٢٥.

[2] المرجع السابق ٢٢٤.

من شك وتشاؤم ووهم، وعدم إدراك لمكابدة الحياة، فالإنسان في كبد.

٣ـ « إحساس بالعزلة عن الموجودات الأخرى »[1]. وكان مصدره التمرد، والهروب والخضوع.

الانفعال بالشعور واللاشعور :

الرومانسي الوجداني يغلب عليه أن يفسر الأشياء والكون علويه وسفليه، طبيعته وبشريته بفاعلية الانفعال، والانفعال يخضع للغرائز البشرية ذات الأحاسيس التي تبني الرغبات الشخصية، وتفسير الكون من هذا المنطلق يخضع للأماني والأحلام، وهو يحور ما يعرف إلى التوهج الداخلي فيمنحه صورة خيالية شعورية، وهو لا يقف عاجزاً عما لا يعرفه، فإنه يوظفه توظيفاً خيالياً شعورياً يمنح آماله ورغباته ونحن نجد تفسيراً للكون خاضعاً لتجربة الشاعر كتوظيف الطبيعة؛ فإنه يختلف بين الشعراء فهو عند العواد والفقي تأملي؛ لكنه عند العواد يتجسد لفكر، ويغيب الفكر عند الفقي، وعند القرشي مرتبط بالمحبوبة وعند القصيبي والزمخشري يستوحيان سره وجماله. وكلها ظنية ليست علمية؛ فهي خاضعة لانفعال كل منهم، وما يهيمن على مشاعره من أوهام وأحلام تدور حول فكر كل منهم، ومن هنا فإن صورة الذاتية تبدو غربة مستحدثه، وتثير فينا الحنين والتآسي، وبعضهم يثير الفزع والرعب، وآخرون يصفون صوراً جمالية لكنها وهمية سرعان ما تتجلى، فيرثيها الشاعر، وتخلف الحسرة. لكن هذه الصور لطيفة قبل اندحاره كما هو واضح عند القرشي، والقصيبي، فهما لا يلبثان في حلمهما الجميل طويلاً.

ولا شك أن التموجات الخيالية عند شعرائنا، فيها ملمح من الخيال العلمي الذى يودي إلى اكتشاف واستنتاج بعض مآسي الحزن، أو الصور الرائعة للحب

---

[1] عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي ٧٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السامي الذي لا يموت بالارتواء أو إشباع الغريزة. كما أنه يهدى إلى بعض الفكر عند التأملين من الشعراء. ولكنها اهتداء على استحياء، ويغلب عليها الصور التى تشبه الأمواج البحرية، والنفسية.

والشعراء يهرب بهم خيالهم الانفعالي إلى المجهول، لأنهم يعتقدون أنه الأفضل من حياتهم المعلومة لأنهم يصبغون هذا المجهول بأمانيهم بينما لا يتحقق لهم ذلك بالمعروف. فقناعتهم بهذا المعروف تمنعهم. لكن من السهل وضع الأحلام والآمال في المجهول وتصويره بها، وهذا المجهول كما يوظف بالجمال والمحبة، والخير، يوظف ويصبغ بصيغة الرعب أيضاً، فإن الانفعال عند الشاعر هو مصدر التصوير بالخير أو الشر. وهذا يختلف حتى عند الشاعر الواحد كما نجد التقلبات عند القرشي بوحي من علاقة الحب؛ فإذا حضرت المحبوبة، كانت الطبيعة جميلة، وإذا غابت أفلت الطبيعة وقبحت.

ويرفع الوحداني القيم والأوصاف وما هو معروف يرفعها إلى المثالية، فيستدعي لها من المجهول من يصبغها بصبغة المثالية حتى تتجاوب مع آمانيه وأحلامه المثالية، كما هو الخيال في تصويرهم الليل بالصور الجميلة. وتصويرهم للقمر، وللطبيعة النباتية فهي مصبوغة، بوجدانهم المتمثل في تكوين التجربة، فتوظيف القرشى للطبيعة في الغزل غير توظيفه لها في شعره الفلسطيني أقصد خيال الطبيعة الانفعالي.

إن الشاعر الرومانسي يمر بمرحلة يهيمن الشك عليه، ويتلبس باليأس ـــ ولا يلجأ إلى روح إيمانية وإلى عقيدة إسلامية راسخة، فيتناساها الشعراء ولا أقول يعارضونها؛ لكنهم لا يعتصمون بها، فيكون هناك فراغ روحي، إلى جانب رؤيته لمخالفات إنسانية، فتحل عليه النظرة السوداوية، فيرون الأشياء فى صورها المظلمة، وهم يعمدون إليها اعتقاداً منهم أنها تكشف وتكون النتيجة إيجابية ومن ذلك قصيدة (طوفان) للرميح.

فالعالم أصيب بكارثة بإعصار مدمر. أطفاء المصابيح، واضطراب الكون، وتعالى الصراخ والاستغاثة بالآباء والأمهات، وتتوالى الأعاصير، وتهطل الأمطار، وتنهال الدور والبيوت، وتتكاثر الجنائز.

وعصفت الرياح

وانطفأ المصباح

وتعالى النواح

(أماه) (أبي) (أختي)

فيرجع الإعصار ألف صوت

(أخي) (ابني) (بنتي)

ثم في هذه الطامة الكبرى التي يستمدها الشاعر من مشاهد يوم القيامة، ثم البعث للخير فيما بعده للجنة إن شاء الله، كل ذلك يرمز إلى بنية الأمة في حياتها، وتحتاج إلى خلخلة في تركيبتها حتى يكون تشكيلاً جديداً بعد تساقط الأمطار، وتهدم البيوت في نظر الشاعر، الذى يخالف العقل والمنطق، والتراكم المعرفي :

ويسمع من بعد دوى إعصار

تعقبه ضجة الأمطار

وجندى يمر تحت الدار

إلى أين .. ؟

بيوت تنهار. بيوت تنهار

جنائز فى كل دار

خذنى معك

أين ..؟

إلى الموت. أيها الملك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحب أن أموت، أن احترق
ـــ هات يدك
الحياة لمن هلك
خَوِّض معى فى الطين
اقتحم الأمواج
ـــ قدماى غاصتا فى الطين
تكاد تجرفنى الأمواج
أف .. البرد، البرد كالمسمار
أف .. البرد، البرد كالسكين
وفى الغد ..
مرت الشمس مغسولة الجبين
وحدقت فى "اللاشىء" فى الميتين
عبرة للآخرين إلى الأبد[1]

وهكذا جاء الرميح بيوم الحشر نسأل الله المعافاة، وهو لا يريد ذلك إنما يريد ما تنشده الرومانسية من التدمير والتحطيم للواقع المشاهد غير المرغوب فيه، لعله يشاد على انقاذه عالم أفضل، وهذا يؤدي إلى مخالفة للتوجيه الرباني، بالإصلاح، وإلى إهدار الحضارات السالفة، وضياع عقل البشر ونتاجه عبر الأحقاب.

والرومانسية الغربية جنحت إلى البوح الباطني الذي يهذى هذيانا، أو الانفعال المتدفق الذى لا يضبطه ضابط، وكلها تسلم إلى غموض تائه، والشعراء في بلادنا وظفوا الليل توظيفاً يسلم إلى وضوح، غير أن الرميح اتخذ من الليل ساتراً، فكأنه مجرم يحتمى بظلامة، فما تدري هل يستدعي شلل الإجرام وعالمهم،

(1) ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١٥١.

أم الظالمين وعالمهم، إنه يلج من ليل إلى ليل، لا نـدرك غايـة لهـذا الأسـلوب، ولا يولد إشعاعاً يومض بخواطر نيرة، إنها العتمه الإبداعية وإن كنت لا اتجـاوز عبـارة « الرجوع إلى القرية الحالمة» ففيها إشارة إلى تمـرد علـى الحيـاة الصاخيـة، دخلـت العبارة كأنها نجمة فى عتمة ظلام، لكنه لا يتغي هذا الضياء، فيعود إلى ظلامه.

لنفترق الآن ... كل إلى غاية ينطلق
لنفترق الآن من قبل أن يضـمحل الظلام
ويصحو الأنام
وتكشـف أسرارنا المبهمة
ونختار : من أى درب نعود
من أى درب نعود ؟
وكيف السـبيل لحطم القيود ؟
وما من طريق إلى النجوة
وما من مفر
وما من سبيل إلى العودة
لنفترق الآن .. ما دام هذا الدجى
سيحجبنا عن عيون الورى
وما دامت الأنجم الساهمة
تنير لنا الدرب .. درب الرجوع
إلى القرية الحالمة
لنفترق الآن .. آن لنا أن نعود
وآن لنا أن نودع هذه الوجود
فلا تحزني أننا فى غد
لـسوف نعود .. وقد نلتقى
مع الليل فى نفس هذا المكان ..

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لنفترق الآن .. آه .. ولكن هناك
هناك وراء الظلام العميق
كأني أصيخ لوقع خطى
وهمس شفاه
تبعثرها الريح بين الشعاب
وفي كل زاوية ومكان
كأنما أبصر في عمقه
ظلال شبح
يمر أمامي كحلم بعيد
كحلم توارى.. توارى.. ومات
ولكن أطيافه لم تزل :
تثير بنفسي شتى الذكر
وتغمر قلبي بشتى الصور
وترسم لي ذكريات الصغر
لنفترق الآن .. آن لنا أن نعود
وآن لنا أن نودع هذا الوجود
فلا تحزني أننا في غد
لسوف نعود .. وقد نلتقي
مع الليل في نفس هذا المكان
في نفس هذا المكان[1].

من الشذوذ في الأدب العطف على المجرمين والشاذين، الذين يحتمون بالظلام ويفتكون بالمجتمع فكيف في أدبنا ؟ ومن هنا فإن قراءة هذه القصيدة على هذا المنحى لا نؤيدها، فليس هناك ما يماثله بامتداح المخالفين للدين بالإجرام، والنهب

[1] ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١٤٨.

والسلب، الذين يحتمون فى ظلام الليل، اللهم إلا عند الشاذين الذين لا يقرؤن بملكية الإنسان لما له وعرضه. ونقول لهذا : (**كفى ولولة وأرحل**)[1] لكن من يقرأها قراءة أخرى ، فتستدعي له أفكاراً غير التي خطرت لنا .

ونلتقي مع لوعة الفراق عند الشاعر محمد فهد العيسى في ذلك الوداع الذى أشعل وهج الأشواق فتحولت إلى ألحان مغردة، تبوح بالنحس والألم، لكنه أمات التغريد المطرب الذى يصدم فى أفانين الحياة، فأضحى الأسى والبؤس يعتلج فى النفس، فهو يرفض المؤساة، ويرسف في الوهم والأحلام ؛ فهو يبحث عن غير المعقول :

أثاركوا من الأشواق لحن
تردد في الوداع بيوم نحس
وحف بي الرفاق وليت هذا
لدى موتي لدى دفني برمس
فإن الموت أهون من فراق
أمات اللحن في أعماق نفسي
وقال لي الرفاق ... ألا ... عزا
فقلت بلى ... بآلامي وبؤسي
بآهاتي... بأشجاني... بذلي
بتبريح الصبابة ... بالتأسي
دعوني في تعلاتي ووهمي
دعوني بين أحلامي وهجسي

ثم يجنح إلى الخيال الشائع، فتغريد الأرواح وتحليقها متعارف عليه في بعض الأديان وعند كثير من الناس وبعض الأساطير فهو سوف يترك دنياه، ويكون روحاً شفافة محلقة لا حدود لمكانها، ولا نهاية لزمانها، محكاة للهروب الرومانسي

---

[1] روبرت، الرومانتيكية ٦٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غير الواقعي.

حطـام قد تركـت وأين تمضـى
تجـد روحـى محلقـة ... وحـبى
تركت وما تركت سـوى هشـيم
وقـيـثاري محطـمة بقـربي
مضيت. وكيف؟ لا أدرى. وماذا
وقـد لاقيـت من أغـراك لحـبي
مضـيت فأين ما أودعـت حبي
من الإلهـام فى ليـل (التصـبي)
مضيت فهل تعـود ؟ ألا لقـاء ؟
ألا وصـل ؟ ألا رحمى بقلبى ؟
لقد أمضيت من عمـرى ربيعـاً
أعـذب من هـواك بحد عضب

ويختم قصيدة بعهد يكبل به حياته في دنياه، ويدور فى فلكه بعد مماته كما يزعم وإن كان في الحقيقة سيجد ما يذهله عنه.

فعد لى لا عدمتك أى عـام !!
سأبقى ما حييت أفى بعهـدي
سـأبقى تائها نهـبا لحـبي
لآلامى. لأحـزاني. لسـهدي
سـأبقى ما حييت وبعد موتي
أصارع فى هواك الدهر وحدى
وأنسـج (للرياض) الزهـر برداً
من الألحـان يا أفـياء (نجـد)

(1) ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١١٦.

(هنائى) فيك قد أضحى مقيماً
فقـدت ببعـده لبـي ورشـدي
فقـدت ببعـده لحنـاً شـجـيـاً
وكأساً كان ينزعها بشهدي[1]

والقصيدة تدور فى ضبابية، فنرجح أنها تدور حـول تجربـة عاطفيـة حقيقيـة وتارة تحلق بنا في جو متمرد عن الحياة، نتيجة لحادثـة مـن الحـوادث لكنـه يطفـئ وهجها بغربة مكانية فردية حين يشير إلى غربته عن نجد .

والشاعر ناصر أبو أحيمد المولود عام ١٣٥٠ هـ يتلبس حياة مظلمـة يجـوس خلال العتمة من الانزواء، في قعر الدار إلى الظلام الرهيـب، ويمتـد بـه إلى الكفـن المهيب، إنها العزلة الرومانسية فهو يرقب الناس ويرصدهم، وهو غير متصـل بهـم تلك عزلة الرومانسـين المعـاصرين، وسـلبيتهم في الحيـاة ؛ فهـو يعيـش حيـاة غـير معقولة .

من ذا الذى يطرق نافذة بيتى
الظلام الرهيب
يكفننى بجلبابه
منزلي على قارعة الطريق
يرصد العابرين فى قلق
والمدجين فى ذعر

إن اليأس الذى أقعد الشاعر نتيجة الصدمة التى تعـرض لها تلك التى تحطـم كيان الرومانسيين والشاعر يجعل الطبيعة هـي وسـيلة التدمـير بـدلاً مـن الهـروب إليهـا فالعاصفة، هى القاصمة التى أسقطته، وحطمت كيانه ودمرت مستقبله :

مـرجتي
قد أطفأتها العاصفة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وحطمت أغصان
دوحتي الرياح
من ذا الذى يطرق نافذة بيتي
أيها الآتي
من وراء الأبعاد
اذهب
لن تجد أحداً هنا
لن تجد إلا القلق
إلا اليأس[1]

والصدمة دفعت به إلى الاعتزال، وموج الأحاسيس ألبسه اليأس، الذى أقفل أبواب الرجاء والأمل، فتلك عزلة رومانسية.

وكما أن الشاعر رمز إلى نكبته بالطبيعة، فإنه أتى إلى خاصية أخرى من خصائص الرومانسية وهى الإحساس والشعور الداخلي الذى يثير الانفعال، ويحتكم إليه الرومانسي، فإن ناصر أبو أحميد يتضرع إلى ربه لعله ينزع منه وهج الإحساس بل يصيره متبلداً.

رباه أبتهل إليك
أن تميت هذا الإحساس
فى قلبى
حجر عواطفى
يارب السماء
أحبس هذا الروح
الذى يريد أن يطير
إليك

[1] ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١٠٦.

ويدعوه إلى الهروب الرومانسي كي لا يتأثر بالمؤثرات ولا يشعر بالمنقصات، ولا يهيج من هيجان الأحداث ويتمنى الفراغ والتيه الذي يلوب فيه الرومانسي.

احبسه في كهوف الجسد
اخلق مني إنساناً
لا يحس بالألم
في هذه الذرات
التي نبصرها بالعين
ولا نحسها باللمس
قص أجنحة خيالي
واملأ ذهني
بالفراغ
املأه بالفراغ يارب

رب
رب لم أطلقت
هؤلاء الناس

والرومانسي يتمرد على الإنسان وعاداته وتقاليده، ويتمنى المثالية التي يراها في الطبيعة وأبو أحيمد، تلبس بمثالية فكر المسلم، والإنسانية المعاصرة، وتحقيقها ليس من الصعوبة على الأفراد لكنهم ينأون عنها، بل يحطمون القيم، فهم يتعالون،

وينهبون الأموال ويفتكون، فهو يعلن تمرده الرومانسي على هذه الإشكالية :

يفرحون
أقدامهم تضرب
في الأرض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بشوق وجنون

خزائنهم

عامرة بالأسلاب

مقابرهم

عامرة بالضحايا[1]

والتيه وراء الأوهام والسراب، مما ولج فى الشعر على استحياء فهو قليل لكنه ليس بالنادر فالشعراء لهم أمنياتها وتطلعاتهم التى يسعون من أجلها، لكن أكثرها لا يتحقق إلا فى الأمنيات وأحلام اليقظة لأن بلوغه وإن لم يكن مستحيلاً إلا أن عقبات كثيرة من التنافس، والتدافع ومراحل الصراع، واصطدامه برغبات الآخرين تقف فى وجهة، فالشاعر صالح العثيمين يجوب تلك الأماني في قصيدته (أحلام وسراب) يقول فيها :

هل أنت تائهة مؤججة المشاعر والرؤى

هل أنت مثلى تركضين وراء أحلام المنى

عبر السراب وخلف أذيال النوى

حيرى المقاصد مثلي، قلبي ملّ من طول السرى

فأنا فؤاد خافق فى هيكل القدر أنزوى

وأنا حياة مرة وهى يضرمها الجوى

لم تلق من تهب الحنان بذلك الجو الخواء

روحان نحن على دروب الليل يأكلنا الشقاء

فأنا ضحية عالم سد الصراع عليه أجواء الفضاء

اتخذ النفاق خليله فهوت عليه يد القضاء

يا أخت أن بعدت عليك رؤى النجاة بذلك التيه العراء

---

[1] المرجع السابق ١٠٧ .

وجلست في درب الفضيلة بين أنياب الفناء
وعلى جوارك يمرح الأنذال بين يد الهناء
وشموعك العذراء تغمرهم بأمواج الضياء
فلدي روح يحمل الآلام والآمال وردي السنا
يهب العزاء لمن ذوت في أفقه دنيا العزاء
هو للضياء لغيره يحيا ويهزؤ بالفناء[1]

وهذا شأن الغرباء من أهل الفضيلة والمثالية، فالمرأة العذرية العفيفة في عالم الغرب غريبة شاذة، لكنها على حق، وكذلك الذى يعمل بأفضلية كل خصلة إسلامية فإنه يغترب في بلاد المسلمين، لكن هذا لا يمنع الاعتدال ومحاولة الإصلاح فهى أفضل من الاعتزال.

والشاعر يتجاوز المعقول لكن لا يحث عما وراءه، وإنما يلجأ إلى السماء والسحاب كناية عن العتمة النفسية في مشابهة الضباب والظلام.

تلفعت يا كوكبي بالسحاب ولفعتني بضباب الشجون
تسير إلى حيث شئت طليقاً وأبقى أسير ظلام السجون

وهو فى تجاوزه قدراته إنما يبلغ الجمال أو كسحر الشاطىء للعيون أو يهوم في الأحلام الساحرة عن طريق الأماني :

سبحت زماناً بعينيك حتى رسوت على الشاطىء الساحر
وطفت بعيداً أروم النجوم أهوّم كالحلم الشاعر
السخر مني وهل كنت يوماً أياً كوكب الحسن بالساخر
عدلي إلى بحر عينيك إني مشوق إلى موجه الهادر

***

أنا هنا الأمس الأمس ورداً يعطر دنياي بالذكريات

---

[1] ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١٨٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والمح مستقبلي زاهياً فما عدت أذكر أمسي اليوم
أحوم على الزهر مثل الفراش لأشرب منه رحيق الحياة
أنا الشاعر الخصب ما خنت فني ولا بعته بسخي الهبات

***

حنوت على وتري علّه يذيب عذابي بآهاته
وناشدته مستغيثاً فما تنفس عن حلو أناته
فالقيته جانباً والأسى يحرق قلبي بجمراته
هل الدهر يا وتري مثلما دهاني دهاك بويلاته ؟؟

***

لقد كنت أهرب بالنفس من هواها إلى الأفق الأرحب
وقلت لنفسي لا تطلبي محالاً من الناس أو تتعبي
وعودي كما كنت شفافة إلى العالم المزهر المخصب
فليس الهناء الذي تطلبين يراود بالسفر المرعب[1]

فهو يهرب إلى الأفق الأرحب وليس ذاك إلا الوهم، والآمال الكاذبة والهروب من التعامل مع المجتمع، وتارة يعود إلى حالة الروح قبل معانقتها الجسد، وتلك الفكرة، ليست رومانسية مستغربة، إنما هي مستمدة من التصوف، وهي لا تطلب البحث عن معرفة ما وراء الشيء بل تتفلتت مما تعانيه.

إذن فإن تجاوزه للأشياء، لم يكن ناجما عن فكر، لا يبحث عن حقيقة مطلقة، أو عن فكرة مجردة إنما هو هروب من واقع أليم كما يتوهمه، وأكثر ما نجد عنده هو عجزه عن بلوغ الأشياء أو اضمحلالها قبل أن يرتوى منها، فهى تهرب منه لنحسه وسوء حظه .

إن كثيراً من المنتسبين للرومانسية الغربية مبتلين بأمراض نفسية، مما زعزع الاتجاه ونسبوا إليه المرض لأنه وليد مرضى، والشاعر الحجي الذى عانى ما عانى

[1] عذاب السنين ٧٦.

من الانفصال آجره الله عليه في أخرته، فإنه لم يطلع كثيراً على الرومانسية الغربية حتى لو اطلع فإنها لم تؤثر في شعره، فإن جل شعر ينبع من ذاته بل من أعماقها المجللة بالسواد، فله قصيدة هي أطول قصائده حملت عنونين هما (**من أعماق نفسي**) (**خلف المنظار الأسود**)، فشعره يماثل شعر أولئك الذين تيرموا في حياتهم وبلغوا درجة اليأس والكآبة والانفصام، ومرضه جعله ينظر بمنظار سوداوى قاتم. فيرى الجمال قاتماً مظلماً، وإذا ما أقبلت عليه أسباب الفرح تراءى له فراقه فسبق الحزن الفرح.

إن نظرت الجمال غضا طريا ... يتجلى في المنظر الخلاب
لاح لي أسود المصير ... كمسود الليالي مكشر الأنياب
فرأيت الجمال يطوى بأكفان ... ويلي ممزق الأسلاب
وإذا ما الحياة قلبي يوماً ... فرّحته بزورة الأحباب
أيقنت نفسي الفراق طويلاً ... ورأيت الوصال مثل السراب
وإذا ما الكؤوس صفت أمامي ... يتراقصن من مصفى الشاربي
واحتساها قوم وغنى المغني ... بلحون تطيح بالألباب
صرت وحدي الباكي يظن بأن ... الدمع دمع السرور لا الأوصاب
واجتنبت الطلا ولم أسمع اللحن ... ولم أدر عن فتون الشباب
وتناهى لمسمعي صوت كف ... عصفت بالشراب والأكواب
ومحت آية السرور وأبقت ... حزناً حل أسود الجلباب
وتراءى لي الندامى وقد صاروا ... حطاماً في حزمة الحطاب
هكذا كنت في حياتي عجاباً ... يا لقلبي من هول ذاك العجاب
أخط القاتم المرير من العيش ... وأبكي على الضياء الخابي
وإذا لاح لي البهاء وضيئاً ... قلت: يا دهر ليس ذا من حسابي[1]

فالشاعر يحكي حالة مرضية واقعية، و لم يدع إلى فلسفة متولدة عن هذه

[1] عذاب السنين ٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحالة. والشاعر الحجي الذى عانى ألواناً من البؤس، فإنه يتمنى أن ينجلي عن البشر فهو يستشرف المثل الإنسانية ذات الصيغة الإسلامية، فإنه يتمنى لو أخرج الناس من شقاء الفقر، وجاهد لبناء المجد، وإنصاف المظلوم.

كم تمنيت أنني بسمه في ... فم البائس القنوط الكابي
أو منام يمحو سهاد الأيامى ... واليتامى والمبتلى باكتئاب
أو ضياء ينير للشعب سبْل ... المجد .. يدعو إلى اقتحام الصعاب
لبناء الأمجاد تسمو وتودي ... بالخرافات والأذى والعذاب
لدخول الحياة من بابها ... الفضيّ لحو الآمال والآراب
لانقضاض الحق الصريح على ... الباطل يهوي مثل انقضاض الشهاب
كي نرى الشعب بين ساع دؤوب ... أو معنّى بالفكر والآداب
ليت لكن : ليت لم تبق إلا ... نغماً ظل واهي الأسباب
لو ملكت القوى لرحت بعيداً ... وتساميت في الشعاع المذاب
أو توجهت نحو خالقي ... الأعظم أو ذبت في كثيف الضباب
أو غدوت الحقل الجميل تبدى ... دافق النور ناضر الأعشاب
أو صحبت النجم اللموع جلته ... ظلمة الليل ساطعاً في اضطراب
لو ملكت القوى لحققت ... آمالي وازجيت للمعالي ركابي

لكنه لم يأنس بهذه الأرض، فلو ملك القدرة، لحلق تحليق الأرواح الخيرة، من الملائكة، ولصحب النجم المضيء حتى ينجلى الظلام، وكذلك يحقق آماله ذات القيم السامية.

رب آمنت بالحقيقة فاجنبني متاهات أوبتي للعذاب
رب إني أدركت حقك فلتشرق بنفسي نوراً يضيء جنابي
ها أنا قد مللت تجوال عقلي ... في سحيق الفضا ولج العباب
آن يارب أن أداوي جراحي ... من صنوف الآلام والأوصاب

فاهـدني للصـواب إني منيب ذو تسام إلى الهدى والصواب[1]

وهو بعد رحلة التحليق يرنوا إلى خالقه لعله يشرق بـروح الطهـر والإضـاءة وقد أدرك أن أوهامه وخيالاته إنما هي ـ سراب لا نفع فيه.

وعودته إلى باريه، تمثل انضباط الانفعال والخيـال بـالمعتقد الديـني، والالـتزام بالعقل.

والشاعر الحجي يسقط معاناته البائسـة علـى الطبيعـة، فهـو بعـد أن يصـف حالته حين عصف الدهر بأحلامه، فانهكه فاضحى هيكلاً ذابلاً، حتـى تسـاقطت آماله حتى الجدول الجاري ينضب قبل أن يبلغه وقد صوح الروض المونق بأزهاره، حتى النهر الكبير جفت مياهة، فهو لا يدرك شيئاً في حياته ممـا أسـلمه لليـأس ثـم للكآبة ثم للانفصال الذى أودى بحياته :

حـيران مـن ثـورة آلامـي من عصفة الدهر بأحـلامي
من ضجة الشوق بروحي وما أرى سـوى آثـار أقـدام
آثـار أقـدام هـوى راحـل يبكي عليه الخـافق الـدامي
شـبـت صـباباتي ولا مـورد يطفي جحيم المدنف الظامي
الجـدول الرقـراق ماتت به أمـواهـه فاعـتل قـدامي
قد صوح الروض وكم وقفـة فيه تولـت غسـل أسقامي
والأنجـم الزهـر بعـليائهـا لم تشـتعل في سحرها الهامي
والنهـر قد جـف كان لم يكن يعـرفني في غـر ايـامـي
قد كنت بالأمس إذا ما الأسى فاض جرت أنهار أنغـامي
آه لروحـي من ضجـيج المنى صخـابة تقـتل إلهـامـي
يازورقـي لا تنطـلق أنـنـي تخيفـني أشـباح آلامـي
البحـر مجـنون بأمـواجـه وأنـت مشـحون بأوهـام
الجـدول الجـاري ولم كان لي مواسـيا يلثـم أقـدامـي
تبخـرت أمـواهـه فانـبرى كالقـبر ملحـودا بآحـام
أنكرت نفسي حين جن الأسى بها واغفى حلمها النامي[1]

[1] عذاب السنين ٣٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن رومانسية الحجي نابعة من ذاته، المتطلعة التواقة للمعالي، ولكنها لاقدرة لها، وسعيه ومكافحته تبوء بالفشل، مما جعل تلك الغرابة والانفصام وهروب الأشياء أمامه يؤدي إلى رومانسية شديدة الوقع .

والبواردي يريد أن يتخلى عن عقليته المتنامية التي تتفاعل مع مكابدة الحياة فهو يعود به إلى الطفولة قبل أن تثقل بالالتزام العقلي والاجتماعي. يتواصل مع قول طاغور :

قُلتُ مَهْلا هُوَ طفْلٌ دَعْه يَلْهُو دَعْه يَلْعَبْ

لكن البواردي يباشر الموضوع بالحديث عن ذاته المتواصلة مع المجتمع :

نحن مثل الطفل كالأطفال نلعب
يقطف الأزهار كم نقطف عمرا ؟
يجهد الأنفاس كم نجهدكم نقتل نفسا ؟
يمنح الحلوى ولكن نحن كم نمنح بلوى ؟
هو مخلوق مهذب
برغم مازال في النبت غضا يتأهب
لملاقاة الحياة
دعه يلعب
دعه يلهو ... دعه يلعب
دعه للأزهار يقطف
دعه للأعصار يعصف
دعه في التيار يجدف
دعه من كل مجاري العنف يغرف
هو طفل ماله في الكون منصف
سوف ينمو سوف يعرف
دعه يلهو دعه يلعب [1]

---

[1] عذاب السنين ٥٧.

[1] عبد الله الحامد، في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية ١٠٥.

فالطفولة غير العقلية تلك هي السعادة لأن الحرية تسودها، ولأنه غير ملزم بالقيود الذاتية والخارجية، وهذا هروب رومانسي فيه مجافة للواقع والعقل، وفيه خلو من الغاية والهدف.

والشبل يجدد الحياة العقلية بالعودة إلى الطفولة، فهي أكثر وحدانا وحبا فعيدوها كما كانت، فهي نفحات من الربيع، ذكرها يزيد القلب لهيبا بالمعاناة المتأخرة الناجمة عن التعقل ومكابدة الحياة.

خطرات الشوق من ذكرى صبانا ... لم تدع للأنس في القلب مكانا
خطرات الشوق من عهد الصبا ... حددوها وابعثوا ذاك الزمانا
جددوا منها عهودا حلوة ... وأعيدوها كما كانت وكانا
نفحات من ربيع غابر ... أضرمت فينا لهيبا من هوانا
بعثت فينا الأماني غضة ... وأثارت بين جنبينا أسانا
ذكريات علق القلب بها ... رسمت في موكب العمر خطانا
ذكريات كلما همنا بها ... خففت حرى الأماني في حشانا
يا رعى الله زمانا شيقا ... مر كاللمحة في ركب هنانا
عزف العمر له أنشودة ... عذبة الإيقاع تهتز حنانا
يخفق القلب لها إن صدحت ... ويهاديها حنينا وافتنانا

والشبل يمثل الهروب التأملي فهو تارة يهرب إلى الطفولة الأولى فهو يتمنى حياة المهد والصبا، ومازال يستعيد متعتها وأنسها، بل هو يراها بعيدة المنال فلم يبق إلا أطلالها فالعودة إليها غير معقولة :-

أين من عيني يا مهد الصبا ... ذكريات الأمس من ماضي صبانا
ذكريات الأمس من عهد مضى ... وتولى بعد ما أذكى شجانا
بعد ما أجج فينا صبوة ... من أمانيه التي هاجت جوانا
أين لا أين سوى تلك المنى ... وصدى الذكرى وأطياف رؤانا
أين لا أين سوى الرسم الذي ... بقيت ترنو إليه مقلتانا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إيه فلتبك الليالي معنا ... ولينح ذاك المُغَنّي لبكانا
حلما يغرب في أفق البلى ... وحواليه الأماني تتفانا
حلما غنى به ذاك الصدى ... ردد الذكرى نشيدا في دنانا
ردد التحنان في أنفسنا ... غنوة تروي أساطير منانا
غنوة من الماضي بها ... من صدى الذكرى حنين لا يدانى[1]

وهو في قصيدة (داع) يستعيد الحياة الأولى حياة البراءة يوم لا ثقل للحياة، إنما هو الطفولة الحالم الذي يمرح يومه بلا تأمل ولا معاناة ولا كبد.

صبرت عنك ومالي عنك مصطبر ... لولا بقايا مني طافت بها الذكر
غنت فهوم روحي في مناهلها ... وأرق القلب من أطلالها أثر
يامن ترف له الذكرى بلوعتها ... ويسلب القلب من أحلامه صور
هلا ذكرت زمانا بالمنى رقصت ... أيامه وتغنى الورد والزهر
لم يبق فيه سوى ذكرى مؤرقة ... وأدمع من حطام القلب تعتصر
عام تمر به الأيام مسرعة ... كالطيف لا... ولا خبر
أفنيت فيه ربيع العمر منتظرا ... وهزني من هواه الموكب العطر[2]

فالشاعر الشبل من أولئك الوجدانيين الذين يعشقون الحياة بلامكابدة ولا معاناة، إن السعادة أن تعيش على الفطرة عيشة الإنسان الأول البدائي أو قبل أن يطأ الأرض عندما كان في فردوسه، فإن لم يكن ذلك فإن طفولته هي الأقرب لتلك الحياة الأولى.

ويرمز الشبل لحياته التي يحلم بها بالفردوس ذلك مستقر الإنسان الأول فقد كان طيراً مغرداً، قبل أن يغويه الشيطان، فيصيره إلى الأرض مكابداً شقيا فحل في الأرض بصراعه وعقله :

---

[1] ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١٣٢.
[2] المرجع السابق ١٣٢.

نسمة الفردوس عودي أنعشي روح الوجود
وامسحي هام الروابي بـ شذا عطر الورود
واعزفي الايام لحنا من ترانيم الخلود

إن ما تبقى في الحياة من اللذائذ لم تكن فيه روح خفاقة ماعدا نسمة الفردوس الأولى التي تهب على بني البشر، تلك عودة رومانسية إلى حياة الفطرة قبل تكوين العقل في نظرهم.

إن هذا الكون لولا نسمة الفردوس ولى
وغدى لليأس ظلا
فارقصي فوق الروابي بسنا النور المذاب
وابعثي الفرحة في الكو ن بأحلام الشباب
وتهادى فالربيع الطلق قد غنى بأنغام عذاب
وسرى طيفا وديعا مرحا غضا بديعا
يغمر الكون ...

إذن فالربيع روضة من رياض الفردوس فيحق للإنسان أن يفرح ويمرح ويغني فهو مراح روحه، وسلوته في صراع عيشه الدائم.

بين سمار ندامى جعلوا العيش ابتساما
وهفوا تحت جناح الليل عشاقا هياما
نسمة الفردوس أسقتهم من الشوق ضراما[1]

فالقصيدة تمثل جانبين من جوانب الرومانسية، فهي تعود بالإنسان إلى مكانه الأول في الفردوس العظيم قبل ان يكتسي بالعقل والشهوة الجامحة، والجانب الثاني تستلذ بالطبيعة وتسعد بها، وتعجب بحياتها فهي مكان الهروب من الواقع المرير في الحياة، ولو مكثوا فيها لاشتكوا ملالا من جمودها.

(1) ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرين ١٢٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إن حياة التخلف المعاصرة للأمة العربية، وما صحبها حروب على الأمة الإسلامية، وطبيعة الحياة الفردية والاجتماعية، ونضوج العقل وتبلد العواطف، نتيجة للحياة العملية الصناعية، جعلت الشعراء يلجأون إلى حياة الفطرة الأولى قبل تلوثها بالمعاصرة، والشاعر الشبل من أولئك الذين عادوا بإبداعهم إلى تلك الحياة، ولا أميل إلى أن الشاعر جارى الرومانسية الغربية في فكرهم الهارب، وإنما هو نبع من واقع حياته الصاخب: التى زعزت الأسرة، والأقران، وحطمت تماسك المجتمع.

لماذا التفرق والذكريات
تغمغم في سمعنا
وتهتف فى قلبنا
لنبقي على عهدنا
ترقرق أنفاسنا
وتنشد أحلامنا
ونرقص فى مهدنا
لنبقى لنبقى كما لم نكن
لننفض عنا غبار الزمن
وننسج لليأس هذا الكفن
ونرنو بأعماقنا
إلى مهد أشواقنا
وما ضم من ذكر غالية
تهوم فوق الربى
لتضرم ما قد خبا
من الشوق من ذكريات الصبا
لنبقى هنا
على عهدنا[1]

وهو يرمز بالزهرة العذراء لحياة الفطرة فهو يهرب إلى فطرة الطبيعة، التى

[1] ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١٣٣.

يتجلى فيها الفرح والحسن، والندى فوق الزهور والأغصان، والطير ينشد ألحانه :

في زهرك الفواح	ولحنك الصداح
يا روضة الأفراح	ترنيمة السحر
منك الهوى غنى	وذوب الحسنا
في القطرة الوسنى	بالأنجم الزهر
فارق العشاق	في لحنه الخفاق
بالسلسل الرقراق	من صادح الشعر
فرفرف الزهر	وهوم العطر
وردد الطير	أنشودة الفجر
وحوم الظل	فراح ينهل
في نشوة تحلو	بها رؤى العمر
ولم يعد قلبي	في ثورة الحب
إلا مني صب	بها الهوى يسرى
وراحت الذكرى	في مهجتي البكر

فهو يعود إلى الفطرة التي تمثل قمة السعادة، وأحلامه بتلك المباهج كأنها الزورق في المياه الجميلة وتارة يلجأ إلى الغاب ليخلو بين دوحه، وأعشابه، وتموج به أمواج الخواطر إلى صحراء الحزن والأسى، لكن موجات الأنغام والبهجة تهيمن على الشاعر في هذه القصيدة :

تطوى بي العمرا	في زورق سحرى
فطرت استوحى	من وارف الروح
فيضاً من الروح	اغفي به صدرى
ولاح لي في الغاب	مخضوضر الأعشاب
في موكب خلاب	بين الربى يجرى
طوفت في دنياه	بين الأسى والآه
وهمت في مغناه	حيران في أمرى
استلهم الأنغام	في عالم بسام
اقضي به الأيام	والقلب لا يدرى
وأنتشي ريان	بالشدو والألحان
في موكب يزدان	برونق البدر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شعت لياليه واهتز شاديه[1]

وقد كانت نظرة الشعراء للقمر تدور حول جماله وشموخه ومراقبته للحياة البشرية ـ لكن بعد الصعود إليه، أصبح مهاجراً للمتبرمين من نكد الحياة، فالقرشي الذى عاصر الهبوط الأول للإنسان على القمر يقول :

(وقد أعيش في حماك ... في رباك يا قمر)[2]

وهو يصادق القمر في رحلته البائسة، فهو تارة بدر ـ ثم يأفل هلال وأشبه ما يكون بحالته نهاراً حين يخفت ويتضاءل كالنجوم، وتارة يجعل جمال القمر متعلقاً بإرتباط العاشقين :

وحين أقلع النهار
وعدتِ يا صديقتي كدرة المحار
وحين أورق السهر
حسبت أنا طائران هاربان من قساوة البشر
مهاجران للقمر
ليلتها ما كان أجمل القمر[3]

فالقمر يظهر جماله بجمال اللقاء بين المحبوبين، فمصدر جماله الإنسان، والهروب ليس لغاية أكثر من الحب في هذه الأبيات.

ثم يوغل القرشي في التمرد على الواقع إيغالاً مركباً، فهو يحلم وهو فى الحلم ضائع مع عشيقته فالضياع والحلم، تمرد و لم يكتف بهما بل كانا طفلين فهرب من الواقع والعقل إلى الطفولة البرية، صاحبة الحرية، وانتقلا إلى الصحراء، ليعيشا فى القفار فى حرية كحرية كعروة بن حزام عندما تمنى إنه وعفراء بعيران يرعيان في الفلا، وتبعهما كثير عزة، وكذلك أمنية مجنون ليلى ليته هو وليلاه

(1) ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١٣٤.
(2) الديوان ٢ : ٦٧٩.
(3) المرجع السابق ٢ : ٦٨٩.

يرعيان البهم فلم يكبرا و لم يكبر البهم.

ولا يفوتني أن أشير إلى موطن الحلم ذلك الهروب لظلام الليل ووحدته وهما يتزوجان ليلاً وفى الحلم، وينجبان طفلين دائمي الطفولة. ويمعن في التمرد على حياة هذا الكون، حين يجعل هذا التمرد موروثا لطفلين فى مدينة خالية من البشر أى من العقل والواقع وقيود المجتمع، وإن كنت أرجح من خلال قراءتي أنها تستدعى حالة التشريد للفلسطينين من ديارهم. فهم عاشقون لفلسطين، وهم يعانون من ظلم المجتمع الإنساني.

حبيبتي
رأيتُ في الحُلْمِ الغَريبِ أنّا ضَائِعانْ
طِفلان ضَائِعان متعَبَانْ
عَاشا مَعاً مشرَّدَيْنِ في القِفَارْ
وقبْلَ مَوْلِدِ النّهَارْ
رأيْتُ أنّا قد كبُرنا قد تزوّجْنا وأنجبْنا صِغَارْ
وَعِشْنا قد كانَ في مَدينةٍ بلا بَشَرْ
كانَ هناكَ الصخْرُ قد كان الدُّخانْ
يغلّف الآفَاقَ .. قد كانَ المَطَرْ
يُلقّحُ الأشجَارَ لكِنْ لا ثَمَرْ
أضرَبتِ الأشجارُ، عَرْبَدَ الزَّهَرْ
فَرِحْتُ إذ رَأيْتُ طفلَنا الكبيرَ يعشَقُ الخَطَرْ
قد كانَ يَجْري كالرِّجالِ لا يُبالي المنحَدرْ
حِصَانُه الصغيرُ صاهِلٌ ضَجِرْ
كان يسيرُ تائهاً لغيرِ مَا مَقَرْ
وَفجْأةً تَرنّحَ الطفلْ .. وضَاعَ في الحُفَرْ[1]

والقصيدة رمز كلي لحالة الفلسطيني، الذى عاش مشرداً عن وطنه، وهو

[1] الديوان ٢ : ٦٩٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يهفو للعودة لبلاده، ولكنه يُمنع غير أنه يبقى صلداً كالصخرة يدخل عباب الدخان، فهو سوف يتصدى للمغتصب ليستعيد أرضه.. والقصيدة تصور قوة الفلسطيني، كما تتأرجح مع خفوت المقاومة.

والقرشي حين يبحر إلى المجهول؛ فإنه يمتطي العدم، فهو على جناح من الشغف، والشغف شعلة الحب والمحب لا يرتوي، فالقرشي لم يرتو، فهو يدلف إلى بحيرة من الظمأ ذات العدم من الماء، فبحيرة العطش لا رواء فيها، فهو يرمز للعدم ببحرية العطش.

على جناح موجة من الشغف
تقول لَما أرتوي
أنا شهيدة القرون يا معذب الجبين
وهل أنا أرتويت يا حبيبتي !
سلى اشتعال النار في حقيبتي
الحب يا صغيرتي
بحيرة من الظمأ
وكيف يرتوي الظَّمأ من بحيرة العطش ؟!

وتارة يميل إلى التصلد فيكون خزفاً، لكنه يعود إلى الطيران يحلق إلى مشارف الغيوم، ولا يصل إليها ولا يتجاوزها وهو يدرك عدم فائدتها كعمره الذى عاشه بلا هدف بل إن هذا الهروب يسلمه للذهول لكنه يصحو بعيشة القرف.

ولنتركِ العمرَ جُذاذاتِ خَزَف
لنرشقِ الليلَ بها والأفقَ والنجومْ
ولنطلِقْ إلى مَشَارفِ الغيومْ
فإنني يا غادتي عِشتُ بلا هَدَفْ
أقذفُ بالشِّباكِ أجتازُ حقولَ العُمْر
ثم أعودُ للذهولِ و(القَرَف) !
اتسأليني مَعْبَراً ؟ لا تسألي !

فالفكرة في القصيدة ليست نابعة من انفعال يجتاز الواقع، ولا نابعة من فكرة واضحة، إنما موجات رومانسية مقيدة بفكر وعقل ودين ثم يرسو إلى واقع الحياة، فالاضطراب هو الواقع فهو يميل حيث تميله الحياة لا إرادة له ولا قدرة، وهذه حالة عدمية للإنسان.

سفائني تسيرُ لا يدفعُها شِراعْ
تحضِنُها شواطئُ الحرمانِ والضّياع
أعيشُ لا متاع
وليس لي من زاد
في زحمةِ الحياةِ غير لحنيَ الجريح
وغير وجهك الذي بدا كواحةٍ من الترف
لأنني في رحلتي عشتُ بلا هَدَف !
مستقبلي ؟
مستقبلي أمسٌ مضى فلا يعود
ذبحتُه فهو شهيد
وقد نذرتُ للشّقاءِ خبزيَ العتيد
أغلقتُ شبّاكي على سرابه البعيد

والواقع أن القرشي حذر في تجاوزه للمعقول أو الواقع، مما جعله يستدعي الغموض الفني الذى يحتمل التأويل فلِمَ أغلق شباكه هل هو داخل السراب البعيد في العدم أم أنه عاد إلى عزلته في الواقع ــ وكلاهما يلتقيان في التمرد على الحياة.

وعشتُ وحدي
للأسى للشوكِ للقُيُودْ
وكم هتفتُ من جَهَامة المَسَاء
وبُحّ في قيثارتي النّداء
يا موكبَ القرصانُ عُدْ بي إنني وحيدْ
عُد بيَ قد مزّقَني العَنَاء
عُدْ بِي قبلَ أن تجفّ في غرةِ الدّماء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عُدْ بي فإني لاهثٌ مضيِّعُ الغِنَاء
كأنني أرجوحةٌ يهزُّها القَضَاء
يُثقِلني سرٌّ غريبُ الهمسِ ساغبٌ عنيدْ
مرنّحاً مشرّداً
تحملُني صُدَفْ !(١)

والقرشي في هروبه إلى العدم يعود إلى الحياة عوداً واقعياً، لأنه أدرك أن المعاناة الجديدة أقسى من معاناة الحياة الواقعية، ولو كل إنسان قارن بين معاناته ومعاناة الآخرين، ومشاكله ومشاكل الآخرين لرأى أنه أهون من غيره، تلك واقعية قريبة المأخذ لكنها توطر الحياة للمبدع في أدبنا، وتلك فضيلة ومحمدة لا بل علامة صحة، فبعد المرض ووصد الأبواب ما زال مسلوب الإرادة ما دام يركب موج الصدفة وتلك مسألة شائكة توحي بالمعاناة الدائمة للإنسان.

وتتجلى رومانسية القصيبي في حيرته، فالحياة تسير على وتيرة واحدة، أنماطها متقاربة، والأطر متشابهة، والأحيال متقاربة، حياة صاخبة ثم يطويها السكون، أمواج من البشر تلهو بيومها ولا تدرى أين المسير، والأوراق والبذور مع الرياح تطير :

من نحن في هذا الوجود
دوامة حمقاء تسرع ثم يطويها السكون
ركب من السارين لا يدري إلى أين المسير
ورق يطير مع الرياح
ودمى يحركها القدر

لكنه يحاول أن يجتذبنا فهو يجيب لكن الإجابة تمور في سراب وسيل من الأسئلة، فما تلك الأوهام، ولماذا هذه ؟ ولماذا نتعرض للفح الرياح، واستقبال الغبار

(١) الديوان ٢ : ٤٥١.

ونشرب من السراب السباب، والمصير الموت ثم نتعاون إلى قذفه في القبر.

نحن الذين لجر أوهام الحياة
لا نستريح كأن في أعقابنا
لسع السياط
الريح تلفح وجهنا
ومن الغبار طعامنا
ومن السراب شرابنا
وإذا ارتمى أحدٌ تجمعنا علية
وبنظرةٍ جفَّ الحنينُ بها ..
منحناه الترابْ

ثم يعاد التساءل مرة للفرد فمن هو الإنسان الواقعي بعضهم يراه ملاكاً وآخر شريراً، فهناك محب، وهناك كاره، لكن الجميع يظهر بمظهر المحب المعجب:

أنا من أنا يا أصدقاءْ ؟
أنا عند بعضكم الملاك ... وعند
بعضكم الرجيمْ
وإذا ظهرتُ رأيت بسمتكم
تضيء على الوجوهْ
وإذا مضيتُ سمعت همساً
من ورائي كالسيوفْ
لا تخجلوا أنا مثلكم
أحيا وأبسم في الوجوه لكي
أمزق في الظهورْ
أنا مثلكم عبد النفاقْ
يا ليتني أقوى على تحطيم
أوهام الحياةْ
لكنني ـ والطين ملّ دمي ـ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحنّ إلى الوحولْ
أخشى الكبار .. أثور في وجه الصغارْ
وأحسّ أحياناً بحقدٍ لا ينام
على الجميعْ
أنا مثلكم .. أبكي وأضحك
حين تأمرني الظروفْ
أنا مثلكم .. لي والحسان[1]

والسؤال الفردي أوحى لنا بأن الشاعر حين يسأل إنما يبتغي عظة وعبرة إصلاحاً لحياة الفرد وكشفاً للعيوب، وليس سؤاله بحثاً عن ماهية الوجود، ولا تمرداً على الواقع إنما هو تحديد قضية مثالية ذات قيمة إنسانية، فالسؤال يبحث عن ضياع الإنسان لها، وتأثره بالعوامل المحيطة به، فلا يصمد على التوجيه الرباني، والمُثل العليا، إنما ينحرف أحياناً، فيكون التيه.

وجميع ألوان التفلت من الواقع، وما تجاوز العقل، أو الهروب إلى الطفولة والبدائية، أو التحليق إلى ما وراء الأشياء، أو اللامتناهي، وكلها يجمعها تجاوز المحسوس لكنها لا تجنح إلى اكتشاف علم جديد ما عدا الذين مالوا إلى غير المتناهي فلا ريب في تأثرهم بالرومانسية؛ وأن أعلنوا خضوعهم لقدرات الله سبحانه وتعالى، وتبين لهم قدراته وعظم ملكوته. ولذلك سنجد أن لكل نص خاصية.

والهروب إلى المجهول وإن كان معتماً يستهوي الشاعر الخطراوي عند معاناة قاسية تحدق به، وعندما يصاب بحيرة تجاه الحدث، فهو يحر في ظلام، ويسعى إلى معين في قتام، وتصدر أصوات غير مفهومة، لكنه في صراع لا يفل حدّه الصدمات حتى يجد بصيصاً من الأنوار الخافتة، فيقذ السير إليها لكنه يحشد صوراً

(1) المجموعة الشعرية ١٠٣.

لا نهـاية لها كعمق البحر، الذى يلتهم البحارة.

كبصيص نجمٍ في السحاب
وتضجّ آهاتُ الشراع
محمومةَ الأصداء يطحَنُها الصراع
والموْجُ يحتجنُ الطريق
كالمارد الجبار يهزأُ فى سُموق
ويثور فى صخَبٍ صفيق
كدمى .. كآلامى .. كألسنة الحريق
يا عُمقَ أمواهِ البحار
أين اللآلئُ والمَحار .؟
قد تِهتُ ... أنهكني الدُّوار
وصرخت كالمفْؤود ألتمِس النهار
ولعنتُ قَرصنةَ البحار
واللعنُ لا يُطفِي الأُوار
بَحّارتي ماتوا بأحذيةِ الفرار
ماتوا كفئران بمصيدة الصَّغارْ
كرذاذِ مزكومٍ .. كأوراقِ النّثار[1]

وتستهوى الرحلة إلى المجهول الشاعر الخطراوي، فرحلة الليل المظلم الساكن والتجريد من الإرادة، وتجاوز الزمن حتى تكون الثانية دهراً، والسفر للبحث عن هارب، بل مكان البحث العيون، فهو من المستحيل والانتقال عبر الموانى الحالمه والإبحار فى لجة المستحيل وغيرها من الصور التى تدفع إلى غير المتناهي تلك رومانسية متأخره، صور هلامية كونت شعراً من السراب، فمن يسعى للسراب إلا أولئك المرجفين الخائفين من سطوت الموت، ثم يهلكون.

---

[1] غناء الجرح ١٠٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي الليل حين يسود السكون
وتمتهن الكائنات السكوت
مجردة من إرادتها
وتمط الثواني خطاها
لتصبح دهراً
ومنها : عند جميع المخارج
إذنا بأن يوقفوك
وأن يبحثوا في عيونك عني
وعن نبضات دمائيَ في وجنتيك
وأن يَرْجعوك إليَّ
لترجع لي نبضاتُ الحياةِ
وقلبي الذى ضاع مني
غداة نويتِ السفر
• • •

وهو يركب ظلام الليل ليرسو في موانىء وهمية، وشراعه من الأحلام التى لا حقيقة لها إلا بالحديث الذاتي، وهو في وهمه يلمح بارقة خيالية، فيبتسم لها، لكنها تزيده جذباً للمستحيل، فيبحر في لجته وهو في هروبه ، يعيش في آفاق من المستحيل :

وينتقل الليلُ بي في موانئك الحالمة
شراعاً تؤرجحه الكلماتُ
وتنعشه بسماتُ القمر
فيغفو قريراً
ويبحر في لجة المستحيل
وتدفعه صبواتُ النسيم إلى فَلْقة الفجر
فوق روابي الزمن
فيزهو به أُفقُ البحرِ
يحمله الموج أغنيةً فوق صدر الأماني
وتلقي إليه النجوم ودائعها
وتسرّ له بخفايا الصحارى

وعشق الصبايا
وكلّ حكايا الرمال
التي التصبتْ فوقها خيمةٌ عربيةْ
تملّكها العشق يوماً
ولوّن أرجاءها بالوفاء
فغنّتْ، وأطربَها الوجدُ والشعْرْ

ثم يستعين بحكاية رمزية تمثل الوهم الذي يداعب مجنون ليلى في خلواته الدائمة، وتلك مأساة، فحياة المجنون بعد فراق ليلاه، لم تكن سوية، وليست مناط أمل إنما هو الوهم الرومانسي، والهروب المأسوي :

وضمدّتِ الجُرْحَ في قلب (قيس) و(ليلى)
وأذكت بقلب الخزامى السهَرْ
ومدت أهازيجها في ثنايا الدجى
ربيعاً تخالطه خفقات الضياء
الموشىّ بلون الزهَرْ
فافتح عينيّ أستكشف الغيبَ
أشرع زنديّ أستقبل الموجة العارمةْ[1]

فهذه القصيدة تلج إلى التجريد والذى يسعى إليه أولئك المتخيلون لما وراء الأشياء وهي تمثل المرحلة المتأخرة جداً للرومانسية، وتستعين بصور حسية لكن تدعوك إلى تأمل عما وراءها، والواقع أنها مجموعة خيالات تهطل على خواطر الشاعر فينفث بها قبل أن تلامس عقله، ويجدر بالخطراوي أن ينأى عنها، فما الفائدة من هذه التمرد والهروب ؟!.

الطبيعة :

« مجموع المخلوقات والموجودات وهى قوة تحرك العالم، وهى جزء من الكون غير عاقل، ومنه العلوم الطبيعية» وتارة تكون ذهنية حينما تكون

---

[1] مرافىء الأمل ١٣٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

« خصائص تميز كائناً عن سواه» وهي « تتجلى في مظاهر الإنسان الفطرية مثل الغزيرة، والمشاعر وتكون رمزاً لما هو عفوى فى الإنسان».

ويرونها من خلال العقل الإنساني، وانفعاله :

«حالة الأشياء فى نظامها العام، في مقابل اللواحق التى يزيدها الإنسان عليها لاسيما عن طريق الفن».

وهي « قسم من العالم قادر على أن يحرك في الإنسان إحساسه الفنى » ومنها «نموذج يتعين على الفن إبرازه، أو ما هو موجود في الواقع، في مقابل الابتكار الذى لا يتوافق مع نظام الأشياء ».

والطبيعة لها مفهومها في الأدب فهي: «موضوع أثير ومتجدد مع الأزمنة... تناوله الأدب واستفاض فيه، وعبر عنه تعبيراً صنعياً بارداً، أو استغرق فيه، وحوله إلى كائن حي يتفاعل مع صاحب الأثر، ويندمج في مشاعره».

مصطلح الطبيعيّة

«تقليد دقيق للطبيعة» فهي : «مذهب يقول بتقليد الطبيعة في كل أشكالها من غير زيادة خاطئة أو صنعية» وكان هذا مدعاة لظهور المذهب العلمي للأدب ـ فظهر الأدب التجريبي الذى يعرض عن الهموم الأخلاقية[1].

وقد ألح الشعراء السعوديون على الطبيعة، فأخرجوها من الصمم والخرس والتبلد إلى الحياة، فلها تعاليها فى الأكوان العلوية، ولها حياتها المثالية، ولها علم بما فى الأرضين، وهى تحفل بالحياة المثالية. التى لا كبد فيها ولا معاناة. ولها أهداف وغايات، وهى مصدر السر الجمالي، وتارة يسقطون عليها أحزانهم واتراحهم، وهواجسهم بل وأحقادهم، وألبسها الإنسان بمعاناته الدائمة. وتارة أخرى يجعلها مصدر السعادة، ويلبسها الشاعر ثوب البهاء والسعادة، ويقرنها

(1) انظر، المعجم الأدبي لجبور فى كلمتى طبيعة، وطبيعية، وجميع النصوص هنا منقولة عنه.

بالمحبوبة، فهما سر الإلهام الشعري ـ والسعادة البشرية.

ويكثر ما تستوقف الشاعر، فتكون مصدر فكر واتعاظ وعبرة، فيقارن الشاعر بين الطبيعة والبشر في الحياة ومسارها، ويجعل منها مثالية أحياناً، وتارة علامة على النهاية، فالخريف والمساء، وتساقط الأشجار أضحت رموزاً للنهاية.

ويكثر حواره معها لكنه حوار عقلي أكثر منه وجداني لاسيما عند الصبان، والعواد وفقي. وهم وظفوا الطبيعة لترمز عن الوطن كثيراً.

وتباينت النظرات حول الطبيعة، يتباين الفلسفات، وتنوع المؤثرات الدينية، والانفعالات الداخلية للفرد. وما يعنينا هنا هو نظرة الشعراء للطبيعة، وقد أثرت إلى تنوعها في كل معالم من معالمها كالليل، والقمر، والزهر. ونحن الآن أمام تنظير شاعر هو القصيبي ـ فإنه يحصر الطبيعة في جمالها.

ويخص الشعراء باكتشاف جمالها. فهم أهل الذوق، والإدراك المرهف، بل إنه يرى أن ليس للإنسان منها إلا الجمال وحسب :

وهذه نظرة شاعرية محدودة بذوق الشاعر، فالجمال يهيمن عليه في تلك المرحلة الشعرية : ولا أظنها دائمة العلوق إلى هذه المرحلة المتأخرة عند القصيبي فهو يقول عن الشعراء :

لنا خلق الله دفء الربيع	وصور بهجة أيامه
لكي نرتشف من عطره	ونسبح في فيض أحلامه

فهم الذين يدركون ويكتشفون أسرارها الجمالية المتمثلة في الأنغام، وسحر الجمال، وهم الذين يجعلون ظلام ليله إلهاماً، ويبعدون عنه الوحشة :

ولولا مسامعنا المرهفات	لما باح عود بإنغامه
ولولا عيون تحب الجمال	لما فاض سحر بإلهامه
ولولا ابتساماتنا في المساء	لضاق بوحشة إظلامه

وهو يبرهن على أن سر الجمال غاية في الطبيعة، كأن يرى أن البحث عما

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وراءها لا جدوى منه، فالزهرة لم ندرك إلا جمال لونها، وعبق عطرها. مع أن ماهية الحياة لهذه الطبيعة صعبة المنال يحس بسرها الشعراء ولايدركونه :

ألا طالعوا زهرة في الرياض ... يحوم الفراش على ثغرها
فهل تبصرون سوى لونها ... وهل تعشقون سوى عطرها
وليست لديكم سوى نبتةٍ ... تُشم وتلقى إلى قبرها
ألا فاعلموا أن تلك الزهور ... حياة تضلون في أمرها
لكم لونها وشذاها الجميل ... ويبقى لنا السرّ في سحرها[1]

والحياة الزهرية تحيا بوجود المحبوبة، فهي مع جمالها واكتمالها، فإن الحياة الحسية سرت فيها وقد سعدت الأزهار بضيافة الحسان البشرية، فالروض يزهو بهن بل كان الاحتفاء بالطبيعة إن إحداهن حلت بها أكثر، بل إن الطبيعة عاشقة للمرأة الجميلة فالزهر الجميل أصبح إنساناً عاشقاً تلك بعث الحياة من الشاعر الرومانسي.

سألتك في " فرساي " والزهر يانعٌ
نسيقٌ وأنفاس الحشائش تشهقُ
وحولكِ أسرابُ الحسانِ تضاحكت
بهن أفاريزُ الحدائق تفهقُ !
زها الروض هل يستشعر الروضُ وردةً
من الشرق حلّت في رباه تَرقرَقُ ؟
أرى الزهر فيه حائماً حول زهرتي
يعاطفها، فالزهر يهوى ويعشقُ[2]

إذن فالطبيعة الوردية لا يتألق جمالها ولا تحيا، إلا بالتفاعل مع الإنسان وهذه فلسفة حق، فالطبيعة سخرها الله لهذا الكائن العاقل فلا يكشف عنها إلا

(1) المجموعة الشعرية ٣٥.
(2) القرشي : الديوان ٢ : ٦٥.

فقدان الوعي على تلك الصحراء، وأن الطبيعة الخرساء تلك الروح المريضة عند الشاعر أو من استدعاه وجرده لشخصية المبدع.

صحراء ... أين الروض ؟!
أين الزهر .. أين الأقحوان
أين الخزامى .. عاطر النسمات
أين عبق الياسمين
والطير خفاق الجناح[٢]

يحر سعد البواردى المولود عام ١٣٤٩ هـ في الرومانسية. بحشده صور مظلمة من الطبيعة؛ فخياله المستمد من حاضر الطبيعة وظاهرها جمع ألوانا شتى تدعو إلى إثارة الهموم وملأ النفس باللوعة والأسى، ثم تُرين على قلبه، فتكوّن التشاؤم، ثم يدلف إلى العزلة؛ إن خيالاً يحشد تلك الصور لهو جدير بأن يحكم عليه بالاضطراب، والاندفاع إلى مبررات الهروب تلك التى تنبع من انفعال مركب من هواجس وأوهام تمنع من خوض عباب المكابدة في الحياة، وقصيدة (**شريط الصخرة**) الطويلة التى تنقلنا من همٍّ لهمٍ، ومن ظلام إلى حلكة سوداء ومن ارتطام إلى نزيف إلى هوة القبر، وإن استمرت الحياة، فهي تلتهب بنشيج أرملة، وبكاء طفل حزين، والجو يحرق بلهبه، فهو موج من لظى السعير.

صخر كبير ..
وحمامة جرحى تئن وتستجير ..
وغراب بين لا يطير
وخراف أثقلها الظمأ من أن تسير
وهدير عاصفة لها معنى النذير
ومقيد فى خطوه يزهو به المنفى الكبير

---

[٢] المرجع السابق ١٢٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وراءها لا جدوى منه، فالزهرة لم ندرك إلا جمال لونها، وعبق عطرها. مع أن ماهية الحياة لهذه الطبيعة صعبة المنال يحس بسرها الشعراء ولايدركونه :

ألا طالعوا زهرة في الرياض ... يحوم الفراش على ثغرها
فهل تبصرون سوى لونها ... وهل تعشقون سوى عطرها
وليست لديكم سوى نبتةٍ ... تُشم وتلقى إلى قبرها
ألا فاعلموا أن تلك الزهور ... حياة تضلون في أمرها
لكم لونها وشذاها الجميل ... ويبقى لنا السرّ في سحرها[1]

والحياة الزهرية تحيا بوجود المحبوبة، فهي مع جمالها واكتمالها، فإن الحياة الحسية سرت فيها وقد سعدت الأزهار بضيافة الحسان البشرية، فالروض يزهو بهن بل كان الاحتفاء بالطبيعة إن إحداهن حلت بها أكثر، بل إن الطبيعة عاشقة للمرأة الجميلة فالزهر الجميل أصبح إنساناً عاشقاً تلك بعث الحياة من الشاعر الرومانسي.

سألتك في " فرسايَ " والزهر يانعٌ
نسيقٌ وأنفاس الحشائش تشهقُ
وحولكِ أسرابُ الحسانِ تضاحكت
بهن أفاريزُ الحدائق تفهقُ !
زها الروض هل يستشعر الروضُ وردةً
من الشرق حلّت في رباه تَرقرَقُ ؟
أرى الزهر فيه حائماً حول زهرتي
يعاطفها، فالزهر يهوى ويعشق[2]

إذن فالطبيعة الوردية لا يتألق جمالها ولا تحيا، إلا بالتفاعل مع الإنسان وهذه فلسفة حق، فالطبيعة سخرها الله لهذا الكائن العاقل فلا يكشف عنها إلا

(1) المجموعة الشعرية ٣٥.
(2) القرشي : الديوان ٢ : ٦٥.

الإنسان، و لم يتجاوز إلى ما وراءها، إلا ما أراد الله تستخيره منها.

والطبيعة تبدو في معزل عن حياة الإنسان غريبة عنه حتى يتأملها ويتدبرها، ومن هنا تنطلق نظرات متباعدة من المبدعين عن الطبيعة، فهي تعكس روح الشاعر وأعماق ذاته «حيث يهتدى الرومانتيكي في كل موضوع من الطبيعة إلى صورته، ويترتب على ذلك صبغ الطبيعة بالصيغة الروحانية» وتنعكس الطبيعة على روح الشاعر أحياناً، فتظهر روحه بمظهر ما له علاقة بالمشاهد الطبيعية كالأقمار، والمياه وغيرها.

فمثلاً نجد الشاعر يتحدث عن الطبيعة الخرساء، ويطيل الوقوف عند الصحراء، فهل ينعكس وصفه للصحراء على ذاته ويكون أسقاطاً لذات المبدع؟! فالشاعر محمد فهد العيسى ينبهر لصمت الصحراء الطويل الذى لم تفصح فيه، ويعلل هذا الصمت بأن جدب السنين تعاقب عليها، فهل جاءها الهدهد رسول الحرب أم هي اثقلتها الصخور؟ فهى لا تستطيع القول حتى حامت حولها الطيور الجارحه طمعاً في هذا الجريح المنتظر موته.

أواه يا صحراء لو تتحدثين
وتنبئين
عما وراء الصمت من سر دفين
فلقد مضى عهد طويل
جداً طويل
وأنت يا صحراء لا تتكلمين
خرساء ؟ ...
أم أخرست من جدب السنين ؟
وتعاقبت تجتاح موطنك الأمين
وتشد غيثك أن يلين
صحراء ... ماذا ؟ ..
هل أتاك ـ الهدهد ـ الطير الرسول ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هل جاس في دنياك ما بين السهول ؟
حتى انتهيت إلى فلول !
مسكينة ... !!
خرساء من قهر السنين

فالشاعر أسقط روح التشاؤم على الصحراء ذات الطبيعة المتنوعة التى تخضع لهطول الأمطار، لكن الشاعر لم ينظر فيها إلا وحشتها، وطيورها الجارحة، وجردها من الزهور التى يراها مكسوة بها في الزمن الغابر ـــ إنها رومانسية الشاعر التى تكشف وترمز عن ذاته لا واقع الصحراء فهي لم تنبع بخير أكثر مما فاضت به في حياته بل إن الشاعر تنعم بهذا الفيض.

رباه ...
مملكة الزهور
اضحت تكبلها الصخور
وتحلق الحدءآت في أجوائها
وتناعب الغربان في أرجائها
عند الأصيل ..
وفي البكور ..
وبدت بوحشتها ـ قبور ـ
ويلاه .. يا خرساء لو تتكلمين
وتفصحين ..
عما وراء الصمت من سر دفين[1]

ولذاتية الشاعر السوداوية، فإنه لا يرى الرياض الغناء في الشعاب والتلاع، ولا يسمع تغريد الطيور، ولا يشم عبق الخزامى والشيح والقيصوم.

ولو تأملنا بعين الواقع لوجدنا أن رؤية الشاعر هلامية خيالية وأنه اسقط

---

[1] ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١٢٢.

فقدان الوعي على تلك الصحراء، وأن الطبيعة الخرساء تلك الروح المريضة عند الشاعر أو من استدعاه وجرده لشخصية المبدع.

صحراء ... أين الروض ؟!
أين الزهر .. أين الأقحوان
أين الخزامى .. عاطر النسمات
أين عبق الياسمين
والطير خفاق الجناح[٢]

يبحر سعد البواردى المولود عام ١٣٤٩ هـ في الرومانسية. بحشده صور مظلمة من الطبيعة؛ فخياله المستمد من حاضر الطبيعة وظاهرها جمع ألوانا شتى تدعو إلى إثارة الهموم وملأ النفس باللوعة والأسى، ثم تُرين على قلبه، فتكوّن التشاؤم، ثم يدلف إلى العزلة؛ إن خيالاً يحشد تلك الصور لهو جدير بأن يحكم عليه بالاضطراب، والاندفاع إلى مبررات الهروب تلك التى تنبع من انفعال مركب من هواجس وأوهام تمنع من خوض عباب المكابدة في الحياة، وقصيدة (**شريط الصخرة**) الطويلة التى تنقلنا من همٍّ لهمٍ، ومن ظلام إلى حلكة سوداء ومن ارتطام إلى نزيف إلى هوة القبر، وإن استمرت الحياة، فهي تلتهب بنشيج أرملة، وبكاء طفل حزين، والجو يحرق بلهبه، فهو موج من لظى السعير.

صخر كبير ..
وحمامة جرحى تئن وتستجير ..
وغراب بين لا يطير
وخراف أثقلها الظمأ من أن تسير
وهدير عاصفة لها معنى النذير
ومقيد فى خطوه يزهو به المنفى الكبير

---

[٢] المرجع السابق ١٢٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأنين قيثار تحطمه شدوه
بين الصخور ...
بين القبور
وملامح من عمر أموات تضيق به الصدور
ونشيج أرملة يناهز عمرها عمر النسور
وبكاء طفل ...
آه كم يبكي الصغير ..
ويستجير . ولا مجير.
والجو في حرق اللهيب
يموج فيه لظى السعير

وينظر إلى الجو من حوله لعله يرى بارقة أمل، تعين على مصائب الدهر، وتواسي هذه الحياة المكفهرة، لكنه يزيد الجراح طعناً، والظلام رعباً وهديراً، ورؤى الأشباح العتاة يعلو.

وغمامة في الجو .
لا برق بها لكن هدير .
ورؤى الأبالسة العتاة .
رؤاهمو فوق الأثير
وضجيج عربدة الجناة

تدفع تلك إلى الفتك الجماعي، والمأساة تكون على الذين يعانون من الحياة، فهم يضجون بين القبور، وآخرون يودعون السجون.

ضجيجهم بين القبور ...
والسجن
آه من القيود الباكيات
من الليالي الراعشات
من الأسير

ولعله لا يريد المباشرة وإنما يرمز إلى القيود التى تكبل البشر ويخضع لها وما تعانيه من ويلات حربية، ومظالم اجتماعية، فلا حرية ولا أمل لهم.

عند الصباح !! ولا صباح ..
وعندما تعوى الرياح
وعند انصات الزمن وقت الرواح
حيران يستوحي الجراح
يطل من بين الصخور
حمامة جرحى تئن ..
ولها نواح ..
تبكى وتغرق فى الدموع
لعلها تبنى جنادح
من الدموع تبنى جناح !!

فهم حين يرون شعاعاً من الأمل يكونون كالحمامة مكسورة الجناح فاقدة القرين، فلا حول لها ولا قدرة، ثم هو يستدعى صورة الغراب قرين البين والنوى بحالة يرثى لها دائم الجثوم فلا يرى ولا يطير، فهو يعيش في سراب من أوهام، في ضيق وتبرم :

عند الصباح !! ولا صباح
وعندما تعوى الرياح
وعند انصات الزمن وقت الرياح
حيران يستوحى الجراح
يطل من بين الصخور
مر أى غراب
فقأت نواظره الذئاب
أعمى ...
يعيش ! ولا يعيش

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

على سراب[1]

فهذه القصيدة يمكن إسقاطها على المشردين من ديارهم، فمنهم المكبل في وطنه، واللاجيء، والمحارب.

عند الصباح !! ولا صباح

وعندما تعوى الرياح
وعند انصات الزمن وقت الرواح
حيران يستوحي الجراح.
يطل من بين الصخور..
شبح الخراف
عطشى ...
بلا ماء تصد به الأوار
بلا رعاء !
وبلا رعاة
بلا أكف حانيات . أو تشيد[2]

فالبواردي استدعى الطبيعة الحية، حتى يتمثل شقاؤها واقعياً وتحس بالألم، وهو ذو خيال خصب في تركيب الصور الموحشة التي تدعو إلى سلبية الحياة، وتدعو إلى اليأس، وتنتج الكآبة. لكن مثل هذه القصيدة قليل في شعره ، فكأنه مال إلى الواقعية .

والرومانسيون يتعللون بحجتهم الدائمة وهي أنهم يتمردون على الواقع فيدمرونه لعلهم يبنون مثالية أفضل.

لكننا لا نخفي التأثير المأسوي الذي يلفع النفوس من قراءة هذا النص يلفعها بالسواد، كما أن الصور القائمة لهذه الطبيعة الحية؛ إنما هي ناجمة عن ظلمة ووحشة وانفعال شديد داخل كيان الشاعر منبعث من أحاسيس انفعالية سوداء.

---

(1) ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١٥٤.

(2) المرجع السابق ١٥٧.

ويرمز الشاعر بالبلبل المغرد الجميل الصوت إلى التمرد على الحياة فى رومانسية واضحة، فالبلبل من عادته التغريد، لكنه أضحى أخرساً، فهو مُعَرض عنه مع رغبته الجامحة، ودواعى التطريب ماثلة أمامه، فالربيع النضر بأزهار الجميلة، والشعاب بأشجارها وغدرانها كلها لم تجذبه من وحدته شأنه شأن الشاعر الذي يعاصر الحياة الرغيدة، فيتمرد عليها، ويهرب عنها يقول الشبل في قصدة تحت عنوان (البلبل الأخرس) :

يتلوى والأغاني بين جنبيه تذوب
والأمانى فى مآقيه دموع وهسيب
يتلوى والهوى فى قلبه الدامى نحيب
والنشيد الحلو آلام ويأس ووجيب

■ ■ ■

يتلوى والأغاني بين جنبيه تنوح
نغم فى قلبه الخفاق يغدو .. ويروح
كلما فيه من الشدو دموع وجروح
وعويل من أسى الماضى به اللحن فحيح

■ ■ ■

يتلوى بين أزهار الربيع الناضر
شارد النظرة يشدو بأنين حائر
خفق اليأس أغانيه بصمت قاهر
وطوى البؤس أمانيه بيأس ساخر

■ ■ ■

أزهر الوادى فماذا شاقه من زهره
وهو نضو يتلوى لحنه فى صدره
وهو نضو يتهاوى قلبه فى قبره
عاله اليأس فناحت روحه فى لحنه

■ ■ ■

يلمح المرج وما فيه من الزهر النضير
من ورود غضة الأوراق مرواة العبير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالشاعر في هروبه لم يفصح عن كنه الانفعال، شأن الرومانسيين الذين لا يخضعون للعقل، وإنما يرون الدنيا سوداء قاتمة كل ما فيها مضاد لهوى الشاعر :

فيرى الدنيا جحيماً كلما فيها تجنى[1]

وتدور القصيدة (**إقبال وإدبار**) للشاعر الشبل حول الرمز بالليل والنهار، فالليل في نظر الشاعر يجلب السواد ويكسو الإنسان والمفاوز، ويرهب من التلاع والآجام، حتى الألسنة تخرص، والضجيج يخفت، فالكون موات لا حياة.

رحل النهار عن الوجود بضوئه وأتى الظلام
فكسى بظلمته المفاوز والمتالع والرجام
لا صوت في هذا السكون ولا حديث ولا كلام
كل يحن إلى الهجوع ويشتهي حلو المنام

■ ■ ■

سكنوا لرهبته فلا همس يدور ولا حوار
سكتت أهازيج الطيور فلا هديل ولا شجار
لا راعياً يشدو ولا يوم يصبح ولا هزار
كل أصاخ إلى الهجود فليت شعري ماالقرار

■ ■ ■

هذي البسيطة يا لها قد جللت برد السواد
وذوى الأباطح ما لها قد ألبست ثوب الحداد
حزنت على النور البهي أم استكانت للسهاد
هول الظلام يجيب أن لا تكترثن من التناد

والشاعر الشبل يستمطر الظلام في استدعاء تأمليء لا انفعال فيه، ولا رغبة له في الهروب، ولا ضير أن نسقطه رمزاً على اختفاء حياة الفطرة الأولى، التي لم تكبل بالقيود في نظر الرومانسي، فيكون النهار رمزاً للصفاء والصراحة والوضوح، فالظلام مرتاد لجيوش الهموم والأشباح، والمخاوف، والمهالك، فيه تنساب الأفاعي، وتتداعى المصائب، فهو ظلام في اللون وظلام في النفس.

---

[1] المرجع السابق ١٢٨.

هدى جيوش الليل يابن البيد تزحف في اضطراب
نحو الخضم المزبد المتلاطم النائي الرحاب
لتزيد ظلمته المخيفة فاعتصم بحمى الباب
لا تدن من هول البحار ولا تطف حول العباب

■ ■ ■

هيهات كم بين النهار وبين حالكة الليال
هذا به نور الحياة تفيضه شمس الجلال
وذى بها شتى المخاوف بعثرت في كل حال
فاهنأ بضوء الصبح إن الصبح مرآة الجمال[1]

فهذا شعر تأملي معتدل فلم يجعل الليل جالماً دائماً، وإن أفصح عن رهبته وهيبته لكنه جعل القضية إقبالا لليل وإدباراً له تارة أخرى، فيعقبه النهار. وتلك واقعية الحياة والقصيدة قابلة لقراءات متعددة.

ويبدو أن شعر الشاعر ناصر أبو أحيمد من الإبداع الذى يشبهونه بالأغصان، التى تمتد إليها أطناب بيت العنكوبات، فهى رقيقة، ونسيجها يرف في الهواء «فعلى الإنسان أن يقنع بنقاط قليلة يثبت فيها الأطراف الرقيعة من روحه، وينسج عليها نسيجاً اثيرياً مليئاً بالرموز المعبرة فى رقة من قراءة نفسه حتى يتمكن من لمسها بروحه، وبالفراغ الذى يساعده على الانطلاق، وبالتميز الذى يرفه به عن نفسه»[2].

وهذا الرأي النقدي نلمحة في شعر إبي أحيمد الذى يلوي في سماء فضائية يحلق فيها؛ فيدعونا لتداعي أفكار لا يستقر لها قرار، فهو ينقلنا من البحيرة الجافة، إلى سحيق الأغوار الناضبة ثم نرتفع إلى صحراء الجزيرة في زمهريرها اللافح، كل ذلك نحاول منه إن نبلغ غايته من استدعاء هذه المعالم الطبيعية ليسقطها على حالة حزيرته السمراء (البحرين) ولا يتأتى لنا إلا بتأويل يتعدد بتعدد القراءات.

---

(1) ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١٢٩.

(2) روبرت، الرومانتيكية ٢٦٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقد جفت البحيرة
ونضب معين الأغوار
أيتها الرياح الباردة
التى تهب فى صحرائي
وفى جزيرتنا المستلقية
كعروس شجية
تتململ على سواعد
الخليج الأزرق
فى جزيرتنا السمرا.
وعلى سعف نخيلها الشاحب
جفت حناجر الطيور
وصوحت الأوكار
أيها الملاح
ذو السواعد المتعبة
والعينين المشبعتين بالنهم
أواه أيها الملاح
لقد تعبت الرياح
وهى تنفخ شراعك
وتملؤه بالأطماع
وتدفعه رويداً
وفى شيء من الجزع[1]

والشاعر ناصر أبو أحيمد يقتفي أثر الرومانسية فى الخيال لكنه خيال قريب يستمد من مثالية الحياة التى يتماناها الشاعر، فهو يبني بخياله مدناً يستمد نمطها من حياة الطبيعة، بل يجمع لها حشداً من النخيل، والرمال، وعالماً يرتل الموؤيل، تسعد بأواهامها وأحلامها كسعادة الأطفال على الأساطير، فهي تكوّن المدن وتحبيها، تلك المدن التى تعيش حياة رومانسية متكاملة.

[1] ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١٠٩.

لالى
صبية من عالم الشمال
تعيش فى خيال
تحلم بالنخيل والرمال
وعالم يزف فى الليالى
أحزانه على صدى موال
تضىء فى عيونها
أسطورة حزينة
كأنها عاصفة
تمر فى سكينة
كأنها بحيرة
تشقها سفينة
تبحث عن شواطىء
وادعة أمينة
أسطورة عن جنة
فى عالم غريب
عن مدن مغمورة
بالسحر والطيوب
تعيش فى خوف
من الأقدار والغيوب
لالى
تود لو أن لها
أجنحة تطير

وهو يتمنى الهجرة من عالم الإنسان ويكون كالطائر قوى الجناحين، ينتقل فى الفضاء ويجوب الدنيا بنظراته حتى يجد ما ينعم فيه، بل الرومانسي تجاوز عالمه الكوني الواقع ليبحث عن عالم ليس له نظير، وأنت لا تدرك الغاية التى يتمناها :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تبحث عن عوالم
ليس لها نظير
كأنها مسافر
أنهكه الهجير
يود لو يضمه
في قلبه الديجور[1]

فهذه القصيدة من الشعر الرومانسي في أدبنا الذي يلجأ إلى الخيال أو يتجاوز الطبيعة، ليدرك ما وراءها مما دعا الناقد ابن إدريس إلى أن يقول عن شعره فهو : «استلهام الفكرة والمضمون من منطقة اللا شعور، أو انعدام الذهنية العقلانية؛ غوصاً في أعماق العقل الباطني»[2]، وهو اميل إلى الذاتية مع هدفية تبدو ضبابية ــ ربما تكون غايتها الإثارة وشحذ تداعي الخواطر.

يكشف الشاعر عبد الرحمن العبيد عما يوجج التجربة الشعرية عند الشاعر المعاصر فهو يمتح من قفر يباب، ومن حيرة تلهبها الظنون، يدلف وراء سراب من الأماني، فهو أمام واقع أليم يلف أمته، من العدو الجاثم، والمجتمع المريض بهمومه، فيدعوهم إلى التصدي، ومعالجة الأمراض الاجتماعية موظفاً الألفاظ الرومانسية العربية مثل : القفر، الحيرة، الإعصار، السراب ...

من ذلك الشادي يؤرقه ربيع مقفر
حيران تلهبه الظنون وتستبيه الأعصر
حيران جلله السراب خديعة .. تتزور ...
أبداً تساوره الظنون كتائه يتعثر
يلتف في عبق الشذى ويشيد ليل مقمر
ويهيب بالقوم العجاف تجمهروا وتحرروا

---

(1) ابن إدريس شعراء نجد المعاصرون ١١٢.

(2) المرجع السابق نفسه ١١٢.

ومع أنه يدرك التخلف لأمته العربية، فإنه مازال يشعل ذاته بالعزف على الأماني، وهو يهذي بالحقيقة التي يدركها الواعي من أمته.

يشدو وأجنحه الطيوف تقله إذ يعبر
وعلى بساط خياله أنشودة تتخطر
هو معزف الآمال يعصف بالهوان ويسخر
بصر الحقيقة فاستحث ورائها يستفسر
وعلى يديه تجلت الأنغام فن مزهر
يا شاعري مهلاً فأنت تريد دنيا النضر
ستظل والأشواق تلهب في رباك وتؤثر
وتهيب بي فدواك لحنك ما للحنك أبتر
والشعر يا للشعر يختلب الفؤاد ويصهر[1]

وهو يجنح إلى الآمال في رومانسية حديثة، فالتجمد والتبلد أمام الواقع والإعراض عنه، جمود وعدم مبالة، لكن الشاعر في خطراته الحلمية، التي تترى كالطلل، وحين يمتد خياله حتى يجعل النسمة تعانق الفرقدين، وهو يموج بخيالات تنتاب الشعراء، كل ذلك يوقظ المجتمع.

تجمدي .. تجمدي يارفة الحلم الندى
يا نغمة نسجتها على جبين الفرقد
فتانة كأنها ..... أمثولة .... التمرد
كأنها الحلم يمـ ـر في جفون المهد
كأنها فؤاد واثب الخـ ـيال والتوجد
مرت كطيف عابر يضيق في التردد
وخلفت أريجها على شباب أصيد
مسكينة دموعها تجففت على يدى

[1] الساسي، الموسوعة ٣ : ٣٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحس بعد بينها بحرقة التوجد
وخاطري مبلل يتيه في التوقد[1]

والشعراء استرعى انتباههم معالم الطبيعة، فتحدثوا عن الليل والبدر، وقل منهم من وقف عند الفجر وقفة متأنية متأملة ما عدا عمر محمد كردي، فقد أعجب ببهائه، ومضمونه الفكري، ونسيمه الروحي ومنحه للجمال والحياة في الأفق، فيشرق الناس بإشراقه.

أطلّ على الكون باهي المحيا .. جميل الصورْ
أطلّ وفي مقلتيه حديث بديع الفكرْ
مفاتن لاحت بأفق ... الوجود تشوق النظرْ
تباشير إشراقة في دناها يهيم البصر
أطل .. فأهلاً بفجر تراءى.. وحسن ظهر
ونهر من النور في ضفتيه يطيب السمر
حنانيك يا فجر ... يا نسمة من شذاها العطر

وفيه تدب الحياة في النبات، ويفوح الأريج، ويندى الزهر، وتنكشف الظلمة عن الخضرة، وتتماوج معالم الحياة.

يفوح أُريج .. ويزكو عبير ... ويندى زهر
ومن نور شمسك يخضر فوق الروابي الشجر
وتبدو الحياة كأجمل دنيا .. ويزهو البشر
فيا مرحباً بالصباح الجميل إذا ما عبر[2]

جل الشعراء في بلادنا وظفوا الطبيعة، توظيفاً رومانسياً، لكنه مختلف عن غاية الرومانسية الغربية، فاتخذ الشعراء الطبيعة وسيلة لغاياتهم المستمدة من

---

(1) المرجع السابق ٣ : ٣٥.
(2) لمن يكون هواها ١٤٩.

ذواتهم، ومجتمعهم، وغلب عليها الرمز للإنسان فرد أو مجتمعاً، واتخذوها ملجأ ومهرباً، وبنوا منها مدناً فاضلة، وخاطبوها في عليائها، وتمنوا استيطانها، وحشدوا صورها للرهبة والرعب تارة، وتارة للأنس والمتعة والجمال .. وغالباً ما أحيوا الطبيعة بحياة الحبيب، لكنهم لم ينظروا إلى جمالها من بعد، ولا حاولوا اكتشاف ما وراءها، لقناعتهم بالتوجيه الرباني، وبمحدودية، العقل البشري. وهم استفادوا وقبسوا من صور الجنة ومشاهد يوم القيامة.

الذاتية :

« طبيعة خاصة وضرورية تجعل من شيء هو نفسه، أو مجموعة الخصائص المكونة له » ويطلق الفلاسفة الذات على العرض الزائل، والذات « هي المبدأ الأول الداخلي في كل ما يرتبط بإمكانية وجود شيء ».

والذاتية في الفن هي « تجلي الذات واكتمال الخصائص الإنسانية العامة الفردية في الفنان أو الأديب، وبروزها بوضوح، وتعبير متميز من خلال الآثار التي يبدعها، ولا يتحقق الأمر إلا بالغوص على الأعماق، واكتشاف ما فيها من كنوز عبقرية، وعرضها فنياً ».

ومن هنا فإن الرومانسيين، وظفوا الذات النابعة من الأحاسيس، والمشاعر وما وراءها، وما تتلحم به من انفعال لاكتشاف الذات الإنسانية أولاً، ثم لاكتشاف العالم من بعد، بل يغالون، ويجعلونها تعلو وتفوق القدرة العقلية. «الشاعر أبداً مغوّر فى ذاته، يغمض عينيه عن الحياة فى الخارج ليفتحهما على الحياة فى الداخل»[1].

والذات هى الأعمق في الداخل، لكن الشاعر قد يتعالى بذاتيته، فتتحول إلى (**الأنا**) يقول إحسان عباس « التفرقة بين الذات والأنا، فالأنا هي الشيء

---

[1] جميع النصوص من المعجم الأدبي ١١٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الظاهري، أمّا الذات، فهي الأعماق التى تدور فيها المعارك»[٢] النفسية ذات الصراع القوي المتفاعل بين الفكر والواقع، بين الحياة والموت. والذاتية في إبداعنا الشعري تتجلى من الكيان الذاتي للمبدع، وهى تقوم على مبدأ ذاتي راسخ، يشعل جذوة الحياة في المؤثرات الوافدة من الخارج، والذاتيون من شعرائنا هم أولئك الذين إذا اعترضهم عارض، يعودون لذواتهم فيتفاعلون، وينفعلون، فيبدعون شأن غيرهم، وذاتيتهم الوطنية هي التى تلهب الشعر بحرارة المشاعر الوجدانية. والشعر لا ريب فيه من دخول الذاتية لكنها متفاوته بنسب متباعدة، والذاتية، هى من أهم سمات الشعر الوجداني في بلادنا.

والشاعر الرميح يستدعى الكون كله ليصهره في ذاتيته، فكل الوجود في مقلتيه في بصره ثم بصيرته، وهذا الوهج العميق المؤثر في الشاعر، فيجعل الظلام الداخلى للشاعر يسود ؛ فهو يستدعى الأشياء قبل أن يبين الصباح.

واغمر في ألقي .. مقلتيك
وكل الوجود
فهيا : تعال .. تعال إليّ
تعال قبيل يبين الصباح ....
نذوب .. في الكأس .. آلاما
وننسى الأسى .. والبكا .. والنواح
وكل الحياة ... وكل الدنى
فهيا .. تعال تعال إليّ
وهذا أنا ـ يا حبيبى ـ هنا
رجعت إلى صخرة الموعد

---

[٢] فن الشعر ١٠٥.

وباقة زهر .. ندى
غفت ... فى يدى ..!
وملء فؤادي .. فؤاد الغريب
حنين .. وشوق .. ولهفات
وملء ضلوعى الصبابات
وفى عمق أعماق قلبي الحزين
وفى عمق روحي .. الطعين
أحس بشيء خفي .. غريب
بشيء رهيب !!
تغلغل فى أضلعى
وكالرعشة الباكية
سوى عاصفات ... فى دمي
وفى عمق أعماقيه
وألهب أشواقي الغافية

والشاعر كان في حيرة من أمره من هذا السر العجيب الذي يتأجج في كيان الفرد، فهو يمنحه أهمية، تقترب من أهميته الرومانسية.

ترى أى سر غريب
غريب .. ولغز عجيب
سرى بين أحشائيه
وفى عمق أعماقيه .. ؟؟
آه ...
وذاب الصدى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فاسرعت فى حذر وارتياب

الفتش عنه .. هنا .. وهناك

ولكن ... ويا للآسى ـ لم أجد

هنالك غير السكون العميق

فعدت مع الليل .. أطوى الطريق

وحيداً .. إلى القريه الحالمة

وحيداً .. بلا صاحب أو رفيق

وفى شفتى نداء جريح

نداء الحياة ، بقلبي الذبيح[1]

واللاشعور والمشاعر لا تقنع بالواقع، لمن أراد أن يجعلها وسيلة كشف وإبداع، وحكم على واقعية الحياة، فإن هذا المبدأ ينأى به عن الحياة، فيجعله كالذبيح يعيش فى هذا الكون بلا روح وهذا الإفراط في الذاتية الإبداعية لا الواقعية الحياتية عند الشاعر، فهو حي بأعماله حتى مات بعد أن شغل مناصب متعددة في الدولة، لكن حرارة الانفعال كان لها أثرها على النص الفني.

والشاعر عبد الرحمن المنصور المولود عام ١٣٤٥ هـ، يستوحي الرعب الذاتي الذي يثير شجون الرومانسي في حالة حلم مرعب في مرض الحمى، وتلك إن حقيقة أو خيالاً، فهي المهد للرومانسي وهو يصور رعب الإنسان حتى من النجوم المضاءة، فالخطر يهجم على الشاعر، فيفزع، وقضايا المجتمع وأحقاده تضربه بسلاحها من كل صوب فى عتمة من الظلام.

كلما أضاء نجم

دق ناقوس الخطر !

---

[1] شعراء نجد المعاصرون ٥٠.

واحتدام فى النفوس يستقر !

وحقود تتشظى

مثلما تنقض شهب !

فى دياجير الظلام .

فإذا الرعب يولد الجنون، فالأشباح تتراءى، بشرها وشروها، والرعشة والاضطراب يهزان جسم الشاعر :

فإذا الليل انتفاضات جنون مرعبة

وإذا أشباحه مذعورة مرتجفة

روعتها فى الظلام الرجم

وهو يستوحي قدح الشرر الذى يخرج حقيقة فى رؤية المحموم، ثم تتلوها حالة من توارد الأشباح فتثير الهلع والخطر.

فى ظلام الليل والصمت الرهيب

شبح بالليل جبار مهيب

يحرس الأشباح فى ذعر مريب

يرقب الآفاق كالراعى الغريب

كلما أضاء نجم

دق ناقوس الخطر

ثم هو يصور بعضاً من تلك الأشباح فهى كلص فاتك عاث بلا رقيب يمنعه ويصده، أو يخشى محاسبته.

أو كلص خافق النظرة فى بردية ذيب

نهم، مخلبه عطشان ـ بالدم خضيب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عاث بالشاء ولكن ليس للذئب رقيب

ليس للشاة رعاة !

إن دعتها فى دجى الخطب تجيب

ليس للذئب رقيب

☆ ☆ ☆

غير أشباح من الخوف تراءت كاليقين

كالحات ترتدى ثوب المنون

تشرب الحقد وتقتات الجنون

أفزعته للرعاة النائمين

لعب الوهم بجفنيه .. يرى

فى اختلاج الريح أو همس الغصون[1]

ولا ريب من توظيفه تلك الأشباح والحلم المرعب بكاملة توظيفاً رمزياً لإحدى تجاربه العصرية الاجتماعية الكثيرة فى عالمنا العربى والإسلامي.

والذاتية عند الزمخشري تنثال في كل لفظه من كلماته، فكأنه يجلب الدنيا إليه كأن يستدعي الناس وشؤون الحياة لتلتف حوله ، لتشاركه الحب، في مستهل حياته، ولتشاطره الأسى في غربته وأحزانه، إن الذاتية هى التى تصنع وهج الكلمة، والعبارة والصورة عند الشاعر، فهو يضيف السمير إلى ذاته فكأنه له لصيق وكذلك يضيف الأنين المر، وهو يوظف الفعل للتأثير الذاتي، فيقول صنعتُ، وأخرست، ونسجت :

يا سميري فى وحدتي بالظُّنون معزفي لا يزَالُ صوتَ أنيني

ولقدْ صقتُ بالحياة، وبالحب وأخرستُ رغمَ أنفى حُونى

فالأماني التى زرعت مع الأيـّام جَفـّتْ زهورُهَا فى يَمينِ

[1] ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١٣٨.

واللّيـالي التي نَسَـجْتُ مع الأحـلامِ بعـثرتْ في مَداها سَـنيني
وعلى ناظـري تحـوم الخـيالاتْ وقدْ جُنَّ من رؤاهـا جُـنُوني
ذكـرّتني بالأمـس كانَ وراءَ الغـيبِ يلهو بخافقـي المَغْـبُون
والدُرُوبُ التي تَشَاءَبَ فيها الصمتُ ضجّتْ بلاعـج المَحْـزُونِ
كيفَ عَادَتْ إليَّ تزحفُ بالذِكْرَى وقد حرّكَتْ رؤاها شُـجوني؟
والهوى كان لي عذاباً فأضحى بتناسـيه عارضاً يَعْـتَريني
قتل الظَّنُّ كلَّ ما في الحـنايا من شـعورٍ يُمدني باليَقين
وعلى مقعدي تلوح بيَ الأفـكَار، والليـلُ غارقٌ في السكُونِ[1]

فالقارىء يتفاعل مع ذاتية الشاعر، ويتعاطف معه، ويستشعر غربته والإحباط الذى يظلل حياة المشهورين، بعد أن لا يكون قادراً على العطاء.

وإذا كانت الرومانسية بمثابة مرض؛ فإنها تتجسد فى شعر محمد فهد العيسى فهي عنده رؤية إلى عالم غير متناه من الألم والأسى. إنها تمثل رغبة الشاعر في سبيل لايدلف إلى صواب، إنها عملية تلفيق بين الواقعي وغير الواقعي، فهو يشتكي من الليل ولا يريد فراقه، فى ظلام رهيب داخلي لا يهتدى إلى صواب، وإذا كانت هموم امرىء القيس، أمواج (**وليل كموج البحر**) فإن هموم العيسى جبال تثقل صدره، وهو يفتقد وعيه، إنها حياة الرومانسي الانفعالى المتمرد على الواقع الاجتماعي، وعلى الاعتدال العقلي :

وتمضـي اللـيالى وأمضى بها ونفسى تشن وقـلبى جراح
فلا الليل يأسو . ولا ينجلي ولا أنا ميت فقضى واسـتراح
ولا لجـم فيه يكـون العزاء ولا أنا أرجو لليلي صـباح
ظـلام رهيب يلف الشـريد ويطويه بالبؤس دامى الجناح
وتقسـو عليه جـبال الهموم وتعصف فيه جنون الريـاح
حـياة قضـاها عليّ الزمان شقاء. عذاب. دموع. نواح
حـياتي. وأى حـياة تكـون بسجن اللـيالي وقيد الزمن

[1] مجموعة الخضراء ٢٠٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفيه بأغـلال يأس الحياة تكبل روحي رهن الشجن
وفيه شربت كؤوس العذاب بأيدي الليالي وشتى المحن
حرام عليّ سلام الزمان وعيني حرام عليها الوسن
طويت همومي وبين الضلوع دفنت شجوني بليل أجن
دموعي العزاء لقلبي الجريح إذا عز يوماً عليه وضن

والشاعر في هذه القصيدة لا يوحي لنا بتجربة غرامية، وإنما إبداعه يصور كوامن ذاته الجامحة المنفصمة وتوظيفة للطبيعة يكثف الدلالة حول الاتصال السلبي الرهيب، فالليل والجبال والجنون وعصف الريح كلها ذات إيحاء رهيب تقذفه إلى الظلام :

حياتي ظلام وبين الدروب تعثرت أشكو ندوب الألم
وأرثي بلحن تعيه النجوم نزيف جراح الأسى المضطرم
صداه صلاة بعمق الظلام بمعبد وادى الفنا والعدم
وأشباح شتى من الذكريات ترجع ترتيل ذاك النغم
وحولي بقايا (كمان) حطام عليه كتبت سطوراً بدم
ستبقى على الدهر حتى تكون دليلاً لرمسي بين الأكم[1]

وكأن سلوته في شعره الذى يبقى له ذكراً سائراً متواصلاً، فهو الذي يحمل سيرته المأسوية، وتلك نظرية ملوها الأوهام تبتعد عن المثالية الدينية، والواقعية الحياتية، وتجتنب التعقل والتدبر.

وينفرد النبع الذاتي بإبداع يحيى توفيق، فالذاتية تغمره، في غزله الغرامي اللاهث في عوالم المرأة، والذاتية، تنبعث من شجونه وآلامه، وأحزانه، وهو وبوح الأنا عنده يريح أعصابه، فكأنه يقذف وهج اللهيب الداخلي إلى الخارج ومنابع الذاتية هو إحساسه الداخلي الذى يهتز لما يعترض حياته من نوازع الجمال عند المرأة أولاً ثم نوازع الحياة والشقاء فيها، ثم تأتي النوازع الوطنية فهو يلوب في

(1) ابن إدريس، شعراء المجد المعاصرون ١١٥.

ليل من الشجن نتيجة صراع الحياة التى يكابدها، ولروحه الشفافة فإنه يزرع الحب والود، لكن يصدم بخيبة أمل، حين لا يجد صدى.

لِمَن أبـــوحُ بآلامي وأحـــزاني	وأين أهـــربُ مِنْ ليلي وأشجاني
إذا شـكوْتُ فكلُّ الناسِ يعـذلُني	وإن صبرتُ فصبرُ المرهق الوَاني
كم أزرعُ الـودَّ في أفياءِ معْشبةٍ	فأحصـد الحقد في صحراء حرماني
ليْلي طـويلٌ وأفـكاري تحـيِّرُني	وتـسكبُ اليأس في قلْبي ووجداني
يـاربِّ أشكو إليك اليومَ أفـئدةً	تقسُو عليَّ ولا أشْـكُو لإنسـان
الدهـرُ خصمٌ كثيرُ الحَتْل عـذَّبني	وأنت عوْني إذا ضيَّعْتُ أعواني[1]

وإذا صدرت معاناته عن هاجس وطني، فإن ذاته هى الممثلة لمجتمع أمته فهو يخاطب الأمة بانتساب الوطنية إلى ذاته المفردة.

بنو وطني نسيتم كيف كنا	نسود الأرض في عهد الخلود
بنو وطني هدمتم كل مجـدٍ	وأبدلـتم ربـاناً باللحود[2]

وهو يحادث المدن كمحادثته للمرأة يقول عن أبها :

سألتها عن طريق (الصحن) فابتسمت وأرشـدتني إليـها وانثنت تيـها
وسـاءلتني غريـــب أنت ؟ قلت لها من أهل جدة ضيف في أراضيها[3]

ومن هنا ندرك وهج الذاتية عند يحيى توفيق متفاعلة متأججة قوية في غزلـة، ومعاناته الذاتية للحياة، لكن ينطفىء وهجها في شعر المناسبات والوطنيات.

والشاعر محمد العيسى أبحر فـى الذاتيـة، فقـد مـال بـه الانفعـال فـى نظرتـه للأشياء لكنه انفعال ليس منطلقاً من تمرد على العقل الكلي، والنظام الاجتمـاعى، غير أنه مثقل ثقلاً ذاتياً حتى دلفت به إلى التشاؤمية وبنظر إلى الوجود نظـرة عقـم لا فائدة فيه، ولذا فهو يندفع إلى عالم ما وراء المحسوسات بل إلى ما وراء الغيـوب

---

(1) أودية الضياع ١١٤.
(2) المرجع السابق ١٢١.
(3) المرجع السابق ١٥٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أو يأنس بعالم حالم من نسج الخيال، أو ينزع ذاته من حياته الحاضرة بالعودة إلى حياة الطفولة، وربما نبذ المجتمع لنشاز في ذاته، أو لمثالية لا يحيد عنها، والشاعر العيسى، ماض في مسيرة إلى ما وراء عالمه العقلي والحياتي، لا رفيق لديه، مثخنا بجراحه، فكأنه وقع تحت صدمة مريرة هدت منه صروحاً، فهل هو ابتلى بما عاناه العذريون كعروة بن حزام، وقيس بن الملوح. وإن كان كذلك فقد اقترب منهما وتجاوز جميل وكثير لكن معشوقته فكرة وهمية.

حبيبي أراني عبر الطريق ... أسير إلى ما وراء الغيوب
أسير إلى عالم ـ للفناء ـ ... وحيداً.. تحيط بنفسي الندوب
حطام.. لقد هدمني هواك ... صروحاً تحديت فيها الخطوب
هواك شقاء.. بدنيا شقاء ... أضل طريقي بين الدروب
حبيبي.. وكنت بهذى الحياة ... الأغاني وكنت السمير الطروب
فلي هينمات وعاها الزمان ... بحبك مست شغاف القلوب
وأنت نعم أنت .. يا للشقاء ... حطمت فؤادي بوعد خلوب
فذقت العذاب .. وكأس الحمام ... فكل وفائي وحبي ذنوب
بعيداً.. بعيداً وراء الغيوب ... سأذهب وحدي ولا .. لن أعود
غداً سوف أذهب تحت التراب ... معي قلبي الدامي بين اللحود
وتبقى (كماني) الحطام تئن ... وتعزف للقبر لحن الشهيد
وتبقى حياتي من ـ الذكريات ـ ... صدى بين شعر وأوتار عود
وروحي ستبقى ترتل بعد ... ابتهالات قلبي الجريح العميد
ترفرف حول (الرياض) كوعد ... عليّ من الحب . لا كالوعود
ستبقى التغاريد بين الطيور ... ستبقى الشذى للندى والورود
ستبقى برغم الزمان العنيد ... ستبقى تحطم باقي القيود[1]

والشعر فيما يوحي به شعر واقع في تجربة شعورية ذاتية هيمنت على تفكيره

[1] ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١١٤.

لكنه تأثر باتجاه الرومانسيين فقد أشار إلى صيرورة شعره وسيرورته فهو باق شائع بين الناس محلقاً كتحليق الأرواح وتغريد الطيور تلك الصيرورة لم يفكر فيها الشعراء العذريون من قبل.

ويلج العيسى للرومانسية من أبواب مشرعة عديدة، فالأعراض عن توظيف العقل سمة نلمحها في شعره ، فهو غير قانع بحياته الحاضرة، فهو وهم وأحلام، وهو في إبداعه لا أقول فى واقعه تناسى الغاية من وجوده، ولو آمن إبداعه بأنه لم يُخلق إلا لعبادة الله لكفاه، فهو تناسى هذه، وكأنه يئس من مكانته الدنيوية فلم يقنع بواقع الحياة ، فجال فى رومانسيته وهو يفتقد الإرادة الشخصية، التى تخرجه من التيه الإبداعي هذا الذى ضل به عن سبيل الاعتدال ، فدخل عالم الحيرة، والحيرة تسلم إلى الأحلام والأوهام.

أنا من ترى فى هذه الدنيا . ؟ وماذا .. ؟ ما أكون. ؟
أنا وهم أحلام وآمال تلاشت فى سكون ..
أنا لست أعرف من أنا ..!! يا قوم هلا تعرفون ؟
أنا حيرة ضلت سبيل الرشد تسعى فى جنون
لاهم خذ بيدى إليك فقد يئست من النجاة
خذني إليك فقد سئمت العيش فى هذي الحياة

والشاعر أخذ يهذي بألفاظ رومانسية، بل يهوي في سحيقها مع أن كثيراً من المبدعين، ربى بشعره عن الأنزالق فيها ــ أما هو فعاش مبدعاً للشقاوة للجحيم.

أنا للشقاء وللجحيم وللبلاء وللسقام
أنا للصدود وللتفجع والتوله والهيام
أحيا كأني مفرد فى هذه الدنيا ـ حطام ـ
أنا من هويت أضل روحى من تباريح الغرام
فحطمت كأسى فى يدى.. فما شربت سوى الدموع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهدمت نفسي.. والحشاشة أحرقت بين الضلوع

* * *

أنا هكذا (أحيا بلا أمل) .. فلا أرجو لقاء
أهواه لكن.. لست أعرف من هويت.. فمن تراه ؟
أضغاث أحلام تراها ؟ أم جننت بما جناه
أنا كالأتون تحرقت جنباته ممن بناه
أنا (تائه) أدميت أقدامي بصحراء الفتون
أنا لن أعود إلى الحياة فلست أدرى ما يكون
قالوا (الضليل) تعثرت خطواته عبر الطريق
فهوى حطاماً في (القرارة) نحو هاوية السحيق
وبكى الزمان له عزاء. ليت شعري هل يفيق
لا.. لن يفيق.. ولن يعود.. تردد الصوت العميق
ومضى إلى (لا شيء) تحدوه الأماني والخيال
متكسر العبرات يبكي ضاق من دنيا الضلال[1]

تلك الذاتية الانفصامية السالبة في حياة الفرد التى جعلته متمرداً على الكون بأسره ، خضع لأوهامه فاشعلت انفعاله، فاحترق الشاعر أو لنقل تجاوز كونه و لم يتأثر بمعتقد، ولا بعقلية، و لم يخضع لأسلوب مجتمع. إنها أوهام شاعر رومانسى معاصر مستغرب في فكره لا من الغرب وإنما عن الحياة، وأن أخذ الاتكالية الإبداعية من الغرب. فنسأل الله ألا يؤخذ الشاعر بهذا الفراغ الذهني، فعمله وانجازه مغاير لإبداعه.

وتتجلى ذاتيه القصيي كثيراً في شعره حتى فى غرض الرثاء، فهو يهزه الانفعال الحزين، وينظر إلى الميت برؤيته الداخلية يقول عن **الملك خالد** المتوفى ١٤٠٢ هـ.

وهز ضلوعى المنظر

---

[1] ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١١٨

رايتك في جلال الموت
لا أنقى ولا أطهر
وحيداً في رحاب الله
لا عرض ولا عسكر

ويقول : وتسألني :

أما تبتَ عن الأشعار
مررت اليوم قرب الدار
تفرق مجمع السمار
فلا أسمع إلا الصمت يسترسل
في الأذكار
ولا أبصر غير الجدب
يسترسل في الأزهار
فأبحث عنك في التذكار[1]

والشاعر يرثي **الملك فيصل** المتوفى عام ١٣٩٥ هـ ويرمز له بـ (**فارس القدس**) في قصيدة تحمل هذا العنوان تزخر بالصور مما يرفع من شأنها، والحزن على **الملك فيصل** أصاب الجماهير بموجة من ذهول والشاعر يتمثل هذا الوجدان الجمعي، فيتحدث بلسانهم فالجرح الذى خلفه **الفيصل** عميق مما جعل الليالى أشجاناً، فعلى المجتمع أن يكفكف الدمع لبقائه في نفوسنا بقاء دائماً وهو يمثل التواضع فلم يغرر به العز والسلطان، وهو أيضاً خلف فكراً ومنهجاً فكان حبه عالقاً في النفوس.

يا بلادي ! والجرح دام عميقْ

---

[1] العودة إلى الأماكن القديمة ١٢٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والليـــالي من حـولنـا أشـــــجـانُ
كفكفي الدمع.. فهو فينا.. وإن شَـقّ
ضـــريـحٌ .. ولُفّـــتِ الأكفـــــانُ
هو فيـنـا حُـبّ البســاطة.. لم يطغ
عـلـيـهـا عِـــزّ .. ولا سـُلـطـانُ
وهو فينا الصمت الدؤوبُ..وللصمت
بـيـــانٌ .. وللســـكوتِ لِســـــانُ
وهـو فـيـنـا فِـكـرٌ ورأىٌ ســـديـدٌ
واعـــتـدال مُحبـّبٌ .. وإتـــــزّانُ
وهو فينا التصميم أن ندخل القـــدس
كِـــراماً .. ان ترجع الجـــولان[1]

وهو ما زال فينا بأمنيته دخول بيت المقدس، وتحرير الجولان، إنها رموز إسلامية ووطنية معاً فالرثاء لم يكن وصفاً خارجياً إنما هو نبع وجدان منغرس في الفرد والمجتمع.

[1] المجموعة الشعرية ٥١٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاغتـــــــراب

- الاغتراب في اللغة .
- غربة الفكر .
- غربة المكان .
- غربة زوجة .
- الغربة الشعورية .
- الاغتراب في الحب .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الاغتراب في اللغة :

يقول صاحب اللسان : " الغرب : الذهاب والتنحي عن الناس . وفي الحديث : أن النبي ﷺ أمر بتغريب الزاني سنة إذا لم يحصن . والغربة والغُربُ : النزوح عن الوطن والاغتراب . وفي الحديث : « أن النبي ﷺ سئل عن الغرباء فقال : الذين يحيون ما أمات الناس من سنتي » "[1] . وفي هذا غربة روحية وفكرية عن واقع الناس الذين أعرضوا عن السنة .

إذن فإن الاغتراب المعاصر مطابق للاستخدام اللغوي ، وتطور اللفظ قبل الإسلام وبعده .

والغربة معاناة تصيب كل إنسان في هذا الكون ، وإن اختلفت أسبابها ومكوناتها ، حتى أولئك الذين امتلأت قلوبهم بروح الإيمان فإنهم غرباء عن واقع حياتهم ، وصراع المجتمع ، فطوبى للغرباء عن هذه الحياة . والعقلاء غرباء ، وأصحاب الهوى غرباء .

ونحن لو نظرنا إلى أدبنا في بلادنا السعودية ، لرأينا معالم للغربة من واقع الحياة قد تختلف مكوناتها ومظاهرها وألوانها . ويطالعنا الديوان الأول في الغربة ، ذلكم هو ديوان (محروم) للأمير عبدالله الفيصل ، والأصح أن يسمى (مغتربـاً) لا (محروماً) . فهو أمير ، وله سلوكياته التي لا ينبغي الخروج عن مظاهرها ، وله علاقاته الخاصة . وهو أيضاً مغترب بالعمل الذي التحق به من ميعة الصبا ، تلك الأعمال الوزارية ، وهو شاعر رقيق الإحساس ، فهو مغترب أيضاً ، ولكنه ليس محروماً .

والحياة المعاصرة تولد الغربة . فثنائية الثقافة وتعارضهما أحيانا ، والمثقف كل يوم له شأن ، فهو يغترب في قراءاته المتعددة ، والذين ينحرفون وراء قناعاتهم

---

[1] لسان العرب ، مادة (غرب) ٤/٣٢٢٥ .

الفورية ويكتبون عنها وهم يمثلون تلك المراحل . فهناك الفيلسوف زكي نجيب ، وهناك العالم مصطفى محمود ، وهناك الكاتب خالد محمد خالد ، وغيرهم الكثير، كل منهم اغترب في فكره .

والأدباء في بلادنا ليسوا بمعزل عن واقع الحياة ، لأنهم ينهلون من الثقافة المعاصرة . فهناك الثقافة الأوربية ، والأمريكية ، والثقافة المهجرية التي تلقح التكوين الذهني للثقافة الإيمانية والتراثية . وهناك الغربة الحضارية التي تألقت في الغرب ، فالكثير يستشعرها ويتمنى تمكين الأمة منها . والغربة العلمية التجريبية والإنتاج الصناعي .

كل هذه مورد من موارد الغربة والاغتراب في بلادنا . وفوق ذلك غربة العلماء الأدباء الذين يعيشون حياة الأسلاف الصالحة ويقارنونها بعصرنا ، فهم يرون أنفسهم غرباء .

ونحن غرباء ، فأنا وجيلي عشنا في المدن الصغيرة والأحياء وبيوت المدر ، فنحن غرباء . ولقد أشار أحد أعمامي الذي تقدمت به السن ويعيش الواقع أشار إلى غربته ، حتى في أحلامه ، فذكر أن أحلامه من الحياة القديمة ، حتى أسفاره فيها، فإنها على الإبل ، لا على الطائرات والعربات .

وقد تجلت مظاهر للاغتراب في شعرنا منها :

١ – غربـــــة الفكر :

فالفكر تمازج في هذا العصر ، والأديب ينهل من التوجه الإسلامي ، والتراث العربي ، وتأتيه رياح فكرية معاصرة تستحوذ عليه أحياناً ، ويذهل لها لجدتها ، وتهب عليه عواصف فكرية مستحدثة نظرا لانطلاقة الفكر .

فهناك العواصف الفكرية من الغرب ، وأقل منها من الشرق ، فالفلسفة الإغريقية ، واليسارية ، والماركسية ، والوجودية ، وما تفرع عنها من فلسفات

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تتجذر المذاهب الفنية من بذرتها .

ونحن إذ نقف في إطلالة سريعة على إبداع الشاعر محمد حسن فقي فسرعان ما تذكرنا بالفلسفة الوجودية لسارتر ، وتألق فلسفته تلك ، عاصرها الشاعر محمد فقي ، ولا إخاله إلا نهل منها ، وممن عبّ من حياضها . فهي ترى أن الغربة هي الأصل في سلوك الإنسان وفكره ، لخضوعها لواقع التكوين الذهني.

فالإنسان يولد على الفطرة ، لكن صقله بالأفكار يختلف ، وتكوين الغربة من التمازج بين فكره وواقعه مع حياته الخاصة ، وحياته الاجتماعية ، وعمله المدبر له . فالاغتراب (التغرب عن النفس ، وهو عند (فروم) : الفشل في أن يكون الإنسان النفس التي يجب أن يكون عليها)[1] .

وقصيدة محمد حسن فقي (عذاب الحيرة) تمثل تلك الفلسفة ، فهو شديد الهرب من نفسه ، حتى من تفوقه وفوزه ، وتحقيقه لما يربأ إليه ، فهو لا يقنع بالحياة بجميع أطوارها ، فهو يضيق بالأعطيات كما يضيق بالحرمان ، والتحول عن طبيعة الحياة وواقعها غربة :

لِمَ لستُ أقنع في الحياة بكل أوطار الحياة
لم حين تمنحني الهبات ... أضيق ذرعاً بالهبات
ويشوقني الحرمان . ثم أضيق بالحرمان . من كلفي بذاتي
ويحي فما أشكو سوى ... أني أعيش بلا ثبات

فهو دائم الاغتراب ، وجوهر الفلسفة الجدلية أن لا يستقر على أمر يتحقق[2] ، وإنما يبحث عن الحقيقة والكمال الذاتي ينشده ويعترف بعدم الوصول إليه :

هذا التطلع للجديد ... يرنق الصفو القديم

---

(1) مجاهد عبدالمنعم : الاغتراب في الفلسفة المعاصرة ١٧ .

(2) المرجع السابق ١٨، ١٩ .

فإذا تحقق لي ... ركضت وراء مفري الأديم
وكلاهما يشقى ... فما أرضى الجحيم ولا النعيم
وأحن شوقاً للحميد ... كما أحنّ إلى الذميم

***

ماذا أريد ؟ فقد برمت بما أريد ... ولا أريد
إني لأهدمُ ... ثم أبني ... ثم أهدم من جديد
وأرى الحصى درّا ... فأنظم منه كالعقد النضيد
ويهولني قدري ... ولكن ليس عن قدري محيد

***

لكن الاغتراب الإسلامي هو الهجرة إلى القيم والمثل العلياء ، والثبات عليها وهنا الاختلاف بين الاغتراب في الإسلام وفي الفلسفة الوجودية . والشاعر يسأم من النعيم الدائم ، بل حتى من الحرية ، فهو إن غاص في النعيم لا يلبث أن ينشد سلطة الشقاء :

أهفوا وأسأم ... يالحيران يعاني شقوتين
من ذا رأى مثلي ... تعذب في الحياة بموتتين
قد ذقت ما في الموت ... من ألم ورعب مرتين
وبقيت أرقب نعمتين ... وقد بليت بنقمتين

وربما أن موت ابنته وابنه في سنة واحدة كان لهما دور في قناعته هذه ، فهو عاش النعيم بوجودهما ، وعاش المأساة بفقدهما ، بل استشعر التبلد تجاه تلك المفارقة .

لو سامني دهري العذاب ... لما اشتكيت من العذاب
ما دام يتلوه الثواب ... فأستريح إلى الثواب
لكن على أن لا يضل كلاهما .. درب المآب
فتملني نفسي ... ويدفعها الملال إلى التباب

***

لعله يريد بالثواب الجزاء الدنيوي ، فإن الجاد في حياته يكسب مالا وجاها ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذه بغية الإنسان ، لكن الفقي يغترب عنها وينشد المعاناة دائماً .

وهو يحس بغربته في الشباب رغم اعتزازه ، واعتزاز الإنسان بها ، وكأنه يتمنى اكتمال الرحولة بالكهولة . فإذا ما بلغها فإنه يتلوى في جحيمها ، وربما يعود ذلك لعدم قناعة الشاعر بحالة ، وأنه دائم التطلع .

قد كنت في فجر الشباب ... أرى الكهولة مغنما
وأرى المشيب هو الوقار ... هو الفخار الأعظما
حتى إذا وافى ... رأيت به الحياة جهنما
لكن ... أيسعدني الشباب ولو أثاب وأكرما

***

كلا ... فما أنا بالشباب .. ولا بالمشيب بناعم
فكلاهما يدنى إليّ ... نسائمي وسمائمي
وأنا الذي ضحيت ... بعد مغارمي بمغانمي
كي أستريح ... فما استرحت سوى استراحة حالم

***

ويلوب في نفسي ... سؤال حائر ... من صدّهِ
لو أنني أدري الجواب ... لما بخلت بردّه
لكنني أنا كالمكبل ... راسفاً في قيده
أو كالمقامر ... قد يضل بنحسه وبسعده

***

لا تنشدي عوني ... فما أقوى عليه .. ولا ألام
كيف السبيل إليه ؟ ... والدنيا ظلام في ظلام
ولقد أعاني النقص ... ولكني أخاف من التمام
ياويل من ركب الغمام ... إذا تمرغ في الرغام

***

فالسبيل الهجرة إلى الله عقيدة وعبادة وعملاً . وهل هناك سويّ لا يخشى مسئولية التمام ؟ وأما أطيب امتطاء الغمام بعد التمرغ في الرغام فإن ذلك جائزة

الحياة الدنيا ، والله أعلم بالآخرة .

ما حيلتي ... وأنا الذي ... يا نفس مثلك حائر
قد ساقني قدري ... وها أنا في المتاهة سائر
أأكف عن سيري ؟ وكيف ؟ وما يكف الزاجر
أم هل أسير ... ولو هلكت ؟ وما لدربي آخر

***

هذا السؤال ... وقد عيت على المدى بجوابه
لا تعتبي ... فلقد يقول الحر مرّ عتابه
ولقد يتوه المرء ... بين خطئه وصوابه
كتب القضاء ... وما أطيق سوى الرضا بكتابه

***

يانفس ، هل أنا في الوجود ... وأنت إلا كالهباء
قدر يسيرنا ... فما ندري الوضوح من الخفاء
سيان من ذرف الدموع له ... ومن سفك الدماء
فلقد يكون النور في الظلماء .. والظلماء في وهج الضياء
ولقد نسير على التراب ... ونحن نخطر في السماء
ما تعرفين ولست أعرف ... ما يدبره القضاء
فإذا سخطت فإنه ... قدر يسير كما يشاء
وإذا رضيتِ .. فقد يكون رضاك قنطرة النجاء[1]

وشعر الفقي يسير على هذه الشاكلة التي تدور في فلك الغربة ، فكأن الرجل استمرء هذه الحياة ، ولا يستطيع فكاكا منها ، بخلاف حياته العملية الناجحة .

وهذه القصيدة متنوعة القافية ، وتقوم على مقاطع ، فهي تنهج نهج المطولات المهجرية . وهي أيضاً تأملية تدور في فلك الشك والحيرة ، وإن كان

---

[1] قدر ورجل ٢٧١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشك الذي تولد في المهجر نتيجة للمفارقة بين الوطن الأول والوطن المستحدث، والمفارقات في الحياة النفسية والاجتماعية والعملية أدت إلى أولئك المهجرين ، أضف إلى ذلك أن جلهم من النصارى ، فهم في ريبهم يترددون . والشاعر الفقي اقتفى أثرهم في هذا الشك ، لكنه لم يتجاوز معالم الحياة إلى المعتقد . والقصيدة تظهر فيها القدرة الفنية التي تلاءم فيها الشكل مع المضمون نابضاً من التدفق الشعوري .

٢ – غربـــة المكان :

الأديب في الأصل غريب بخياله ، وهو ينغمس في التفكير المعاصر له ، لكن بخيال ، ثم بمثالية أيضاً . فبعض أدباء الجزيرة تأثروا ببعض الأدباء الذين لجئوا إلى البلاد وتمردوا على الدولة العثمانية ، وأخذوا ينادون بالوحدة العربية في مثالية كبرى . فهم ينشدون الوحدة والإصلاح والقوة معاً . وتلك مطالب حقاً نتمناها، لكن الواقع مضاد لها . فهم اغتربوا من التوجه العثماني إلى الثورة العربية، ثم جاء العهد السعودي ، فاغترب الشعراء عنه باتجاهات ، ولكنه احتوى جلّ الشعراء ، والتحق الكثير منهم بالوظائف الحكومية ، ونشر نتاجهم الإبداعي ومع ذلك آثر القلة الإقامة خارج البلاد ، فكانت الغربة المكانية أيضاً . وبعضهم توظف في السفارة السعودية ، كإبراهيم الفلالي[1] .

وبعض من المبدعين ليس عنده القدرة على التعامل مع واقع الحياة ، لا سيما إذا كانت هناك مفارقة بين اتجاهه الفكري أو السلوكي ، وبين العوامل الخارجية الموطرة لحياته والمحدقة به . وهناك من يتعامل مع الحياة باعتدال ، مع تمكن

---

[1] ولد في مكة المكرمة عام ١٣٢٤هـ . شاعر وناقد . له كتاب المرصاد ، وله كتب أخرى . وله عدد من الدواوين ، منها صدى الألحان ، وصبابة الكأس ، وطير الأبابيل . مات في القاهرة عام ١٣٩٤هـ .

المفارقة التي لا ريب من وجودها في كل زمان ومكان . وتلك خاصية إنسانية ، فقد رزق الله العقل من أجل الاعتدال في هذه وفي غيرها .

وأرباب الفكر أكثر المغتربين عن أسرهم وعشيرتهم . فكيف بوقائع الحياة الأخرى ؟ ومن هنا نجد أن الاغتراب في أدبنا شاكل حياة الشعر . فهو أظهر كثيراً من معاناة الحياة والمفارقة معها ، لكنها لم تقف في وجه الغالبية العظمى ، فأنتجت منهم مبدعين ومفكرين ، تولوا مناصب كبيرة ، وكان لهم مكانتهم الأدبية ، والاجتماعية ، حتى كلمتهم كان لها تقديرها .

وهناك فئة لم تصمد أمام مواجهة الحياة ، و لم تتعامل بواقعية ومداراة ، وإنما تبتغي الكمال ، وإلا فلا ، حتى آثروا الغربة الفكرية الكاملة والغربة المكانية المتباعدة . ومن أولئك الشاعر حمزة شحاته[1] وإبراهيم هاشم الفلالي . ويفترق عنهم حسين سرحان الذي آثر الغربة الانفرادية داخل وطنه ، فكان الأدباء والصحافة تتلقف ما يبدع . فهو معتدل التفكير . أما حمزة شحاته فإنه أخذ يفجر ما بداخله ويهذر به ، وأعرض عن سلامة التآلف والتواد ، وركب المركب الوعر. فهو يقول في قصيدته (حظوظ) :

هدرتُ شعوري حين صعّدته شعرا ... وأشفى لنفسي أن أفجره جمرا
فما لي وقد عِفتُ السلامة موردا ... وأعرضتُ عن أسباب طالبها كبرا؟
تبدلتُ عن عزمي وجل شبيبتي ... حجى ، لا يرى إلا المساوئ والنكرا؟
يهوّن في عيني الحياة وأهلها ... ويوسع طلاب المتاع بها سخرا
فعشت وإياه رفيقي متاهة ... على غير قصد ، تخبط السهل والوعرا
حريين في دنيا تفيض بشاشة ... لمنتهجيها ، رغم ما ساء أو سرا
ونحن سواء ، إنما العيش رحلة ... مدانا بها ، المقدور ، أن نقطع العمرا

---

[1] ولد في مكة المكرمة عام ١٢٣٨هـ ، اغترب في الهند ، ثم في القاهرة . مات عام ١٣٩٠هـ . له ديوان ضخم مطبوع . انظر : الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي لعمر الساسي ٨٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولم أر مثـــل الجهـــل عـــونا لمدلج مضى قدماً ، لا يستشف لهـا ســـرا

فمن الغربة للشاعر أن يعيش في مجتمع لا يبادله الشعور ، وهو غريب حين يقذف بشعر كالجمر فكأنه يعيش في مجتمع يعاديه ، وهو حين يعرض عن المسلمين المستسلمين في نظره وعن مجتمعهم فإنه ينزح إلى الغربة ، وما زالت ألفاظه ومضامينها تنداح في الغربة ، فالتبدل وهو يعيش في متاهة على غير قصد ، والمحارب بين أرباب البشاشة مغترب لأن لكل منهم منهجه ، وهو يغترب بل يرى أن الجاهل هو الذي يعيش في هذا المجتمع ثم الذي يعيش في إحساس المظلوم ويطلب العدل يدلف في الغربة ، وكل من صاحب الخمول والجد مغترب ، فالغربة ليست مذمومة دائماً وإنما إذا تجاوزت الحد .

تطلّب من دنياه عدلاً فسوفت حكيم فلا عجزا أقام ولا صدرا
فانفق في ظل الخمول حياته وعاش ، على جذب الحقيقة مضطرا
ورب مجد لم يدع باب حيلة إلى اليسر، ألفى جهده ، فجنى العسرا
وحيّ من الأحياء ، غاية قصده على عيشه ألا يجوع ولا يعرى
تساق إليه من غرائب رزقه سحائب فاضت حوله ديما غزرا
كما جفت المزن الجنان ، فصوّحت وجادت ، ولم يأبه لها بلدا قفرا
تنوء بها الأفهام ، بدءا وغاية حياة لها في الغيب أقضية تجرى

وهو لو طلب الدنيا بالعمل الصالح ، وقنع بقدراته ومواهبه وما تنجزه له ، وأدرك أن الحياة لا تكتمل لإنسان إلا القليل ، فالله يرزقه علماً ، وتارة يمنح جاهاً وهو في كل ذلك له الحكمة البالغة والحجة القاطعة . ونسي أن أرباب الفكر في معاناة تامة ، حتى من داخل دورهم وأسرهم، وهو قد عانى ذلك .

إذن فإن الانفجار هذا مخالف لواقع الحياة والسلوك الإنساني . ومن هنا بعد تلك المعاناة من هذه الغربة فإنه يسلو إلى الزهد ، ويكون أسير المحبسين : الغربة والفقر معاً :

سلوا الزاهد الضاوي لغوباً ، تحدرت مدامعة لا يطمئن ولا يكرى
أسرّ رهين المحبسين مصيره أم احتسب الأولى ولم يدرك الأخرى؟

◆

جرت بي أسباب القضاء خفية فخلت اختيارا ما يراه الحجى جبرا
وأعذل فيما كان لي من سوء فطرتي لو اخترت كوني ما ارتضيت له خسرا
و لله في كل الخلائق أمره وغايته خيراً ثأرت أم شرا

ولا شك أن المفكر دائم الأسى ؛ لأنه ينشد الكمال . ألم يغترب أبو ذر الغفاري في عهد الصحابة ﷺ ؟ ألم يغترب أحمد بن حنبل ، (رحمه الله) ؟ ومع ذلك لم يتفجر الأمر فيصل إلى واقع الحياة التي تضر بالفرد ذاته :-

أرى عقلاء القوم فاضت صدورهم أسىً ، وأرى الجهال قد ملئوا بشرا
قدحت زناد العزم في راجح النهى وناشدته عهد الجهاد فما أورى
فأيقنت أن العقل أبطأ مركب إلى غاية تستعجل الوالب البكرا
وما العقل إلا بومةٌ طال جهدها فما نورّت ليلاً ولا أظلمت فجرا

وكون العقل " بومة طال جهدها " هذه فلسفة وهو يرى أن موت الفكر هو الموت ، وهذا حق ، لكنه أحوج ما يكون للسلوك الفكري أيضاً :

بكينا على الموتى وإن حياتنا بأدمع ساك ، في فجائعها ، أحرى
فليس يبالي ميت حل قبره توسد رملا جنبه فيه أو صخرا
وإن الأسى للحي عدل ، فما بني يهيم بحلو العيش يجرعه مرا

◆

أصاب العلا ، إرثاً ولم يسعَ غافل فصاغوا له من كل مكرمة ذكرا[1]

وهذه القصيدة تعتمد على تفجير المضمون ، والفخر بالذات . وهي أقرب إلى منهج المتنبي ، وهي فيض لنظرة الشاعر لواقع الحياة من حوله ، معبرة عن تأمل فردي منطو على الذات ، تعتلج أفكاره داخل كيانه فيلتمس لها المعاذير . وهو يعمد إلى طرح المضمون أو الفكر أحياناً بتراكيب فيها قوة ، ويعمد إلى

---

[1] الديوان :١٦١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

التصوير ، كقوله : " قدحت زناد العظم " و" أبطأ مركب " و " العقل إلا بومة طال جهدها " ، فتلك تصور حالته اليائسة ، وأكثر ما يكون تصويره مباشراً ، بلا وسائل تشبيهية أو مجازية .

ونتيجة لعدم التوازن في الحياة ، فإن حمزة شحاته يغترب عن وطنه وفكره ، ويغترب عن سلوك حياته ، وتتقدم به السن ، فيظل عاجزا حتى عن كسب قوته اليومي . وكان يتواكل على ابنته شيرين التي تمده بقدرتها المحدودة ، وقصيدته (غربة) تحكي مأساته التي ارتسف في أتونها ، استهلها ببيت شوقي في دمشق :

(سلام من صبا بردى أرقُّ ... ودمع لا يكفكف يا دمشق)

وأشواق تضيق بها صدور ... يخشخش في مسالكها البهنق[1]

وأسئلة عن الأحوال طالت ... تحمّلها إلى مغناك خلق

وليس سوى سكاتك من جواب ... تكاد عليه من زعل تطق[2]

فماذا عنك بعد فراق عام ... وأين به صريخك والمشق[3]

وأين رسائل الأشواق ترجى ... وبعض الشوق للأحباب حق

فنحن هنا بلا وطن وأهل ... نعيش سدى على حال تشق

فلا شغلٌ يجيب لنا فلوسا ... ولا دخلٌ يطول عليه عنق

وقد منعت حوالة كل شهر ... وكان المنع مشكلة تدق

فالشاعر في غربته يحن إلى وطنه والحنين مظهر من مظاهر الغربة ، وهو يتمنى التواصل معه ومع أسرته بالرسائل ، بل يلوم من كان في يصرخ في مستهل الفراق ، ثم يعود إلى ذاته فكان يأتي بالبرهان الذي يدعوه إلى الحسرة والتألم ، فهو بعيد عن وطنه ، ولا أهل عنده وهو أيضاً في بطالة ، فلا عمل يشغله ، وزاد الأمر سوءاً أنه عاش على الفقر فلا موارد مالية ، وكأن الحوالة المالية التي تأتيه من

---

(1) يخشخش : يصوت بالخشاخيش . البهنق : محرفة عن (الهبنك) ، وهو الاحمق أو النمام .

(2) السكات : لعله أراد السكوت .

(3) المشق : المغني الذي يرفع صوته بالغناء .

ابنته تأخرت عنه ، فتلك أسباب مكونات الغربة المركبة عند الشاعر حمزة شحاتة

وقـالوا : المنـع أيـام قصـار ... فطـالت والمطـالب لا تـرق
يظـن بنـا الغنـى والحـال زلـت ... وخـير طعامنـا عيـش ودقـو[1]
ألا يـابنت يعـرب خبرينـا ... متى تصفو المـوارد وهـي رنـق؟[2]
ومـاذا تبتغـي الأسـواق منـا ... ونحـن بهـا عبيـد تسـترق؟
كأنـا والتجـار خصـوم حـرب ... علـى الأقـوات أو غـرب وشـرق
ولـولا سـترة المـولى شـحتنا ... وطـال بنـا علـى الأبـواب دق[3]
ولكـن الإقامـة ليـس تعطـي ... لشـحات لـه في مصـر زنـق[4]
فمـا نفـع الغريب بغـير مال ... وليـس وراءه للقطـر رزق[5]

ثم هو يتحلل عن كبريائه أمام ابنته ، فيصف حالة العوز ، فلا عيش يطيب له ، ولا قدرة له على جلبه من الأسواق ، والحال تميل إلى السواد ، وأكله من الخبز الجاف الذي يدق ، وهو يجوب الأسواق يبحث عما قل ممنه بماكسهم فيه، حتى عرفه التجار ، وأنكروا عليه ذلك ، ولولا الحياء لأوسع الأبواب قرعاً كناية عن السوال ، بل حتى التسول لا يمد الفقير الغريب بشيء من المال .

لقد تداعت مكونات الغربة لدى الشاعر من جوانب مختلفة ، فمزج الحنين بالشكوى إلى ملامح من الغربة الفكرية . والحنين إلى الوطن غربة . والغربة المكانية تظهر في شعر مقبل العيسى الذي عمل ممثلاً للحكومة السعودية في عدد من الدول ، واستشعر الغربة عن وطنه ، ولكنها غربة ليست بالجارفة المحرقة، وإنما يخفف وطأتها سهولة الاتصالات ، وهي خدمة وطنية أيضاً . فهو يقول :

---

(١) دقو : لعله يعني (الدقة) ، وهي ملح وفلفل وتوابل .

(٢) الرنق : الماء الذي فيه تراب الكدر .

(٣) شحتنا : شحذنا .

(٤) الونق : المكان الضيق (الزنقه) .

(٥) حمزه شحاته : الديوان ٣٢٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يا من يلوم على هجري له وطنا !! قد كنت فيه غنياً بالهوى زمناً !!
ما خنت عهدا لأوطاني وإن بعدت ولا بكيت .. على أطلافها دمنا!!

فالشاعر لم يهجرها زهداً فيها ولا كرهاً ، وإنما عانى الغربة خدمة للوطن ، وهو مازال يحفظ له العهد والود ، ويؤدي الواجب ، ويخدم المجتمع ، وليس من أجل رغيد العيش ، ورقة الحضارة وترفها ، وجمال الأوطان في الاغتراب .

ما خنت عهداً .. ولا قلبي أنا جبنا فالحر يبقى على عهدٍ وإن غُبنا!!
وما تغربت عنها ..ناعماً بهوى أعيش منه بأطياب ووفر غنى !!
يناى المحب عن الأحباب .. مغتربا ليصبح الشوق ذكرى تبعث الشجنا!!

وهي غربة تذكره بالماضي السالف ، وحبه الوطني الذي يحمله في قلبه ، وإن نأت به الدار وبعد المزار ، فغربته غربة مكانية لا نفسية ولا عقلية .

فالمرء تشجيه .. أيام له سلفت وإن تقلب .. في أطواره سكناً!!
والمرأ يناى .. وفي أعماقه شغف لما أحب وعهد بالصبا اقترنا!!
تحلو الديار .. إذا كان المقيم بها يهديك من حبه ما يُذهب الحزنا!!
وترخص الدار .. وإن كان المقيم بها قلبا يحافيك أو يرضى له المحنا!!

وهو غريب عن دار الهداية والرشاد التي حل بها الإسلام ومنها انطلق ، فهو يشتاقها وتحل في قلبه ، ويستعيدها في نومه .

فالدار ما خلدت إلا هدى وتقى!! وحيّ تحدّر من دليا شذى وسنا!!
أتوق دوماً لمغناها .. فإن بعدت أبدى لي الحلم منها في الكرى عطنا!!

وهو في غربته دائم الحنين إلى نجد ، وهو يتذكر أيام الصبا ، وتعاقب الهواء النقي ، وزاكي ريح عبيرها من الشيح والقيصوم والرند وزهر الأقاحي والعرار . وما تزدان به رياضها في ربيعها ، وغدرانها الرقراقة ، حتى الغضا لم تذهب صورته الأشجار الخضراء في ديار الغربة .

وهو أيضاً يستعيد مرارة العيش فيها ، التي تفصح عن كرم أهلها ، وبذلهم وقت الحاجة :

فـــأين عرارهـــا مـــني شيمـــاً ... كأنفـــاس .. الربيـــع المســـتجد ؟!
وأيـــن غديرهـــا .. يبقـــى شـــهوراً ... لـــري منيحـــة .. وعنـــاق دعـــد؟!
وأيـــن جفافهـــا الفتـــان .. مـــني ؟ ... ومشـــوب الغضـا .. في كـــل رفـــد؟!
وأيـــن .. مناخـــة تـــأوي .. وتبـــدي ... أصـــول مـــروءة .. وهبـــوب ســـعد؟!
إذا أعيـــا المطـــي ســـمـــوم قيـــظ ... أبلـــت كبـــده .. بصفـــاء ورد؟!
وإن جـــار الزمـــان عليـــه يلقـــى ... صـــدورا لم تبـــح يومـــا بســـد!!
ســـخاء .. رغـــم إعســـار .. وبـــذلٌ ... هـــو الإيثـــار .. مـــن كـــرم وود!!
بنفســـي مـــن هـــوى نجـــد جـــدور ... روت .. عشـــقي وأشـــقتني بصـــد!!
فكـــم .. عـــانيت مـــن عشـــقي ابتعـــاداً ... وجـــرح القلـــب .. مـــن صـــد وبعـــد !
وقلـــبي .. عاشـــق مـــا حـــنّ .. إلا ... لنبـــل شمـــائل وعطـــاء مجـــد!!
فيـــالي مـــن صـــدى نجـــد .. ويـــالي ... مـــن الأقفـــار .. والزمـــن الألـــدّ!!
تذكـــرت الحيـــاة بهـــا .. فـــأدمى ... جروحـــي البعـــد عنهـــا والتحـــدي!!
وطالـــت غربـــتي عنهـــا .. لأشقى ... بأعصـــار الحيـــاة المستبـــد!![1]

وأنت ترى أن شعر العيسى يمثل غربة أولئك النائين عن أوطانهم لفترة محدودة ، وبلا انقطاع أيضاً ، فلا تحس بالحرمان والحرقة ، إنما هي موجات من الغربة تنزع أحياناً . وشعره يميل إلى الجمل التقريرية التي تصف التدفق الشعوري للشاعر ، وتستمد من مضمون يعتلج في كيانه ، وإن شارك الشعراء القدامى في الهيام بنجد ورياض نجد ، وأغرم بالموروث ، إلا أنه شاعر جزء من نجد عاش فيها واغترب عنها . فهو صادق الشعور واقعي الوصف ، مما جعل الفخر يعلو في شعره .

وأخيراً فإن هذه القصيدة وحل شعر الشاعر تصور غربة الذين يعملون في السفارات خارج البلاد ، فهم دائمو الحنين إلى أوطانهم .

والشاعر النعمي يلتحق بالدراسات الجامعية بالرياض، ويتعاون مع الصحافة،

---

[1] الهروب من حاضر ١١٠، ١١١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويلمع نجمه في ضياء الأدب والشعر . لكن غربته عن مدينة جازان وقراها ما زال يهيمن عليه ، فهو يستشعر الغربة ، مما دعا إلى للعودة إلى الريف . وهو لا ينسى نجداً وأصحابه في نجد . ويشير إلى اضطرابه وحيرته الشعورية ، وما يعتمل في نفسه من حيث البقاء في عاصمة المعرفة والثقافة (الرياض) وبين الارتحال إلى بلده :

لا تسلني عن الرؤى يا صديقي ... لا تسلني فقد ضللت طريقي
لا تسلني علام عيشي فإني ... وسهام شديدة التغويف
اتحاشى هذى وتلك لها في ... كبريائي فعل خنجر وحريق
لا تسلني فلست أعرف مما ... في حياتي سوى ضياعي وضيقي

تلك تصور معاناة الغريب من الاستكثار الذي يتضح من النظرات ، ومن الهمز واللمز ، التي يتأولها حتى وإن لم توجد ، بل إنه لا يندفع إليه غيره خشية وحيطة .

كنت في هالة من النور زاه ... أتغنى في موطن العيوق
تشرب الأنجم الوضية لحني ... في إناء من الجمال أنيق
همسات منغومة ونجاوى ... حلوة الجرس في انبهار رشيق
فإذا ما ارتوت وأدركها الصبح ... تهاوت صرعى قبيل الشروق
كنت في نجد يا ثرى نجد ما لي ... غبت عن أفقك الشهي البريق؟

وهو بعد أن اغترب عن نجد تذكر ليالي الأنس . أما في عمل الصحافة ، التي تستدعي السهر ، أو مع ثلة من الأصحاب يتطارحون شتى الآداب ، فهم دأبو السهر في طلب المعرفة لكنهم يرتاحون نهاراً . وهو لا تجذبه إشعاعات الثقافة ، وحسب بل ورياض نجد ، وأشجارها ذات الرائحة الطيبة .

أين يا نجد هيمات مسائي ... أين يانجد أين نبض عروقي ؟
أنا أهفو إليك .. للشيح .. للصحـ ... ـب .. لعهد من اللقاء وثيق
لبنا مشبع الظلال ثرى ... عبر وادي العرار شبه غريق

ذبلـــت شمعـــتي ولملـــم إعصـــا ر شـــراعي يفريـــه بـــالتمزيق
ورمتـــني الأقـــدار نضـــوا بئيـــا وســـط ريف وليـــس لي مـــن صديـــق
أشـــرب الـــدمع ، آكل الصمت قهرا كـــــجين في القيـــد كالمشنـــــوق

وهو يعود إلى قريته ليعيش في ثراها وبين أهلها ، ويعتذر إليهـا عـن هذه الغربة الطويلة في طلب العلم ، ويسعى لكسب العيش :

عـدت للريف عل في الريـف مجلـي لصبـوح مـن الـرؤى أو غبـوق
عـــدت يـــا قريـــتي إليـــك لأحيـــا في ثـــراك الحبيـب عيـش المعشـــوق
كلفتـــني نفســـي اغترابـــاً وصـــدا عنـك ، والصـد من سمات العشـيق
يهجـــر الطـــير عشـــه وبنيـــه ســـاعة الضيـق ، والعـــدام الرفيـق
ورحيـــل النفـــوس مـــن أجـــل محيـــا هـــا حيـــاة ترفـــو خصـــاص الشـــقوق
ورحيـــل النفـــوس بغيـــة عـــز هـــو في ذاتـــه وســـام الســـموق
واقتحـام النفـوس للمركـب الصعـــب ، وكشـف الأجـواء بـالتحليق
عـدت والشـوق في فمـي هدهـدات وعلـى راحـتي كـؤوس الرحيـق
عـــدت في خـــاطري نشـــيد وفـــاء صغتـــه مـــن تـــأوهي وشـــهيقي
مـــن حنيـــني إلى الأراك إلى مـــوا ل راع ، مـــن وحـــي حـــي العميـــق
عـــدت في نـــاظري مـــلاءة حســـن طرزتهـــا أنـــامل الـــتزويق
عـــدت في جبهـــتي شـــهادة حـــب في إطـــار مـــن الوفـــاء رقيـــق
عدت لكن كمـا يعـــود غريـــق لحـــو طامي العبـاب بعد المـــروق

وهو يشير إلى غربته الأولى في القرية قبل رحيله عنها ، ثم يعود إليها غريباً أيضاً ؛ فإن عودته إليها لم تسلمه إلى الرضا والسعادة ، وإنما ادلهم في غربتـه . ولا ريب من ذلك فهو خلف وراء ظهره الثقافة وموطنها ، حياة المعرفة والنبوغ ، فالقرية لا مجال فيها للتطلع والارتقاء :

عشـت فيـك الغريـب إذ أنـا طفـل واحتملـت الضنـا بـدرب ســحيق
كـم عـلا جبهـتي هجـير الصحـاري واقتفـت خطوتـي أفـاعي الطريـق

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأنـــا الآن في لـــراك غريـــب ولـــو أنـــي بـــه شـــديد العلـــوق
قـــد تســـاوى الظـــلام والنور في عيـ ـني ، وعـــاد التغريـــد مثل النعيق[1]

والقصيدة تمثل الغربة الداخلية التي تدعو إلى التوتر المعتدل ؛ لأنها داخل البلاد ، وهذا شأن الكثير من أبناء الوطن ، فإنهم ينتقلون طلباً للدراسة إلى المدن التي تحتضن الجامعات ، أو الوظائف العليا . وأكثر من ذلك الوظائف العسكرية ، فإنها متنقلة بين المدن العسكرية المتناثرة في البلاد .

والقصيدة فيها حنين نجد وصحبة في نجد ، وشيحها وقيصومها ، لكن الشاعر أكثر فخراً بإقليمه بخلاف ابن نجد مقبل العيسى ، كما ذكرت آنفاً .

والقصيدة تصور العلاقة الاجتماعية لشريحة كبيرة من أبناء البلاد ، فهي صورة من الأدب الاجتماعي .

ثم هو يعلن الغربة أكثر في قريته ، فيستعيد ذكرياته في نجد والرياض ، فكأنه أحس بموته الفكري والثقافي وفقد الأمل ، ومن هنا أخذ يشدوا بأيامه في الرياض، وذكرياته في قصيدة (حصاد الغربة) :

يـــافؤادي يكفيـــك هـــذا الوجيـــب فتصـــبر .. فـــالليل ليـــل رهيـــب
أتـــرى يمســـح الدمـــوع أنـــين أم تـــرى يرقـــأ الدمـــاء نحيـــب؟
فالحيـــاة الحيـــاة مـــا رف فيهـــا أمـــل باســـم الســـمات رحيـــب
إنهـــا لم تـــزل كشـــمطاء شـــاهت وتبـــدي في ناظريهـــا القطـــوب

◆

يـــا فـــؤادي قيثـــارتي حطمتهـــا محـــن مـــرة عليهـــا تلـــوب
كنـــت في روضـــة المنـــى أتغنـــى بلحـــون يصغـــي لهـــا العندليـــب
وأناجي الأحـــلام في مرقـــد الشـــو ق ، ووجـــه الأيـــام غـــض قشـــيب
ســـبحات الخيـــال حـــولي تـــزى راقصـــات والنجـــم دان قريـــب
كلمـــا اشتقت نفحـــة قدمتهـــا لي ريـــح الصبـــا.. فتخبو النـدوب

---

[1] الأرض والعشق ٦٠ .

فأنت تلحظ تتابع الصور التي وظفها الشاعر توظيفاً جميلاً في هذا المقطع ، فالمحن المرة تلوب حوله ، وصور الأماني بروضة غناء ، وهو يناجي أحلامه ، ووجه الأيام غض قشيب ، سبحات الخيال تتراقص والأماني دانية :

أتهادى كما تشاء الأماني ... في انطلاق كما تضوع الطيوب
أينما سرت عانقتني الدراري ... مثلما يحضن الحبيب الحبيب

◆

ياصبا نجد أسعفي واجفي القلـ ... ـب بومض ، فقد دهته الخطوب
عاش بعد الفراق صنو دموع ... كيتيم أفنت رؤاه الكروب
يشتهي اللقيا ، ويقصيه حظ ... أسود قاتم الخطوط كئيب
أين مني منفوحة ، وغار ... أين مني بطحاؤها والقليب؟
والأماسي والأفق طلق المحيا ... ورفاقي صداحهم والأديب؟
كل هذي غابت بعيداً ولكن ... ميزة الحب أن تذوب القلوب

◆

يا فؤادي والذكريات حظوظ ... ولكل القلوب منها نصيب
هذه دمعة ، وتلك ابتسام ... وسرور ، وذي شقاء عصيب
فاذكريني فالريف يا نجد أهوى ... بطموحي حتى علاني الشحوب
حسبوا غربتي ادعاء وزيفا ... لا يحس الضياع إلا الغريب
إن نفساً على اللظى تتلوى ... هي أدرى .. إذ قد كواها اللهيب
فإذا عشت عن ثراك غريباً ... فاذكريني فأنت مني قريب
واذكريني معذباً ليس يسلو ... ك .. وصبا من حبه لا يتوب[1]

فهذه غربة لا حرمان فيها ولا يأس ، ولم ترد إلى الحيرة والشك ؛ لأنها في مجتمع واحد ، غير أن الإنسان يطمع إلى بلدته ويتمنى لمجتمعها التقدم والصلاح .

---

[1] الأرض والعشق ٦٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣ - غربـــة زوجـة :

البعثات تترى من أبناء الدولة السعودية إلى الدول الخارجية لتنهل مـن معين المعرفة التقنية ، والعلوم التجريبية . وبعض الطلاب المبتعثين قد تزوج قبل سـفره ، أو هو خطب إحدى فتيات بلده . وهو ينشغل في تلك الديار بطلب العلم ، ذلك شأن الكثرة الكاثرة ، وقليل منهم من ينبهر ويتبلد عن أسرته . وفي كلا الوجهـين تعاني الزوجة والفتـاة والمخطوبـة مـن الغربـة الداخليـة ، فـلا هـي مـع زوجهـا ، وليست بربة بيت .

واللواء على الغامدي قد تقمص شخصية زوجة مغترب ، وبث لنا شـعورها المستكين في شعر يصور حرقتها ، وانتظارها ، ومعانـاة الوحـدة ، ومـرور الزمـن الكئيب وهو يصور العفاف والصون والعبر من الفتاة المسلمة التي تحفظ حق الله ، ثم حق زوجها . وتستظل بظلال الطهر والعفاف . فهو يقول في قصيدة (خواطـر زوجة مغترب) :

وأحـرّ قلبـاه ممـا فيـه يضطـرم	الوجـد والوسـواس والنـدم
واحـر قلبـاه يحيـا البعـد في أمـل	كأنـه اليـأس منـه الضـر والعـدم
إذا شـكوت فـلا ألقـى مشـاركة	لا الغُربُ تدرك ما أشكو ولا العجم
والأهل حولي كالأعمى ولو عـرفوا	مصيبـتي حيـث إنـي كنـت أبتسـم
ولا قريـب مـن الأحـزان ينقذنـي	لـو بـالتوجع لي حتـى ولا رحـم
تمـر بـي غصـص الحرمـان ضاربـة	بقـوة اليـأس صـبراً كـاد ينفصـم
أحيا على الوعد في صبر على مضـض	تغتـالني عندهـا الأخـلاق والشـيم
وعـد وعهـد ولا بعـض الوفـاء بـه	ألا تـرى أن حبـل العمـر ينصـرم
واحـر قلبـاه هـل تدري بحرقتنـا	وما ذوى من شباب هـده السـأم

والمرأة بطبيعتها تكتم سرها ولا تبوح به ، وليس هناك حرمـان للمـرأة أشـد من حرمان الحياة الزوجية ، فالمرأة لو تبتعد عن وطنها وأهلها مع زوجها لا تحس

بالغربة ، لكن إذا ابتعد عنها زوجها ، فإنها ترسف في ظلامها ، فحزنها إلى القرين ، وحزنها إلى المنزل المنفرد ، وأمل تكوين الأسرة ، والتصرف في دار كما تتمنى . كل ذلك أمل من آمال الفتاة ، فكيف إذا عاشته ردحاً من الزمن ثم حرمت منه ، فهي تعاني من الوحدة ، وهي تعاني من غربتها بين أهلها وذويها ، فهي دائماً واجمة ، مفكرة ، تتفطر من الداخل ، وتبتسم مجاملة لتخفي ما بها من وجد وحرقة ومعاناة ، وهي لا تلذ بملبس زاهٍ ، ولا مشرب ولا مأكل ، بل لا تشعر بفرحة الأعياد ولا قيمة للإجازة ، مما دعاها إلى توجيه النداء إلى الزوج طالبة العودة حتى و لم لم يكمل الدراسة ، فهي تسعد معه بحياة الكفاف .

أم حل في القلب أخرى فانشغلت بها ... حاشاك تخدعك العادات والنظم
هبني مكانك ماذا كنتُ فاعلة ... أو كن مكاني ماذا كنت تعتزم
من عاش مثلي مر الصب في شرف ... لحظها ربما التجريح والتهم
لا عاد عيد ونحن في تباعدنا ... ولا الإجازات عادت إنها سقم
أعيشها لحظات كلها ألم ... في وحشة كسجين وقته ظُلم
تصحرت من سنين العمر أخصبها ... عهد المواسم والأفراح يُغتنم
زوجي العزيز فدتك الروح يا أملي ... عُد لي ودعني من الأحلام تنتظم
إن الأماني إن زادت منيتنا ... فيها وبعض الرضى بالسعد يبتسم
هل بعدكم كل هذا البعد يتحفنا ... عجائباً دونها الأقمار والهرم
أقبل إلينا نعش جمعاً مشاركة ... نسعى ونجهد في الدنيا ونقتسم
يكفيك في العيش ما يكفيك ضائقة ... وأنت من طيب الأخلاق تحترم
والعمر حينٌ ويمضي ثم لا وزر ... من الفراق ويفنى المال والحشم
فما لنا في اتباع القوم فائدة ... تقليدك الغير بالآمال يصطدم
رباه رحماك لا أبغي مجادلة ... ولا أريد عباد الله تختصم
لكنها زفرات رحتُ أنفثها ... عسى تخفف ما في القلب يحتدم[1]

---

[1] عواطف هائمة ١١٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتلك حالة متكررة في بلدانا ، وقد أفضى القاصون بالحديث عنها كثيراً ، لا سيما بمجموعات غالب حمزة أبو الفرج[1] .

٤- الغربة الشعورية :

الشاعر محمد حسن فقي قد عانى من الغربة الشعورية لعوامل كثيرة ؛ فقد أتت إليه الغربة من تكوين حياته ، فقد توفيت أمه في صغره ، فعانى من الغربة في طفولته وداخل بيته ، عندما فقد حنان الأم ، وربما كان يحس بالغربة من زوجة الأب . ثم توفي والده وهو في ميعة الصبا ، فكان عصامياً . وتواصلت مسيرة حياته العلمية ، فاغترب عن واقع الشباب وملذاته إلى حياة الكدح والنصب ، بل اغترب بفكره أيضاً عن معاصريه من الشباب الذين آثروا الواقعية في حياتهم ، ثم التحق بالصحافة. والصحفي في غربة متنوعة بتأثير المقالات ذات المفارقة المتباعدة.

وهو إلى جانب ذلك يعاني من غربته في حياته العملية ، فإنه لم يستظل في كهف واحد من العمل ، إنما أخذ يطوف على عدد من الوظائف ، حتى المناصب العليا ، فكان معلماً ، ثم صحفياً ، ثم رئيس تحرير ، وهذه غربة دائمة متواصلة ، بل تجدد معالم الغربة . فهو يقول عن غربة الطفولة :

كليل عشت بلا حب ولا أمل ... كالقفر عاش بلا ماء ولا شجر
أنا اليتيم - وما تحصى عشيرته - ... لكني بينهم عود بلا وتر
كالدوح من حوله الأشجار مثمرة ... ويشتهي دون جدوى ، نعمة الثمر
يكاد يحسبني من ليس يعرفني ... من التبلد تمثالاً من الحجر
المال والمجد أوهاق لمرتقب ... ما ليس فوق أديم الأرض من وطر
قد اغتربت بداري غير مؤتنس ... بها وأمسيت من أهلي على حذر[2]

---

(١) الحب وحده لا يكفي ، ألقاك غداً ، الضياع .

(٢) قدر ورحل ٢٤٤ .

فغربة الشاعر تأتي من تأمله في سلوك الإنسان . فهو شغوف بالتغيير والكشف الجديد ، ويرى أن فكره يحيا بالتنقل ، فهو تارة يكون طيراً ، وفيه إشارة إلى فلسفة أن الأرواح أطيار ملائكة ترفرف حتى تنزل في الجسد ، فإذا أخرجت عادت إلى ماهيتها الأولى :

منذ عهد من الزمان بعيد ... لست أدري عن بدئه وانتهائه

كنت طيراً مرفرفاً فوق غصن ... مائس باخضراره وروائه

ويعيش عيشة الطير في الرياض ، ويصدح بين أفنانه ، ويمتع بصره بألوانه ، لكنه يغترب عن هذه الحالة ، ويتمنى أن يكون وردة بلا شوك :

فتحولت وردة وتبرأت ... من الشوك في الربيع الخصيب

ثم يغترب فيكون غديراً :

ومضى الدهر راكضاً .. فتحولت غديرا .. عذب النمير .. رويا

يتزامى العشب النضير حوالي ... ويشدو الغناء حلوا شجيا

ما منعت الورود طيراً ولا وحشا .. ولا صاديا آدميا

ورشفت الغمام يهزج حتى ... عدت مثل الغمام قطرا نديا

ثم يكون دوحة يستظل بها المحترق من الهاجرة ، وتتصدى للشمس حامية من يأوي إليها :

ورعتني الحياة حينا فأصبحت بقلب الصحراء دوحا ظليلا

يشتكي السائر الهجير .. ويستروح - إن لاذ بي - النسيم العليلا

كان رأسي يدور من رقدة الشمس .. ويغلي .. وكان قلبي خيلاً

غير أني سعدت أن كنت للخلق - على شقوتي - المكان الجميلا

وهو يغترب كيما يكون صخرة تلفها الرياح ، وينزلق عنها المطر ، ويستكن بها الوحش :

ثم أمسيت صخرة في جبال .. شاهقات .. تهيم في الوحوش

أتلظى من وقدة الشمس .. والشمس هنا في الجبال هذي .. شموس

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والسحاب الذي يسح .. وعصف الريح يفري عناصري .. وينوش
ليس حولي بعد البشاشة والأنس .. وبعد الهناء .. وجه بشوش

ثم هو يعود إلى ذاته بعد تلك الرحلة التأملية والغربة عن الإنسان ، فإذا هو يرى الغربة الحق في العالم الإنساني ، فليس بالمدرك كيفية التعامل مع خبايا النفوس وتقلباتها ، فكأنه يتقلب في الجحيم ، فلا يرى له نظيرا في مأساته :

وتوسلت للحياة .. فردّتني .. لدنياي بعد طول المسير
بشرا فاستويت في الناس ما أعرف عنهم - ويلاه - غير اليسير
فغدوت الغريب فيهم .. وما أنكر أني أخاف فيهم مصيري
يا سعيري الذي يذيب .. أفي الناس سعير يذيبهم كسعيري؟!

***

أنا أحيا ما بينهم بعد أن عشت شكولا .. في جنة وجحيم
كيف أستمرئ الحياة بأرض .. لم أكن بين أهلها بالمقيم ؟
أفأمسي قد كان مني وإلا .. لم يكن .. فهو رحلة في السديم
قد تولى فلم يعد غير حسن .. باهت .. باهت ... ككل قديم

***

وبعد هذه الرحلة يعلن تحقق الاغتراب في حياته بصفة مستمرة ، وليس هو في الغربة منفرداً ، بل يرى أن معه الألوف ، وكأنه يرى أن الغربة لا بد أن تصحب الإنسان :

من أنا ؟! هل أن غير طيف شادته أحلام هذا الوجود؟!
شف عنه الكرى .. وضيّعه الصحو .. وأخفاه عن عيون الشهود
أنا مثل الألوف في هذه الأرض .. رسيف ما بين شتى القيود
أيهذي السدود .. هل نصرم العمر هباء ونحن خلف السدود ؟!

***

وأنا اليوم كالغريب .. فقد كنت غديراً .. وكنت طيراً وزهراً
وعقابا يخافه الطير في الجو رهيبا .. وكنت في القفر صخراً
أي عمر هذا ؟ وهل كان خيراً يشتهيه الأنام .. أم كان شراً؟

وأنا .. من رأى الحيـــــاة أفانين وحيداً ؟! أم الخلائق طـــراً[1]

هذه القصيدة تجري على سنن الرقة اللفظية ودهشة المعنى التأملي ، والتفاعل مع الانسياب الإيقاعي ، ولهفة الذاتية التي يتنقل فيها من الورود والأزهار إلى العصافير ثم الطيور الجارحة ، ثم الصخر المتصلد ، ثم الغدير . ويتدخل فيها السوال الحائر : من أنا ؟ وذلك يشدنا إلى كشف خبايا الفكرة التي يطرحها لذاته أو للمجتمع ، لكننا نصاب بخيبة أمل من الاسترسال وراءه ، وإذا بها ضبابات ذاتية وهلوسة لا ماهية لها ، فهي لم تتعلق بتأثير شعوري انفعالي مبذور من الخارج ، و لم تسع إلى كشف لوحة إنسانية أو قيمة عليا ، وهي لم تفصح عن علاقة ذات وشائج بين الشاعر ومجتمعه .

فلو تكاملت الذاتية مع مقوماتها الاجتماعية لحصدنا فكراً أو عبرة . والشاعر في حل قصائده يظهر خالي البال من الغاية والهدف الذي يوطر القصيدة.

وقصيدته (غربة الروح) تمثل غربته عن واقع الحياة السلوكي في المجتمع . وهل هناك من لا يكون مغترباً بفعل الثقافة والتكوين الذهني والواقع العملي ؟ إن الغربة هذه تمثل غربة الفلسفة الوجودية ، فهو يبتغي الحب النفعي للفرد والمجتمع ، يبتغي مراقبة الذات ، والتعامل بمثالية . ونتيجة لهذه المثالية التي يعتقد أنه يتعامل بها ولا يعامل بها فإنه ظل وحيداً في غربته :

أيـــن أرواحكـــم فـــإني حزيـــن ... شـــد مـــا راعـــني الفـــراق المبـــين
أين أرواحكم سئمت مـــن الوحـــ ... ـــدة واشـــتقت أن تحـــين المنـــون
أنكـــرت حـــاضري ميـــولي وهزتـــ ... ـــنـــي لمـــاضي رجفـــة وحنـــين
وَتَلفّـــتُ أرتجـــي نظـــرة الحـــ ... ـــب فخـــابت ممـــا ارتجيـــت الظنـــون
إن حـــولي مـــن التملـــق والمكـــ ... ـــر نطاقـــاً .. ترتـــد عنـــه العيـــون
كلمـــا شـــئت أن ألـــوذ بأوهـــا ... ـــمي لأنســـى أبـــي علـــى اليقـــين

---

[1] قدر ورحل ١٠٥ حتى ١١٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وشجوني تمردت .. ولقد كنـ ـت حفيا بها .. فأين الشجون
لم تدرني أقتات منها وهل يطمـ ـع في قوت روحه المغبون

◆

إن كينونتي لتضرب في الأر ض فما يعرف الورى من تكون
نال منها السرى وضعضعها الأ ين وجافى الهوى وعق الخدين

وعصرنا هذا عصر تنافس وصراع ، حتى يبلغ التوتر باجتناب السبل السليمة للتباري حين تبلغ حد المكايد والدسائس . وكل إنسان توسوس له نفسه بالمثالية ، وأنه مستهدف من الآخرين ، ويبرهن على ذلك بالمعاذير . وكثير من الناس تتجلى له عيوب الآخرين فلا يعذرهم ، فيكون في غربة التعامل مع الواقع .

يا لبؤسي لقد رضيت التفاها ت قرينا .. فصد عني القرين !
قلت إني مثقف فتبينت بأني في رأيهم مفتون
وحسيب فعطعطوا فتواريت فإني بما ورثت ضنين
وكفي . فجدفوا الكفايا ت وقالوا تطاول المأفون
دؤوب فجمجم الكل التا لد فيهم .. وما أطاق المجون
ووفي – وما احتقرت بني الدنيا كيومي – فالغدر فيهم دفين
وصفوح فحملق الغدر في وجـ ـهي استياء كأنني مجنون
ووديع فأنكر الطيش ما قلت كما تنكر القذاة العيون
وطموح فطوحت بي إلى اليا س تيوس تزينهن القرون
وسخي فاعجلوني بأطما ع تجلى فيها الفجور المهين
ما الذي يبتغون . عزت نفوس تافهات . ومثل نفسي تهون ؟
إن روحي يدب في ظلمة اليا س مهيضات كأن روحي سجين

ولا إخال الفقي إلا استمرأ أحلام النكد في حياته ، فهو يراها ماثلة في السلوكيات أحياناً ، لكنه يهولها ويستديمها ، ولا يلتمس لها المعاذير ، فكأنه أدرك أن الشعر لا يتولد إلا من الإحساس بالنكد ، فهو يرسف في معاناة دائمة .

والشاعر يرسم لنا المجتمع في صورة قاتمة ، فالذين من حوله لا معين فيهم ،

فهم جاروا على الضيغم ، فكيف بالحيوانات الوديعة ؟! وما هذا المجتمع الذي حفر الأخاديد في وجه الشاعر ، وجعله يسير في وهج الحر ؟ .

راسف في قيوده ينشد العو ... ن زمانا قد عز فيه المعين
إنني ضيغم وإن أنكر الغا ... بُ زئيري وإن جفاني العرين
وبوجهي من الخطوب أخاديد ... تغذ المسير فيها السنين
ربما نالت الليالي من الحر ... ولكن قناته ما تلين

وما يدل على توهمه للنكد أن المجتمع حفل بهذا الأديب الشاعر ، فهو رئيس تحرير للصحف ، وترقى في أعلى المراتب واحتضنت الصحف كتاباته ، وكان الشاعر يتمثل بقول الشاعر رشيد أيوب :

نظرتُ إلى وجهي حياتي حائراً ... فبتُ وفي أيدي القضاء أموري
فإن أنا لم أضحك فقدت معاشري ... وإن أنا لم أحزن فقدت شعوري[1]

أو " الشاعر الذي يرتاح إلى الظلام لأنه يحب النور ، الشاعر الذي لا يفرح لنفسه إلا بحزنها "[2] .

لكن الشاعر يزعم لنفسه الحب للناس ، ولا أستبعد عنه ذلك فروحه مطوية على الحب ، ولا يحمل ضغينة :

إن روحي تجيش بالحب للنا ... س وتطوي بين الضلوع السلاما
هي ما تحمل الضغينة والشر ... وما تعرف القلى والخصاما
وهي لو تستطيع عانقت الكو ... ن .. ومن فيه .. صبوة وغراما
جذبتها إليه نزعة منهو ... م إلى الحب .. ما تطيق الفطاما
تستقر الأنام للأمل الحا ... لم أن يطرد الضياء الظلاما
تستفز الحياة للحب فالـ ... ـحب ربيع ينضر الأيام
أفأغنى هذا عن الروح شيئاً ... أم سقاها الشقاء جاما فجاما

---

[1] د . نادرة جميل السراج : شعراء الرابطة العلمية ٣١٥ ، الطبعة الثانية ، دار المعارف .
[2] المرجع السابق ٣١٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لقيت شر ما يلاقي المحبو ن جزاء يبدد الأحلاما

لكن مع هذا الحب فإني أستبعد عنه النظرة الواقعية للفرد والمجتمع ، وأن يتعامل مع الواقع ويداريه ويحتمله :

إن في وحدتي ظلاماً يغشي في وضمتاً يحيل روحي حطاما
هي روحي جريحة مزق الطعـ ـن حشاها .. فما تخاف الحساما
ما الذي فيك أيها الروح يقصيـ ـك ، ويدني إلى السمو اللثاما
أنت عملاقة فلا تمنحي الود - إذا ما منحته - الأقزاما
إن أنفاسهم يضايقها العطـ ـر فكوني ضنينة بالخزامى
لا تضيقي بهم فمن صرم العمـ ـر انحطاطا يخاف أن يتسامى
هو لغز منذ الخليقة ما الحـ ـل وما زال يعجز الأفهاما
وهو سر الألى جفوك وقد كان صغارا جفاؤهم وأثاما[1]

والشاعر الفقي يلوب في هذه الغربة أو الحيرة كما يزعم ، فإنها لم تقف به على أبواب اليأس والكآبة والقنوط والتراجع مع معترك الحياة . بل أرى أنها وسيلة للتوتر ، توتر المنافسة والإقدام ، لا توتر التراجع والانثناء ، فهو عاش حياته عاملاً في الحياة مفكراً ، مبدعاً .

والشاعر حسين عرب من أولئك الشعراء المغتربين ، بفكرهم وأحاسيسهم ، نتيجة العلاقة الاجتماعية . فهو وإن عاش في رغيد الرفاه وإضاءة المعرفة وإشراق الإبداع ، فالتأمل والآمال يكتنف حياته . و لم تنكشف هذه الغربة بحمل حقيبة الوزارة ، فظل بعدها كما كان قبلها ، ينظر إلى الحياة وقد اغتربت عن الاستقامة، وعن ينبوع الحق والخير ، فلا يرى فيها إلى الظلمة وإلا الإفك فالشر مستقر ، والظلم ممتدة أطنابه ، من العهد القديم الذي بنى الحضارات المندثرة :

ما خيالاتك في هذا الرغام ؟ هل يشع النور من ماء وطين؟

(1) محمد حسن فقي : قدر ورحل ١١٩ حتى ١٦٦ .

هـذه الأرض تغشـاها الأسـى ... فاستغاض الإفـك منهـا والأنـين
مـا بكـى الراحـل عنهـا عهدهـا ... وبكـى حـين هـوى فيهـا الجنـين
فاسـأل التـاريخ عمـا اقـترف ... يـوم عجـت بحضـارات السـنين
قـد بنـى البغـي لهـا أمجادهـا ... وروى أزهارهـا الدمـع السـخين

مـا الـذي ترجـو بـدار للـورى ... في حماهـا ، كـل شـر موبـق
بـاع بـالبخس لديهـا واشـترى ... بـائع الفحـش وشـاري الملـق

خلفـك القـوم ، لمـن خلفتهـم ... إنهـم بعـدك ، قـد ضلـوا الصـواب
شـيع شـتى فلـو عـاينتهم ... أبصـرت عينـاك ألـوان العـذاب
يتصـابى الشـيخ منهـم كـالفتى ... والفتـى يخـرف في شـرخ الشـباب
صـور يؤذيـك منهـا أنهـا ... في عـداد النـاس ليسـت في الحسـاب
نقضـوا العهـد الـذي عـاهدتهم ... ونسـوا مـا حفظـوه في الكتـاب
فـانظر الأطـلال يكسـوها البلـى ... وانظر القُطعان ترعـاها الذئـاب

وأظن الأسى تغشى ذات الشاعر واستولى على لبه ، فهيمن عليه الحسد أو الحقد ، حتى أولئك الذين يمرحون ويفرحون لا يستحقون ذلك ، وحتى أولئك الذين يعملون لا يستحقون عملهم . إنها مرحلة انتابت الشاعر و لم يلبث بها طويلاً ، وهذه السيل لم يهم به كثيرا :

واحتسب نفسك عـن قـوم جـرى ... بهـم الحـظ بديـا الغسـق
عبـث الشـيطان فيهـم وأمـترى ... فاسـتهاموا في بهيـم الطـرق

ثم ينشد الحقيقة عند العلماء ويستفتيهم في حيرته الدائمة ، ما معنى الحياة ؟ وما لمرة الأماني ؟ وما جمال النور ؟ وما قبح الظلام ؟

قـف إذا جـاوزت أشـطان المـدى ... ممعنـاً واقـرأ علـى الأرض السـلام
وأسـأل الـرواد كـم غـال الـردى ... مـن بـدور شـارفت حـد التمـام؟
مـا حيـاة النـاس ومـا وهـم المنـى؟ ... مـا جمـال النـور مـا قبـح الظـلام ؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المعـــاني بعضهـــا مـــن بعضهـــا مســـتمد يـــزدري فهـــم الأنـــام
كـــم شـــكا شـــر الليـــالي المعتـــدي مثلمـــا يشـــكو أذاهـــا المســـتضام
والصحاري ليس يزكـــو نبتهـــا لا ، ولا يمري بواديها الغمـــام[1]

إنها الحيرة الكامنة في عمق الشاعر ، وإن تفكيره الدنيوي وقف به عند هـذا الحد . ولو تأمل أنها دار اختبار وابتـلاء لأمتـلأ يقيناً ، ولا إخاله إلا كذلـك إن شاء الله عز وجل .

واغتراب الشاعر عن دنياه أخفى عنه معالم الجمال في الطبيعة ، ونظـر إليهـا بالرؤية السوداء ، فـلا معـالم للجمـال ، بـل اضطـراب وخـراب ودمـار ، بـل إن الأرض زلزلـت زلـزالا ، فـالرعد قـاصف ، والجـو مضطـرب ، والعقـل في حـيرة وذهول . فهو يراه كبركان فيزوف الدائم الثوران :

مـا للطبيعـة هـل دكـت معالمهـا؟ أم هزها مـن عزيـف الجـن ضوضـاء؟
أم هاجهـا عـاصف أرخـى أعنتـه على النهى فـإذا الأسمـاع صمّـاء؟
المـزن ترعـد والأجـواء معـتركٌ والعقـل يلحـد والآكـام غـبراء
كأنما العـالم الأرضـي – مشـتعلاً – (فيزوف) والناس من حوليـه أشـلاء
فـلا المسـاء أغـاريد مضوعـة ولا الصبـاح تباشـير وأضـواء
تهـدر اليـم بالآمـال والفـردت بـالمنتهى لجـة كـالليل عميـاء
وزفـت البيـد بالألحـان ذابلـة كأنهـا نغمـة للمـوت خرسـاء
وموكـب النـور قـد غالتـه داجيـة تلهـو بهـا صرصـر كـالهول نكبـاء

◆ ◆

وبعد رؤيته لزلزلة الكون هذه ينقض بالإنسان ليغريه بجوارح بصره وبصيرته فالأحقاد متأججة ، والطير معترك في الجو ، والحـق غـاص في الأغـوار ، والرذيلـة نمت ، والفضيلة حفت ونضبت ، وكأن الشاعر يحس بتقطع الصلات الإنسـانية ، والإنسان لا حياة له بلا تآلف مع أخيه الإنسان . ومتى تفككت عـرى التواصـل

---

[1] المجموعة الكاملة ٢/١٨ .

وانصرمت فإن الأمور تسود في نظر الإنسان ، فينزف الشاعر ذلك شعراً محرقاً :

النـــاس للنـــاس أحقـــاد مؤججـــة	والطـــير للطـــير أخصـــام وأعـــداء
والحق أصبـــح دعـــوى خـــادع لبـــق	ترعـــى القـــويّ وللموهـــون إقـــواء
فللرذيلـــة أحـــداث مدويـــة	وللفضيلـــة أنغـــام وأسمـــاء
وما السلام سوى ترنيـم محـــزف	دوّت به حجـة للضعيـــف بلهـــاء

فهو لم يخاطب فرداً واحداً ، وإنما أسقط تأملـه الإنسـاني على الفـرد ؛ لأن السـلام عمليـة عالميـة ، لهـا اسمهـا المحبـب وبريقهـا ، لكنهـا لم تقـم علـى العـدل والإنصاف ، إنما على حق الفيتو للقوي المتعسف .

ومن هنا تتجلى الغربة في زهده بالناس ، وأصبحت الرية تصحب نظراتـه ، فهو يرى أن المحتشم يماثل الحرباء ، وأن الناس أعرضوا عن الحق والعدل :

زهـدت بالنـاس أخلاقـاً وأصبغـة	شـتى ولكنهـا في النـور أسـواء
وأنكـرت نظراتـي كـل محتشـم	بـادي المهابـة في برديـه حربـاء
فـإن سـكتُّ فعـذري أنـني شـرق	بالمـاء ، لكـن قلـبي ضلـه المـاء
أعيتـه حيلتـه في عـالم نـزق	ضـل الهـداة بـه واستفحل الـداء
فـلا النهـى شـرعه للنـاس مشـرع	ولا العدالـة في ناديـه شمـاء
وللجحيم إذا أربـدت ضرامتـه	حرية كالـدم المـوار حمـراء

فهو صادق ؛ فإن الإعلام يتزين بالفضيلة ويستجلب لها البراهين والعواطف ؛ ولكنها تذهب هباء أمام التأمل .

وهـو في غربتـه ينشـد الهجـران بـالإنصراف عنهـا ، ويتسـاوى عنـده الظـل والرمضاء ، والسراء والضراء ، فالدنيا دار عذاب حتى آدم لا يرتضيها لأبنائه :

فـاصرف خيـالك عـن دار تقمصهـا	شـؤم الرعـاة وأدواهـا الأطبـاء
لفـح الهجيـر ، نعيـم إن رضيـت بـه	ونـاعم الظـل إن أنكـرت رمضـاء
إن الحـوادث إن طـالت وإن قصـرت	سـيان منهـن سـراء وضـراء
لـو كـان في صفحـة التكويـن مطلـع	للوالديـن بمـا يجنيـه أبنـاء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ما شاء (آدم) يوماً أن يكون أباً ... ولم تشأ أن تكون الأم (حواء)
لكنه قدر يجري إلى أجل ... وهل لما تورد الأقدار إرجاء؟
فيا سماء استجيبي رحمة وهدى ... ويا نجوم اسطعي والأرض ظلماء[1]

وإسقاطه اللوم على آدم وحواء يشير إلى النظرة السوداوية الشاملة ، وتلك نزعة تحرف الشاعر عن الواقعية ، والحلم والإحسان .

وتزداد غربته حتى يهرب من واقعه ، ويظل تائهاً شارداً مدلجاً في الليل كالفاقد لعقله الذي تتساوى عنده الأشياء الجميلة بالقبيحة ، بل تجاوز ذلك إلى غربة فكرية ، فلا قدرة لعقله على تفسير الحوادث ، واللوعة تهز كيانه من تصرف هذا الإنسان الذي يستشري على أخيه ، يحكي لنا ذلك في حوار شعري شعوري:

قالت : إلى أين تستهدي ولا تقف ؟ ... أزري بك الوجد أم أودى بك السرف ؟
وما لعينيك ذاب الجمر بينهما ؟ ... وما لقلبك كالبركان يرتجف؟
أراك تدلج كالمسلوب منطلقاً ... بين المسالك لا نهج ولا هدف
تهامس الناس عن نجواك واختلقوا ... فيك الظنون- كما يهوون - واختلقوا

وهو يتمنى أن لا يحس ولا يرى ولا يُرى ، فهو طيف أو شبح مجهول :

فقلت : خلي سبيلي ، إنني شبح ... وقد تساوى لديه الدر والصدف
أهيم كالأمل الحيران منسربا ... في لجة ضل فيها الفكر والشرف
والناس ما الناس إن لاموا وإن عذروا ... إلا نوائب تستشري وتنذرف
فليتني والنوى تهدي بسابحتي ... طيف مع الريح أخفى لونه السدف

◆

قالت : أفي الناس شر؟ قلت : شرهمو ... من غره المال والسلطان والحشم
ما في يديه سوى الأحزان يبذرها ... وليس في أصغريه غير ما يصم[2]

---

[1] المجموعة الكاملة ٢/٢٧ .

[2] المجموعة الكاملة ٢/٣٦ .

وهو يسأم حياته الجاهدة الجادة ، مثقلاً بالإقبال والإدبار ، لم يأنس لمحمدة أو مغنم ناله ، و لم يأسف على سانحة أفلتت من يديه ، فهو اغترب من واقع حياته إلى أصل تكوينه الإنساني ، يتأمل في بغية الإنسانية ، وقد انحرف البشر عن إنسانيتهم ، لذا فهو يغترب إلى حياة الطير الذي لا يفتأ يحس بشوم الحياة ، فلا يعمر طويلا :

سئمت ظل حياتي جاهداً لغبا ... مُر تحا بين إقبال وإدبار
وما أسفت على إفلات سانحة ... ولا فرحت إذا استجليت أوطاري
أنا الهزار تغني ثم أخرسه ... شؤم الحياة وبؤس الأهل والدار
هجرت روضي لا مستبدلاً عوضا ... به ، وغادرت بين الدوح أوكاري

ولما أدرك أن لا فائدة من ألوان الحياة أخذ يتمنى الفراق والبعد ، وينشد الغربة عن هذا الواقع الأليم . والأشد أن الغربة المطلوبة غياهب الليل فهل هناك بأس أشد من هذا ؟!

ياساري الليل خذني في غياهبه ... واضرب بنا في غيابات وأقفار
فما الحياة سوى أشجان مغترب ... وما النعيم سوى إدلاجة الساري
ياويحها عبثت بالناس وارتفعت ... بالمستزيين وانحطت بأحرار
صوت النهى في رباها مالـه أثـر ... وفي معالمها ترديد ثرثار
وقد تشابه لونا في مساربها ... لمح من النور أو لفح من النار
إن الصحاري محاريب تنوف على ... مرابع حفلت بالإثم والعار
وما السعادة في رأيي سوى شبح ... من الظنون تراءى خلف منظار

◆

الوم نفسي ولا ألفى لها خطأ ... فأنطوى بصباباتي وأسراري
كأنني وحياتي حين أبصرها ... خواض معركة جواب أسفار
فإن شكوت فشكوى ضيغم أنف ... ورُبَّ منتحب في بأس زأر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقيمة النفس أغلى من النهى ثمناً من أن تباع بدينار وقنطار[1]

هذه الصيغة التشاؤمية وليدة عاطفة حياشة لمرحلة زمنية محدودة ، فهي لم تصحب الشاعر طوال حياته ، كما صحبت قرينه محمد فقي . والشاعر يميل إلى الاعتدال في حياته العملية ونظراته الفكرية .

وربما يوما يحس الإنسان فيه غربة ، أو يبكي فيه ، يأتي يوم يغترب إليه ؛ لأنه يرى فيه حياة أفضل ، فيبكي على هذا اليوم . فالقرشي يشتكي من يوم فيرنو إلى غده لعل فيه ما يحقق آماله :

دافئ ذلك الغد أرنو له الآ ن أرقبه كانتظار الوليد
كنضار من السحب منتشر في رؤى الأف ق والشمس تغرب وهي الشرود
دافئ .دافئ وأنا حجر شفه البر دُ ، ألوت به عاصفات الجليد
في الزمان الرمادي لا تستجيب المنى لا تعمر فوق صحاري الجمود
فلعل ابتسامك يا غدنا يهب النو ر والعطر ، يغسل قلب العميد[2]

والغربة تأتي لكثير من النابهين ؛ لأنه لم يبلغ مراده من المال أو الجاه أو السلطان . وكل إنسان يرى أحقيته ، وتعلو قدراته في نفسه ، لكن ليس كل ما يتمنى المرء يلقاه . إنما الدنيا تعزيها المناصب للمناسب ، والناس من حول الفرد هم الذين يقيمونه . وتلك حالة من القديم والحديث .

فخالد بن الوليد كان قائداً لأبي بكر ، فلما تولى عمر ﷺ عزله ، فاستجاب له ؛ لأنه يعمل لله ، لا للبشر . والشعراء أيضاً يتغون المنازل العليا ، لكن إذا ما ارتقوها اغتربوا فيها ، كالجاحظ ، وابن سناء الملك . وأما المتنبي فقد ألح عليها ، ولكنها تنأى عنه .

وهذه قضية كانت سبباً في غربة كثير من العلماء والمفكرين . والشاعر

---

(1) المجموعة الكاملة ٢/٥٤ .

(2) أطياف من رماد الغربة ،٤٩، ٥٠ .

حسن القرشي الذي تولى مناصب عليا في الدولة يتمنى المزيد ، ويغترب عن وطنه، مع أنه عمل سفيراً لبلاده . وهذا لم يمنع عنه الاغتراب ، فهو يرى الجفاء ، وعدم إتاحة الفرصة ، ويعلن أنها آثرت بالندى غيره . والغربة جعلته يرى الزمن رماداً قد أحرقته النار . فقال في قصيدته (زمن الرماد) :

أجفتني برغم حبي بلادي ... فإذا بي الغريب في كل نادي
حاملاً من أساي ما يزال الطو ... د ، مريضاً قد مُل من عواد
آثرت للندى سواي وأوحت ... للشجون الجسام تغزو فؤادي
وعجيب أني ألاقي التداني ... من سوى من بذلت فيهم جهادي
يالله الحر بين قوم حيارى ... يستوي حاضر لديهم وبادي
وكريم بباخل وقريب ... ببعيد ، ومؤثرٌ كمعادي
ذاك حظ الأديب غبن وقهر ... في زمان مفلع بالسواد
ذاك حظ الأديب يصرعه اليأ ... س فيلقى ثمانة الحُساد
لا نصير ، والحادثات توالى ... لا مجير من صاعقات العوادي

◆

في ضلوعي أصداً قلبٍ شقي ... وشقاء القلوب دون ضماد
وارتقاب الشقاء والداء سارٍ ... كانتظار العقيم للميلاد

◆

وهو يحن إلى ماضيه الذي يشبه الفجر بعد أن كان ينتظر غده:

يا زمان الرماد أطفأت فجري ... بعد أن كان جذوة في الفؤاد
قد توارت بشاشة العيش عني ... ومضى الكل موغلاً في اضطهادي
وسلاني الخلان والصحب ولقُربى ... بي ، وأصبحت عاشقاً لانفرادي
فالوجوه الصباح شاهت وحالي الر ... وض أضحى مصوح الأوراد
ومدى البعد عاد كسجن ... والمآسي وقفن بالمرصاد

◆

يازمان الرماد مهما استبدت ... صورٌ البأس واريات الزناد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قد يعود الحبيب بعد عناد ويؤوب الغريب بعد ابتعاد[1]

ومن هنا ندرك أن أمنية الغد الآتي عند القرشي في مقطوعته السابقة لم تتحقق ، فهو في هذه القصيدة يتلفع بغربة اليأس من نوال ما يتمناه ، بل يتمنى عودة ذلك الزمان الذي رمز له بالحبيب .

وحل شعرائنا الذين أصبحت غربتهم بسبب من السلوكيات الاجتماعية من حولهم ، وتأثروا باصطدام العقبات التي تعترضهم ، فيسقطون أحياناً ، لكنهم ينهضون وينفضون الغبار ، حل هؤلاء ساروا على الطريق الواقعي الذي لا ريب فيه أمام كل إنسان في هذا الكون .

والشاعر محمد خراز من أولئك الذين يسعون حثيثاً ، ويتجاوزون العقبات ، ويتخطون الشوك ، ويسيرون في الأمواج العاتية ، وكذا تطيب الحياة . فالإنسان يدرك السرور بعد المعاناة ، ويشقى بدوام السعادة ، ما عدا سعادة الإيمان . أما ظروف الحياة ففيها الملل :

أنا مهما حارب الدهر جهودي وطلابي
ورماني من زواياه بألوان العذاب
وكست دربي أشواك كأسنان الحراب
وطغى البحر على الزورق صخاب العباب
وتبدت لي دنيا الحظ شوهاء النقاب
وتخطاني الذي كان ورائي في الركاب
وتناساني الألى ضحيتُ فيهم بشبابي
ورأت عيناي من صحبي أشباه الذئاب
أنا مهما أترعت كأسي من مر الشراب
لستُ بالمذعن لليأس ، ولا عزمي بنابي
لا ، ولا غشي سنا ودي مربد الضباب

[1] أطياف من رماد الغربة ٥١ حتى ٥٤ .

دأبـي الـسـعي ولـو أنـي لم أبلـغ رغـابي
في سـبيل الوطـن المحبـوب ، والنـشء غلابـي
مبدئي مـذ كنـت مزهـو الصبـا غـض الإهـاب
ورجـائي أن أرى شـعبي يسـمو بالشـباب
وأرى الشرق وقد أصبح مرمـوق الجنـاب[1]

فهذه الغربة معتدلة ، وتؤدي إلى التباري والتنافس ، فهي محمودة العواقب ، وهو يرمز بالنجمة الحائرة إلى تلك الحالة التي يعاني ، ويرى أنها في السماء عالية، ومع ذلك فهي غير راضية ، وتنشد الهروب ، وهو يدرك أنها تهوي إلى الشقاء ، فيدعوها إلى الصبر ، والصبر مفتاح الفرج ومحور الاعتدال في الكون :

انظـر لهـا ذاهلـة الخـاطر حـائرة ترنـو إلى حـائر
واجمـة تحـبها دمعـة قـد جمـدت في محجـر سـاهر
أو زهـرة بـاتت علـى لهفـة ترقـب تقبيـل النـدى البـاكر
أو نظـرة مـن مدنـف والـه إلى حبيـب غـاضب هـاجر
أو يائـساً هـم بـأن يرتمـي مـن شـاهق عـز علـى الطـائر
إيـاك إيـاك بـأن تهبطـي إليـه مـن عـالمك الطـاهر
أيسـتوي أفـق حـواه السـنا بالأرض في حضن الدجى العـاكر
فحـاولي الصـبر ولا تسأمـي فالفوز كـل الفـوز للصابـر[2]

والغربة قد تلازم الفرد أحياناً ، ويستحوذ الشرود الذهني على حالته ، فهو يمد بصره ، لكنه لا يرى ، ويتحدث بغير وعي ، وينصت فلا يسمع ، فهذه غربة استحوذت عليها حالة خاصة ، وهي واقعية ، تسمى بشرود الذهن :

يـا شـروداً يلفني إن تحدثـت ، وإن جلـت في الكتـاب بعيـني
وإذا ما غشيت سامر صحب ، أو سرت نسمة اللحون بأذني

---

[1] غناء وشجن ،٩٧،٩٨ .

[2] المرجع السابق ١٠٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتراني محدقاً ثابت الطرف ، على حين قد تشتت ذهني
وتفر الألفاظ من في ، لم أقصد إليها ، بل غيرها كنت أعني
وتمر اللحون في ذلك التيه ، فلا أستبين أية لحن
مرحباً بالشرود إن لنفسي فيه أمناً وراحة ورفاها
كلما انقضت الحوادث في عنف عليها وطوقتها يداها
سبحت منه في عوالم شتى قد يضل الخيال عبر مداها
إنه قصة الأماني التي ضاعت كما ضاع في العذاب صباها
والحياة التي تلاشت وكادت عاصف الريح أن يبيد صداها
ويح نفس تعيش في كنف الوهم وتهوي الهروب من دنياها[1]

فهي دعوة إلى الاعتدال الذاتي الذي لا مناص له من التأثر الخارجي بالمجتمع وهنا مهمة العقل البشري الذي يلين عيشة الكبد والعناء . وهذه الشكوى لها جذورها في ديوان العرب عامة، وتنداح في دواوين الشعر في بلادنا، وتكثر عند الشاعر محمد عبدالقادر فقيه[2] في ديوانه (من أطياف الماضي)، وفي شعر الشاعر الصعابي[3]، وهذا الأخير نهج نهج محمد حسن فقي، فهو كثير التشكي والاغتراب .

٥ ـ الاغتراب في الحب :

الحب التهاب شعوري ، لا انطفاء له إلا بالوصول العاجل ، ويزداد اشتعالاً

---

(١) المرجع السابق ١٠٥ .

(٢) ولد في مكة المكرمة عام ١٣٣٨هـ ، له مشاركات صحفية ، صدر له (من أطياف الماضي) ، أنظر : معجم الأدباء والكتاب .

(٣) إبراهيم عمر صعابي ، ولد في جازان عام ١٣٧٤هـ ، يعمل في التدريس ، عضو نادي جازان الأدبي ، صدر له ديوانان : ١- حبيبتي والبحر ، ٢- زورق في القلب . انظر : معجم الأدباء والكتاب .

باللقاء العاجل والنظر الفاتر والقول اللطيف ، وإنما انطفاؤه بالوصال الدائم برابطة الزواج .

وكل المحبين ينشدون الوصول والارتباط الشرعي ، لكن هناك انحراف سلوكي عند بعض المحبين من الأوربيين الذين يأبون التواصل الدائم ، كيلا يفتر وهج الحب ، ويبقى الحرمان يشعل فيه ، ويبقى الأمل ضباب الحياة ، بل حتى تنفجر تلك الآهات والحزن في إبداع فني . فأولئك في غربة من الإنسان ، وغربة من ضروريات الغرائز .

والفئة القليلة النادرة من المحبين هم أولئك الذين يبنون حبهم بناء فكرياً فلسفياً . ومن هذه الشريحة الشاعر محمد حسن فقي ، فهو يتطلب المزيد في الاغتراب عن طبيعة الإنسان وغرائزه ، وعن طبيعة الحب ووصله . فهو يغترب إلى ماهية الفكرة الشرود ، أو الشوارد من الصيد ، فهو يبتغي غربة الملاحقة والمعاناة ، يقول :

أنا أهواك فلأعش أمد العمر شجياً فرب شجو أفادا
فاستبح ما تشاء مني ودع لي في هواك الضنى ودع لي السهادا
واهتضمني فقد أراك إذا لم تهضميني أضعت في الرشادا
واعتسف فالحنو في منطق الحب فساداً ، وما أريد الفسادا
أتراني أبي الغبين ؟ فزدني باختياري غبنا ، وزدني اضطهادا

فهو ينشد الممانعة والتعصي في الحب كيما يغترب عن واقعه ، وعن التعقل والمنطق ، إنما علاقة الحب علاقة توتر تتأثر بالانفعالات البشرية ، لكن أن يتمادى الشاعر عن سبق إصرار ، يعلن رغبته في الجفاء ، والهروب ، اعتقد أن هذه فكرة فلسفية لا عاطفيه سامية . ومن هنا شذ الفقي في حبه عن الحب الفطري الذي يبتغي الوصل[1] .

---

[1] قد عالجت تلك القضية في كتابي (العاشق العفيف) .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أم تراني متيماً ذاهب اللب ، فما أرتضي بحبي بديلاً
كالعليل الذي استراح إلى العلة ، يأبى - لألفها - أن تزولا
قد أكون العليل ، لكن أيعنيك شقائي؟ وما عسى أن أقولا؟
إن يكن في السقام برئي ، فما الطب سوى أن أعيش دهري عليلا
لا تحاول - فدتك نفسي - إشفاقاً وحاول تبرما وجفولا

وهذه الغربة الفكرية المنطقية أو لنقل : فلسفة الأشياء والبحث عن ماهيتها في عرض الحالات التي تعتريه ، وتعصف به ، تؤدي به إلى خيار فتاك :

أم تراني يئست مما أرجّيه ، فآثرت أن أبادر حتفي
تخيرت شرعة الأمل الخائب ، كي يعصف القنوط بضعفي
وتظاهرت بالزهادة في الوصل ، لتولي يد القطيعة أنفي
وتحايلت فاسترت قوى الحب ، ليقضي عليَّ بالموت خوفي
هبك أني أنا اليؤوس فذرني ، في بلائي فما أداوى بعطف

أم تراني مغامراً ناهض الحب وديعاً ورامه جبارا
فتحداه - والتحدي رهان - لم يفز فيه من يخاف الخسارا
فتصدت له اللواحظ فانهارت قواه وما استطاع اصطبارا
فتردى ، ورب من ينشد الفوز يلاقي هزيمة وتبارا
إن أكن ذلك المغامر فاحذرني ، فضعفي يزيدني استكبارا

أم أنا الماجن الذي يمقت الحب بحاليه ، شقوة وسعادة
همه في الحياة أن يشبع اللذة ، إن ضل هائم بالعبادة
سيء الرأي في الهوى ، فإذا المتعة وافت فإن فيها مراده
مرحُ الطبع ساخر بالمحبين ، خلي مما يذيب فؤاده
ليست هذا ، وإن يكن ذلك الطبع يبيد الهوى ، ويطوي عناده

وأخيراً هو يعلن خياره وحاله ، فهو صدق في خياره الأخير ، فتراه دارساً

دراسة تعليلية ، وقد حكى فلسفة أولئك الأوائل في الحب ، وهي أنه نزوة غريزية تعتري الإنسان لحظة من اللحظات ، وتحمل مكانها غريزة أخرى :

أم أنا الدارس الهوى درس تحليل ، فما للهوى عليَّ سبيل
إن تلظت منه القلوب فقلبي ما تلظى ، وما رعاه الخليل
رائدي الفكر ، فالعواطف عندي نزوات مضللات تقول
وأرى الحب في تعاليه سلطاناً ، وصرعاه طائشون فسول
أتراني هذا ؟! وما أنا منه بسبيل ، فأين أين الدليل؟

وهو يعلن غربته عن الواقع المعايش ، وينتقل إلى غربة الفلسفة . فالفلاسفة ينشدون المطلق كما يزعمون ، أو الكمال التام . وهم يغتربون في جدلية غير واقعية . وهو هنا لا يبغي الوصال ، ولا يرجو الفكاك من الحب ، وإنما يريد العيش طليقاً حراً ، وإن كابد ما يكابده الهائمون العاشقون ، فهو يهوى السحر والفتنة ، وكلاهما لا جوهر له :

لست أبغي منك الوصال وإن كنت لهيفاً على الوصال مشوقا
وأرجي منك الفكاك وإن كنت زعيماً بأن أعيش طليقاً
أو أخاف الفراق عنك وإن مزق قلبي بكبده تمزيقاً
أرائك والرياء هوان ليس بالحب والوفاء خليقاً
غير أني أهواك للسحر والفتنة ، توحي إلى فنا عريقاً

وهو يميل إلى الفلسفة الوجودية ، فالجمال عند الشاعر هو العدم ، فهو يعلن صراحة أنه لم ولن يناله ، فكأنه العدم الذي يمثل موضع الانتقال من حال إلى حال[1]، فهو يهدف إلى الغاء وإخفاء الواقع الذي يعتريه ، فهو اغتراب مضاعف يعمد إلى الحركة والتغير في جدل فلسفي .

أنا أهوى فيك الجمال مثالا ، عبقريا ، قد أبدعته السماء
ولقد اجتويك إن نضب الحسن وشيكاً ، وزال عنك الرواء

---

[1] مجاهد عبدالمنعم : الاغتراب في الفلسفة المعاصرة ١٧٨ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لاتؤمل مني الوفاء على الدهر ، فما ثم في الحياة وفاء
كيف ترجو ما لا تنيل ، كلانا في تحليه بالوفاء سواء
إنما ميعة الشباب رداء ، فاغتنمها فقد يحول الرداء[1]

فهذه غربة معاصرة تنتظم في حلقات التفكير الفلسفي الوجودي الذي ظلل الفكر المعاصر بغربته عن الواقع الفردي والجماعي .

وهو يجري بالحب مجرى فلسفياً ، لا عاطفياً ، لا يريده أنانياً مستبداً مدلا بجمال ، إنما يريده حباً عقلانياً :

أو كل من ملك القلوب يصوغ للملوك غلا
لولا ترفعاً لما صرمت لنا الأيام حبلا
إن كان هزلك ما يجد فجدنا يطويك هزلا
تبدي الطبيعة من مفاتنها وتمنح وهي جذلى
وترد واهة النفوس تغص بالأشجان بخلا
الفرض أن أقذى العيون فإنها ستراه نفلا
دع عنك شحك فالحياة - وإن كرهت - تريد بذلا
واستبق من عمر الجمال بقية توسعك فضلا
أفكلما زدناك حبا زدتنا تيهاً ودلا
ما يشتكي الهجران إلا من تذوق منك وصلا
لا تحبس الماء الغزير فإنه سيعود ضحلا
يزكو بسقيانا فإن لم يسقنا يرتد وحلاً
خدعتك بارقة الجمال فزدت بالأقدار جهلا
إن أنت لم تعدل فلا تطلب من المظلوم عدلا
قد كان ينشده فتأباه فجار وقد تولى
مزبعاً بالحسن ودعه الشباب فعاد كهلا

---

[1] قدر ورحل ٢١٤ .

لا ، لست أشمت بالصريع المستهين فلست نـذلا[1]

فهذا اغتراب من واقع الحب ، وهيمنته على المحبوب إلى حب لتبادل المصالح والمنافع .

والشاعر محمد فقيه تنتابه الغربة لما رأى الزحف الأبيض يدب عليه ، واغترب من واقع الحياة الكادحة العاملة إلى مرحلة الشباب ، فهو كان ينعم بالجمال ، والسمر مع الخلان ، والأماني تتوارد عليه . فهو يقول بعد أن تجاوز الثلاثين من العمر :

بعد الثلاثين التي ... مرت على مر وحالي
الدهر أوهن خافقي ... والعقل ألبسني عقالي
والشعرة البيضاء تلـ ... ـمع في سوادي كالنصال
وجنون أيامي تولى ... بالبقية من خيالي

◆

لمت ليالي الطوا ... ل لجومها وغفت حيالي
بردت وكفنها الصقيـ ... ـع وخانها السهد الموالي
وتخب أيامي فأتركها ... تخب .. وما أبالي
ما قيمة الأيام موحشة ... تشح بكل غالي ؟!
ما قيمة العمر الجديـ ... ـب بغير حب أو وصال؟!

◆

ففي على الماضي وما ... ففي على نشب ومال
ففي على عهد بـ ... ـه قد همت حبا بالجمال
بالسمر في لون الطلا ... والبيض في لون اللآلي
أيام أحلم بالخلو ... د وأستريح إلى المحال
والقلب مشبوب الهوى ... والعقل مشوب الخيال

---

[1] محمد حسن فقيه : قدر ورحل ٢١٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والنفـــــــــس مســـــرعة تعيـ ـش على الجـــداول والظـــلال[1]

فهذه غربة تعتري الجميع ، فالشباب واندفاعه ، وحلاوة عيشه هي مناط الذكريات لمن تقدمت سنه . فمن من الناس لم يتمن أن يعود الشباب فيخبره بما فعل المشيب ؟.

فالشاعر يتحدث عن غربة مكانية لكنه لم ينتظر قلبه على معارفه وأقاربه ، والشاعر يتحدث عن حب أسري هادئ يتمنى ثباته ، فكأنه معاتبة لزوجته :

نبت بنا الدار أعواماً فما انفطرت ... منا القلوب ولم تبك العيون دما

لم نطو يوماً على جوع ولا ظمأ ... ولم تسل عبرة في إثركم ندما

ما اجتاح عاصفكم دوحاً ولا شجرا ... ولا براعم من ورد زكا ونما

ما زال للغيث زخ في خمائلنا ... وللعبير مطارات بكل سما

وللحمائم من بيض ومن سمر ... ما يملأ العين ريا والقلوب ظما

◆

نأسى على الجرح لا الجرح نعيش به ... لكن لجرح بكم أمسي يعج دما

فأعجب لقلبين .. ما جفت جراحهما ... يوماً وما اصطلحا إلا ليختصما

أغفى فؤاد على جرح يعذبه ... وما غفا صنوه الدامي ولا رحما

جراحهم شرع لكن أعجبها ... جرح على هبوات الكبر قد ورما

◆

ومحمد عبدالقادر فقيه يستشعر الغربة في دروبه ، وينوء بثقل خطوبها ، وإن كان الأمل يحيا من يأسه ، لكنه سرعان ما ينجلي كالسراب ، حتى تبلد ومات الأول ، ورحل الشباب والاندفاع ، وهو كالخليع المعيل الذي يعوي في قول امرئ القيس :

وواد كجوف العير قفر قطعته ... به الذئب يعوي كالخليع المعيّل[2]

---

[1] من أطياف الماضي ٧٤ .

[2] الخطيب التبريزي : شرح القصائد العشر ٧٠ ، تحقيق الدين قباوة ، دار الآفاق ، بيروت .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الرابع

الظواهـــــر الفنيـــــة

- مدخل .
- بناء القصيدة .
- اللغة .
- الرمز في الشعر الوجداني .
- الخيال .
- الصورة .
- المفارقة .

الموسيقى .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مدخل :

الشعر الوجداني في حاجة إلى نسيج قوي في لحمةِ البناء من حيث التراكيب، وتكوين أسلوب عام ينتظم شعره وأسلوب ذاتي حتى لا يأول إلى الضعف كما مال الشعر الرومنسي عامة، وشعراؤنا لا نلحقهم بالرقةِ والليونه التي وجدت عند بعض المهجريين، ولا عند الغربيين لكنهم لم يعتنوا بجمال العبارة، أمّا تكثيف الدلالة فإنه تأتى لهم مما تحمله من أحاسيس، وثورة الشعور الداخلي، وينقصهم الاعتماد على الأساليب التى تقوم على الدعابة فشعرهم يقوم على الصرامة والكآبة، وكذلك نفتقد الأدب الساخر عندهم.

والشعر الوجداني الذي نبع من أوتار القلب لم يقتصر على الشعر الغزلي وإنما تفاعل مع مسيرة الحياة الفردية والجماعية، بل حتى الأرضية متمثلة في الأوطان.

ويغلب على الشعر الوجداني في بلادنا الوضوح المنطقي مع جمال التعبير المعياري المتأجج بلهيب المشاعر مع إيمان متكامل بمصداقية العقيدة، والعقل المتدبر الواعي الذى يسلم إلى نتائج فكرية مبدعة. ويصدق على الوجدان الشعري قول الشاعر «**أعذب أغانينا هى التى تروي أشجى أفكارنا**».[1]

والنقاد الغربيون هاجمو الرومانسية في «**عاطفتها، ونزعتها الذاتية والبدائية، وضد تعلقها بالتلقائية، وتأليهها للذات، واحتقارها لأى نوع من النظام في الفكر وكذلك الشكل، وضد الهروبية، والافتقار إلى الاتصال بين الشعر وحقائق الحياة اليومية**».[2]

إذن فإن الهجوم النقدي اتجه إلى مظاهر الرومانسية التجديدية التى كانت تنادي بها ويهمنا هنا ما يختص بالناحية الشكلية من حيث التلقائية التى عابوها

---

(1) روبرت الرومانتيكية ٢٠٤

(2) المرجع السابق ٣٢٨.

عند الرومانسيين؛ لأنها أفضت إلى هلهلة الشعر، وكذلك معارضتهم لمبدئها الذى يقف ضد النظام في الفكر والشكل، فتبين للأوربيين خطأ هذا الاتجاه ففيه ضعف، وفيه تدمير للعقلية البشرية، والفن الجميل. وكانت من عواقبه المبكرة في الأدب العربي ظهور قصائد النثر التى لا تحمل روحاً شعرية.

ويميز الحركة الوجدانية، أنها تحمل محوراً أساسياً في الشعر، وهو الحالة الشعورية، والإحساس بنبض الحياة، التى تفور داخل الشاعر، وهى لا ريب فى تصويرها الكامل لنفسية الشاعر، وكامل الامشاج المتصلة به والمرتبطة بحياته فشعر تلك التجارب صورة متكاملة لحياة الشاعر. والشعر يصور حالة الكون والحياة من الجوانب التى تلامس وجدان الشاعر، فالشاعر يحمل ضمير أمته، لاسيما الشاعر الإسلامي الذي يتربى على التآخي والمبادىء الإسلامية التى تدعو إلى الحق والخير والجمال والتحاب فإنها تغرس مسوولية اجتماعية في النفس ا لأدبية، ومن هنا ينطلق إبداعه عن الحياة مغموساً في شعوره الذاتي فكأنه هو الذي يحمل الواجب لإنجازها، ذلك ما حول إبداع العواد والفقي والرميح وأبو أحيمد إلى إبداع عقلي فتواصل إبداعهم بالمعرفة والوعي للفكر وسائر القضايا.

وشعراء الوجدان في بلادنا والبلاد العربية لم يوظفوا المشاعر وانفعالها إلى ما وراء المدركات العقلية كما يزعم الغربيون إلى البلوغ الكلى، لم يبحثوا عنه لأنهم في غنى، فهم لهم مصدرهم الرباني الذي اقنعهم في درجات الكمال للوجود وان الكمال المطلق لله، وأن العقل محدود الإدراك ولا فائدة فى بحث مجرد لمجرد التجريد لمعرفة الوحدة الكونية كما يزعمون. وكل مسلم أو من درس الإسلام يدرك أن العالم يدور في تدبير دقيق، ومن هنا فإننا نسخر باكتشافهم الحدسي «**أن العالم ليس بالفوضى التى لا يستطاع تعقلها**»[1].ثم اعتمدوا على توجيه

---

[1] روبرت، الرومانتيكية ٣٢٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأديان السماوية .

تلك الفلسفات لا تجد رواجاً في العالم الإسلامي لأنهم في غنى عنها فما يكدح الفلاسفة لبلوغه، عندهم، فإن أمره واضح منكشف، لأن المبدعين يتدبرون في خلق الله، ويدركون أن الكمال لله وحده، أن التنظيم الكوني قدرة ربانية. بخلاف قولهم: (**الخيال عند كولريدج ـ هو الملكة التي تحقق المثالية والوحدة**)[1] لكن المسلم يتدبر في الكون للعبرة والعظة والاستنباط العقلي .

تلك ليست نظرية جديدة، فالشاعر يقتفي أثر الفلاسفة في البحث عن المطلق، ولم يستطيعوا ذلك في قرون، وهم يعملون بعقولهم ويوظفون انفعالهم وخيالهم، فكيف بالانفعال والخيال الصادر عن الأوهام، فإن ذلك لا يصل إلى حقيقه، والموضوع لا يتسع لمناقشة تلك الآراء. لكنها أوهام تدفع إلى سراب يتراءى من بعده سراب.

ديمومة الشعر الوجداني :

ومن الأفضل أن نطرح السؤال حول ديمومة الشعر الوجداني، هل يقتفي أثر الرومانسية فنحكم عليها بالذبول، والانكماش أو ذوبانها في غيرها من الاتجاهات الجديدة ؟! الواقع أن الشعر الوجداني في بلادنا، حمل الخصائص المكونة للشعر، ولم يتعارض مع أسس دينية أو عقلية أو نظامية منظمة تنظيماً علمياً، ولم يسع الشعر الوجداني لتدمير الاشكال الفنية، ولم يعمد إلى التحكم إلى الانفعال ويكتفى به ليصدر أحكاماً على الكون، إنما كان الحكم للعقل الخاضع للتوجيه الرباني، ثم الفكر العلمي فالانفعال في الشعر الوجداني يغلف التجربة والفكر بصبغة مؤثرة أو يدخل الحياة الشعورية فيما يقتنع به العقل. أو ما يأمر به الدين السليم. نتيجة لتسليمه بهذه المسلمات فإن الشعر الوجداني سيبقى ما بقي الميل

---

[1] روبرت، الرومانتيكية ٣٤٣.

الإنساني لفن الشعر.

الإبداع الفني هو الإفصاح عن الصور الذهنية للشاعر المتفاعلة بين الإحساس، والفكرة فإذا أخذت طريقها عبر الكلمات، فإنه يكون الإبداع، لكن هل الشاعر يتحدث عن حالته الداخلية لتظهر الحالة من وراء التعبير أي يحكي حالته الغضبية وما تثير من سلوكيات فيها، فيبوح الشعر لنا بالسلوكيات أفضل مما لو أخذ يصف الأشياء وصفاً كأن يقول : إنه حب عميق، أو غضب شديد فهذا وصف خارجي فالأول يعي ما يحس ويشعر به أما الثاني فإنه يشترك معه غيره، فنستطيع حصر الحالة الخاصة الأولى لكننا لا نستطيع أفراد الوصف بصفة خاصة في الثانية، ومن هن تتفاوت قدرات التعبير الإبداعي ولاسيما الوجداني منه.

ومنهم من يرى أن قدرة الفن التأثيرية على الآخرين هى معلم الجمال الفني فالإنسان إذا تأثر بعمل إبداعي وآمن به وتفاعل مع القائل وتكاثر أولئك القراء المتلقين المتفاعلين المناصرين إنما ذلك دليل على قدرة العمل الفنية «**إن من أخص صفات هذا الشعور الذى أثاره العمل الفني أنه يوحد بين المتلقي والمتفنن إلى درجة يشعر معها المتلقي كأنه هو صاحب العمل الفني، وأن ما عبر عنه كأنما هو ما كانت نفسه تهفو إلى التعبير عنه**»[1].

وغالباً ما يتميز العمل الفني الذى يعمل هذا العمل على قوة الانفعال العاطفي، ووضوح الفكرة الممتزجة مع العاطفة، وعلى الصدق الداخلي والإخلاص للفكرة[2].

والإبداع الوجداني لم يكن متعارضاً مع الأصالة والمحافظة في الشعر العربي كتعارض الرومانسية والكلاسيكية ومن هنا كان الانفعال متلبساً بشيء من

---

(1) إحسان عباس، فن الشعر ٣٦.

(2) انظر، المرجع السابق ٣٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشكلية الفنية المتوارثة عند المحافظين، فليس هناك صدام إنما هو صدام مفتعل في أكثره، أو يدور حول أشياء ليست بذات قوة تأثيرية؛ ولهذا فإن الشعر الوجداني في مجمله جمع بين قوتي الإبداع «إن في ذهن كل متفنن قوتين متجاذبتين : في إحداهما ينقاد إلى العقل البدائي حيث يجد كنزاً غنياً بالصور والأحلام. وفي الثانية : يتجه نحو النظام والجمال الخلقي وهاتان القوتان تتحدان أحياناً في توجيه حياة الفنان، فإذا توازنتا نتج عنهما فن كامل»[1].

ونحن لا نشاركة في تخصيص العقل البدائي وحسب، ولكن المخزون الذهني من حياة الأديب والمعرفي والوعي بالأشياء يدخل في تكوين الصور، وليس من الضرورة الإيغال في خيال بعيد.

والشعراء في بلادنا جمعوا بين هاتين الخاصيتين في حل عملهم الفني ولم يعرض أحدهم عن النظام والجمال الفني، لكنه يبحث عن الاعتدال بين الانفعال والمعيارية الفنية. وإن رجح التأمل على الانفعال، ولم نر خيالاً شاذاً سلبياً إلا ما ندر أو يعوزنا المثال ـ مع كثرت قراءتي للمجموعات الشعرية والدواوين الفردية في شعر بلادنا. ولا ضير أن نقول باجتماع معالم الانفعال الوجداني مع المعالم الفنية للشعر المحافظ على المعيارية النحوية أكثر من البلاغية. وهم يأخذون باعتدال بالرأى الذي «يرى الرومانسيون أن الشكل شيء عضوي، وأنه صادر من التجربة الحدسية للفنان، فليس هو الشيء الخارجي من العمل الفني، وإنما هو نابع لجوهر ذلك العمل، وهو ملازم للوضع العاطفي عند الفنان متحد معه وليس قالباً جاهزاً يصب فيه المحتوى»[2] ، فهو لم يحل دون الالتزام بالمعايير اللغوية.

ويرى الدكتور إحسان عباس أن الشكل على نوعين :

« ١ـ الشكل العضوي وهذا يتم عندما تتوفر للعمل الفني قوانينه الذاتية، ويمتزج

(١) إحسان عباس، فن الشعر ٤٣.
(٢) المرجع السابق ١٩٥.

المضمون والهيكل العام في وحدة عضوية حيوية ». وهذا ما يتجسد في الشعر الرومانسي والوحداني.

«٢ـ الشكل المجرد، وهو الذى يفقد فيه الشاعر الالتفات إلى الناحية الدينامية المضمونية في العمل الفني، ويقصد إلى المزاوجة بين المضمون، وهيكل سبق تصميمه»[١]. وهذا صنيعة شعرية، فلا ينبغي مجاراة المبالغين من الرومانسيين بتحطيمه. فهم حطموا الكلاسيكية ثم عادوا ونادوا بالكلاسيكية الحديثة.

فقد شاعت الفوضوية في الشكل عند الرومانسيين، فلا معيار للبلاغة ولا الظواهر الجمالية، ولا في التشكيل اللغوي، فلما أحسوا برداءة الأسلوب أعلن الناقد (هولم) «أننا سائرون تجاه إعادة إحياء للكلاسيكية بعد أن أمضينا مائة سنة في الرومانتيكية»[٢].

أما الشعراء العرب الذين ولجوا إلى الرومانسية فإننا لا ننكر تأثرهم العام غير أنهم لم يجاروا السقوط، لكن تنازلهم عن صنعة البلاغة أقول الصنعة لا التكلف جعل شعرهم أقل جمالاً فنياً من شعراء المحافظة. وأمثال هؤلاء العقاد، وعبد الرحمن شكري وأبو شادي في أغلب شعرهم ومنهم العواد، ومحمد حسن فقي، والبواردي. وهناك شريحة من الشعراء في البلاد العربية تأثر أسلوبهم بفوضوية الرومانسية وأشهر هؤلاء شعراء المهجر، فمال شعرهم إلى النثرية، وقرب المأخذ والركاكة أحياناً، ومن الشعراء من رأينا ملامح الرومانسية في شعره لكنه حافظ على جمال العبارة وتكاثرت في شعره المظاهر البلاغية من مثل القرشي، وغازى القصيبي، والزمخشري.

والشعر الوجداني في بلادنا اعتمد على الانفعال، وهم انتقوا الألفاظ من اللغة الثقافية الشائعة لكنهم غمسوها في الشعور وانفعاله، فخرجت اللفظة، مشعة

---

[١] إحسان عباس، فن الشعر ١٩٦.

[٢] روبرت، الرومانتيكية ٦٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالأحاسيس، مما جعلنا نقول أن الدلالة الشعورية قيمة فنية طورها شعراء الوجدان اقتداء بالرومانسيين وكأنها حلت محل الصنعة الإبداعية المعتدلة عند الشعراء المحافظين، والشعر الوجداني تفلت من جهورية الصوت وجلجلت العبارة، وقوة جرسها الموسيقي، الذي يتجلى في النبرة الخطابية في شعر المناسبات واتجه إلى الألفاظ المكونة من الحروف الهامسة أو لنقل خطابية القراءة ليست خطابية الألقاء كما يتضح من خلال قراءة شعر الغزاوي الذي يحتل القوة الخطابية، وشعر العواد الذى يمثل جزالة الأسلوب المقروء وأكثر ما يتجلى الشعر الهامس في من غلبت عليه الوجدانية الغزلية كعبد الله الفيصل، ويحيى توفيق. لكن لما تقاس بمقاس البلاغة العربية لاشك ندرك قوة العبارة عند المحافظين، وتواضعها عند الوجدانيين فانظر إلى شعر عبد السلام هاشم أو فلتقارن بين شعر ابن خميس والقرشي مثلاً نجد عند ابن خميس الصخب والجلجلة أو الميل إلى الحروف ذات القوة الجهورية ومنها تتكون اللفظة، ذات النبر الجهوري ثم تتلامم لتكون العبارة الخطابية الصاخبة، وأنت لما تقرأ قصيدة من وجدانيات القرشي، تستشعر الرقة ونعومة الألفاظ، لقرب مخارج الحروف واعتماده على الحروف الهامسه كثيرة.

ومن هنا كان الإنشاد لا يتجلى في شعر القرشي العاطفي والوجداني الوطني الذى آثار الحرية في موسيقاه. وهذه تؤثر على موسيقا الشعر الوجداني الذى أخذت في الخفوت، وأخذ الشاعر الوجداني يجتر آهاته وأنينه، وكثيراً ما يستخدم القافية المقيدة، إذن فإن شعراء الوجدان حملوا راية السهولة والرقة فى العبارة، والخفة والنثرية فى الموسيقا.

بناء القصيدة :

موضوعات البناء في القصيدة العربية كثيرة جداً فمنها الطول والقصر، ومنها قضية عمود الشعر العربي، ومنها المقدمات وحسن التخلص، والموضوعات والخاتمة، ولكني هنا أخضع لفاعلية الوحدان في القصيدة؛ فإني أحصر النظرة للقصيدة من خلال الوحدان، وقد تبين لي اختفاء المقدمات ماعدا بعضها عند طاهر زمخشري ، ومحمد العيد الخطراوي، في قصائد المناسبات، فإنهما يستهلانها بملامح وحدانيه، وهي قصائد قليلة عند الشاعرين، وأقل عند غيرهما، وتعدد الموضوعات لم يأت إلا في هذه القصائد ذات المناسبات، أو السرد القصصي التاريخي، أمّا سائر القصائد فإنه خضع لموضوع موحد، نتيجة لتجربة مخصوصه، وقصائد الوحدان لم تخضع للخطابية ذات الإنشاد على الملأ، بل أكثرها خضع للنمط الكتابي، ولكن الذى تجلى لي من خلال الوقوف على الدواوين الشعرية عنصران هما الطول والقصر، والوحدة الشعورية في القصيدة :

١ـ الطول والقصر :

الشعر الوحداني شعر غنائي، ينبع من لفح البيئة، فتهتز له المشاعر الداخلية، ويُولد الانفعال، ومن ثم يُولِد الإبداع، حول المؤثر المثير، ويغلب أن يكون موضوعاً منفرداً، محصور الزمان. فالموجة الشعورية لا تستغرق زمناً طويلاً، مما جعل هذا الشعر يكون قصير النفس، وبنظرة متأنية في الدواوين الشعرية نجد أن جلّ القصائد لا تتجاوز الأربعين بيتاً، وأن أغلبها في مجمل الدواوين لا تتجاوز العشرين، وكثير من شعرهم يدخل ضمن المقطعات، وهي عشرة أبيات فأقل ولا نجد مطولات، تدخل ضمن الشعر الوحداني، لكننا نجد عند شعراء الوحدان قليلاً من المطولات أو القصائد الطويلة في موضوعات عامة، كذكرى مولد الرسول ﷺ ، أو عن عبقرية تاريخية، كمطولة الخطراوي (أبحال الرياض) أو بعض القصائد الطويلة عن مدينة من المدن، كالمدينة المنورة، ومن خلال استعراضي للدواوين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشعرية، فإن اطولهم نفساً هو الشاعر طاهر زمخشري فإن جلّ قصائده تجاوزت العشرين بيتاً وقاربت الثلاثين، وقد أحصيت بعض القصائد من ديوانه الأول، واطلعت عليها كاملة، فأطول قصيدة عنده بلغت أربعة وخمسين بيتاً هي (أحلام الشاعر) وهي مقطعة على خمسة مقاطع واستهلها بقوله :

هو هذا الليل ممدود الرواق وجحيم الحب يذكيه اشتياقي[1]

وله قصيدة (رجاء) في سبعة وثلاثين بيتاً.، و(صوت القلب) في ستة وعشرين بيتاً، و(الدحالون) في ثمانية وعشرين بيتاً. وديوانه الثاني (همسات) يجرى على هذا النهج فاستهله بـ (النفس المؤمنة) في اثنين وثلاثين بيتاً، و(موكب النور) في ستة وعشرين بيتاً، و(ذكرى الهجرة) في ثلاثين بيتاً، و(موكب الحج) في تسعة وعشرين بيتاً، وله قصيدة (همسات) في سبعة مقاطع بلغت أبياتها خمسة وثلاثين ومائة بيت)، وهي وجدانية، وكل مقطع يمثل نبضة وجدانية يداخلها التأمل وكذلك قصائده المتأخرة التي تدور حول شكواه وغربته، وتأملته في الحياة، وذكراه فإن جلّها لا يبلغ الثلاثين بيتاً كما هو واضح في آخر مجموعة الخضراء. لكن قصائده ذات الغزل الوجداني فإن أبياتها تكون أقل من العشرين وبعضها مقطوعات أقل من عشرة أبيات كمقطوعة (همسة) ومطلعها :

من شظايا لاهب منتشر في حنايا خافق مستعر

أرسل الآهة تشدو للمنى اشعلت نار الهوى بالنظر[2]

ومن خلال النظر في دواوين طاهر زمخشري، يتبين أن جلّ شعره الوجداني يدور حول موضوعات يتعاطف معها الشاعر بوجدانه، فتأتي قصائده أطول من غيره وقل أن تتجاوز الخمسين، وأمّا وجدانياته العاطفية، فإنها قصائد قصيرة أو

---

(1) مجموعة النيل ٧٥.

(2) مجموعة الخضراء ٦٠.

مقطعات شعرية.

والشاعر حسن القرشي أقصر نفساً من طاهر زمخشري، فجلّ قصائده لا تتجاوز العشرين بيتاً، لكنه أتخذ منحاً في القصيدة لم ينفرد به، وإنما أكثر منه، وهو توزيع القصيدة إلى مقاطع، وهو حتى في القصائد ذات المقاطع لم يتجاوز تسعة وثلاثين بيتاً كقصيدته (نجوى شاعر) وقصيدته (سبحات)[1] وديوانه (سوزان) كلها مقطعات غزلية حلّها من خمسة أبيات أحتل ما يقارب من ثلاثة وثمانين صفحة لكنه أصدر ديوانه الأخير (أطياف من رماد الغربه) يدور حول قضايا الأمة العربية في أكثرة، وحول غربته.

وهو حتى في الموضوعات ذات الأحداث المهمة، والتاريخ الطويل، فإنه لا يطيل النفس بل هو يعتقد أنها (ملحمة) كقصيدته (ملحمة الفاو) في العراق وتحدث فيها عن العراق عبر التاريخ الإسلامي مع الواقعة الحربية بين العراق وإيران، فإن القصيدة بلغت واحداً وستين بيتاً. وأنا أقف عند كلمة (ملحمة) فهل يريدها الشاعر وصفاً للقصيدة أم وصفاً للمعركة، فإن كانت للقصيدة، فهي لا تتطابق مع مصطلح الملحمة النقدي، لقصرها وعدم الخيال. وربما أنه يريدها وصفاً للمعركة، فتحمل دلالة عربية. وله قصيدة (بشائر في أفق العروبة) بلغت اثنين وأربعين بيتاً ومطلعها :

حلم غاب في سماء بعيدة ثم آبت أطيافه المحمودة[2]

والواقع أن شعر القرشي يخضع للموضوع وما دام أغلب شعره يدور حول نبضات شعورية غرامية أو وجدانية؛ فإنه بناه على المقطعات الشعرية أو القصائد المتوسطة التي تتخذ شكل المقطعات حيث وزع تلك القصائد إلى مقاطع، لكنه يمتد نفسه في الموضوعات ذات القضايا التي تمس الأمة الإسلامية والعربية.

---

(1) انظر، ديوانه، المجلد الأول، الثاني.
(2) انظر ٥٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد أحصيت عدداً من قصائد مجموعة شعر القصيبي التي تجمع عدداً من دواوينه فوجدت أنها لم تتجاوز العشرين بيتاً في أكثرها ومن القليل أن تصل إلى الثلاثين بيتاً، والأقل منه أن تبلغ الأربعين كقصيدته (شعر شاحب)، وأكثر قصائده القصيرة ومقطعاته تدور حول مواقف غزلية، ووجدانية حول موضوعات ذاتية كمقطوعة (شقراء) في سبعة أبيات، و(أذكريني) في اثنتي عشر بيتاً، و(سلاماً) في سبعة أبيات، و(فتاة الخيال) في اثنتي عشر بيتاً، وله قصيدتان (الأرق) و(بعد الأوان) في عشرين بيتاً. أمّا قصائده التي تجاوزت الثلاثين بيتاً، فإن موضوعاتها عامة وقصيدة (فارس القدس) في رثاء **الملك فيصل** في تسعة وثلاثين بيتاً، وقصيدة (أغنية للبحرين) في ستة وثلاثين بيتاً. بل أن نفسه يقصر في الموضوعات العامة، فقصيدة (ضرب من العشق) قيلت بمناسبة افتتاح الجسر بين المملكة العربية السعودية ودولة البحرين، وحضرها ملوك وأمراء دول مجلس التعاون في الخليج العربي لكنها كانت في أحد عشر بيتاً[1] يقول في مطلعها :

ضرب من العشق لا درب من الحجر هذا الذي طار بالوحات للجزر

ويدور شعر الخطراوي حول القصائد القصيرة كما يتضح من ديوانه (همسات في أذن الليل) فقصيدته (قطرة الحب) جاءت في ثلاثة عشر بيتاً، ورسم للذكرى في واحد وعشرين بيتاً، و(ذات الخمار)[2] في ثمانية وعشرين بيتاً وجل الشعر الآخر مكون من قصائد قصيرة أقل من عشرين بيتاً أو مقطعات وكذلك سائر دواوينه ماعدا الموضوعات الوطنية، فإن بعضها بلغ ستة وخمسين بيتاً، كقصيدة (أنا في طيبة)، وعلى (ضفاف البيان) في خمسة وأربعين بيتاً[3].

والشاعر الغزلي الوجداني يحيى توفيق، فإنه لا يخرج عن نهج القصيدة عن

(1) انظر المجموعة الشعرية ١٢٨، ٧، ٢٤، ٢٦، ٣٩، ٩٩، ١٠٧، ٥٠٩، ٨٠٧، ٧٣٩.
(2) انظر همسات ١٣ ، ٢٧.
(3) انظر، تفاصيل في خارطة الطقس ٧ ، ٢٠.

السالفين فقصيدة (سمراء) وردت في أربعة وعشرين بيتاً، و(خلجات قلب) فى اثنين وأربعين بيتاً و(عيناك) فى ستة وعشرين بيتاً، وقصيدة (حيرة) وزعها إلى مقاطع فى اثنين وأربعين بيتاً. وله قصيدة (حكاية) فى واحد وثمانين بيتاً[1]، وبقية القصائد أكثرها قصائد قصيرة. والمقطعات عنده أقل، وأما قصائده الوطنية فإنها من القصائد القصيرة ما بين عشرة أبيات وعشرين بيتاً[2].

ولما ننظر فى دواوين الشاعر عثمان بن سيار نجدها قصائد قصيرة تكاد أن لا تعثر على قصيدة تبلغ الثلاثين بيتاً والأكثر ما دون العشرين لكن المقطعات أقل، وهو مع قصر نفس القصيدة يقسمها إلى مقاطع[3] .

وهذا شأن الدواوين الأخرى في الشعر الوجداني وأقصر نفساً الشعر النسائي كما يتضح من شعر سلطانة السديري، فإن شعرها يماثل الخطرات القلبية التى تتأثر بالهزات النفسية الوجدانية ذات التأثر العاطفي الذاتي، وربما استحضرت مشاعر نسائية من واقع المجتمع في نفثات شعورية لا تتجاوز سبعة أبيات في جل شعرها :

بقلبي جراح أنوء بها تعثرني فى الليالي الكئيبة
أقول : تعذبني يا رفاقي يقولون تلك حياة الأديبة
أجيب: سئمت النفاق الممض وأشعر أني أعيش غريبة
وأن الصفا الذى في الحنايا تلاشى وتمضى الحياة رتيبة
هلموا رفاق الصفا إليّ لنسبر عمق الحياة الغريبة[4]

---

(1) انظر، ديوان أودية الضياع ٧، ١١، ١٧، ٢١، ٣٢، وحسب ترتيب ورودها.

(2) انظر المرجع السابق ١٤٧ وما بعدها.

(3) أنظر ديوان (إنه الحب).

(4) على مشارف القلب ٤١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوحدة العضوية في القصيدة :

أتجه المذهب الرومانسي إلى أن الشكل الفني للإبداع صادر عن التجربة الانفعالية، فليس هناك قالب جاهز تصب فيه التجربة، وإنما التجربة تفرض شكلها الفني وهذا فرع من فروع التمرد على الكلاسيكية، وكذلك مأخوذ من مبدأ التفلت من القيود، لكنهم أدركوا أن الشكل ضرورة أو التقارب من الشكل أمر لابد منه كي يكون إطاراً معقولاً يحتوي الانفعال الشعوري كي لا يكون غير منضبط كالشعور ذاته وهم يجعلون الفكرة هي الجوهر، والشكل نيابة عن العرض، «فالجوهر يريد أن يتمدد، وينطلق، فيأتي الشكل بقسوة، ويضع حدوداً للامحدود، ووظيفة الشكل فى هذا المقام أصيلة ضرورية، لأن اللامحدود لا يمكن إبرازه دون حدود، ولابدّ من القسوة في الشكل من أجل ذلك»[1].

ولكن هذا الشكل الفني كان في أصله نابعاً من تجارب شعورية، إذن فهو يحتمل التجربة الشعورية، فالأصل التجربة الشعورية، ونتيجة التجارب الإنسانية تكونت تلك القوالب الشكلية، ومن هنا تعددت البحور، وتعددت الموسيقى الداخلية، وكذلك الأشكال الفنية للشعر مع الالتزام بالتفعيلة. ومن هنا فإني أرى أن هذه الأشكال وما يقرب منها، قادرة على استيعاب التجارب الذهنية إذا تمكن الشاعر من استيعابها، وممارستها، والشعراء لم يخرجوا عنها، وما زالوا يحاولون التفلت ثم العودة وأضرب مثلاً بشعر حسن القرشي، فإن شعره الأول كان ملتزماً بالوزن والقافية، ثم مارس تجربة الشعر الحر، ثم عاد مرة أخرى في ديوانه الأخير (أطياف من رماد الغربة) إلى الوزن والقافية، والشاعر إبراهيم العواجي، مارس الشعر الحرفي ديوانه (المداد) لكنه عاد إلى الأبحر العروضية في دواوينه الأخيرة.

---

(1) إحسان عباس، فن الشعر ١٩٦.

والشاعر القادر يستطيع أن يلائم بين الشكل والتجربة الشعورية، فهى كلما كانت جياشة في نفس صاحب الموهبة، فإنها تتدفق فى تلاحم مع الشكل، لكننى أدرك أن الموضوع له دور، فهناك الموضوعات العامة وإن تعاطف معها الشاعر لكنها لا تنصهر فى بوتقة الأحاسيس تماماً، ومن ثم فإن التلاحم في الوحدة العضوية يضعف أحياناً كثيرة، لكننا نجد فى مقابل ذلك قوة التلاحم العضوي فى النزعات الشعورية الغزلية الوجدانية، التى لا تخضع لاستعادة قصة، وإنما لبثها مباشرة كما يتضح أكثر في شعر محمد فهد العيسى، والشعر الغزلي عند حسن القرشى، فإن شعرهما يمثل النبضات الشعورية، الذى يندفع من الانفعال الشعوري الداخلي، وما مقاطع القرشى التى استدعاها لشعره إلا ناجمة عن الوحدات الشعورية، فمثلاً في مقاطعة أو مقطوعاته في مستهل الجزء الثاني من ديوانه، تتمثل الوحدة الشعورية، حيث تبدأ بالنظرة الفاتكة التى تشعل الحنين، فيبادلها التفاعل بل يبتهج بالكون من بهجة نظرتها، فيرى الكون زاهياً، ثم يندفع إلى فيئها.

سلمت عينك التي لى ترنـــو في حنين يعيد قـلبي طفـــلاً
وإذا بي أرنو إلى الكون نشـوا ن ويرنو لي الوجود مُهـــلاً
زاهـياً في غـــلالة من الفجـر تزف الحياة شوقاً ووصـلاً
أنا أسعى إلى رحابك يا أنســ ـام روحي بفيئها مستظلا[1]

فنرى أنها وحدة شعورية تكاد أن تكون مركبة تركيباً عضوياً، فهي متنامية وهذا اللون يوجد عند من يصفون مواقف غزلية وجدانية، نجد أمثالاً لها في بعض شعر طاهر زمخشري لاسيما المواقف الغرامية المتنامية كقصيدة (زيادة) فهو زار وقت افول النهار مع ذوابان الأصيل، فإذا بها تجعل النهار متواصلاً فكأنها شمس،

---

[1] الديوان ٢ : ٢٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأخذت تدب في أفكاره، وتزداد وهجاً بفعل نظراتها التي تصوب سهامها نحو الشاعر، فإذا بها تصيب القلب، ثم يضطرب ثم يبدأ الحوار الذي ينبيء عن ذهوله للحادثة، ثم يفيض في فاعلية أثر الحب :

وقد زرتُهاَ، واللّيلُ يزحفُ لاهثا ... وفي الأفق من شمس الأصيل قتائلُ
تسير المساء السندسيُّ أديمُه ... وتضحكُ في وجه الدُجى وتغازلُ
تلاحقُ أفكاري على درب حيرتي ... بطرف كحيلٍ ناعسٍ وهو قاتلُ
أصَابَ شغَافَ القلبِ منّي بنظرةٍ ... ووارته في نور الصباح الجدائلُ
ويسألني ماذا جرى لي معاتباً ؟ ... وكيفَ يَطيقُ الرد من هو ذاهلُ
غريبٌ رَمته العينُ في حين غرةٍ ... وياليتها لَمّا رمتْه تُجامَلُ
تعلّقتها هيفاءُ في رَوْنَق الضُحى ... وللحبِ ما بين الضلوع مراجلُ
يهيمُ بها يرجو الحياةَ هناءة ... ومن أين تأتيه الهناءةُ راحلُ
ويحملُ نيران الهوى في حشاشةٍ ... تسيل بها فوق الجفون الهواطلُ
وما هو بالبَاكي ولكنْ فؤادُه ... تَرفُ به الذكرَى وطيفُ يخايل[1]

ونجد تنامي العضوية في شعر الخطراوي عندما يقف متأثراً بمعلم جمالي من المرأة فهو يقف عند صوتها عندما يخرج من فيها وصورتها ملتحماً مع صاحبته ثم يتواصل إلى سمعه. فيحدث وقعاً وجدانياً، ثم يكون الصدى لهذا الوقع النفسي فلما ينكشف هذا الأثر، تكون الأمنية بطول بقائه متعثراً في الفم، فهو أصبح معلماً وجدانياً ثم أخذ يطلب المزيد منه بالحديث المستفيض.

يستحيل اللفظ مِنْ فيك شذا
وعلى عطفيه ترتاحُ المَخيلة
وهو في سمعي لجاوى شفها
ظمأ الوجد الذي أذكت غليله

(1) مجموعة الخضراء ٢٤٠.

وعلى أصـــدائه تصحـــو المُنـــى
ويعـود الخصـــبُ للأرض المَحـــيله
ليتـــني في فـــيك لفظـــاً عـابـــراً
كلّمـــا ألقيـــته تُبـــدينَ طـــوله
آهِ يا فاتـــنتي كـم أشـــتـــهي
صوتك المُوفق.. كم أهوى سهوله
حـــدثيني عن تســـابيح الهـــوى
حين يحْـــسى عـــبر جـــناتِ ظليله
ويغنّـــي كـــلّ شـــيء حـــولنـــا
بهـــوانا مـــثلَ أنـــام عـــليـله
وعلى أهـــدابنا يغفـــو الســـنى
وتوشّـــي الفرحةُ الكبرى ذيوله[1]

لكن الذي يغلب على الشعر الوجدان الغنائي، هو وحدة الشعور لا البناء العضوي وذلك أن الشاعر يخضع لتجربة مستدعاة، يحن إليها، ويتفاعل معها فينبجس إبداعه من هزات شعورية متفاعلة غير منتظمة الإيقاع، متذبذة بين صور الجمال التى توردها الخواطر، فليس كمثل الذي يرسم لوحة أمامه، ومن هنا تندفع الأبيات لتحاكي تلك النفثات الشعورية غير المنتظمة، فهذا زمخشري في مقطوعة (على موعد) يذكر التلاقي أولاً، ويقف عند أعجابه بطلعتها المحبوبة ثم يذكر الموعد عبر الهاتف. وطول دقائق الانتظار، ثم تأتية الخواطر عبر الأفق الأخضر، بل كأنه ينسى موعد الهاتف.

وقـد تَلاَقَـيْنَا عَلى مَوْعِـــدٍ وَفَـتْ بِهِ طَلْعَتُـهَا الزَّاهِـرَهْ
جَـادَتْ بِهِ، والْجُودُ من طَبْعِهَا تَنْـدَى بِهِ أَنْفَاسُـهَا الْعَاطِـرهْ

[1] حروف من دفو الأشواق ٥٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَالْهَاتِفُ الأَخْرَسُ مَا بَيْنَنَا يَعُبُّ مِنْ لَهْفَتِهَا السَّافِرَهْ
وَيَنْقُلُ الْقَوْلَ، وَيُوشِي بِنَا وَنَحْنُ فِي فَرْحَتِنَا الْغَامِرَهْ

* * *

وَالأُفُقُ الأَخْضَرُ تُذْكِي الْهَوَى أَزْهَارُهُ الْيَانِعَةُ النَّاضِرَهْ
وَاللَّوْعَةُ الْخَرْسَاءُ فِي أَمْسِنَا صَارَتْ نَشِيدَ اللَّحْظَةِ الْحَاضِرَهْ

* * *

وَرَاحَ نَايُ الْحُبِّ يَرْوِي لَنَا حِكَايَةً عَنْ عَيْنِهَا السَّاحِرَهْ
مَكْتُوبَةً بِالنُّورِ فِي هُدْبِهَا بِنَظْرَةٍ نَاعِسَةٍ آسِرَهْ
تَرْنُو لِتَصْطَادَ بِإِيمَاءَةٍ تُلْهِبُ من عَوَاطِفِي الْهَادِرَهْ
وَفِي دَمِي مِن حَرِّهَا لاَهِبٌ تَنِمُّ عَنْه الدَّمْعَةُ الْحَائِرَهْ[1]

إذن فى الوحدة الشعورية متمثلة لكن البناء العضوي لا أثر له في القصيدة وهذا شأن أكثر شعر زمخشري.

وتظهر الوحدة البنائية العضوية في شعر القص عند الوجدانين، عندما يقصون حدثاً تاريخياً كقصة سيرة **الرسول** ﷺ وكأبحاد الرياض في سيرة **الملك عبد العزيز**، أو حكاية قصصية وجدانية، والقصة كلما طالت، وكان موضوعها عاماً يتناقص فيها الوهج الشعوري، لكن القصة إذ كانت قصيرة، وتلوب فى أتون المشاعر الوجدانية سواء كانت غزلية، أو وجدانية كقصة تحكي أحوال اليتم، أو غير ذلك فإنها تفيض بالشعور كقصة (الأحرف العذارى) تأملاً نابعاً من انفعال وجداني للشاعر محمد فهد العيسى، فهو يستهل الحدث بإطباق الظلام على المدن القديمة عند اختلال الأمن فإن أبواب المدينة توصد، والنوافذ تقفل، والنجوم تملأ الفضاء، وتكون السكينة قد خيمت.

عِنْدَمَا يَلُفُّ اللَّيْلُ فِي ظَلاَمِهِ الْمَدِينَهْ
وَتُقْفَلُ الأَبْوَابُ وَالنَّوَافِذْ

(1) مجموعة الخضراء ٩٩.

عِنْدَمَا تَنَاوَبُ النُّجُومُ فَوْقَ قَرْيَتِي الْحِرَاسَهْ
وَتَغْفُو فَوْقَ أَحْضَانِ السَّكِينَهْ

ثم هو يحكي ما يدور بعد أن ساد الظلام والهدوء، فالشيخ، يقبع في وحدته، يتأمل حياته، ويستعيد ذكرياته الغرامية، والفروسية، والحكايات التي مرت في تجارية.

شَيْخُ قَرْيَتِي عَلَى كُرْسِيِّهِ الْقَدِيمِ يَقْتَعِدْ
وحِوْلَهُ ذُبَالَةُ الْفَانُوسِ تَرْتَعِدْ
يَنْفُثُ الدُّخَانَ مِنْ غَلْيُونِهِ سِنِينَ ذِكْرَيَاتْ
أَيَّامَ كَانَ يَمْتَطِي الْحِصَانْ
وَيَرْنُو نَحْوَ رُمْحِهِ الْمَكَانُ وَالزَّمَان
أَيَّامَ كَانْ ..
وَنَفْسُهُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي إِلَيْهِ تَسْتَمِعْ
كُنْتُ .. كَانْ ..
أَحْلَامُهُ انْتَهَتْ ـ إِلَى السَّبْعِينَ ـ نَامْ
وَأَحْتَرِقْ .. وَأَحْتَرِقْ ..

وفي الفصل الثالث، يمدّ بصره على الأطفال، الذين استغرقوا في نومهم، وأخذت الأحلام الجميلة تسبح بهم في عالم الآمال، فهم لم يعتركوا بصراع الحياة، ويكتووا بأحزانها. فهم كالطبيعة الجميلة.

عِنْدَمَا الْأَطْفَالُ لِلأَحْلَامِ تَبْتَسِمْ
وَتَلْهُو فِي أَسِرَّةٍ تَهُزُّهَا مَلاَكْ
تَشْدُو لَهُمْ أُغْنِيَةً بِحُلْوِ الذِّكْرَيَاتْ
عَنِ الظِّبَا الَّتِي تَعَانَقَتْ فِي (رَوْضَةِ التَّنْهَاتْ)[1]

[1] روضة التنهات : من رياض نجد المشهورة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وَعَنْ .. وَعَنْ ..
وَتَنْتَهِي الْحِكَايَةْ ..
وَأَحْتَرِقْ .. وَأَحْتَرِقْ

فلما تداعبه تلك الأفكار القديمة، ويهرب إلى ذلك العالم الجميل، ويستعيد ذكرياته، فإن النتيجة تكون كالبركان.

أُحِسُّ أَنَّ بُرْكَاناً يَثُورُ فِي أَعْمَاقِ نَفْسِي فِي غَضَبْ
وَأَلْفُ أَفْعَى نَهْمَةٌ تَلُوبُ فِي عُرُوقِي
مِنْ سُمُومِهَا تَوَقَّدُ اللَّهَبْ ..
وَأَحْتَرِق .. وَأَحْتَرِقْ ..
وَالأَحْرُفُ الْعَذَارَى تُمْطِرُ الدُّمُوعَ وَالأَرَقْ
تَدَاعَى بَيْنَ أَضْلُعِي قَصِيدَةٌ حَزِينَهْ
آهٍ .. زَفْرَةٌ حَرَّى كَدَرْءِ جَارِفٍ[1]
يَجْتَثُّ ـ مِنْ أُصُولِهَا ـ الشَّجَرْ
يَجْرُمِ قُدَّامَهُ ـ مَا كُلُّ فِي طَرِيقِهِ ـ
وَيَنْحَدِرْ

ثم يحكي حكاية طول الليل في القرية، ويحكي حكاية ليل الشاعر ذاته، فهو متفاعل مع ليل القرية القديم، فكلا من أهل القرية والشاعر يصحو، فتكون أشجان النهار تبدأ من آثار معاناة اليوم السابق، وكذلك الشاعر يحكي معاناته النفسية.

وَيَصْحُو ـ بُعَيْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ ـ
إِعْصَارٌ .. عَطَاؤُهُ جِرَاحْ

---

(1) سيل درء : جاء منحدراً من الوادي دون مطر في محله.

وَأَحْرُفٌ مِنَ الْعَذَارَى ..
تَوَشَّحَتْ شَلاَّلَ ضَوْءٍ مِنْ سَمَاحْ
وَشَدَّتْ حَوْلَ خَصْرِهَا
جَدَائِلاً مَنْسُوجَةً مِنَ الْقَمَرْ[٢]

إذن فالقصة، تحكى حكاية ليل القرية القديم، وتحكي ذكريات ليل الشاعر، ولهيب تفاعله مع الحياة، فالقصة متحدة فى عضويتها منتامية فى تكوين الوهج الشعوري فإن القلق الليلي نجم عن المفارقة بين الحياة القروية، والحياة العصرية في المدن الصاخبة. فهو يتمنى تلك الحياة العذرية.

إذن فالقصيدة عند شعراء الوحدان مالت إلى القصر، فجل قصائدهم ما بين عشرة أبيات إلى خمسة وعشرين بيتاً ويعود ذلك لعدم الخطابية والإنشاد فهم لا ينظمون قصائد من أجل مناسبات مخصوصة تلقى على الملأ وإنما تخضع لتجربة شعورية محدودة بحدثها وتأثيرها، وزمانها ومكانها، فهم لم يعددوا الموضوعات و لم يطيلوا فيها، ومن هنا طرأ القصر على قصائدهم، ولكن لما ينتقلوا إلى موضوعات المناسبات أو التأمل فإن نفسهم يطول كقصائد الجوهرجي في ديوانه (اليقين)، وقصيدة العشماوي فى مطلع القرن الخامس عشر وأبياتهم تسير على نهج الأوائل حيث الاعتماد على البيت الفرد وهو مكتمل بذاته يحمل خاطرته، فربما تنقل البيت من مكان لآخر ولا تستشعر تغيّراً في ذلك كقول ابن سيار :

من أين قلي يا سليل العرب ... أقطارهم شتى فقل وانتسب ؟!
لأي قطر شتتني إنني ... لا فرق عندي بين أم وأب
فكل هذي التسميات التي ... نلوكها من صنع غاوٍ خرب
أنا من المشرق جئت ومن ... مغربه أنت وهذا سبب

[٢] الإبحار فى ليل الشجن ١١١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يشدو قلبي إلى عالم الحـ ـب وما أعظمه من نسب !!
عروبتي تجري دماً في دمي وبين عينيك سناها يشب
وأنت مني وأنا منك يا حبيبتي لولا دعاوي الكذب[1]

والقصيدة عندهم تقوم على وحدة الشعور، فهو الإطار الذي تدور في فلكه الأبيات، وهو النبض الداخلي للأبيات، والوحدة الشعورية تتجلى في كثير من أشعارهم في أحزانهم وأفراحهم، وفي إرادتهم ورفضهم، بل إن الوحدة الشعورية نبتت من وهج داخلي يطفح بفكرة راسخة في ذات الشاعر ربما لا ينجلي هدف الفكرة ولا ماهيتها، وإنما يتضوع صداها في تموجات الأبيات، فالقصيبي يخاطب ولديه اللذين يتضاحكان أمامه ويتمنى لو يشاركهما فرحهما لكن دموعه حبيسة في كيانه، حتى ضحكته مشوبة بالغصة، ويشير إلى براءتهما وما تدركه تجاربه من مصاعب الحياة، فهو يصوّر لنا الأزيز والمرجل الذي يغلي بداخله وحسب، ولا يفصح عن سر فلسفته، يقول :

ها أنتما .. تضحكان وتارة تبكيان
أما أنا فدموعي حبيسة في كياني
وحين أضحك تندى في ضحكتي غصتان
رأيت عبر الليالي ما لستما تريان
سمعت عبر الليالي ما لستما تسمعان
فمات قلبي .. ومات روحي .. ومات لساني
فما أطيق مراحاً وأنتما تمرحان
ولا أسيغ غناءً وأنتما تهزجان
هيّا ! خذاني .. خذاني إلى شباب الزمان

---

[1] إنه الحب ٢١.

إلى عـــوامـل ســـحـــر مصنوعة من حـــــنان
أبوابهـــــا مـــن غـــيوم وســـــقفها من أغـــان
تجـرى الدقـــائق فيـــها ســـعيدة .. والثـــوان
وعلمـــــاني قـــليـــلاً من بعـض ما تعـــلمان
وأرجعـــــاني صغـــيراً يلهـو كما تلهـــوان[1]

وبناء القصيدة أخذ في الاتجاه الجديد الذي يقوم على التفعيلة والسطر، ولكن الشاعر يعود أحياناً للتنغم بحروف آخر السطر، وبناء القصيدة يرتكز على الضبابية والغموض والوحدة تكمن في اكتمال الجملة وتختلف من سطر مكون من تفعيلة واحدة وسطر يضم أكثر من جملتين أو ثلاث وربما يمتد إلى اكتمال ثلاثة أسطر كقوله:

أمطري غباء
أبسمي لها ..
بالبروق الخلب الصفية العطاء
أمطري السراب بالضباب
ولتحرث البغال والوعول والثيران والبقر
مقالع الجبال الخرس ...
حنظلية الشجر
لا تمطري ...
أرضي يباب ...
أرضي أبية التراب
لا زهر لا خزامى لا عرار

[1] المجموعة الشعرية الكاملة ٥٢٣ ـ ٥٢٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مات في الأرض الشجر

مات على شفاه الأرض بسمة النوار ...[1]

وقد تكاثر بناء القصائد الشعرية على هذا اللون، فالوحدانيون يشتركون مع معاصريهم في هذا الاتجاه الجديد، فهو لم يكن حصراً على شريحة مخصوصة من الاتجاهات الفنية.

وبنوا قصائدهم على شكل مقاطع فصلوها بفواصل ترقيمية على شكل نجمة أو غيرها، وبعضهم وضع لها أرقاماً، وكل مقطع من المقاطع يمثل فكرة من أفكار القصيدة، فمثلاً قصيدة (رحلة الدم الأصفر) يقسمها القرشي إلى ثلاث مقاطع، ففي المقطع الأول يحصر الفكرة في التمهيد للموضوع الأساس وكأنها المقدمة الموضوعية والتشكيلية أو هي المخاض المنتج للمضامين التالية، فرحلة الدم الأصفر الذي يرمز إلى عالمنا العربي انحصر في مكانه نتيجة للصعاليك من الداخل والحرب من الخارج

وضجة العالم المضلل، لكن النتيجة انحسار الستائر والبراقع وانكشاف الأمر وتجليه:

الدم الأرجوان

أصفراً عاد في رحلة اللامكان

والزمان الجبان

والصعاليك في سحابات الدخان

في ظلال الأباطيل في ضجة المهرجان

وطيوف الصبايا الحسان

والمرايا التي أزهرت بالجمان

---

[1] محمد فهد العيسى، دروب الضياع ١٠٨، ١٠٩.

غرقت في بقايا الدنان
والخيول التي صهلت في الرهان
كم تسامت على شرفات الأمان
وانتشى من حوافرها العنفوان
ضاع منها العنان
سقطت في حبائلها الأفعوان

ويرمز الشاعر ـ في المقطع الثاني : للقيادات في العالم الثالث الذي أخذ في الاضطرابات والفتن والثورات، فقد تاه الركب في فيافي الحياة، وقُهِر أرباب الخير والفكر، ثم خُرِبتْ المدن والعمران واضمحلت قوى الإسلام، وجفت موارد الخير من الفكر والمال وغيرهما، ومن هنا شاع الضعف وتفرقت الأمة، واستوى الظلام والشعاع، وسيطر الإملاق والضياع :

وانتحر الربان في السفينة
وزلزلت رغم الضحى شوارع المدينة
وانكفأت مع الضحايا الكبرياء
وجفّ في كل الشرايين العطاء
الموت عاد نعمة للخائف تحت أسقف الصراع
قد بُعثِر المتاع
واستنوق الشجاع
وديست الرايات والبيارق
وانزرعت تحت الجلود الهشة الصواعق
قد دكت القلاع والصوامع

ونتيجة للمقطع الثاني حيث فقد القيادة، وانتشار الفقر، والشتات، وعدم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الانتماء؛ يتولد المقطع الثالث : فإن الشعب الفلسطيني ينام الآن فوق الحجر المجنون، ويسقط على الشوك، ويعيش معاناة والناس من جنسه لا يشعرون شعوره، ولا يأبهون بمأساته :

ينام فوق الحجر المجنون

يفرش الأشواك حنين

تنهره الأيام والسنون

وتنتشي من دمه العيون

والناس حوله يعربدون يسخرون

الناس ، والأحجار ، والعيون

هل يفهمون غربة المجنون ؟![1]

التجربة الشعورية :

هي : «معرفة الأشياء الناتجة عن الإحساس بها»[1] وهذا الإحساس والوعي يعلمان تجارب الحياة فقالوا عنها : «معرفة متأنية عن معاناة واختبار، وهي تزيد النفس غنى، وتكشف أمامها آفاقاً جديدة في فهم كنه الحياة»[2].

وعرفها جبور عبد النور أدبياً بقوله : «مجموعة الإحساسات والمشاعر، والأفكار التي تتراكم في نفس الفنان أو الشاعر أو الأديب، وتكون محصلاً لاحتكاكه بمجتمعه، وطرائق اتصاله به، والتفاعل بينهما»[3].

وهذه التجربة من أهم عناصر الإبداع، فهي ناجمة عن المنجم الشعوري الداخلي لكل فرد، ونتيجة لذلك، فهي تطبع عمل الفرد بطابعه المتميز به عما سواه وهي تُعرَف بالتجربة الشخصية، أو الذاتية، التي تكون ناتجة عن معاناة وعالم الشعور لا حدود لها، أشبه بالأمواج البحرية يتتابع بعضها وراء بعض ،

---

(1) زخارف فوق أطلال عصر المجون ٤١ ـ ٤٥.

(1) ، (2) ، (3) المعجم الأدبي ٥٨.

وتختلف هذه الأمواج باختلاف الرياح التى تحركها، فمنها العواصف البحرية، ومنها التيارات العميقة الجارية في المحيطات، ومنها اللولبية، ومنها الرياح المعتدلة، فالأحاسيس البشرية، تتأثر بالرياح الخارجية التى لا تتوقف، وإن هدأت، أو كانت نسيماً عليلاً أحياناً.

وأحاسيس المبدع في بلادنا متأثرة بمحيطات حياتنا المعاصرة، من الكبير الشأن كالقضايا الإسلامية، وشأن الإسلام وأمة الإسلام، حرباً أو تخلفاً، ومعاناة الإنسانية، ومنها القضايا الوطنية والاجتماعية التى يحمل أمانتها المبدع والمفكر ومنها القضايا الفردية التى يكون فيها الامتزاج بين الفرد ومكونات حياته ولكل مجتمع خصوصياته، ولكل فرد شخصيته، والجدل والحوار المصحوب بالفعل والانفعال دائم دءوم الحياة.

والتجربة الشعورية، متلاحمة مع الإبداع مع مكوناتها الذهنية، من دينية وعقلية، إلى حسية، إلى جانب تطورها، وتناميها، وحضورها الدائم، ومن هنا فإنها تصحب الإبداع في فكره، وشعوره، ولغته، وخياله، وتتلاحم كل هذه القضايا النقدية في الإبداع.

ولابدّ أن تتجلى معالم الشعور في الإبداع في أمور منها :

١ــ إدراك فلسفة المبدع في الحياة والكون، وتكون هذه النظرة نابعة من معتقدات دينية، وتراكم علمي ــ وهذه التى كونت المحور الثابت لتفكير الشاعر الوجداني في بلادنا وأحاطت إبداعه بسورها المكين عن طريق رسوخ الإيمان في وحدانه، ومنها ما ينبع عن فلسفات عقلية، وهذه تفتقد الثبات، فتكون متحركة، وهي قاصرة قصور العقل البشرية، ومتغيرة بظروف الحياة، فكانت لها مزالقها الفكرية في المذهب الرومانسي عند الغربيين، ومن تأثرهم وهم قلة في عالمنا العربي.

ومن هذه الفلسفة ما ينبع من أحاسيس الفرد ذاته، فليس هناك رسوخ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إيماني، وليس هناك قدرة فلسفية، فهو أمّا أن يكون شاباً متمرداً على الحياة، أو يكون مريضاً مرضاً نفسياً، وهذه تودي إلى مزالق سلوكية في الغالب تتجلى في الإبداع والأكثر الاعتدال عند البشر فإن الاضطراب والمكابدة والصراع ماثلة في كيان كل فرد . والمتخصص في إبداع شعرائنا يجد هذه المسارات، متفاعلة في كيان شعراء الإبداع في بلادنا لكنها متفاوته غير أنه يجمعها جامع كبير جداً وهو الوقوف تحت مظلة الإيمان. فلما يجتاح الشاعر تيارُ الشك، فإنه يستسلم للتوجيه الرباني، ويدرك أن عقله أضعف من أن يحيط بهذا الكون. ومع تأثر الشاعر بالتيارات تلك إلا أنه يدور في فلك الإيمان.

ومن ذلك قول الشاعر محمد حسن فقي الذي يدور في أتون التشاؤم والشك لكن الإيمان يطفيء انحرافه الانفعالي :

تدفق النور في قلبي وزايله ظلامه ورأيت الشمس والشهبا
فقلت رفقاً فحسبي أنني دنف مما اقترفت شقي يشتكي الوصبا
قد أُغلقت دونه الأبواب، واضطربت أسبابه، فهو لا باباً، ولا سبباً
فجاء يرجو من الديان عصمته من الأثام الذي لاقى به الحربا

وهو يعلن أنه عاد عن صباباته الفكرية والسلوكية :

وزايلتني صباباتي التي امتلكت قلبي طويلاً وشيطاني الذي اختلبا

.....

لا يشتكي المرء من أفيائه ظمأ أو يشتكي المرء في أفيائه سغباً
فليتني في حماه عشت مبتهجاً من بعد أن عشت في اللاواء مكتئبا[1]

فعبر بقلبه عن شعوره الداخلي وأحاسيسه، فقد كان ينداح في موج من الأفكار، وربما يعض الشاعر أصبع الندم على أخطاء فكلا الأمرين يستمطر لهما

[1] الأعمال الكاملة للشاعر ١ : ١٥.

الهداية والعفو من الله سبحانه وتعالى.

ويقول البواردي عن الوطن :

عشقته ترجيعـة في الصدي
مرسومة بعشـقها في فمـي
عشقته إشـراقة في السـما
لا تنطفي بالظـلم والمظلم
.....
إني على حـبي له قانـت
لويت في محرابه معصمي[1]

إذن فهو على مبدأ الحب لم تكن عنده ردة فعل للظلمات التى يعـاني منهـا، فهي لا تحول دون عشقه للوطن وماذاك إلا لإيمانه الراسخ.

والشاعر حمزه إبراهيم فودة يتضرع إلى ربه، من معاناته، وغربتـه في عزلتـه، ولا ملجأ له إلا إلى الله، من التعذيـب النفسـي الداخلي، حتى شـعره فـاض بما يخالف نزعته، فهو تائـه يمـور في سـراب وتصـدع، ولا يـدري كنـه هـذا الاتجـاه، فيدعو ربه كي يهتدي.

ربـي إليك تضرعـي ... إني عهدتك سـامعي
فأنا امرو خضل الجفـو.. ن بكى بفيـض الأدمع
في عـزلتي، يبكي معي.. قلـبي، وليس بشـافعي
مازلـت أنحـه يعـذبني بفيـض تفجـعي
وأنا هنا ... لا صـورة ... لي، تنطوي في أضلعي
وغداً قريضـي هـازلاً ... لا يحـتويه منزعي
وغداً الذي أرجـوه في... عمرى ضمائر لا تعي

---

[1] قصائد لخاطب الإنسان ١٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إني بكيت وقد لقيت سراب يومي خادعي
فلقد أبيت على الأسى .. كالشاكل المتصدع
ليت الذي أرجوه يا .. رباه غير مضيع[1]

والشاعر مقبل العيسى يصاب بالحيرة عندما يتأمل الكون، فتكاد أن تغترب بفكره :

تحيّرت يا خالقي ... في حياة تعود .. إلى درك ... من شقاء
تحيرت يوماً بعجزي وضعفي.. وفكرت.. في قدر أو قضاء
فقلت لروحي.. هل الضعف منك؟ أم الجسم... يهوى الردى... والفناء
فلولاك .. ما نبضت .. بالدم عروق .. ولا حد في الجسم داء

وهو يستحضر الفلسفة التي تدعو إلى الشك، والتحليل للإنسان حتى يصل من خلاله إلى المطلق لكن التوجيه الرباني يوقف جماح الفلسفة عند الشاعر :

فهل أنت .. يا روح من جوهر نقي .. وما الجسم .. إلا رداء
خطيئته .. في الورى .. شاهد على ظلمه .. رغم عدل السماء
فقلت .. تعاليت يا خالقاً من الطين عقلاً .. قوى الذكاء
أغثني بنور يضيء ... الفؤاد فإني من كل زيغ ... براء[2]

والقارىء لشعر مقبل العيسى، يدرك أن الرجل يطيل التفكير الذى يدلف به إلى الحيرة، لكنه يدرك أن العقيدة الإيمانية لها أثرها الذى ينتشل الشاك من ريبه، ويوصله إلى درب النجاة لاسيما فيما لم يدركه العقل.

ومن أبيات الحيرة التى لا تمت إلى فلسفة أو اعتقاد، ما قدمه الشاعر عمر

---

(1) شوق وحنين ١٧.
(2) الهروب من حاضر ١٥.

كردي لديوانه (لمن يكون هواها). فهو يعزو معرفة سر الحياة لتجاربه الذاتية، وهو لا يلجأ إلى فكر في حيرته :

لقد علمتني الحادثات وسرها عجيب بأن أحيا كأني لا أدري
تمر بي الأيام عجلى كأنها سراب.. وكم يزهو السراب وكم يغرى
أسائل نفسي ما جنيت؟ تجيبني صبرت وبعض الحزن من كثرة الصبر
تلوح لي الآمال حتى أظنها من الوهم أضحت في سرابها تجري
يطول عتابي إن تحدثت بالذى تجيش به نفسي وأخفيه في صدري[1]

والشاعر ليس بالتائه المستجيب لأحاسيسه، وديوانه ينبيء عن إيمان وتعقل ومثل ذلك فلسفة حسن القرشي الذي ينظر إلى الكون بمنظار ذاتي في بعض إبداعه، فهو غارق في لجج الفكر، حزين لمخالفة الإنسان للقيم، متألم للغبن والضيم الذي يقابل الأديب :

هذا الكون وغشّاه الظلام ملك يسهر والناس ينام
غارق في لجج الفكر شج زارع والزرع يجنيه الطغام
ضاحك باك معاً كم يغتلي بمآسيه فيجيبه الكلام
راعش القلب وفي القلب جوى حائر من صولة الغدر مضام
خافض الرأس وكم يثقله أن يرى الأحلام يعلوها قتام
صحب الناس على شرّتهم وتناءى حين أعياه السقام

تناءى بعد أن حمل لهم الورود، وبذل لهم الشهد، ويأسو جراحهم لكنهم لم يقابلوا الأحسان إحساناً، وإنما قلوه وأهانوه.

يحمل الورد إلى داراتهم فيباديه عقوق واتهام
ويريق الشهد في أكوابهم وحصاد الشهد ذلّ وملام

---

[1] مقدمة الديوان ٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أو سعوه المأ وهو الذي عاش يأسو الجرح والدماء عقام
يأله من عاشق مغترب في ربى ملء حواشيها الضرام[1]

إذن فإن حياة القلوب بالإيمان، تحول بين الشعراء الذين يعرفون بعبقريتهم، ورقة إحساسهم وشفافية مشاعرهم، وقوة تأثير انفعالهم تحول بينهم وفتك الحيرة بالغربة الجسدية والنفسية، ولا يبلغون مرحلة الكآبة. والشعر أبان لنا عن فلسفة الفكر والحياة الاجتماعية لشعراء الوجدان، فهي تنطلق من القيم السامية للإنسانية في ظلال التوجية الرباني، وهم مقتنعون إن ما لا يدرك في الدنيا يعوضه الله في الآخرة. فكان هذا الضمير يحجب عنهم اليأس القاتل.

المطلع على دواوين الشعر الوجداني يجد سعة الأفق الفكري عند شعرائنا فهم إلى جانب الاطلاع الواسع على الأسس الإسلامية، قبسوا كثيراً من الفكر العالمي والعربي، ولهم الاطلاع على الحياة والكون يستوي في ذلك العلم التجريبي والنظري، وما رصده العلم الحديث من ظواهر طبيعية، فهي ثقافة العصر، الذى تزخر به الكتب العلمية والثقافية، والدوريات المختصة، والصحف وسائر الإعلام، إذن فهم ينظرون إلى الحياة نظرة أكثر شمولية وعمق، وليس هذا وحسب بل استطاعوا أن يوجهوا الحياة الاجتماعية والفكرية والسلوكية، في مجتمعنا، ولهم آراؤهم في قضايا الكون. ولينظر الناقد إلى شعر محمد حسن عواد، ومحمد فقي، ومحمد فهد العيسى، وحسن القرشي، وغازي القصيبي وغيرهم من الشعراء المثقفين.

٢ـ ومن سمات التجربة في الشعر الوجداني أنها تصهر الشاعر المبدع بأسلوب خاص به يميزه عن سائر الشعراء، فهو يتولد عن الإحساس الذى لابدّ منه، فيتشكل في طريقة الصياغة، ونسج التراكيب، ويتجلى أسلوبه فى سائر

(١) أطياف من رماد الغربة ٨.

إبداعه، ويتشكل فى كيفية تناوله للحياة من خلال رؤية خاصة فتتشكل شخصيته في الفيض الشعوري، ومعجمه الشعري، وتركيبه للصور المتخيلة، وأكثر ما تبرز هذه نظرته للحياة التى تسودها الغربة، أو الهروب، أو التمرد، والتشاؤم أو التفاؤل، فهل هو مقبل على واقعية الحياة، أما مستقبل لها بحب وارتياح واعتدال أم هو متهافت على الحياة، لاسيما ملذاتها، أم هو متعال مترفع[1].

ونحن عند تصنيف شعراء الوجدان لا يتبادر إلينا من خلال قراءة أشعارهم رؤية هذه الألوان لكن الهاجس الإيماني يحد من غلوائها، فمن المغتربين محمد حسن فقي، ومن الهاربين عن الواقع محمد فهد العيسى، ومن المتفائلين طه زمخشري والخطراوي، وعمر محمد كردي. ومن الهائمين لطلب المتعة بالجمال، عبد الله الفيصل، ويحيى توفيق، وعثمان بن سيار.

ويجمع حسن القرشي الميل للجمال والمتعة بها، إلى جانب نقد قضايا المجتمع ويقترب منه غازي القصيبي.

ويظهر تميزهم الأدبي في المعجم الشعري لكل شاعر من شعراء الوجدان، فإن المعجم الشعري عند محمد فهد العيسى غيره من محمد حسن فقي، وكذلك يختلف بين القرشى وزمخشري ـ وكذلك يختلف بين القصيبي والخطراوي ورسم الصور المتخيلة الذي يحمل خاصية كل شاعر، يتفاوت عند الشعراء ولكل منهم طابعة المتميز.

وتنسج تجربة الشاعر عبد الله الفيصل في مرجل المشاعر الغزلية التى تزداد وهجاً، باحتزار الذكريات الغرامية، وانتظار المواعيد ولطف المحادثة، وتماوج الدلال في القد الحسن تلك التى استحوذت على تجربته حتى كونت له شخصية

---

[1] انظر، النصوص الأدبية لعلي عبد الحليم ٣١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الشاعر الرقيق في ألفاظه وتراكيبه، الذى يرسم الحركة النسائية المغريـة، ومـن هنـا كان فيض إبداعه صورة من معاناته الوجدانية.

فهو يقول عن الهوى :

لا تسلني عن الهوى يا حبيبي ... فبعيني ألـف ردٍ مجـيـب

نظـراتي وصبوني وسـهادي ... وهـيامي وغـيرتي وشـحوبي

وظنوني وحيرتي ورغـابي ... ونحـولي وطـول صمتي المريب

هـى بعض لما يجـول بقـلبى ... من لظى الوجد والأسى المشبوب

فالحب تربع على عرش قلبه، وأبحر في أشجانه، وأطر شخصيته الفنية :

أنا والحب توأمان خلقنا ... وتلانا في العشق كل حبيب[1]

وتارة ينعم بالحب ولا يبالي بما عداه :

سكن الليل فاقـترب يا حبيبي ... ودع الناس للأسـى والنحيب

واستمع ما يقول قـلب لقـلب ... في حديث اللقاء بعد الغيوب

وأرق بى عالماً يطوف به الحـسـ ... ن على جامح الغرام الطروب[2] [2]

ومعجمـه اللفظي يـدور في فلـك لفظة الحـب، وأكـثر مـا يضـاف إلى يـاء المتكلم، ومثله الوله والعشق والهوى، ومخيلته زاخرة بمعـالم جمـال المـرأة، فصورهـا تتراءى لقارىء شعره ولاسيما في ديوانه (وحي الحرمان)، ورقة ألفاظـة نابعـة مـن رقة شعوره الذي لا ينضح بصديد الحرمان، وإنما ينضح عن رقـة الحنـان. فالرقـة الشعرية معلماً بارزاً في إبداع عبد الله الفيصل وتلوب تجربـة الشـاعر عثمـان بـن سيار في أسر الغرام، فقد شب على الوله بالنساء.

---

[1] حديث قلب ١٣١.

[2] المرجع السابق ١٣١ .

واشرأبت عيونه للغواني أسرت لبه العيوان الرواني

وهو تدرج في الحب الذي يجذبه بروح الحنان الطفولي ثم حنان الهوى :

عرف الحب رعشة تعصر القلـ ـب لقيا تمدّه بالحنان

حتى تمكن منه الحب والعشق، وتنامى معه الشعور بالحب، ليكون منه شخصية العاشق الهائم الذي أخضع تجربته الذاتية لتنبض بالوله والهيام :

ومضى في الحياة صبا معنى فتنته وجوهها، فتغنّى

يشتكي للنجوم سهد لياليـ ـه وللحب ما يكون تمنى

وهو يصور كيف أن الحسن والجمال يأخذ بلبه، ويجرفه تيار العشق :

أسرته الحسان أسراً جميلاً صيّرته مولها مخبولاً

ويقول :

هن علمنه الهو والتصابي وتساقين في ضناه الحميّا

كلما شام بارقا من محياً هزه وجده، فبات شجياً[1]

وعاش جل حياته يهذي بالحب، مفتوناً بالمرأة، مشدوها بمعالم جمالها، مأسوراً بأحاديثها، تجد كل مقطوعة شعرية تسكنها نبضة شعورية ناجمة عن تفاعل مع لقاء نسائي، والمرأة منطلقة الوجداني، فإذا غارد غرض الغزل نضب معين الشعور فى شعره.

وتجربة طاهر زمخشري تدور حول لفظه الحب بمدلوها السامي الذي لا يستكين إلى غريزة من الغرائز، وإنما يمثل حب الإنسان لإنسانيته، حب الإنسان للحياة بحلوها ومرها، فالمر والحيف لا يمنعه من وفاء الحب، والتبرم بالحياة لا يقف

[1] إله الحب ٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في وجه حبه الجارف :

حسبي من الحب أني بالوفاء له ... أمشي وأحمل جرحاً ليس يلتئم

أبكي وأضحك والحالان واحدة ... أطوى عليها فؤاداً شفه الألم

فإن رأيت دموعي وهي ضاحكة ... فالدمع من زهة الآلام يبتسم

وهو يخاطب الإنسان الذي يستبد ويظلم، ويتعالى ويحتقر، ويشعره أنه لا يبالي به، فما عند الله أعظم وأرجى، لذلك فإنه لا يحجب الحب عن البشر :

فاظلم كما شئت لا أرجو مرحمة ... إنا إلى الله يوم الحشر نحتكم

لئن قبضت يدا عني فكم بسطت ... يد من الله ظلا فيه نعم

بها ساحيا برغم الحيف في كنف ... من المسرة مهما آدني السقم

وهذه الخاصية يشرق بها إبداع زمخشري في جلّ شعره، فعاش ينشر الحب بين الأطفال، وفي تعامله السلوكي، وأعظم من ذلك إشرقه في فنه الشعري.

فأنا هاهنا وفي والواحة الخضراء شيدت للهناءة قصر

ودروبي أنارها الأمل الضاحي، وقد جاء بالبشائر تترى[1]

ويريد أن الحب شاملاً للحياة لا لشهوة جامحة :

أريدك كالسنا يعطي حياة ... بصمت لا يضارعه المقال

أريدك كالنسيم متى تأنيّ ... وأسرى طاب بالعطر النوال

أريدك جد ولا ينساب عذباً ... وترقص من ترقرقه الظلال[2]

وهو حتى في أحلك الحياة يستعين بالصبر، فالأعاصير التي تعصف به،

---

(1) مجموعة الخضراء ٦٩٣.

(2) المرجع السابق ٥٠٩.

وتكاد تقضي عليه لم تشب نقاء سريرته بشائبة مظلمة، و لم تكدره لوثة المغتاب :

يا رياحا إعصارها في ضلوعي	المقادير سهمها لا يحابي
كاد يقضي عليّ ولكن صبري	رده راغما على الأعقاب
بالذي في سريرته من نقـــاء	لم تكدره لوثة المغتـــاب
وسهام القضاء لاتحمل المحنـة	إلا لحائـــر مرتـــاب
أنا فوق الإيمان عنـــدي يقين	إنما الحب نعمة الوهـاب[1]

فالحب هو غرسة الحياة التي تورق وتزهر ، والدوحة الكبرى التي يستظل بها من هجير الشقاء والعناء والمعاناة. والحب هو حلقة الوصل التي يبعث بها إبداع الشاعر.

وتجربة محمد فهد العيسى تدور حول النظرة السوداوية لحياة الإنسان الواقعية، فهو متبرم بها ضائق صدره من قيودها وحدودها، فهى دنيا أسى ومحن، ونتيجة لهذا فإنه يجنح إلى التمرد على تلك الحياة البائسة يتمنى الإفلات من تلك القيود فبلغ الشاعر مرحلة التبلد أمام عاديات الحياة، فلا يبالى بمرارة العيش التى ينهل منها.

إيه دنيا الأسى ـ إيه دنيا المحـــن

املئى الكأس لى واترعيه شـــجن

لست أخشى على النفس منك الفتن

بعد ما كان من عاديات الزمـــن

املئى الكأس لى بالشجى بالأسى بالضنى بالكدر

املئيـــه بما شـــئت من كل ماشـــاءه لى القـــدر

انا إن تثقل النفس منـــك القـــيود

---

[1] المرجع السابق ٣٤٨ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في ظلام من السجن. خلف السدود

فبقلبي يشع ضياء جديد

ـ كل فجر ندى ـ يزيد الخلود

فأنت تحس بصوره المستقاة من الظلام في الحياة والكون، وقد التحمت الألفاظ القاتمة المعتمة مع الصور الكئيبة، دنيا الأسى، دنيا المحن، الشجن، الفتن، عاديات الزمن، وهو يجمع تلك الألفاظ للتأكيد على صوره (أملىء الكأس لي بالشجن بالأسى بالضنى، بالكدر) وصور ثقل النفس بالقيود، وظلام السجن خلف السدود. كلها ألفاظ متلاحمة مع بعضها لترسم صور حياة الشاعر الذي يمثل نزعة التمرد على الواقع نتيجة التبرم الداخلي والشاعر لم يهرب شعره من الحياة، وإنما تمرد على قيودها، فهو يلتمس حياة خالية من القيود بل التمرد يودي إلى الصراع، والزحف لون من ألوان الصراع فهو يحمل إرادة لا هروباً.

وغدا سوف أزحف رغم القيود ورغم الجناه

واخط بما نزفته جراحي سطور الحياة

خلف أسوار سجن(....) العاتية

هيناتي ـ صلاة ـ وأنّا تيه

في الظلام الرهيب وآهاتيه

العزاء الوحيد ـ لمأساتيه

أثقليني بما شئت . ها قد تحديت خطب الفناء

وغدا سوف أجعل ـ مجدك ـ يمشي عليه العفاء

انهضي نفسي إني أبيت الخنوع

وأبيت الهوان وذل الخضوع

فشذا التضحيات بقلبي يضوع

ليعيد الحياة لروحـــي الصـــريع

وسيشرق ـ لو طال ليل الهموم ـ على الصباح

وتشرق نفسي غداة الخلاص وأنسى النواح[1]

إذن فالشاعر في صراع داخلي، ضد تلك القيود، وهو يصارع لأنه يأبى الخنوع والهوان والخضوع فتكون ردة الانفعال التضحيات ليستعيد الحياة ذات الإصباح والإشراق. وهذا شأن شعر العيسى في حلّ نتاجه، فالضيق من حياة الإنسان الواقعية واستدعاء صور المآسي، وظلام الكون، والإبحار في دنيا الأحلام، والصراع النفسي في الحياة كلها من معالم التجربة الدائمة في شعر محمد العيسى.

لعليَّ اطرق .. أرمـي الصمـود

واكشف للشعر سـرّ المصـابْ

•

أخا الشعر ! فيم نصوغ القصيد

ونبني على الغيم شم القـباب ؟

•

أننشـد للحـب ؟ يا للجـريح

يظـلّ يغنّى بسـحر الخـرابْ

... ...

عرفـنا الهـوى نظـرةً القيـتْ

وعـذراء من دونها الفُ بـابْ

عرفنا الهـوى شـهوّةً لثمـتْ

بطهـر الملائـك جـوع الذئابْ

[1] ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١١٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عرفنا الهوى جثةً في القيودِ
عرفنا الهوى دعوةً لا تجابْ
•
أننشد للمجد ؟ يا للغباء
وأمجادنا كبياض الغرابْ[1]

إذا فهو يرى أننا نحب حباً وهمياً مضللا بالإعلام فنرى سواد الغراب بياضا، فيشير إلى اسطورة أن الغراب كان أبيض اللون وكذلك لاشك أن مجد الأمة الغابر ناصعاً لكن لا يفيدنا ماضينا الأول في سوادنا المعاصر كما لم يفد الغراب لونه القديم، وأمنيات الأمة تدور في جحيم الخلاف والسباب، والأوهام الكاذبة، وعاش العالم العربي أوهام القوى الضاربة، وأوهام الصواريخ الظافر والقاهر.

والتجربة الشعورية التي تميز شخصية القصيبي عما سواه تدور حول الحب العقلي الذي ينظر إلى عالم المرأة نظرة شمولية ففيها الجمال والحنان والدفْ، والأمومة، والإخصاب، وفيها القوة والضعف :

أنت السعادة والكآبة والوجد حبك والصبابة
أنت الحياة تفيض بالخصب المعطر كالسحاب
منك الوجود يعبُّ فرحته ويستدني شبابه

والشاعر ينظر إلى الحياة بهذا المنظار، فهو يرى الخير وتهفوا نفسه إليه لكنه يدرك ما يصحب هذا الخير من إغراء وخداع :

---

[1] المجموعة الشعرية ٢٧٤ .

وأزعم أن حبك كان ليلاً ... من الأوهام يفضحه النهار

وأزعم أن نشـوتنا دوار ... يفارقنا إذا انقشع الخمـار

وأزعم ان أشواقنا طيور ... مروَّعة يطيب لها الفرار[1]

ونتيجة هذا الزعـم للحب في المرأة، فإن هـذه الذاتيه تسقط على الحياة الواقعية، فكيف ينشد الحب لحياة الخراب كما لم يستقرّ علـى حب المرأة، وهـو يسقط الرغبة الجامحة للمرأة على أمنية الأمة العربية، فهـم يتمنـون التقـدم، ولكنـه محجوب عنهم بالف باب، وهي محروسة بجوع الذئاب من الغـرب المتلهـف على المادة أو ممن سولت لهم أنفسهم من أبناء المجتمعات المتخلفة، ويسقط أمنية الحرية، على كون الهوى يرسف بقيوده.

ونصرخ : (أمـسِ بلغنا السـماءَ
وكان الرشيد يسوق السحابْ)

ونزعـق : (نحـن على موعـدٍ
مع الفجر.. حين ينادى الإيابْ)

وماذا عن اليـوم ؟ عن امّـةٍ
تحـرّر أوطانهـا بالسـبابْ

صواريخها في فضاء العـروض
واسـطولها مبحرٌ في الضبابْ

وتقـتل .. تغـتال أولادهـا
وتلقى العدَّو بحـلوِ العـتابْ

---

[1] المجموعة الشعرية ٢٨٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي كل شـــبرٍ مذيـعٌ فصـيحٌ
لديه إذا صاح فصـلُ الخطـابْ

يقولُ : (ســـلام على التابعـين
وويلٌ لمنْ لم يسرْ في الركابْ)[1]

إذن فإن معجمـه في شعره يـدور في فلـك معجـم المرأة الأشمـل مـن الحـب والمرأة، وألفاظ العلاقة وبجانبها لفظة الزعم، وعرفنا، فهـو واع بالدنيـا. ومـدرك لزيفها، وكذلك البركان والضبابية، والعواصف، والأحـلام ألفـاظ توحـي بـالصراع بـين العقل والحياة.

والخطراوي يمتطي آمال الشاعر المثقف الذي يغذ السير كي يحقـق أحلامـه، لكنه لا يخفي، حرقة المعاناة، فتعصره الشجون، وتلوكه الأحداث الحاقدة، لكنه لا يلين، ولا ينثني في عزمه :

رباه تعصرنا الشجون كآهـةٍ بين الشفاه
وتلوكنا الأحداث حاقدة كأفئدة الطغاة
لكننا في عزمنا لا نستكين إلى الغـزاه[2]

وهو يعرج على عبر التاريخ وعظاته، فيستحضر التاريخ الغابر لصـراع الخير والشر، والإيمان والكفر، لكنـه تلميح رمزٍ لا سرد حدثي. فالتـاريخ لا يدعـو لليـأس، وإنمـا يدفـع إلى تحقيـق الأمـاني وإن طـال الانتظـار، فعلينـا أن نسـعى إلى كشف الغمة عن الأمة، برفع الظلم عن المظلومين، ونرفع شأن المخذولين، ونحـرر السبايا والمأسورين.

لا تقـولي فات الأوان فإنـــي

---

(1) القصيبي، المجموعة الشعرية ٢٧٥.
(2) نداء الجرح ٩

عشت أهفو لبارقات الأماني
يا ضلال التاريخ في موكب المو
ت، وشكوى القلاع للشطآن
وضياع النداء في مسمع القف
ر، ونـوْحُ الرياح في الكثبان
وبكاء الشموع في قبضة الليـ
ـل، وذلّ الجياد في الميدان
والسبايا منكسات حيارى
يتعثرن في مروط الهوان

وهو يوقظ الذهنية لمكافحة الشقاء، بدفع المعاناة البائسة إلى مكابدة الحياة القوية، ولا تستسلم للخنوع والذل.

أترانا جئنا الحياة لنشقى
ونعاني من شرها ما نعاني؟
أم ترى أمسنا تبرأ منا
واستنام الأحفاد للأكفان
أمتي أين أنت ؟ أين؟ أفيقي
أين عهد الشموخ والعنفوان ؟
أين جند الرحمن في يوم بدر
تتصبّاهمُ ضروب الطعان
وان وقّاص تزدهيه المنايا
وهو يخطو كالليث للإيوان[1]

[1] تفاصيل في خارطة التضاريس ٥٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو في أثناء فوران الشعور الداخلي وغليانه، تراه يزيد اشتعاله باستدعاء شخصيات تاريخية أو حوادث إسلامية، لكنه لا يثقل النص بها، وإنما تنبع من خطرات وجدانية.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اللغـــة

- سهولة الألفاظ .
- الدلالة الشعورية للفظة .
- معجم الألفاظ .
- التراكيب .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

سهولة الألفاظ :

اختلف النقاد في أسباب ثقل اللفظة على اللسان، فمنهم من ردها إلى تقارب مخارج الحروف، ومنهم من عزها إلى تباعدها، ومنه من يرى الثقل في كثافة الحروف الهامة، ومنهم من يرى الثقل في الإكثار من حروف الإطباق، الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، ومنهم من يرى أنه يتأتى من تكرار حروف الحلق، الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والخاء، والغين، ويرى الدكتور إبراهيم أنيس : أن الثقل يأتي من اجتماع حروف ثقيلة تحتاج إلى جهد عضلي، أو هي قليلة الشيوع على الألسنة في المجتمع. ويكون الثقل بتكرار الكلمات الكثيرة الحروف، ويزداد الأمر صعوبة إذا تضمنت حرفين أو أكبر من الحروف ذات المجهود العضلي، ونتيجة التجربة المعملية الصوتية تبين أن تكرار الحروف الانفجارية وهي التاء، الدال، والكاف، والباء، والجيم أسهل من الحروف الهامسة وهي السين والزاي والشين والفاء. وينقل البيت الشعرى إذا تكرر فيه حرف من الحروف التى تتطلب جهد عضلياً أو أى حرف من الحروف يتجاوز الحد المعهود عند العرب.

والشعر الوجداني في بلاد يميل إلى الرقة في المواقف العاطفية عند عبد الله الفيصل لاسيما في ديوانه (وحي الحرمان) وحسن القرشي فى غزلياته الأولى، وكذا يحيى توفيق، وعند إبراهيم خفاجي، وأسعد الفريح من أصحاب الشعر المغنى وقد استعرضت عدداً من الدواوين، وأرى أن شعرهم يرتقي درجة عن الرقة بعامة ويميل إلى السهولة في أكثره، ويرتقي إلى الجزالة أحياناً في الشعر الوطني، ولنورد بعض الأمثلة، ولنأخذ للقرشي بعض أبيات من قصيدة خارجة عن الموضوع الغزلي لنطلع على خاصية اللفظة فيها، وقد أخترت (مصرع البطل) ومطلعها :

قالوا لقد صرعوا (الخلي ل) فقلت لن يشفى غليلاً

النار تحت جلودهم قد شبها جيلاً فجيلاً
ولقد أصاب الثأر قبـ ـل وكم أضر بهم طويلاً
وكم قد بكوا قتلى وصر عى ثم أبكاهم قتيلاً[1]

فهو قد كرر في البيت الأول حرف القاف وهو من حروف الشدة، والجهورية ثلاث مرات، وكرر اللام من حروف الرخاوة ثمان مرات، ولولا رخاوة اللام لظهر أثرها، وأكثر حروفها من الحروف الجهورية أو الشدة؛ الدال، والراء، والغين، فإن قوة اللفظة تجلت في هذا البيت ومن ثم قوة العبارة.

ولا نكاد نعثر على حروف الهمس في البيت الثاني إلا قليلاً، فجلّ حروفه من الجهورية كمثل النون، والراء، والجيم والدال، والباء، وكرر حرف الجيم من الجهورية والشدة ثلاث مرات، وهي ألفاظ لم ترق إلى درجة الجهورية القوية.

ونرى في البيت الثالث : تكرار حرف القاف مرتين، وأورد بعض حروف الإطباق مثل الصاد، والضاد، والطاء مما منح الألفاظ بعض القوة.

وكرر في البيت الرابع حرف الكاف ثلاث مرات، والقاف ثلاث مرات مما منح البيت قوة صوتية، ومن هنا نرى أن هذه القصيدة أقوى لفظاً، وجرساً موسيقياً من أبياته الغزلية، وهذا شأنه في سائر موضوعات شعره. ما عدا الغزلي فإنه يميل إلى الرقة، كما يتجلي في قصيدته (في قيود العذاب). فنجد أن البيت الأول يكرر فيه الكاف مرتين وهي من حروف الهمس، وهي متباعدة وكُرِرَتْ فيه التاء أربعة مرات، وهي من الحروف الهامسة أيضاً، وهو عدد لا يؤدي إلى الثقل. وتكرر حرف الميم وهو من حروف الرخاوة ثلاث مرات :

على ضحكة الشرفة الحالمة نحتكِ كالوردة الباسمة

---

[1] من رماد الغربة ٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و لم تتكرر الحرف داخل اللفظة الواحدة، و لم يستخدم الشاعر الكلمة كثيرة الحروف لذا كان بيتاً رقيقاً خفيفاً، وهي يتناسب مع مضمون اللقاء ولغة الإبصار بالعيون وإشارتها.

أمّا بيته الثاني فقد كرر فيه القاف والراء في كلمة واحدة مما جعلها تستوقفنا والحرفان المكرران من الحروف الجهرية، وحروف الشدة، لكن لهما دلالتهما وانسجامها مع المضمون فإن استقرار الضياء على الوجنتين وبقائه أطول فترة واهتزازه له تآلف من اللفظة و لم يكرر فيه إلا حرف الجيم مرتين :

رقرق في وجنتيك الضياء وأزهى بجبهتك الناعمة

وان ظهر بعض الثقل في كلمة (وجنتيك) لاجتماع حروف الشدة الجيم والتاء والكاف، واللفظة اثقل من خديك لكنه جلبها لضرورة الوزن.

أما بيته الثالث فإن ألفاظه خلت من مكونات الثقل، فلم يحدث فيه تكرار إلا حرف النون ثلاث مرات، وتنوعت حروفه ففيها الهمس والشدة، والحلق، وكذلك بيته الرابع والخامس فإنه كرر حرف الحلق الهاء أربع مرات في كل بيت:

وفي صدرك انبثق الناهدا ن يطلان من فجوة فاغمة

هما طائران استفزا الغرام تغديهما مهجتي الهائمه

فقلت هنا مهد روحي الغريب هنا عش أحلامي الحائمه[1]

والقصيدة تجرى على هذا النسق من ابتعاد أبياتها عن مكونات الثقل من الجمع بين الحروف الثقيلة، أو الهامسة أو تقاربها، أو زيادة عددها، فأكثر كلماتها من ثلاثة أحرف، وليس فيها كلمة أصلها رباعي أو أكثر.

---

[1] الديوان ٢ : ١٠٥.

ويترقي شعر مقبل العيسى من الرقة إلى السهولة يقول :

يا غـرامي.. !! لا تقـولي حسـبنا ذلك الحب... وهيهات يدوم!!

ويح قلبي..!! أن غيب عنه الهوى فلياليه... سهاد... وهمـوم!!

فالليالي.. لم يعد فيها الصـدى لاشتياقٍ بل لتكريس وجوم!!

كيف اشـتاق... وقد غاب المنى عن عيوني... وتغشاه غيوم ؟![1]

فإنه ابتعد عن مكونـات الثقـل فلـم يـأت بكلمـات رباعيـة أو حماسية، و لم يكرر الحروف تكرار لافتاً للانتباه لكنه في بيته الأول أكثر من حروف الجهر مثـل الغين والراء، والقاف، والدال.

وكذلك شأنه في بيته الثاني القاف، والغين، والدال، و لم يكرر الحرف ماعدا حرف اللام، والحاء إذن فالبيت يميل إلى السهولة.

وكذلك البيت الثالث لم يطرأ عليه إلا إيراد حرف الصفـير الصـاد، ووجـود الشين والسين فهو يقوم على معادلة الحروف وسائر أبياته هكذا.

لكن البيت الرابع جمع فيه حروفاً تشـده إلى القوة، وهـي الهمزة، والشـين مجتمعة مع التاء، والقاف، والغين المكررة ثلاث مرات.[2]

ويرتفع شعره إلى الجزالة في الموضوعـات الأخـرى فـترد حـروف القلقلـة في أبيات ويلتزم بحرف القاف رويا، وفي البيـت الأول يـأتي بالطـاء، ويكـرر حـرف الجيـم، والـدال وفي البيـت الثـاني يـأتي بالصـاد، والظـاء مـن حـروف الإطبـاق، وحروف القوة العين، والفاء، ويكثر من حروف المدّ، فهو أخف قـوة مـن البيـت الأول وتكون القوة في البيت الثالث بجمع القاف المكررة ثـلاث مـرات في البيـت والغين والخاء من حروف الاستعلاء.

---

[1] الهروب من حاضر ١٠١.

[2] المرجع السابق نفسه ١٠١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويثقل البيت الرابع بتكرار حرف القاف خمس مرات، ووجود الضاد من حروف الاطباق و لم يخفف منه تكرار حرف السن فقد ذاب بين الحروف الجهرية لكن معنى البيت الخامس جذب له اللين؛ فحروفه وألفاظه، السين والمد والياء والميم ففيها رخاوة.

أيها الليل الذي... طالت دياجيه ولم يأذن... دُجاه بالأشراق!!

أين نور الصباح... يا أيها الليل فهذا الظلام... أعشى المآقي!!

قد تغور التخوم.. مما نقاسيه وتهوي النجوم... مما نلاقي!!

نحن قيد الضياع.. والقلق المر وأسرى تمزق وانسحاقِ !!

قد سئمنا الحياة... يا أيها الليل فطعم الحياة.. مر المذاقِ!![1]

من سهولة الألفاظ قول الشاعر عمر كردي :

أنا أهواك يا ملاكي فكوني زهرة من رحيقها ترويني

كلما لاح طيف حسن تراءيت أمامي بدلك المفتون

وإذا ما خطرت أحسب نفسي قيس ليلى بحبه المجنون

وإذا ما نظرت خلت الأماني تتهادى حفية بالفتون

وتبينت أننا في لقاء تتناجى به لغات العيون[2]

فنجد أن الشاعر لم يكن من الشعراء العاشقين، وأن كانت له عاطفة وجدانية مما جعلنا نرى شعره يرتقي من الرقة ذات الليونة إلى نوع من القوة التى لا تبتعد كثيراً، ولا ترتفع إلى مرحلة الجزالة، فهو لم يكرر الحروف، و لم تكثر حروف الشدة والإطباق وتكراره للحروف في الشطر أقل من أن يثقل العبارة،

---

[1] المرجع السابق ١٩٠.

[2] لمن يكون هواها ١٨٥.

لكننا نلمح نوعاً من الجرس الأقوى الذي يتجسد في قوة الصوت، حيث تكرار الهمزة مرتين في الشطر الأول، وتجاورت الهمزة مع الهاء في (أهواك) لكن شيوعها على الألسنة جعلها تخف عليها، وكذلك كرر حرف الكاف في الشطر الأول، وكرر حرف الهاء والراء في الشطر الثاني، لكن حروف المد جعلت الصوت يمتد كي يخفي ثقل
تكرار حروف الحلق.

وتكثر حروف الهمس في البيت الثاني كالكاف، وتكرر الحاء، والتاء مرتين في البيت وتكرر الميم أربع مرات ولكنها من حروف الرخاوة، فلم تحدث ثقلاً وكرر حرف السين في البيت الثالث، و لم يرد من حروف الإطباق إلا حرف الطاء، وتكررت النون من حروف الرخاوة ومن الشدة حرف القاف، لكن ورود لفظي قيس وليلى أوحى برقتهما فلم يبلغ البيت مرحلة القوة.

والبيت الرابع لم يكرر حروفاً ماعدا التاء الحرف الهامس ثلاث مرات، وتكاثرت حروف الهمس فيه.

والبيت الخامس تكررت فيه النون والتاء أربع مرات والنون من حروف الرخاوة، والتاء من حروف الهمس، فألانت البيت وجعلته هامساً، و لم يبلغ الثقل في مخارج الحرف. فالأبيات تميل إلى الليونة والسهولة أكثر من وصفنا لها بالرقة.

ولكن الشاعر حين ينتقل إلى غرض غير الغزل تنتقل أبياته إلى القوة حيث تدخل حروف القلقلة. والقوة مثل العين، وكرر حرف القاف أربع مرات، في البيت لكن خفف من شدتها المعادلة التي أوجدتها الحروف الهامسة حيث كرر السين ثلاث مرات في البيت.

وفي البيت الثاني كرر حرف العين وهو من حروف الحلق، والصاد، والطاء من حروف الإطباق، فظهرت القوة لكن خفف منها تكرار حرف الراء في البيت ثلاث مرات.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي البيت الثالث كرر حرف الجيم من حروف الشدة، وحرف العين من حروف الجهرية وأورد الصاد لكنها حرف واحد :

عندما تشرق الحقيقة في نفسي وتسمو ويستفيق الضمير
عندما تصبح البراعم في الروض زهوراً ويستطاب العبير
عندما ينجلي الدجى عن صباح يغمر الأرض من سناه النور
يزهر الكون بالهوى ويغني الطير رهواً وينشى العصفور[1]

الدلالة الشعورية في اللفظة :

عندما نعود للفظة الشعر فإنه مأخوذ من الشعور الداخلي، فالشعر ملازم للتجربة الشعورية والشاعر اسم فاعل من شعر، فهو الفاعل المتفاعل مع وهج الإحساس الداخلي، والواقع أن لكل لفظة، معناها المعجمي الذهني، لكن هذه اللفظة لها دلالتها، والشعر الرومانسي يريد أن يعود بالكلمة لمعناه الذهني المجرد، أو معناها الشعوري القديم، لكن لا سبيل إلا بالاستعانة بالمعنى المعجمي، وهو يريد أن تكون الدلالة الإضافية نابعة من الشعور الداخلي للشاعر بل هذه الدلالة الشعورية ترجح بما عداها. الأمر الذي جعلهم يشحنون اللفظة بمشاعرهم، وليس هذا وحسب، وإنما جعلوا الدلالة الشعورية للكلمة معلماً فنياً لا نظير له في جماليات الشعر.

والمتأمل في شعر الوجدان في بلادنا يجده يحمل شعوراً متدفقاً في مجملة، لكن قوة الإيحاء الشعوري باللفظة تتفاوت من شاعر إلى شاعر، بل من تجربة شعرية إلى تجربة، لكن الشاعر يغمس اللفظة في أحاسيسة، فتتجلى تحمل مضموناً مكوناً من المعنى الذهني، وخاصية الشاعر الدلالية، وأكثر ما تشع الدلالة من اللفظة عند شعراء الغربة مثل محمد فهد العيسى، والرميح، وابي أحيمد، ومحمد حسن فقي،

---

[1] لمن يكون هواها ١٨٩.

وتكون لها دلالتها القوية عند الشعراء الغزليين كغزليات الأمير عبد الله الفيصل، ويحيى توفيق، وتظهر الدلالة الشعورية في غزليات حسن القرشي، ونبض طاهر زمخشرى. وتظهر الومضات الشعورية في شعر سلطانة السديري، ورقية ناظر، ومريم البغدادي.

والشاعر محمد فهد العيسى من الشعراء الذين تشتعل أحاسيسهم قلقاً واضطراباً وتتأجج بالآهات والاشتعال، وهذه تجلت في ألفاظه، وفي قصيدته (دروب الضياع) تلج اللفظة في أتون من الوهج المستعر الداخلي، فتشعر أن الألفاظ تنقل لك مشاعر الحائر التائه، المهطع في دروب لا يدرى غايتها ولا إلى أين تنتهي، فالغرق التى تحمل دلالة قوية فتستدعي البحر ماثلاً أمامك، ثم يتحول هذا البحر إلى نوع آخر هو بحر من الحيرة لا من الماء، والحيرة من الفكر لا من المحسوس فالغرق أخذ خاصية الشاعر، فانتقل من الغرق المائي إلى الغرق الفكري ودلالة الحرف (في) الظرفية، فهو يحتوي إلا محدود، ويحتويه المتاهات :

أفكر

أغرق في حيرة الفكر

فى اللامدى

في المتاهات عبر الضياع

لا أسمع إلا صدى

ضياع ضياع

فالشاعر تتقاذفه أمواج الفكر التى لا نهاية ولا قرار لها وهو فى هذه الأوهام والتيه في خلوته الفكرية والبشرية يصاب بالرعب والفزع فتزداد الألفاظ تعبيراً عن الشعور فلفظة تجتاح، وتلتف، ويصفع والعويل كلها ألفاظ ازدادت دلالة، ونقلت لنا ذلك الغليان الداخلي، والرعب المريب الذى يستوطن قلب الشاعر :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وتجتاح نفسي رؤى مفزعة
وتلتف حولي حبال الظلام
كما التفت الجن بالزوبعة
ويصفع سمعي عويل الصدى
ضياع ضياع[1]

وقد حملت ضياع دلالة شعورية صحبت تنامي قوة الإحساس به في كل مقطع.

وأحاسيس الشاعر محمد حسن فقي تغلف ألفاظه، وشعوره يتراءى في تراكيب نصه وصوره الفنية وهو يكثر من ألفاظ الذاتية التي تحمل وهج الأنفعال الدخلي فمثلاً تكثر الألفاظ التي تحمل نظرته القاتمة في قصيدته (ملاك وشيطان) حوار نفسي وتأنيب ضمير موجع في القسوة على الذات، فالقاع التي استعارها لأحاسيسه، وذاته ونيته ومقصده في الحياة فاللفظة حملت دلالة شعورية كادت أن تفرغها من معناه المعجمي، وأودعه عالماً جديداً، فالدياجير تحمل ظلمة الشاعر ذاته، وكذلك دلالة القبر الموحشة لهذه الذات، وهذا ينطلق من الجدل الشعوري الداخلي، حتى أن الظلام حمل مدلولاً غير الرهبة فهو لا يخشاه، إنما يخشى هول النفس، وهو غاضب على بيئته التي عبر عنها بالمرعي فاللفظة أخذت دلالة سيئة من إحاسيس الشاعر، فمصدرها ويل، فهي وبيلة :

أيها القاع، ما أرى في دياجيـ ... ـك الكنيبات . ومضة من شعاع
أنت كالقبر رهبة رُبَّ نفـ ... ـس أنزلت رَبّها إلى شرقاع
ما ارتياعي من الظلام ولا الصمـ ... ـت ولكن من هول نفسي ارتياعي
أي مرعى رعته من هذه الأرض ... خبيثاً من دون كل المراعي[2]

---

[1] الإبحار في ليل الشجن ٦٧.

فإن نفس الشاعر المظلمة جللت الألفاظ بصورها المظلمة، لكن تكثر عنده الألفاظ الوصفية للحالة النفسية.

والشاعر الحجي يصور تصويراً مباشراً وقع الغربة على نفسه، فهو يرى الجمال لكن شعوره يحوله إلى سواد فيتجاوزه إلى ما وراءه، وإذا فرح، فإن ذاته تستدعي ما وراءه من حزن وألم، فأحاسيسه تستدعي المظلم دائماً.

إن نظرت الجمال غضاً طرياً ... يتجلى في المنظر الخلاب
لاح لي أسود المصير كمسو ... دِّ الليالي مكشر الأنياب
فرأيت الجمال يطوى بأكفا ... نٍ ويبلى ممزق الأسلاب

☆ ☆ ☆

وإذا ما الحياة قلبي يوماً ... فرحته بزورة الأحباب
أيقنت نفسي الفراق طويلاً ... ورأيت الوصال مثل السراب

☆ ☆ ☆

هكذا كنت : في حياتي عجاب ... يا لقلبي من هول هذا العجاب !
الحظ القاتم المرير من العيش م وأبكي على الضياء الخابي
وإذا لاح لي البهاء وضيئاً ... قلت : يا دهر ليس ذا من حسابي
وإذا أعجب الأنام بشيء ... بت منه في موقف المرتاب[1]

إذن فإن أثر الأحاسيس الداخلية أفرغ الألفاظ من معانيها الأصلية وكساها معانياً جديدة تحمل مشارع الشاعر السوداء ـ التي لفعت الألفاظ بالسواد.

وأشواق طاهر زمخشري ـ تتدفق عبر ألفاظه فألفاظ، انا، المحامر في دمي، أشجاني ألفاظ امتلكها الشاعر بدلالته المضافة إلى معناها الذهني المعجمي.

---

(٢) الأعمال الكاملة ٤ : ٥٠٤.

(١) ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ٢٠٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنا في انتظارك

والمجامر في دمي شوق

تحرك ناره أشجاني

فكلمة (أنا) لها ذاتيتها وتوجيه الانتباه إليه، والمجامر اقتبست دلالة شعورية من (في دمي) والألفاظ في العبارة الأخيرة تآلفت لتكون كل منها فيضاً شعورياً وتتآزر لتحمل دلالة كلية.

ثم (قدر) الكلمة التي تدل على وقفة نفسية، ولفظة (شرقت) نقلها من دلالتها الحسية إلى دلالة شعورية تشبه الشرقة الحسية :

قدر أراد

لنا الفراق فشرقت بي ..!!

نحو دارك حيرة الولهان

ثم يأتي بضمير المخاطبة توكيداً للفاعل فيه دلالة شعورية، إنها هي فاعلة الرحيل ودلالة الرحلة إلى الغرب دلالة شعورية أن هذا الحب أفل ولن يعود :

ورحلتِ أنت

على رفارف لهفة .. للغرب

حتى لا يكون تدان

لكن على

التباعد بيننا

إننا على فنن الرضا غردان[1]

والشاعر يحيى توفيق تفيض ألفاظه بأحاسيس الوجد الذي يصحب خطرات

---

[1] صبا نجد ٥٠.

الحكاية الغرامية، فهو ينقل الوجيب المصاحب للحادثة، لا الانفعال الذي يكون من الصدمة الوحشية، وإنما هو صدى مباشر، فلفظة أحاذر ونشوانا، وسكرة، واشرعت، ومغرد، والهمس :

وجئت لميعادي وقد غاب أهلها	أسير بأشواقي وأسرع في سيري
أحاذر نشوانا وفي القلب سكرة	ألذُّ على الوجدان من سكرة الخمر
فلما رأتني رحبت بي وأشرعت	عيوناً تذيب الصخر تومض بالسحر
وراحت تحييني بصوت مغرد	وثغر عفيف الهمس يعبق بالعطر
هواها بقلبي مستقر وثابت	وحبي كما قدّرت في دمها يجري[٢]

فإن رقة العاطفة الوجدانية، وصدى فرحة اللقاء يشع من كل لفظة من ألفاظه فالصدى عند العاشقين غير الانفعال عند المغتربين.

ومشاعر الشاعر تغمر ألفاظه، وتكسوها رقة، بل إنها تريه كل شيء جميلاً بل إن الناس من حوله يرون ما يراه جميلاً يقول أسامة عبد الرحمن :

أنت من أنت ؟ جمال يعشق	وربيع الحب إذ يستشق
نفث السحر عليه روعة	كل قلب لو رآها يخفق
أنت من أنت تلك لحظة	أملاك الحب لا يستنطق
يطفح البشر عليها إذ ترى	وجهك الضاحي صباحاً يشرق
كل ما حولك شفاف المنى	كل ما حولك روض مونق[١]

فلفظة الضمير العلم أصبحت مذهلة؛ فإنه انبهر من هذا المشهد الجمالي، فهي الجمال كله فمنح لفظة الجمال صورة المرأة ومنح المرأة معالم الجمال كلها،

---

[٢] أودية الضباع ٩٤.

[١] شمعة فداي ١٣٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم لفظة ربيع، فإنها نابعة من إحساس الشاعر بجمال وروعة تلك الأيام، وهذه السحر الذى ظلل المحبوبة إنما هو صدى رؤية الشاعر لهذا الملاك، بل يرى أن جمالها هذا نافذ إلى القلوب كلها، ولفظة يطفح ذات دلالة شعورية فقلبه فاض بالماء كالجدول بالفيضان.

معجم الألفاظ :

أودع الشعراء أحاسيسهم الوجدانية الألفاظ في كل مسارب تعبيرهم حتى ظهر ذلك في عناوين دواوينهم كما هو في ديواني عبد الله الفيصل ــ وحي الحرمان، وحديث قلب، وهى ألفاظ لها إيحاؤها الشعوري الوجداني ــ وقبله مسميات دواوين زمخشري ــ فقد سمى دواوينه تسمية رومانسية وجدانية، فهى، أحلام الربيع، صبا نجد، أحلام الشاعر، همسات، زفرات، أطياف، أنفاس الربيع وغيره.

ودواوين حسن القرشي، البسمات، سوانح وخطرات، موكب الذكريات، في رحاب القلب، سوزان، وأشد إيغالاً في الوجدانية والهروب دواوين الشاعر محمد فهد العيسى فله دواوين هي : دروب الضياع، الإبحار فى ليل الشجن، ندوب، حداء البنادق وعلى مشارف الطريق، ولمقبل العيسى ديوان الهروب من حاضر، ولمحمد الخطراوي غناء الجرح، وهمسات في أذن الليل، وحروف من دفتر الأشواق، وتفاصيل فى خارطة الطقس، وديوان، عطر وموسيقى للجواهرجي، وأودية الضياع ليحيى توفيق، وديوان الريح والرماد لرقية ناظر.

وحين نتصفح دواوينهم نجد الرومانسية في عنواين قصائدهم، فمثلاً نجد عند القصيبي، ضياع، وهم، قافلة الضائعين، حيرة، حرمان، وعند القرشي نجد ضباب، بعد الحرمان، حنين وهيام، حيره، شعاع، ونجد كثيراً من هذه العناوين ذات الهروب عند محمد حسن فقي، حيرة نفس، ما وراء الحجاب، وغربت الشمس، دموع وأنين، حيرة وألم. ولمحمد فهد العيسى باع طويل في دلالة ألفاظ

عناوين القصائد، كالرياح السوداء، ظمأ، خيمة على القمر، دروب الضياع، أعاصير الجراح، هجرة الطيور، المدار، إبحار.

وتكثر في شعرهم ألفاظ، الحب والوله ، والعشق ، والوحدان ، ومنها ألفاظ الهروب والمساء، الخريف، تساقط الورق، وكذلك الأعاصير، والرياح الهوجاء، والمجاديف، والسفن، والهروب إلى القمر، والأنين والحنين، والجروح النازفة وغيرها من الألف المؤثرة التى تحمل دلالة عند كل شاعر لكنها تجتمع في دلالة شاملة عند الشعراء.

ومن الألفاظ الشعورية التى تدرج على ألسنة الشعراء، وتكثر في شعر القصيبي، وتزخر بالدلالة الشعورية البحار، والمجهول، والظلمة، الشاطىء، الترح، الوهم، الألم، وهناك أسلوب النفي فالربيع بلا زهر، السأم، الليل، والألفاظ التى تدل على المتوحش، كالذئب، ورياح اليأس والأشواق الحمراء، وذبول الزهور :

يا بحارا من المجهول مظلمة	ماذا وراءك إلا شاطىء النزح
ويا ملاكاً ظننت الرفق بسمته	انظر إلى نصلك المزروع في فرحي
واليوم أفتح أجفاني على ألم	ينساب من ألم ينصّب في ألم
على ربيع بلا زهر على شفة	بلا رحيق على أنشوطة السأم
تركت من ظلمات الليل أودية	تقضم روحي، وذئباً يرتدي جسدي
تركت أشواكك الحمراء في شفتي	تركت أطوافك السوداء حول يدي
تركت من كبريائي زهرت ذبلت	فجرتها رياح اليأس في كمدي[1]

ونجد أن معجم القصيبي جمع دلالات شعورية، وفكرية، تلتحم في وجدانية ترقى به إلى الحب السامي الشامل، لكنه يكتسي بضبابيه دائمه من مثل القيود

---

[1] المجموعة الشعرية ٣١١٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وصراع الصمود، وكأن الحب بلسم يداوي الجراح والهوي ليس ذاتياً متدانياً، وإنما يوصد دونه ألف باب :

لعليَّ اطرق .. أرمي الصمود
واكشف للشعر سرّ المصابْ
☆ ☆ ☆
أخا الشعر ! فيم نصوغ القصيد
ونبني على الغيم شم القباب ؟
☆ ☆ ☆
أننشد للحب ؟ يا للجريح
يظلّ يغنّي بسحر الحرابُ
☆ ☆ ☆
عرفنا الهوى نظرةً القيتْ
وعذراء من دونها الفُ بابْ
عرفنا الهوى شهوَةً لثمتْ
بطهر الملائك جوع الذئاب
عرفنا الهوى جثةً في القيودِ
عرفنا الهوى دعوةً لا تجابْ
☆ ☆ ☆
أننشد للمجد ؟ يا للغباء
وأمجادنا كبياض الغرابْ[1]

وتكثر في ديوانه الرياح، والعواصف، والسراب، والدود، لكنها تمتزج بالعشق والهيام والوله، فألفاظ معجمه صراع بين الخير والشر.

---

(1) المجموعة الشعرية ٣٧٤.

وشعراء الغربة يكثرون من الألفاظ التي تنبيء عن الهروب والاحتجاج على الواقع، من مثل الخرساء، والصمت، والسر الدفين، والتيه في الصحراء، الضياع، والتحطيم، ووحشة القبور، والقفر، والخيال :

يا خرساء .. لم لا تفصحين ...
وتنبئين ..
عما وراء الصمت من سر دفين ؟
أواه يا صحراء لو تتحدثين

☆ ☆ ☆

صحراء
ضاعت إغنياتي
في التلال
وفي الجبال
والروض ـ قفراء ـ حرور
أنا لا أرى إلا خيال

وهم يتهيون في كل مواطن التيه، وفضاء الرعب والخشية، الخوف والحروب، وبين الدروب، ونفي الخير ليلتقي في مسارب الشر، مثل لا ظلال ولا رجاء ولا وفاق ...

من شجيرات (العُشَر)
مثل البشر
ينتابها خوف الحروب
بين الدورب
وكأنما ولد السلام
فلا سلام

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا ظلال .. ولا رواء

ولا هناء .. ولا رجاء

ولا وفاق .. ولا ونام

وهناك ما بين (الُعَشر)

أشباح شتى من شجر

الحنظل المسوم .. كالذى انحسر

وأطل نحو الرمل ـ يخشى ـ فى حذر

صحراء ..

يخشى أن يبين

بعد الرياض الخضر ..

بعد الياسمين ..

صحراء ..

يا خرساء لم لا تفصحين ..

وتنبئين ..

عما وراء الصمت من سر دفين ؟

أواه يا صحراء لو تتحدثين ؟[1]

وهذه المقطوعة الشعرية تمثل معجم الشاعر اللفظي وشعراء الغربة التى تكون غاية في إبداعهم، ويتصحر إبداعهم بزراعتها بأحاسيسهم الشعرية لتنمو بالتبرم والألم.

ومن الألفاظ أجراس في قول :

قلب ابن آدم مفعم بمنازل ولكل منزلة به أجراس

(1) ابن إدريس، شعراء نجد المعاصرون ١٢٤.

الصدود في قوله :

والكره شيد في القلوب موانعاً دون المنازل، و.. الصدود أساس[٢]

الليل والشتاء في قول الشاعر :

أنتِ والليل والشتاء هنا في حجرتي في سريري الموهون

وتشعلين سكوني في قوله :

تطئين اختفاق قلبي وتوريـ ـن حنيني وتشعلين سكوني[٣]

وتظهر في شعر القرشي كثير من الألفاظ الرومانسية مثل : ذوب الشعاع، المغيب الحزين، رعشة من الحب، الكواكب، أثير الغرام :

وتهمس لي : ذاك ذوب الشعاع ترامى على شفة المغرب

وثم ظلال المغيب الحزين تحرق في دنوة المغضب

فأفلت منك وبي رعشه من الحب، من بطشه المرغب

معاذ الهوى أن يشوب الفؤاد سوى الطهر يألق كالكواكب

رويدك إني أثير الغرام بقلبك يا منتهى مطلبي[١]

وتظهر ارتعاش الجفون، سحر الأفق، أمشعلة النار في أضلعي، بقايا الشفق في قوله :

وأعشق فيك ارتعاش الجفون لدى همسة من فمي تختنق

واعشق فيك ائتلاف العيون إذا ما تمثلن سحر الأفق

---

[٢] منصور دعاس ، جراة قلب للشاعر ، ص ٥.

[٣] حسن عبد الله القرشي ، الديوان ص ٥٢١/١ .

[١] المرجع السابق ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥ ـ ٥٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمشعلة النار في أضلعي ومورية الهم عن الغسق

حنانيك شمس حياتي خبت وما تم غير بقايا الشفق[٢]

وتظهر في شعر إبراهيم عمر صعابي ألفاظ تمثل معجم الألفاظ الشعورية ومنها آهات النوى، انتقاضات التجهم كقوله :

تبكي بآهات النوى وتشدو بأسرار الحبور

ولها انتفاضات الرؤى ولها التجهم والسرور

ومنه أنغام تثور، صوت صاخب في قوله :

هي كل لحن هادىء هي كل أنغام تثور[٣]

ومنها : الحسرات، الحزن، الظلمات، حفوة، نسيم الفجر، طموح مؤزر، في قوله :

أحبك فوق الحب، فوق تصوري أحبك جرحاً دائم الحسرات

تكون من الأحباب ظلماً وجفوه وكم حرت من امرى لموت شكاتي

فإن نسيم الفجر أين هبوبه ومالي فجر في دنا البسمات

وقد هب في نفسي طموح مؤزر وحب وغرم دائب الخطوات[١]

ومنها : يا جراحي، نغمة الحزن، المخاطر، صوت الصقيع، قلبي الصريع، حطم القيد، البحر الوديع، طغى هذا الألم، خداع وشعور كاذب، آهات الندم، همس النسمات أطلالي في قوله :

---

[٢] المرجع السابق ص ٥٣١.

[٣] حبيق والبحر ٨.

[١] المرجع السابق ١١.

دقة الإحساس أم صوت الصقيع تحمل الوهم إلى قلبي الصريع
حطم القيد وعش في فلك يسرع الخطو إلى البحر الوديع
من خداع وشعور كاذب ينسج الحقد بآهات الندم
ومضى يسكب في نفسي حنيناً لرؤى الحب وهمس النسمات
هي أطلالي وفيها كل شيء يتغنى بترانيم حياتي[٢]

التراكيب :

هى الجملة التى تتكون من ألفاظ متجاورة، تكون عبارة أدبية لها دلالاتها، المنبعثة من السياق، والمعاصرون بحثوا السياق، وقالوا عنه إن : «معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورات وحدات أخرى، وإن معنى هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التى تقع مجاورة لها»[١].

ولذلك فإن الأديب لا يمتلك اللفظة إلا بعد أن يوظفها في أسلوبه لأنها تحمل شعوره، وفكرة ومضامينه لكن هذه الدلالات نبعث من مجاور لها للوحدة الأخرى.

ومعرفة الدلالة يقوم على دراسة الألفاظ منفردة من خلال تفاعلها مع النص، وأدرك النقاد العرب وظيفة التراكيب وأهميتها، وأفاضوا في الحديث عن أسرار، من نواحي النظرة النحوية، واللغوية، والصرفية، والبلاغية.

وما الدراسات البنيوية، والتشريحية والأسلوبية إلا نابعة من دراسة اللفظة من خلال النص لكنها تعود بها إلى تراكم المدلول القديم والاجتماعي، وينظر إلى موقع الكلمة في السياق من الناحية اللغوية، والشعورية، والتراكم الثقافي، والموقف من الكلمة في الحاضر.

---

[٢] حبيبتي والبحر ١٧.

[١] أحمد مختار، علم الدلالة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأثر الوحدان في التركيب يتجلى واضحاً، فإن المضمون هو الذي يفرض شكل الصياغة، لكن في حدود المعيارية، وهذه المعيارية لا تكبل التدفق الإبداع بجميع جوانبه إلا عند ضحلي الثقافة.

فالشاعر الوجداني الأمير عبد الله الفيصل لم يخطر بباله أن يفكر في تركيب الجملة لتشاكل المضمون والدلالة الشعورية، وإنما استجابت الشكل الفني الفيض المؤثر الخارجي والداخلي، وظهر أثر تلك التجربة النفسية في الشكل، فكأنه خضع لها خضوعاً ومن ذلك قصيدته (الحرمان)، فنجد أنه استهلها بجملة (أنا ضقت بالحرمان) فقدم أنا مع قدرته أن يستغني عنها لأن (ضقت بالحرمان) تدل على المضمون، لكن لما كان الأمر يُعنى بالذات ففرضت وجودها في الابتداء، فالذات محور الارتكاز، فبرزت (الأنا) لتصدر الجملة، وهو لم يكتف بذلك بل أخر جملة الدعاء مع أحقيتها بالتقديم :

أنا ضقت بالحرمان يا ربي والرأى من حولي فما ذنبي

حتى الظرف (حول) الذي من حقه التأخير لما ارتبط بالشاعر احتل المكانة الأولى في الجملة :

حولي شباب ضاحك يانع كالزهر في أحلى ليالي الربيعْ

وقد كرر لفظة (حولي) في صدارة الأبيات في أربع مرات. ولما قرن البدر بذاته في صورة متكاملة جعله يحتل المكانة الأولى في الجملة فملاحقة الشاعر لرغباته التي لم يدركها كملاحقه البدر للسحاب :

والبدر من فوق الربى ساطع يلاحق السحب ولا يستطيع

والجار والمجرور عندما ارتبط بالشاعر أحتل صدارته في الجملة في قوله :

(وفي نفسي) وصورة الماضي أراها وفي نفسي بقايا للشجى والشجون[1].

وهم يوظفون الجملة الفعلية لتأكيد الأرتباط بين الزمن والحدث، ويميلون أحياناً إلى المضارع للتكرار أو أمله أو استحضار له مما يشير إلى علاقة في نفسية الشاعر فتزخر قصيدة (يوم الوداع) للشاعر يحيى توفيق بحشد أفعال المضارعة فيسليني أكدت معنى (لا شيء) فكلاهما يومىء إلى استحالة التسلية في المستقبل مع أنه وظف الفعل الماضي لتأكيد الغياب الجسمي لكن التسلية تنضب، ولن ينسى :

يا يوم مولدها لاشيء يُسْلِيني عنها ولا بعدها عنّى سيُنسيني

غبات فغاب شروق الشمس عن أفقي وكاد طول الأسى والقهر يرديني

وهو ختم الأبيات بفعلي المضارع لإيحاء تكرار فعالية محاولة النسيان فلا يستطيعة، ومحاولة اهلاك التى تقترب منه في كل ذكري.

ووظف المضارع لسكنى الشوق، ومعاودة الصمت والأشجان، والضناء :

حبيبتي رحلت فالشوق يسكنني والحزن يخرسني والسهد بشجيني

أه من الشوق يا ليلاي يحرقني شوق إليك إلى عينيك يضنيني

إذن فتكثيفه لافعال المضارع نابع من تفاعل شعوري، فهو أودع البيت الأول يسكنني، ويخرسني، ويشجيني، وفى البت الثاني يحرقني، ويضنيني. ويكرر أفعال المضارعة بدلالة شعورية فى حلّ أبيات القصيدة :

كم يوقظ البعد أوجاعي ويشعلها فأين أنت بروح الحب ترقيني

فيوقظ، ويشعلها، وترقيني كلها توحى باشتعال الحب الداخلي في كيان الشاعر. ويتنامي مع الفعل ليجعل منه وظيفة جمالية إلى جانب الوظيفة

---

[1] حديث القلب ٥٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الشعورية، فتكرر الكلمة بحروفها، وصياغتها يكون الموسيقى بمذاق خاص، فهو كرر تكفيها ويكفيني، وأرويها، وترويني :

قد كنت أحسب أيامي وأسألها ... هل أسطر العمر تكفيها وتكفيني

لكي أذيب شبابي في أناملها ... وأبذل القلب أرويها وترويني

راحت تقبلني يوم الرحيل وقد ... كادت لفرط الهوى تبلى وتبليني

ودعتها ودموعي لا تكف أسى ... وعينها جزعاً تبكي وتبكيني[1]

وقد نهج بعض شعراء الوجدان منهج الرومانسيين في نثرية الشعر.

فقد جاء بما يشبه الكلام الدارج وعلى ألسنة العامة مع فصاحته، وتعابير قريبة التناول كقول الشاعر :

في ليلة مظلمة كئيبة ... قلت لنفسي : أيها الحريبه

إلى متى سوف توالين السهر ... إلى متى سوف تجافين البشر

التهم استشرت ولم تحتفلي ... بمقتل يصاب إثر مقتل

وهم يظنون بك الترفُّعا ... فكلهم غداً عليك مبضعاً

مشرحاً منقباً عن عورة ... وفي القلوب غضب وثوره[1]

فهذا نظم تقريري بل اقترب للنثرية بتحدد حروف الروي لكل بيت وهو لا يكلف نفسه عناء عن التأمل في بناء التراكيب إنما نظمه بما تبادر إليه من اللغة مشاكلة للمضمون. وقريب من هذا قول الشاعر محمد حسن عواد :

أين حبي ؟ أين أحلامي الكثار ؟ ... أين آمالي ؟ أين السعد ؟ أين

أين أشباح خيالاتي الكبار ... أين ما كان لنا طوع اليدين

---

(1) سمراء ١٩.

(1) محمد حسن فقي، الأعمال الكاملة ١ : ٢١٣.

أين قلب كان يغضي، ويغار　　أين لذات المنى في الحالتين[٢]

فكل فرد قادر على أن يضع هذه الأسئلة، فهو كلام لا يستعصي قول مثله:

أنا وحدي، وأنت يا حلو وحدك　　أتراني أطيق ما عشت بعدك

لا وحق الهدى . وأنت المفدى　　ما سلوت الهوى ولا خنت عهدك

والدموع التي أطارت صوابي　　حين سالت ولهى تداعب خدّك[٣]

فهذا أشبه بأقوال المراهقين فكلمة يا حلو دارجة على ألسنة العامة، وكلمة أطيق وأطارت وسائر الكلمات من المبتذل لكثرة تداولها مع فصاحتها. وكثر من الشعراء الوجدانين يقتنص مفرداته من لغة بيئته، ولا يشقى نفسه بالبحث عن لغة أكثر إشراقاً.

والشاعر يترك فضاءات كي يتأملها القارىء، ويتداخل مع النص ويشارك المبدع إبداعه، فيضيف مايبادر لخاطره : وأكثر ما تكون هذه الفراغات عند الشاعر محمد فهد العيسى، فهو يضع علامات الترقيم الموحية، ومنها ثلاثة نقط متوالية على السطر، فهى دلالة على حذف من الجملة :

حيرى ...

إعصار يلويها ... يلويها

مزقها ... ألقاها في يم ...

جردها الثوب ... بقايا ثوب ...

علكتها الحيتان ...

بقاع خضم

غَرقت في الدمع ...

---

[٢] نحو كيان جديد ٣٤.

[٣] عثمان سيار، ترانيم داله ص ٣٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اختفت ... غصت[1]

فهذا الحذف يزيد الغموض، ليطول التأمل.

والشعر أكثر من استخدام النداء ولاسيما الياء، وكذلك الاستفهام بكم، وأسلوب النداء فيه طلب الإعانة والمناصرة، والشعور بالوحدة أو الضعف، وهذا يولد الملل والسأم الذى يولد سؤلاً يتلو سؤالاً يدل على استثقال الحياة بشجونها، وآلامها، وما فيها من زفير وحنين وكم ضحايا، ولواعج تشعل القلوب أنه أسلوب الجملة الإنشائية التى تفتق الفكر بالأسئلة، وتحشد الانتباه بالاستغراب من هذه القضايا:

يا ليل كم لك فى الحياة شجون ... يا ليل كم لك زفرة وحنين

يا ليل كم لك فى الغرام ضحية ... خدعت واثقلها سُهَى وأنين

يا ليل فى نفسى ثور لواعجى ... وعلى الحشا ألم ـ يحز ـ دفين

حتى م تذرف فى الليالى ادمعى ... وعلى م قلبي بالشقاء رهين

وعلى م يخدعنى خيال شارد ... ويذيب فى قلبي المنى ويخون

يا ليل ماتت فى فمى وخواطرى ... أنشودة قد صغتها ولحون

يا ليل ما للناس حين صدقتها ... بالحب قالوا (ساذج مجنون)

يا ليل أن أجفو يحاسبنى الوفا ... ولئن وفيت فموجع مقبول

يا ليل أنفاسى فهل أحصيتها ... ووفيت دمعى كالسحاب هتون

يا ليل قل لى ما الذى صيرته ؟ ... ماذا وراء شقاوتى سيكون ؟

لا شىء إلا ذكريات مرة ... ولظى يهد عريكتى.. وظنون

---

[1] دروب الضياع ٩٣.

وحطام قلب كل ما ذكر الهوى غاضت به زفراته تأبين[1]

وكونه يناجي الليل، ويتأمل أنين المحزونين، ودموع المظلومين، ومحاسبة النفوس، واستحضار الذكريات، بل يعايش الناس أفراحهم واتراحهم، ويسكن ليل كل منهم لكن ليل الحزن يمد ظلامه عليه، إن هذا التوظيف للجملة الندائية والاستفهامية، يكشف عن معاناة الشاعر الذاتية من حمله هموم الإنسان بل المجتمع من حوله.

وهذا الأسلوب يكثر عند شعراء الوجدان لمحاكاته لأحاسيسهم الرقيقة بعاديات الزمن وتأثيرها على الفرد.

ويهتم الشاعر محمد حسن فقي بالفكرة، ويجعلها محور عنايته، ولذلك تأتي بعض قصائد بما يشبه النظم، فتخلو من صنعة المعالم الجمالية، ويتضاءل فيها التدفق الشعوري يقول :

مزقت جلدي .. يا ظلوم .. كما سقيت دمي الترابا
وتركتني يغمى عليَّ .. فلا اعتذار .. ولا عتابا
لو قد فعلت لهان جرحي .. وارتضيت لك المتابا
لظلمتني .. وظلمت نفسك .. حين جانبت الصوابا
ما كنت بالرجل الشجاع .. لتكرم الرجل المصابا
قف مثل ما يقف الكريم إذا تورط واستزابا
لا كالجبان يفر حين يرى المخاطر والصعابا
قد كنت أصفح عنك .. لو أني رأيت بك الجوابا
ما زيّنت هذه النقيصة لا الشيوخ .. ولا الشباب[2]

---

[1] ابن إدريس، شعراء المجد المعاصرون ١٦٤.

[2] الاعمال الكاملة ٤ : ١٤٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والباحث حين ينظر إلى هـذه الأبيـات، يقـف علـى مشـهد عتـاب كـاد أن يحدث بين عامة الناس بل أنه استقى كثيراً من الألفاظ من البيئة، كمزقت جلـدى وسقيت دمي التراب، ويغمى على .. كلها تعابير شـائعة في المجتمـع، عنـد المتعلـم والأمـي، وأسـلوب الـتركيب أيضـاً مسـتمد من الـتراكيب الاجتماعيـة الشـائعة، فأسلوب النداء بالصفة هذه شائعة عند المتعاتبين المحبين وأشد أبتذلا منها (سـقيت دمي التراب)، وكذلك التعبير (يغمى علـى) شـائعة، فكـل واحـد يقـول : يكـاد يغمى على إذا داهمه أمر من الأمور.. واستخدام لو فعلـت لا تكـاد تنـد عـن أي إنسان، وأجزم أن كثيراً من العامة يأتي بتعبير أفضل مـن قولـه : (وارتضيـت لـك المتابا).

وأي معنى لطيف، أو منزع أدبي في قوله : لظلمتني وظلمـت نفسـك حـين جانبت الصوبا) إنها نثرية أشبهت نثرية البهاء زهير.

وهل هناك زيادة في المعنى أو المبنـى في قولـه : مـا كنـت بـالرجل الشـجاع لتكرم الرجل المصابا، أنها ألفاظ شائعة، وترتيب الجمل يدرج على النسق الموجود في المجتمع، والإيحاء من الجملة هو ما يبتغيه المتكلم العادي ثـم إن هـذه العبـارة في البيت كاملاً تغني في لغة الشعر عن التفصيل.

بالبيـت التالي (لا كالجبان يفرحـين يـرى المخـاطر والصعابـا)، لأن المفارقـة للفظـة الشـجاع في البيـت السـابق توحـي بفـرار الجبـان، لكنـه كـرر المفهـوم مـن العبـارة والشرح لها.

وكذلك بيته (قد كنت أصفح عنك لو أني رأيت بك الجوابا)، فهو أسلوب أقل ذوق من أسلوب كثير من المتكلمين الشعبيين، فرأيت بك وكان الأولى منك، والجواب كلها ألفاظ سوقية شائعة. وما أثقل (ما زيّنت هذه النقيصـة) فألفاظهـا غير شاعرية، وتركيبها لا ماء فيه.

ثم هو يدعم الأبيات بأبيات ترسف في السوقية والابتذال من ناحية ألفاظهـا

وتراكيبها وصورها :

إني لأعجب للنذالة ثم استغلى العجابا

هي كالـتراب .. فلـن يطـاول ـ مذلتـه ـ الـسحابا

وهي التي تخشى العقاب .. وإن أبت إلا العقـابا[1]

فهذا الأسلوب النثري المنظوم يشيع بين شعراء الرومانسية، ولا رواء له ولا أشراق إلا إذ داخله الإحساس الشعوري، ونحن نفتقد الإضاءات الشعورية. ولكن الشاعر في كثير من شعره يرتفع عن النثرية، بمضمونـة، وفكره، وخياله وصياغة تعبيرة حين تلمع له فكرة غير مبتذلة أو يرقي بمخيلته، فتمنح المضمون إشراقاً أدبياً، وتتوائم التراكيب منها :

رقيت إلى كواكبنا العوالي أزفّ على جناح من خيال

لأكشف ما تعجب من طباع وأعرف ما تنكر من خلال

فإن الكوكب الأرضي أضفى على أسراره سود الظلام

فما أدرى الكريم من السجايا ولا أدرى اللئيم من الفعال

وعدت أشك في نفسي كأن غدوت من الطلاسم في خيال[2]

لكن هذا الارتفاع لا يرتقي إلى الصنعة الإبداعية التي تعاني من أجل استقطاب معالم الجمال الفني.

وتشرق كلماته حين تنبع من مشاعره، وتمنح التركيب وهجاً شعورياً فنياً :

يا رضي التي هجرت.. فما ثم صداح في جوها ولحون

أنت ِ أنتِ التي تجنيت حتى ناح من بعد شدوه الحسون

---

[1] المرجع السابق ٤ : ١٤٢.

[2] المرجع السابق ٤ : ٢٢٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتجافاك سندس وظلال وتجافتك غيمة وعيون
أنت لولاي سبب وهجير لم يرطبها السحاب الهتون
إن تعودي أعد إليك وإلا هان عندي في الحب مالا يهون[1]

فهذه الأبيات غير مباشرة المعنى ولا تفصيل دقيق فيها، وتزخر بالصور فهو لم يباشر النعيم والرغد وإنما عبر عنه بالسندس والظلال، وعبر بصور الغيمة والعيون عن إقبال الخير وهكذا.

والشاعر طاهر زمخشري من شعراء بلادنا المشهورين ومن الوجدانيين المبدعين، وشعره يستل مشاعرة، فهي تفيض في إبداعة، وإبداعة مصهور في شعوره والزيادة الدلالية في اللفظة والتراكيب محصورة في الأحاسيس الشعورية، مع قدرته التعبيرية، التي لا معاناة فيها بحثاً عن الصيغ الجمالية والبلاغية.

لكن شعره يرتفع عن النثرية إلى الجزالة التي لا تبلغ درجة القوة، وإنما تتواصل مع السهولة التي لا تنزل إلى الرقه، وألفاظه وتراكيبه ملتصقات بذاته، بل إن الضمائر الذاتية تصحبها لتزيد الإضاءة الشعورية ومن ذلك قصيدته (الصيدح الغريد) يقول منها :

ذوب نفسي وخفق قلبي نشيد والمزامير بالحنايا تجود
تشعل الحب في الجوانح ناراً تتلظى وفي الجفون الوقود
فالهوى بالحنين يكوي فؤاداً والمعنى من لذعة يستفيد
ذاب وجدا، وكاد يفنى حنينا والبقايا من ذوبه تغريد
كلما شفه من الوجد إعصار وأكدى بطرفه التسهيد
عبر الليل فوق اثباج صمت ماج فيه الأسى فناح العميد

[1] المرجع السابق ٤ : ٦٦١.

واختلاج الآهات باللوعة الخرساء تشدو ولهفتي تستعيد[1]

فالشاعر يصب مشاعره في أحاسيس المتلقي بهذه المواجهة التي استهل بها قصيدته:(ذوب نفسي وخفق قلبي نشيد)، فهو بدأ بذوبان النفس، وثنىّ بخفقان القلب وختم الجملة بلغة شاعرية شعورية في(نشيد) فالجملة كلها وهج شعوري، والشعور لا يقف عند الحسّية الأولى بل ينسرب داخل الحنايا في إحساس بين القوة والرقة في حالة نفسية معتدلة، فلفظة الجود تدل على الاستلذاذ بهذه الأحاسيس.

وبعد أن استقرت الإضاءة الشعورية، فإنه يشعلها لتتحول إلى لهيب، فالاشتعال يوظف له الفعل المضارع الذى يدل على الدوام والتكرار، ويسنده إلى الفاعل صراحة في الحب، وهذا الاشتعال يتحول إلى جمر يستوطن العيون، ويوظف أيضاً الفعل المضارع لاستمرارية اشتعاله بقوله : (تتلظى).

وهو يوظف الجملة الأسمية للثبات والتقرير والإخبار، لكنه يغذيها بخبر مكون من فعل مضارع لتتمازج الخبرية، والتكرار (فالهوى بالحنين يكوي فؤادا) ومثله الشطر الثاني يبدأ بالابتداء ثم بخبر بمضارع (والمعنى من لذعة يستفيد) لكن لفظة يستفيد فيها فتور و لم يوفق الشاعر فيها فاللذعة تودى إلى الحرقة والرجفة لا الفائدة.

ثم يدخل في تعبير الفعل الماضي، للتنويع النابع من وحي التجربة وإشارة إلى استقرار الحالة وتمكنها(ذاب وجدا) ويتبعها بفعل ماض آخر كاد لكنه يخفف المبالغة بإيراد كاد التي تشارف على الشيء ولا تبلغه، والفعل المضارع أخذ مدلولاً آخر ليس من التكرار في شيء وإنما استفاده من مجاورة كاد أنه أخذ جعل الفناء للمستقبل (كاد يفنى) وما أجمل تعبيره حين قدم الروح المتبقية من المحب

[1] مجموة الخضراء ٣٩٠.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عصـــافير مغردة (والبقايا من ذوبه تغريدا).

وهو يهوي في أسلوبه في بيته الخامس فالمعادلة بين المؤثـر والنتيجـة لم يوفـق فيها الشاعر فأثر الإعصـار يكـون مدمـراً ولا يكتفـى بالسـهاد والأرق إنما وقعه يكون حاضراً مباشراً :

كلما شفه من الوجد، إعصار واكدى بطرفه التسهيد

وحتى عبور الليل والصمـت الـذى أراد الشـاعر أن يعـزز فيهـا مـن ضعـف البيت لم تعوض ما فات على الشاعر في قولـه : (عـبر الليـل فـوق اثبـاج صمـت) لكن الوهج يشتد في البيت السابع حين يستهله بالجملـة الأسمية، وصدمـة لفظـة اختلاج التى اكتسبت من مجاورة الآهات واللوعة نبض شعورها :

واختلاج الآهات باللوعة الخرساء تشدو ولهفتى تستعيد

وجعلها تعاود وتستقر أحياناً حين أتى بفعلي (تشدو، وتستعيد).

والشاعر القرشي يختلف تركيبه تبعاً لتجربتـه والمؤثـر فيهـا، فـإن صـدر عـن تجربة غزلية؛ فإنه له طـابع السـهولة وإن صـدر عـن غربـة نفسـية؛ فإنهـا تكسـوه بألفاظها وأسلوبها، وأن هاجر إلى الشعر الحر؛ فإنه يستدعى العقلية الفنية والتخيل الشعري، ونحاول أن نستجلى ذلك من بعض الأمثلـة ولنـأخذ حكايـة غراميـة لـه بعنـوان (عقـد علـى نحـر) فإنـه ينسـاب مـع الحكايـة إنسـياباً عضوياً، والألفـاظ وصياغتها تندفع مع الحركة الشعورية المندفعة فأنت أمام تلاحم اللغة مع المضمون ووشائج الاتصـال تتمثـل في إسـلاك المشـاعر ولغتـه ــ لا تنـدو إلى الرقـة ولا إلى الابتذال اللفظي إنما ينتقيه أو تتدافع إليـه مـن المخـزون اللفظـي الثقـافي أكـثر مـن استدعاء اللغة الاجتماعية :

دنوت والحيرة في مبسمي نضاحة والهمس لجيدٍ حـبيب

طوّقه عقد حـلا نظمه ... فكاد من روعته أن يسيب

وربعت الحسناء من جراة ... نادرة بل من دنو غريب

فسددت نظرة مستكر ... عميقة من لحظها المستريب

وغمت من لثغة حلوة ... وقد علا الخد إحمرار قشيب

من أنت؟ لا بل كيف تدنو أما ... عاقك من هذا حفاظ الأريب

فالتراكيب حملت وجيب الصدر لنا مع الألفاظ، وحملت الاستنكار الأنوثي واندفاع الصِّبا الطائش، وحملت لنا هيام الشاعر بالمرأة أي مرأة ذات جمالها، واهتزازه لمعالم الجمال فيها المعنوية والخارجية، فهو في هذه التقيد حصر إعجابه بالعقد :

قلت دعي هذا فما راعني ... منك الجمال العبقري العجيب

ما راعني غير سنا العقد هل ... تأبين أن الحظه من قريب[1]

والشاعر في وحدانياته الغزلية يستمد من نبع الشعور، ليكشف الدلالة ويجعلها معلماً فنياً. وكذلك تصويره المشاهد تصويراً حركياً، وبناء التركيب الذى يجمع بين القدرة التصويرية والإحساس العاطفى تلك هى سمات شعره الغزلي :

وهو في غربته، وتأمله يلجأ إلى التقريرية أحياناً في جمله، وتارة يوظف الصور التراثية والصور الحياتيه، ويكثر من إتيان الجمل الفعلية لأن التجربة تخضع للحدث ومعاناته ناجمة عن الأحداث الاجتماعية وردود الفعل الفردية :

برمت بوصل فاقه حلم نائم ... على أنه بين الرقي والتمائم

تعللني كيف التعلل والهوى ... يذيب فؤادى من جواه بجاحم

ولست الذى تُرضيه منك إبتسامة ... تمر مرور الطيف في ثغر حالم

---

[1] الديوان ٢ : ١١٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكنني أهواك رَيّا لخافقـي وبرداً لآلامي ونجوى لخافقي[٢]

لكنه حين يوظف الشكل الحديث من الشعر الحر تتجلى الفكرة عن طريق استدعاء الصور التي تنبع من تأمل عميق تراه يباشر تارة، ويوحي تارة أخرى لكن الكثافة تصحب التعبيرين معاً :

تكثر الآلام في أوطاننا
والبائسون الضارعون
والألى قد قبروا آمالهم
حيث سنا الشمس مكبل
وستار الليل مسدل
غائم أقق العروبة
تتحداه بروق ورعود
يتحداه جحود[١]

فصورة البائسين ماثلةويترك الشاعر القارىء يتأمل إلى أين يكون مصيرهم بعد أولئك الذين قبروا آمالهم قبل أن يُقبَروا، والنور محجوب عنهم ومن الذى حجبه وأسبابه ؟! ومن الذى أسدل الظلام الدائم عليهم بل على الأمة العربية بأسرها، ومن يصارع يسمع رجف الصواعق، ورشق المدافع.

لا يباشر القصيبي الحكاية الغزلية في تسلسل وتقرير، وإنما يوحي إلى الهزات الوجدانية الغزلية إيحاء، يتخللها وصفاً مباشراً لحركة جمالية، أو مشهد لمكان غزلي كالإيحاء بالملهى أو اللقاء :

خطرت .. وفي أحداقها حلم يضج بلا مجيب

---

[٢] المرجع السابق ٢ : ٤٤١.

[١] أطياف من رماد العروبة ٤٧.

والبسمة الحيرى تكاد تغيب　　في صمت الغروب

وقفت.. فضج الحفل وانخفضت　　أعاصير القلوب

وشدت بألحان الهوى　　أسمعت همس العندليب؟

يا للغناء يضيع في الصخب　　المدنس بالذنوب[٢]

فايحاء (خطرت) له علوقه النفسي، لكن التأمل الداخلي للشاعر يقفز ليشارك فى تحليل الموقف، فهو يرى الحلم الأنوثي من شعاع البصر، وينتقل صدى المشاعر الداخلية إلى الفتاة، فأرجح أن تكون الحيرة عند الشاعر وليست عند الفتاة الآتية للملهى، مادامت متمرسة، فعتمه الحيرة، والشك والتردد نابعة من مشاعر الشاعر التى تخضع لعقلية وجدانية، متأرجحة بين التهالك على الرغبة، والاحجام الضميرى:

يا للغناء يضيع في الصخب　　المدنس بالذنوب

وهو في هذا النص يوظف الحدث الزمني، فالفعل الماضى لتحقيق الحدث (خطرت) والفعل المضارع لما يحدث في المستقبل وتتكرر فاعليته (حلم يضج) والبسمة البارزة تغيب في وهج الشعور وتخفيها عتمة السواد في ذات الشاعر لا (والبسمة الحيرى تكاد تغيب).

وهو يوظف النداء حين مخاطبته للحبيبة، لأنها ملجأ،له فإن الصياغة تعبر عما يجيش في أحاسيسه، فنظرته للمرأة، حين يخاطبها من خلال وظيفتها المستقبلية لنفسية الشاعر، ولمنطلقه الفكري للمرأة، فهو يدعوها إلى احتضانه، وحمايته من الضياع، وأن تقف بجانبه تضمد جراحه من فاعلية الحب، ومن المؤثرات الخارجية معاً :

---

[٢] المجموعة الشعرية ٤١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حبيبة لا تتركيني للـــيل كئيب .. وفجر شحيح السنا
ولا تسلميني لدروب الضياع ولا تكليني لجرح الضـــنا

☆ ☆ ☆

أنا وطلول من الذكريات وصمت المساء وبُقيا المنى
أحن إليك حنين الغريب إذ ذكر الأهل والموطـــنا
أحسك في كل عرق نداء يضج ويهتف : إني هنا[1]

وفاعلية التراكيب عند القصيبي تنبع من قدرته على الإيحاء وعدم المباشرة ثم نقلها للزخم الشعوري الفكري الذي يشع صداه من خلال الإيحاء التركيبي.

فالشاعر القصيبي شأنه شأن شعراء الوجدان لا يلح على استدعاء معالم الظواهر البلاغية المعيارية في البلاغة، لكنه يسمو بفنه من خلال اللفظة الفصيحة التي لا تذوب في السوقية، ولا تغور في البعد، وإنما هي لغة المثقفين المشتركة مع كثير من الألفاظ الدارجة التي لا تبلها المداولة الشعبية الفصيحة، وهو يصنع له أسلوباً خاصاً يتمثل في عدم المباشرة لكنه إيحاء ذو احتمالات أو احتملين، وهو التعبير الذي ينقل لنا العمق الفكري والانفعال الوجداني بالقضايا الذاتية والجمعية، وربما بالإنسانية حين يجول فكره في نهاية المرأة المتبذلة.

والقصيبي يمنح اللفظة المفردة دلالة أقوى في شعره الحر، بل هو يفرد الكلمة أسمية أو فعلية بسطر منفرد لأنها تحمل في نظره مضموناً يحل محل البيت الشعري.

لم أعشق
والحب وهم أحمق
أكذوبة يلهو بها القلب الغبي
فيخفق

---

[1] المرجع السابق ٣٣.

أكذوبة تومىء إلى الطفل الغرير

فيعشــق

ويصدق

إن الحبيبة من ضياء[1]

فهو أسلوب تأملي لدلالة الألفـاظ التـى تنـوب عـن الـتراكيب وعـن كثافـة التراكيب ذاتها.

ويميل الشـاعر القصيبـي إلى توظيـف العبـارة ذات الدلالـة الشـعورية، فهـي تطفو أحيانـاً علـى دلالـة الكلمـة المشـحونة بالشـعور، فهـو في حيرتـه الوجدانيـة يستلهم المنهج الإداري الذي يكون تكوينه الذهني فهو مختـص بعلـم الإدارة ومـن هنا فإن الحيرة عنه لا تجد جواباً مباشراً وهو إذ اهتدى إلى العثور علـى الطريـق لم تكن الإجابة بالرفض أو الإيجاب، وإنما بلفح الغبار :

حرت يا أنت حيرة لسـت أدري　　بعدها كيف اسرد قراري

فكأني على القفـــار شـــريد　　تتلهى به رمال القفـار

كلما قال قد وجدت طريقي　　قذفته بحفنة من غـــبار

ويظهر جمال الرمز الإيحائى بالجملة فى إخباره عما نالـه مـن الفـم السـاحر، فالأقرب أن يكون التقبيل أو تأثير القول لكنه نزع إلى الإيحاء بفعـل شـهر آذار في ندى الحقول فهو شهر تزينت فيه الأزهار والورود وأضحـت نديـة وهـو لم يعلـن الشك، في مشاركة الحب لهذه الفتاة لكنه أشار إلى الناهلين منه والمنتظرين وهو لم يعلن أنه استراح من المعانة أم لم يزل لاهثاً لكنه عبر بصراع الجبـار الحربـي كنايـة عن استمرار المعاناة.

---

[1] المرجع السابق ١٧٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والفم الساحر الذى نلتُ منه
ما تنال الحقول من آذارِ

أنيئني .. كم ظامىءٍ عبّ منه
وتولّى .. كم ظامىءٍ فى انتظارِ ؟
قلتُ فى البعد استريح .. فما لي
لم ازلْ فى صراعيَ الجبارِ[1]

إذن فالشاعر يشحن العبارة فيفيض منها الإيحاء المضموني والشعوري، وتلك ظاهرة فنية عند القصيبي وفي الشعر الحر عن القرشي.

والشاعر الوحداني غالباً ما يعتني باللفظة المباشرة التى يغمسها في أحاسيسه أمّا الشاعر القصيبي، فإنه اتخذ العبارة وسيلة للإيحاء، فهو حين تسأله عن لونه يجيب (إذن طالعي الشمس عند المغيب) والشمس تكون ذابلة، فهو كذلك، فأوحى للمعنى بالعبارة تلك التى ترمز لحالته وحالة العاشقين أمثاله. وكذلك إذا رغبت فى معرفة طعم الحنين فيدعوها (إذن لا مسي بيديك اللهيب) وهذه فيها تراسل حواس بين الذوق بمعنى الطعم، واللمس. ولإدراك ماهية الحب يضرب لها مثلاً رامز اً بالفضاء الرحيب، فهى ملو كيانه وكيان الحياة من حوله.

تريدين لون حنيني اليكِ ؟
إذن طالعي الشمس عند المغيبْ
تريدين طعم حنيني إليكِ ؟
إذن لا مسي بيديكِ اللهيبْ
تريدين حجم حنيني إليكِ ؟
إذن سافري فى الفضاء الرحيبْ[2]

---

(1) المجموعة الشعرية ١٢٠.
(2) المرجع السابق ٤٧٢.

الرمز في شعر الوجدان :

شعراء الوجدان في بلادنا وسائر البلاد العربية هم السابقون إلى التجديد ومن المظاهر الفنية الجديدة في تسميتها وبعض أشكالها الرمز، وقد استمدوه من تراثهم القديم، ومن الواقع والكون والبيئة كثيراً، وقل عنده الرمز الإشاري بآيات قرآنية أو حكم وأمثال، أو أبيات شعر مشهورة، وهم استخدموا أكثر مظاهره من رمز المحكاة، والرمز الافرادي والأسلوبي، والرمز الكلي والجزئي، والرمز الأسطوري، والتراثي والرمز في الشعر يمثل وسيلة فنية من وسائل شعر الوجدان، فهو كشف فكرهم الثقافي والاجتماعي وفلسفتهم في الحياة إلى جانب الرمز الشعوري لأحاسيسهم الداخلية.

ويغلب أن نجد الرمز المركب عند الشاعر محمد العيسى، فهو يتراءى رمزاً ذاتياً ينبع من اشتعال داخلي، يرمز للتأجج، والاضطراب، وعدم الثبات الفكري ومحاولة التمرد على الحياة والواقع وربما تجاوز إلى العقل، لكنه لا يتمرد على السنن الكونية في سفور وإعلان، فيستسلم للقضاء والقدر؛ فجلء شعره يماثل الرمز المعاصر الأوربي الذي يصدر من أتون النفس. ولكنه مع هذا نستطيع أن نسقطه على قضايا اجتماعية ومن ذلك قصيدته (الوتر الحزين).

ليل شتاء
الريح تزمجر في عنف كالإعصار
تصفع شبّاكي
تلفح باب الدار
النار في استعار
تصارع الرماد في (الوجار)
السحب السوداء

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تجلل الظلام بالظلام

البرق يمسح البيوت والمطر

يجرح الطريق بالبَرَدْ

يملأ الحفر

الفوانيس في الطريق

تراقص في احتضار[1]

فتلك الصور المرعبة لليل الشاتي، والريح المزمجرة، والنار المستعرة إنما هي رمز لمشاعر الشاعر الملتهبة، وتلك الصفات بإمكاننا أن نسقطها على وضع الأمة العربية، فالفرد الذى يمثله الشاعر رمز للجماعة. فكل منهم يشعر هذا الشعور ويدرك الظلام المحدق به والبَرَد الذي لا رواء فيه، وإنما يحمل صعيقاً.

والشاعر محمد العيسى يوظف أسماء الأماكن توظيفاً رمزياً كصبّا نجد، والرياض النجدية مثل (التنهات)؛ فهو يقول عن هداج البئر المشهور الذي يتدفق ماؤه في تيماء إلى أيامنا هذه :

تعتلج بأضلاعى الأحزان

الذكرى جرح هداجي الدم

منسوغ الأنّة

يا لفح الليل

فهو يرمز بهداج لغزارة تدفع الدماء من الجراح. ويقول فيها عن(صبا نجد):

الأنجم غامت

وصبا نجد غرّب فوق غيمات وسمية

يا غربه كل حروف الذكرى

[1] الإبحار فى ليل الشجن ٧٠.

ويشير إلى كهوف الحائر بجنوب الرياض :

في ظل صخور (الحائر)

فى سعف النخل الحاني المجدول على إلفين[1]

ويقول عن (علوق النفس الوحدانية بنجد) :

يا رفيقة الطريق

كحلم يقظة العطشان في الفلاة

ترفّ في جوانحي

خفقة ـ نجدية الهوى

كرشقة المطر[2]

إشارة إلى الوحدان النجدي الشائع في الشعر العربي، لكن توظيفه لهذا الرمز أقل وهجاً من اللهيب الرمزي لمشاعره الداخلية.

والشعراء استخدموا الرمز الأسطوري فقد شاع عند العواد، وحمزه شحاته وعبد السلام هاشم، ومحمد فهد العيسى، فهم يشيرون إلى الأساطير الإغريقية كمثل (ثاليا) صانعة العطور فى أساطير الإغريق يقول عنها العيسى :

ثاليا

من فيض بحر لازوردي الأفق

ملأت لي الجرار

عطر يضوع كالخزامى ... كالعرار

أخذته ...

نثرته ...

---

(1) المرجع السابق ٨١.

(2) المرجع السابق ٩٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شذا كطهر أطفال صغار
جدلتِهِ ضفائراً وصناء
أشعلتيه في منحنيات قريتي ... ضياء
غنت به النجيمات القمر[1]

فهو يرمز بالعطر إلى الحياة السعيدة الخالية من الأشواك وسائر المنقصات.

ومن الشعر الرمزي الذى استدعى المرأة رمزاً لما يفتعل في الذات من الأماني، قصيدة (حيرة) للشاعر حسن القرشي :

برمت بوصل فاقه حلم نائم — على أنه بين الرقي والتمائم
تعللني كيف التعلل والهوى — يذيب فؤادي من جواه بجاحم
ولست الذى ترضيه منك ابتسامة — ثمر مرور الطيف في ثغر حالم
ولكنني أهواك ريا خافقي — وبرداً لآلامي ونجوى مناعمي

وهو لو كان ذات المرأة لرضى منها بالابتسامة، والطيف، والري لا يكون في الحب، إنما يبتغيه بالمال والجاه، اللذين هما من أسباب النعيم، وهو يريد الوصل للمرموز عنه لكي يكون مصباحاً في حالك الظلم، يضيء له كالفجر، وهو يريده ظلاً وسقيا في ظمأ الحياة، ومداهمة الخطوب، وهو يرمز للنعيم المنتظر بالواحة، أو الأمل الذى تهفو نفس الشاعر إليه :

---

[1] دروب الضياع ٧١.

أريدك مصباحاً إذا لفني الدجى بفوديه أو فجرا لليلي المغارم
أريدك ظلاً استفيء بنفحه إذا راعني وجه الخطوب بصارم
أريدك تدنيني من الواحة التي تحن لها روحي، وتهفو عزائمي

فالعزيمة لست من معجم الحب :

وتغمر قلبي بالهناءات ظامئاً إلى وردها حيران رهن السمائم
تطالبني بالمجد رفت ثماره وما المجد يشرى بالسراب لهائم
أفي كل يوم لفتة وإرتقابة وفي كل حين زفرة من مسالم
لأوشك أن القاك باليأس عارماً إذا كان في اليأس انتصار لحازم[1]

إذن فما المرأة إلا رمز لأمنية الشاعر، التي طال انتظاره لها.

والشاعر القصيبي يصور ذاته ببحيرة هادئة في مسيرة حياته، وفجأة يداهم

هذه البحيرة الأعصار، فيجعلها مائجة ثائرة، لكن لماذا يرمز الإعصارا. هل يكون لعمل من الأعمال التي تقلب فيها الشاعر، أو يكون لحادثة فكرية، أرجح الأول، من الإسقاط الذاتي وربما جاز لنا الاستدعاء من بعد لواقع الأمة العربية :

بحيرة كنتُ.. لم تنبض ولا ارتعشت حتى طلعتِ عليها مثل إعصار
حركت أعماقها السوداء.. فانتفضت تمور كالمرجل الطافي على النار
وسرت ريح جنون في شواطئها فاستيقظت طفلة في كف جبار

والشاعر لا يدرى مصدر هذا الزلزال الذي وضعه عنوان لقصيدته فلم يعلم جهته لكنه جرى في دمه مثل التيار، لكنه يرفل في الحسن تارة حتى يلهم الشعر،

---

[1] الديوان ٢ : ٤٤١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكأنه يرمز إلى موهبه الشعر أو آلهة الشعر عند الأغريق أو شيطان الشعر عند العرب، فهذه الزلزلة جاءت من كوكب لم يبلغه الإنسان، وكأن الشاعر ارتبط بذلك الزلزال أو الأعصار الذي حرك أعماقه :

من أين أقبلتِ ؟ يا منْ حركّتْ قلقي
فثار .. يا من تمشّت بي كتيّارِ

من ايّ أوديةٍ بالحسن صاخبةٍ ؟
من عبقرِ الشعر ؟ من أوهام سُمّارِ

من كوكبٍ لا يكاد البرق يبلغه ؟
من مرفأٍ ما غزاه شوق بحّارِ ؟

من أين جئتِ بهذى العين ؟ ما انفتحتْ
إلاّ وطالعتُ فيها ليل أقداري

مغارةٌ من بهيم السحر تجذبنى
فارتمي بين الغازِ وأسرارِ

وعالَم من ضبابٍ ما مشيتُ به
إلاّ وجابهتُ أخطاراً بأخطارِ

من أين جئت بهذا الثغر ؟ أحسبه
قصيدة الورد فى ديوان آذارِ

ثم يرمز لهذه التى لم ندرك كنهها بالمرأة، فهو يخشى منها حينا، وتجذبه حيناً آخر، بجمالها وجاذبيتها، ورقتها وعذوبة صوتها :

فيه تحرّقُ أبياتٍ لشاعرها

وفيـــه فرحـــة بيـــداءٍ بأمطـــارِ

أخاف حمـــرته حـــيناً .. وأعشـــقها
حيناً.. وتسكن ـ وهي الجمرُ ـ أفكاري

من أين جئتِ بهذا الصوت ؟ يطربني
حتى لتحســـد سمعي فيك أبصـــاري

يمدّ من نغـــمات الشوق لي أفقـــاً
يطول في جوّه العطـرّى إبحـــاري

يـرّقُ .. فهو تـرانيم موشـــوشـةٌ
يقسو .. فيصبح صوت الرغبة الضاري

ردّي على الروح شيئاً من سكينتها
فإنهـا أصبحـت تذكـــار تذكـــارِ

وكبّـلي مـــارداً أيقظـــتهِ شَـــرساً
أدمى الضـــلوع بأنيابٍ وأظفـــارِ[1]

فالقصيدة ترمز بـالمرأة التـى كـان لها تأثير قـوي لأمـل تحقـق فيـه السـعادة والشقاء، ورمز له الشاعر بالزلزال، فتلك المرأة ترمز إلى مؤثر من مؤثرات الحيـاة التى لها بريق ولها عتمة فالشاعر في جدلية من صراع الحياة.

والشاعر القصيبي يرمز رمز كلياً موظفاً الرمز الجزئي ليصل إلى الكلي فرمز للوزارة بالسيدة الوقور التى لا تحب حباً وجدانيـاً، لكنهـا تلمـع، تشـرق كالـبرق الفتان، بليل ظمآن فالوزارة أمل يشرق، وطبيعة الإنسان تهفو إلى المعالي فلما يلج

[1] القصيبي، المجموعة الشعرية ٥٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إليها، يجدها حسناء ذات ثراء ورغد، فكأن لسان حاله يقول : لا لوم لمن يعشق وجه الشوق فيهيم به. لكنه لا يلبث أن يكتشف حقيقة الوظيفة العلية بعد معاناتها، فهي كاذبة البريق، القول فيها ليس بصادق، ومغرياتها خواء فهى ليست بجميلة.

يَا سيّدتي !
يُومضُ وَجهُك فى ذاكرتي
ومض البرق الفتّان بليلٍ ظمآنِ
يعبُر لجدْ
تنفتحُ العينانِ عَلى دنيَا
حَسناء الوعدْ
تنفرج الشفتانِ عن الكرم الرّيان
بأحلى شهدْ
يَا سيّدتي !
وجهُك وجْه العشقِ وَوجْه الشوقِ
وَوَجه الوجدْ
يَا سيّدتي !
يا كاذبَة العينينِ وكاذبةَ الشفتينِ ..
وكاذبةَ القَدْ

ثم هو يستعيد ذكرياتها، فيذكر معاناته منها وتعذيبها له، وكذلك ما اتخذ من قرارات وبما تعذب أفراداً :

يومضُ وجهك فى ذاكرتي
فاعذّبه ويعذّبنى

ويخلّفني
أطفُو واغوصُ ببَحرِ السُّهْد

ونتيجه لذلك فالهم يورقة، ومازال يهجم عليه خشية ومحاسبة من الضمير أن يرتكب خطأ يظن فيه أنه يحسن صنعاً :

أتقمّصَه .. يتقمّصُني ..
يتسَلل من لحظات النوم إلى أجيال
اليقظة .. لا يهجُرني
أسكنُ فيهِ .. أو يسكُنني
أنساكِ ؟!
وجَاءَ الجمعُ واعيُنهم تتفحّصُني
هَل تعشقني .. أمْ تكرَهُني
يَا سيّدتي !
عَفوك فالضّجّةُ تزعِجني
أو تَتركني ؟
عَفوك .. هَذا الجَمع من العشاق الاتباع
ينفّرُني ..
ومضيتُ وخلّفتكِ ما بينَ عبيدكِ
سَافرتُ وَوجهك كالموتِ الحلوِ
يطاردُني

* * *

يَا سيّدتي !
سَاعتها أدركتُ بأن الفرقة قَدري
أحسَست بأنكِ أبعدُ، في القربِ،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من القمرِ
دُنياك العطرُ السحرُ الأنسُ الهمسُ
اللمسُ
جُنون السحرِ
دنياك المجدُ السّعدُ الفرحُ المرحُ
غناءُ الوترِ
دُنيايَ الألمُ السّقمُ القلقُ الحُرَقُ
الشعرُ المطعونُ بآهاتِ البشرِ ..
يَا سيّدتي[1] !

فهو يشير إلى العاشقين لهذه الوظائف العليا فكأنهم عبيد لها، وهو هجرها لكنه مازال يعاني منها، وأدرك أنها ليست له وليس لها وهى دنيا تجمع بن السحر والأنس والهمس والسعد وبين السقم والحرق والقلق، إنها الوزارة والله وأعلم.

وهو رمز لمعانقة الوظيفة الكبرى، بلقاء المتحابين فكلاهما معجب بصاحبة، وكان أول الوظيفة شهد مُغري وشجر مورق، فأيامها لا تنسى؛ فهي تداخله وتتقمصه وهو يتقصها فكلاهما روح وجسد، فيذكر أولئك الجموع الذين يتوافدون طلباً للحاجه وتزلفاً وتملقاً لكنه ينزعج بأولئك، فهو لا يبتغي مزيداً من الأصدقاء أو المعجبين إنما يريد عملاً جاداً، ينصف من يريد الانصاف قبل أن يقرع بابه.

وقصيدته القصيبي (فى الظلام) تدلف إلى ظلام الرمز الغامض فإنه رمز بالمرأة الصديقة إلى عمل من الأعمال الكبيرة التى شغلها القصيبي :

وغابت ملامحها، غاب خلف دخان
اللفائف، ماكان يلمع في العين
وانحسر الصوت، ما عدت أسمعه

[1] العودة إلى الأماكن القديمة ٣٤.

البرد . يلتصقان قليلاً.
وغابت . وإن لم تزل يدها في
يدى . لا يزال السؤال الملح
الخجولُ على شفتيهَا.
وعدت إليكِ ..
نقيّاً .. نقيّاً
برغم الثواني المليئة وجداً حزيناً.
بريئاً .. بريئاً ..

فظاهرها حكاية عن الحب والعشق لكننا نسقطها على وظيفته في السكة الحديدية ، فلما نقرأ القصيدة نستحضر دخان القاطرات الحديدية، ومفارقة هذه الوظيفة وهو يرمز لتبراءة ضميره في عمله وأنه أنجزه بمثالية بعيداً عن الخيانة وهضم حقوق الغير يرمز لذلك بقوله : (برغم ارتحال الخطيئة عبر ظنوني) ويرمز لحاجة الوظيفة إليه وشقاؤها بغيابه بشقائه عند غياب محبوبته.

برغم ارتحال الخطيئة عَبْر ظنونيِ ..
وهذى الشقيّةُ (مثلُ حيَاتى حين
تغيبين . مثلُ المدينةِ بعد الظلامِ)
اختفتْ . فخذينى إلى بركة النور
أغسلُ فيها بقايا التشردِ بين
الموانىء .. أغسل فيها غبار الضياعِ
الرخيص .. خذينى إلى النبع يغفر
للظامئين ليالى السهاد المشوبة
بالأمنيات الكسيرة.
لا تتركينى أعودُ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإني أخافُ الظلام

ومَا فى الظلامْ[1]

وربما أن هذه القصيدة ترمز لوظيفته حين تولى رئاسة السكك الحديدية في المملكة، وفيه رمز لمداعية وظيفة أعلى منها فهو يرمز لتلك المناصب بالظلام للمجهول فيها.

إذن فهو يوظف المفردات للرمز مثل الظلام، والبرد، والخطيئة، وبركة النور، كلها لها دلالتها التى يصعب تقصيها هنا.

كما يرمز بالتراكيب (مثل حياتي حين تغيبين، الأمنيات الكسيرة فإني أخاف الظلام ....). وترمز القصيدة بكاملها رمز كلياً في صورة متكاملة.

وربما يرمز بالأخطبوط لتشابك الحياة، وتعارض الأهواء والرغبات بل المصالح، أو يرمز لمشاكل الوظيفة بالأخطبوط :

يدٌ لُفّتْ على عنقي

وثانيةٌ على ساقي

وثالثةٌ ..

ورابعةٌ ..

أحسَ الأذرع السوداء ..

تشرب من شرايينى

تمصّ الروح من جسدي

فأين يدى ؟

وأين أضعتُ سِكّينى ؟

وكانت لى على الساحلِ

---

[1] العودة إلى الأماكن القديمة ١٣٥.

آلافٌ من الأيدي
وآلافُ السّكاكين
* * *
قطعت أنا يداً بيدِ
وثالثةً ..
ورابعةً ..
وها أنذا
أمام الأذرع السوداء
بدون يدي ...[1]

ومن وظائف الرمز التى تفجرت في زمننا هذه وظيفة غير قابلة للقطع والجزم، وإنما قابلة للترجيح أو لنقل إدراك وتأويل ما يخضع لقراءة المتلقي، لاسيما في النصوص الحديثة التى لا تعترف بموضوع محدود، فكل يدعى أسقاطها ورمزيتها لما تثيره من خواطر لدي المتلقي ويكثر ذلك في شعر غازي القصيبي، ومحمد الخطراوي، والقرشي، وزمخشري. ومنه قصيدة (قبل الرحيل) للخطراوي، فيتبادر للمتلقي أنه يومى إلى رحيل المحبوبة، وتارة تجد إضاءات تومىء إلى التحلل عن حلف من الأحلاف أو صداقة دولية ولاسيما أن القصيدة قيلت عام ١٤٠٩هـ ، فهى مرحلة لتفكك أحلاف، وشكوك دولية، فليس من البعيد أن تكون مشاركة من الشاعر فالتحرر، واختراق الحصار فيه تجاوز ونفض العقود والتحلل منها على الملأ عن قناعة لا ندم فيها.

تحررت منك
اخترقت الحصارا
بصقت على قيدك الذهبي المزيف

[1] القصيبي، المجموعة الشعرية ٤٩٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهو يشير إلى صكوك المعاهدة فإنه يعلن تمزيقها :

ومزقت أقنعة الأمس

هشمت كل الجسور إليك

اقتلعت خطاي من الدرب

ابتسامتي من أذنيك

وغسلت كفي سبقاً

التي ترمز إلى مضمون حديث الرسول ﷺ «الذى يأمر بغسل الإناء سبعاً إذا ولغ فيه الكلب » :

صرخت بوجهك ! يكفي ابتذالاً

أزيلي البهارج

حطي القناع

فقد فشل الدور

لكن من أراد أن يعود بها إلى المرأة فإن التصريح بها يراه دليلاً :

وعودي كما كنت محض امرأة

تثرثر فوق المقاعد

عند الدربزين تبحث عن مكنسة

وتجلس خلف الشبابيك

تهرش أطرافها في انفعال

وأعينها تتفلى الطريقا

تعدّ الرجالا

يعودون من مسجد الحي كل مساء

وأبصارهم مشبعة

بنور الصلاة[1]

حتى هذه أرى لها تأويلا رمزياً، فأكثر الأحلاف المعاصرة ترقب الحركات الإسلامية، ومنه مقطوعته (حتام) :

حتام أركض في ركابك	وأهيم في دنيا سرابك
والشوق يبعث في دمي	ظمأ يحن إلى رحابك
وعلى يدى من ماتمي	جرح تشكل من عذابك
وبروحي الغرثى هز	يم ليس يهدأ في غيابك
عجباً يؤرقني الأسى	والبشر يهمي من إهابك
وأعيش في كنف الدجى	والفجر معتلق ببابك[2]

والخطراوي من الشعراء الذين لهم قصائد تعج بالرمز الشعوري فإن قصيدته (الحرفان الظالمان) يصور فيها الاشتعال الشعوري والتيه الذى يلوب في كيانه :

هما حرفان وانكفأت	باضلاعي اليحاميم
وشب بداخلي ألم	شكت منه الحواميم
وضاع الدرب من قدمي	فكل خطاي تهويم
ومات اللحن في شفتي	وصاح مكانه البوم[1]

ويحس ببركان يتفجر فى شعوره بل يتمرد ليقبس ألفاظ الرمزيين الأوائل مثل البركان، والجحيم والحرائق :

القيتني في فوهة البركان

---

[1] مرافىء الأمل ٥.

[2] المرجع السابق ١١٧.

[1] مرافىء الأمل ٣٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بكلمة دامية الأنياب

مشحونة بالويل والعذاب

مسنونة كشوكة السعدان

تخنقني بقوة

تدفعني لباطن الجحيم

تشعل في دمي حرائقا

تنسفني من داخلي أشلاء

تحيلني مدينة مقصوفة بالنار

أفضلها الرماد[1]

وديوانه شعره مرافىء الأمل يحفل بعدد من القصائد أو مقدمات القصائد من هذا اللون الذى يعلن البوح الداخلي، فهو رمز للذات المضطربة. وتظهر عدة مظاهر للرمز في شعر الخطراوي، فمنه رمز المشابهة والمحكاة والرمز الأسطوري والتراثي، والرمز الشعوري، وهو يوظف الصور الرمزية كثيراً، ثم يوظف المرأة رمزاً للوطن والأمة العربية، ويرمز بها للخداع والمراوغة للدول التى تقف في صراع مع المسلمين.

ومن رمز المحاكاة قصيدة (فقت تألقاً) لرقية ناظر، فإنها جعلت البدر رمزاً لمن نال إعجابها، وعلا نجمه في سماء الفكر والأدب، فهذا الأديب تألق في الآفاق، واعتلى المنابر، يدعو إلى الفكر الصادق :

---

(1) المرجع السابق ٥٧.

بـدر أطل سناه أنت بســؤدد　　بل أنت في الآفاق فقت تألقاً
ورنت لمنبرك العيون توســلاً　　وحوتك في صمت يطول ترفقاً
ونمت أحاسيس وثبت أصلها　　وعلت كيعبوب يفيض تدفقاً
وسرى يزف الصدف في خلجاته　　وازداد من شوق إليك تشوقاً
فكأنما الدنيا تبســم ثغــرها　　وهفت لمبسمها القلوب تعلقاً
فإذا القريض لجود طيفك صيب　　وإذا الوافي لا تــروم تملقــاً

ومن دلائل الرمز تألقاً في موطـن الثقافـة وعاصمتهـا في العـالم العربـي أرض مصر، وهو قد علا نجمه على المنافسين له :

ضاهيت في أرض الكنانة عسجدا　　وسموت إن دام البزاة تفـوقاً
ها أنت في المقل الصدوقة شامخ　　لم يقطع ريب إليك تسلقاً[1]

والرومانسي يرمز بـالخريف لنهايـة الحيـاة، وبالبيـاض لـبريق الحيـاة، فـإذا تساقطت الأحلام البيضاء فإن ذلك نذير النهاية، فكيف بالشـاعر وهـو يسـتحضر سـقوط أوراق الخريـف فالشـاعر يسـتدعي تلـك الصـور لتكـون أكـثر إفصاحـاً، وسقوط الأحلام يتأتى متأخر عن سقوط الواقع فتداعى كل ما يوهم الشاعر مـن الآمال يقول صالح العثيمين :

وتساقطت بيض الرؤى صرعى كأوراق الخريف
ومشى الأسى ظمآن في قلبي كتيار عنيف
وفمان ينهل من دمي أملا تصارعه الحتوف
ورؤى الطيوف ..
أملا يسير إلى الحياة فغاله القدر العسـوف
ومشت على أشلائه زمر الحوادث والصروف
وأتت على أشراقه شتى المظالم والخطـوب
وقضى ـ وديجور المصائف ـ حول جدث رهيب

[1] الربح والرماد ١٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لكن الشاعر ينقض غبار الرومانسية ويصارع مبادئها، لينتقل إلى حيز الوجدان الذى يتألم لكنه لا يتداعى ويتعثر فيهلك إنما يصارع، وهو يدل على استحضار المتدبر والتأمل، والواقع فالحياة هكذا شتاء وربيع وصيف وخريف :

يا قلب لا تجزع ولو ظلت تؤرقك الندوب
وتحطمت فيك الأمانى بين أمواج الغروب
هى إن ذوت مثل الرياض فطيرها مرح طروب
مترقباً (نيسانها) يخطو على الأفق الخضيب
ليشيع في الكون (الحرارة) والحياة
ويبعث الأمل الخصيب
ويقيم ما حطم الشتاء وينشر النسم الحبيب

* * *

يا قلب هذا الكون لوحة شاعر عذب النشيد
رفرف بأجنحة السناء وغن للصبح الوليد
واطرب إذا جن الظلام وسربل الكون العتيد[1]

(1) ابن إدريس، شعراء نجد ١٨١.

الخيـــال :

يرى سقراط أنه : «الجنون العلوي». أمّا أرسطو فقد كشف النقاب عن إعجابه بملكة التخيل التى تجمع بين صور متعددة وكشف عن المجاز الفني الذى يوظف تلك الصور.

والخيال عند الكلاسيكية «موهبة عظيمة، لا يستغني عنها شاعر حقيقي، ولكن إذا استمرا الشاعر اللعب بها، فإنه لن يصل إلى الكمال، ولابدّ أن يكبح عقله خياله، وعلى الشاعر حتى حين ينحرف عما هو طبيعي أن يحترم قوانين العقل التى تحدده بحدود ما هو محتمل ممكن»[1] .

ثم جاءت انطلاقة الخيال بفعل المدرسة الرومانسية، ففتحوا له سائر السبل والآفاق، بل دعوا إليه، ويرون فيها ميداناً لتكوين الوعي والمعرفة، وأن الخيال هو عنصر الحياة للشعر. وهو وسيلة الكشف للحقيقة التى من وراء المدركات من هنا التقى مع الفلسفة، بل إنهم يريدون من الشعر أن يكون فلسفياً ومن الفلسفة أن تكون شعراً، ومنهم من يراه قوة إلهية، ومنهم من يراه أن يبدع الأشياء أو يكشف من خلال الإبداع، وهم يتجاوزن الحس، وأخذ الشعر بوسيلة الخيال يبحث عن الغريب العجيب، يؤلف تأليفاً من الأشياء والأفكار المتوازنة بحيث تكون متباعدة لا ترى معالم التقليد، أو يبدع أوهاماً وخيالاً جديد لم يسبق إليه. وهجر الرومانسيون عالم المحسوسات والماديات إلى عوالم أخرى إلى الأحلام والأوهام، وتكوين عالماً مثالياً، أو كشف المجهول. وهم يجعلونه فوق العقل[2].

والخيال يكون بتداعي الأفكار، فهي تتلاحق تبعاً لمشاعره وأحاسية تجاه الفكرة والخيال له ثلاثة أنواع، قوة الابتكار، وقوة التشخيص، وقوة إبداع أشكال

---

[1] إحسان عباس، فن الشعر ١٤٦.

[2] انظر المرجع السابق ١٤٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حسية خالصة يقول شكسبير في خيال الشاعر :

المجنون، والعاشق، والشاعر

يمتلئون جميعاً بالخيال ...

فعين الشاعر . إذ تدور في هياج جميل

تنقل الطرف من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء

وإذ يجسم الخيال، أطياف الأشياء المجهولة، يحيلها قلم الشاعر

إلى أشكال، ويعطي اللاشيء الهوائي مسكناً في الجوار واسماً[1] .

فهذا تصوير واقعي لحالة الشاعر، فهو رقيق الإحساس، سريع التأثر، يمتلك قدرة على مزج الأشياء المتباعدة، مع المقارنة بين دقائقها.

والخيال «يرفع الذهن ويقيمه باخضاع ظواهر الأشياء لرغبات الذهن، في حين أن العقل يقيد الذهن ويحنيه نحو الطبيعة»[2].

ويربطونه بالواقع المكون لذهنية الشاعر «الزمن والتعليم مما يولد الخبرة، والخبرة تولد الذاكرة والذاكرة تولد التقويم والتصور، والتقويم يولد القوة والهيكل، والتصور يولد محسنات القصيدة»[3].

وهم يجمعون بين الخيال والصور « إذ يقدر الخيال أن يستحوذ على خزين الصور الحسية المكدسة في الذاكرة، وعندما يكون محكوماً بهدف فني، يقدر أن يربط بينها في أنماط جديدة مبهجة، وهو لا يقدر بالطبع أن يبتكر شيئاً جديداً تماماً، لأن مادته جميعاً تأتي من خبرة حسية، لكنه يستطيع السمو فوق قيود الواقع »[4].

---

(1) عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي ٢/١٩٠.
(2) المرجع السابق ١٩١.
(3) المرجع السابق ١٩٣.
(4) المرجع السابق ١٩٦.

فالشاعر يجمع شتاتها، ويبتكر علاقاتها، ويكشف دلالتها، في دقة تعبيرية

لغوية ترفعه إلى الفن. لكن المتأخرين يرون في الخيال عملية إبداع وإحداث جديد، بينما التصور ربط وتلاحم[1].

والخيال « تلك الفورة الوسطية التى تعمل على خلق التآلف... الذي يجسم العقل فى صور للحس، وينظم تيار الحس اعتماداً على طاقة العقل الدائمة التى تدور حول نفسها، ويساعد على خلق نظام من الرموز المتآلفة في ذاتها والمشتركة في جوهر واحد مع الحقائق التى تعد موصلة له»[2].

لكن الشاعر الرومانسي لا يؤمن بمرجعية العقل ولذا كان خياله يدور في فوضوية لا ضابط لها، ولا مرجعية يلوذ بها.

وشعرؤنا استعملوا الخيال كثيراً في جلب الصور ذات التأثير من العالم الطبيعي، ومن معالم حياة الإنسان والحيوان معاً.

الخرافة، والخيال :

والخرافة والأسطورة، وحكايات الأوهام من الشرق الهند والصين، وقصص الخيال العربي تلك غزت الأدب الأوربي بعد أن نضج العقل العلمي، وأدرك الفلاسفة أن بعض هذا العلم يقوم على معاني خرافية أوصلتهم إلى علم تجريبي وكذلك اعتمادهم على صنع الخيال فيما يسمى بالخيال العلمي «ومثل هذا التصور الذي رفع لعنة الخرافة عن الشعر (بعد أن جعله على قدم المساواة مع العلم في الإيمان بالخرافة، وقد أتاح للشاعر النهوض بنوع خرافات اعتماداً على أصولها، بغير أن تشوبها أى شوائب من أي أصول أخرى»[3] .

---

[1] عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي ٢/٢٣٩ .

[2] روبرت، الرومانتيكية ٣٤٥.

[3] المرجع السابق ١٩٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فانطلق الرومانسي في خيالات شتى يبني أوهاماً وعندما ندرس شعرنا الوجداني الذى تتشكل فيه معالم الرومانسية أحياناً نجد ضآلة الخيال الذى يبني خيالاً غريباً أو وهمياً، أو يقوم على الأساطير الموغلة في الغرابة، لكننا نجد خيالاً ينبع من التأمل العقلي، ومن تفاعل المكونات الحياتية، والذهنية والروحية التى تتلبس صوراً لتكّون خيالاً فاعلاً يميل للعتمة ذات العبرة والموعظة.

والخيال يصدر عن الانفعال المنبثق من اللاشعور أو موحات النفس الانفعالية، فهذا يدلف إلى موحات من السلبيات، وهناك خيال مصدره العقل. « في كل كلمة يطرحها العقل المتخيل، تيار خفي من المعاني المفزعة، المشوبة بالغموض، وغير المكتملة الإفصاح عن نفسها، فلربما كان من كتبها قد رأى بوضوح الأشياء الكامنة وراءها، ولكنه لم يشعر بالصبر الذى يساعده على شرح الدقائق، ولو أننا آثرنا التركيز عليها، وتتبعنا آثارها، فإنها ستسوقنا دائماً بأمان إلى مملكة النفس حيث تنبعث كل الطرق، والسبل المودية إلى أبعد شواطئها »[1] .

وهذه النظرية أخذ بها كثير من الشعراء المتأخرين كأمثال محمد فهد العيسي، والبواردي والرميح، وأكثر من وقف عندها الدكتور محمد العيد الخطراوي.

فالخيال هو القادر على تصوير المجهول.

الخيال هو القادر على الإفضاء بشعور التجربة الباطنية التى تجنح إلى حياة أكثر مثالية.

والشاعر أبو أحميد يحاول أن يضرب في خياله إلى زراعة حياة أكثر أشراقاً وسعادة، تقوم على المثالية في قصيدة (لالي) :

لالي

---

[1] المرجع السابق ٧١.

صبية من عالم الشمال
تعيش في خيال
تحكم بالنخيل والرمال
وعالم يزف في الليالي
أحزانه على صدى موال

فهو يريد الحياة تذوب رقة ولحناً لطيفاً، بين أحضان الطبيعة، وتارة يرسمها ببحيرة لها شواطىء أمينة كأنها الجنة في عالم غريب، مدنها مغمورة بالسحر والعطور :

كأنها بحيرة
تشقها سفينة
تبحث عن شواطىء
وادعة أمينة
أسطورة عن جنة
في عالم غريب
عن مدن مغمورة
بالسحر والطيوب[1]

والشاعر الخطراوي يصور ويضرب في الخيال المقتبس من الحس لكنه يكسوها نسجاً جديداً معبراً في رمزية فهو يصور لنا حالة القبطان والبحارة في شراع يموج بهم البحر وينسج ألواناً شتى من المحسوسات لتكون صوره متخيلة :

بحارتي ماتوا بأحذية الفرار
ماتوا كفئران بمصيدة الصغار

[1] ابن إدريس، شعراء المجد المعاصرون ١١١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كرذاذ مزكوم، كأوراق النثار
وجموح غربان تحوم على الشراع
تنعابها صور من الأمل المصـاغ

فهذه تصور خيال الشاعر فتارة ينظر إلى الأرض وأخرى إلى السماء، وتارة إلى البحر، وتارة في أعماق النفس أنها موهبة الشاعر فهو يقرن الغربان بصورة مظلة الطيران الحربي في معركة حزيران عام ١٩٦٧ م التي انهزمت فيها العرب :

حامت تسد الأفق .. تنذر بالضياع
كمظلة جوية بحزيران
أنا كرهت الظل منذ حزيران
وقبرت في قلبي الحنان
ويموت فيه الظل .. لا كانت ظلال من هوان
بمشانق الإشعاع من شمسي
وبروعة الإصرار من بؤسي[1]

إذن فإن الخيال وسيلة لتكوين فكرة الصور التي نسجت لتكون صورة كلية لحال المسلمين.

والخيال المعتدل الذي يجمع صوراً هادئة « لا يمكن أن يكون إلا حاداً، فهو يرى بعيداً للغاية، ونظرته سوداوية، وقورة جادة، نادراً ما تبدو باسمه، هناك شيء ما في قلب كل شيء، لو استطعنا الاهتداء إليه، لن نشعر بالميل إلى الضحك منه ... إن أولئك الذين استطاعوا النفاذ إلى أعماق الأشياء، ورأوا أعماقهم السوداوية يمتلئون بمشاعر مركزه برقة التعاطف»[2] . تلك الظاهرة الخيالية نجد نماذج في شعرنا عند الرميح وابن عثيمين وناصر أبو أحيمد، والبواردي، وأقرب مثلاً لها قصيدة

---

(١) غناء الجرح ١٠٩.
(٢) روبرت، الرومانتيكية ٧١.

البواردي (شريط الصخرة) فهو يحشد مظاهر من المآسي سوداوية، لكنها صور جـادة غير باسمة :

آيات عاصفة لها وجه المساء
معنى الفناء
ولها هدير .. فيه همهمة الدماء
جوعى ... وطعمتها الجذوع
ظمأى ... وجرعتها الخنوع
عرياء ... وبردتها الجموع
آيات عاصفة مثيرة !
تهواك !! .. جرعتها الشهية
ترعاك !! .. حتى لا تجوع
وبما عليك من الثياب ..
تلف أخصها المذاب ..
وأنت ..
أنت لها الذليل بلا أسية .. أنت الضحية

* * *

عند الصباح !! ولا صباح
وعندما تعوى الرياح
وعند انصات الزمن وقت الرواح
حيران يستوحي الجراح
يطل من بين الصخور
مقيد شلت يداه
عزت عداه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقيد بين الصخور مدى الحياة
لا ذنب إلا أنه طلق فقير
عشق الحياة[1]

الخيال والطبيعة :

شعر الطبيعية، لم يلجأ إلى المثالية وإن اهتم بمظاهر الأشياء، فوصفوها على حقيقتها سواء النادر والراقي أو التافه والقريب، لكن تظهر روعة الصورة في الربط بين معالم الحياة فالخيال «القوة السحرية التركيبية التي نطلق عليها اسم الخيال تظهر في التوفيق بين الخصائص المتنافرة أو المتناقضة، وإظهار الجدة فيما هو مألوف، ومن أروع ما يحققه الخيال معنى المتعة الموسيقية»[1]. ومظاهر الحس في الخيال تحميه من أن يكون وهماً أو جنوناً.

والشاعر فقي حين يتناول الطبيعة، فإن خياله يجذب إليه ما يعتلج في شعوره ويضفي عليها من نظرته للإنسان، فهو لا يصنع لها هيكلاً جديداً وإنما ينظر إليها بمنظار الإنسان أو الذاتية الفردية فالشمس حزينة كئيبة، وحمرة الشفق توحي له بالدم، فهو تصوير لا خيال. فمهمته هنا الربط بين الأشياء، فهو ربط ضعفها في المساء، بضعف الإنسان المسلول. وتارة يربطها بالفتاة العاشقة الذابلة :

رأيتها تمشي إلى المغرب ... حزينة محنية المنكب
منزوفة من فرط ما أرسلت ... من ضوئها في يومها المتعب
الشفق الدامي لها هالة ... كأنه من دمها الصّيب
مسلولة أضعفها جريها ... في حلبة المشرق والمغرب

(1) ابن إدريس، شعراء المجد المعاصرون ١٥٨.
(1) إحسان عباس، فن الشعر ١٥٠.

مصفرة تحسبها غادة　　مذعورة من سطوة الغيهب[1]

والشاعر يربط البدر بصراع الإنسان، وكذلك الليل فهو لا يحجب البدر، لأن الظلم لا يحجب الحق، فالبدر يجلو الغيم، ويصرع الليل، تماماً كالحق والباطل، والنور يكون ضياء للكون كله :

والبدر يجلو الغيم عن وجهه　　فيصرع الليل ويطوى دجاه
ويسكب الضوء إذا ما انجلى　　فيغمر الوادي جمالاً وضياء
ويلبس الغيم قناعاً له　　حتى يشف الغيم عما احتواه
فيرقص الظل وتعدو المنى　　هائمة في أرضه أو سماه
ما يستطيع الليل رغم الدجى　　أن يحجب البدر ويخفي سناه[2]

إذن فإن الخيال يقترب من التصوير وإبداع الشاعر يتجلى في ربط الطبيعة بحياة البشر، فهذه القصيدة وأمثالها رمز لحياة البشر وصراعه.

وهو يرمز لحاله بالزهرة الذابلة :

سقطت من غصنها مصفرة　　وهو مخضر بأزهار الربيع
وحدها .. ذابلة في حفرة　　وندى الروض عليها .. كالنجيع
مابكاها الروض.. أوجف الندى　　أو ارتوى البدر، أو ذاب الصقيع
جئتها أبكي .. على مصرعها　　ولقد مر من الليل .. هزيع

وهو يصور مصرع هذه الزهرة من بين الزهور، لينقل لنا معاناته من بين أقرانه الذين يماثلونه فهو لم يترك لنا الرمز على بعده، فآثر أن يكشف في أبيات

---

[1] الأعمال الكاملة ٦ : ٩٥.

[2] المرجع السابق ٦ : ٩٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المقطع الثاني، فهو وحده من بكى في الصبا، المعذب في ميعة العمر، فهو يشبه نفسه بالزهرة الساقطة وسائر الزهور يانعة غضة :

وأنا وحدى من بكى هذا الصبا غاله في ميعة العمر الفناء
أيها الغض الذي أزهاره قد تكاثفن اخضراراً ورواء
أولم تشعر بها هاوية بعد ما كانت عروساً في الفضاء؟
إنها بعضك .. يا غصن قضى نحبه.. فاحذر على الكل القضاء

وهو لم يجعل من الزهرة رمزاً لحياته الفردية وحسب، ولكنه اسقطها على جميع المتعبين المنهكين وما يجرى للزهرة من ذبول وهلال، فإنه يمثل سنن الكون،

فالبشر يتساقطون فرداً فرداً :

أيها الزهرة .. يا هالكة أنت عندي رمز كل الهالكين
كل ما في الكون من خالجة فيك قد أصبح مقطوع الوتين
كنت دنيا .. فثوت في حفرة واستوى الشك لديها، واليقين
يا حياة أفلت في زهرة فمضت توفض في ركب السنين[1]

إذن فالشاعر يوظف خياله في عملية تصويرية تقوم على ربط الأشياء في الحياة، في أنماط واقعية تتعانق مع حياة الإنسان.

والشاعر القرشي لا يبعد في خياله عن الإنسان وحياة، بل يقرن الطبيعة بالإنسان فرؤيته للطبيعة مصحوبه بهاجس الإنسان، فالخريف عنده رمز لنضوب الحياة وهو عبرة وعظة، أو هو صورة لحياة الإنسان الذى تعصف به المنقصات والعقبات فتسقطه كما تسقط رياح الخريف أوراق الشجر :

عصفت بالرياض فهي موام داميات الأعطاف دنيا الخريف

[1] الأعمال الكاملة ٦ : ١٠٢.

فهنا الزئبق الشذي معرى ... من جمال جم الرؤى والطيوف
وهنا الأيك صوحته الاعاصير ... وألوت بحسنه الملفوف
رنحته مخالب الشوك تغزو ... كل غصن به وريق طريف
وهنا الماء عكرته السواقي ... فتعالى غيمان جد مخيف
أى أفق قد حجب الشمس بالدجـ ... ـن فضنت بسحرها المألوف
وهنا فرحة الغرام استحالت ... بسمة اليأس في الفؤاد العزوف

فالخريف كسا دنيا الطبيعة عتمة وظلاماً، عصف بالنظارة والخضرة، والبهاء، وعكر الماء واسقط الأغصان، وحشد الوحشة الرهيبة لهذه الطبيعة، وهو يسقط عليه الإحساس البشري من الإحساس بالشر، وتكشير الأنياب، والكآبة :

وتبدى الخريف يكشر عن أنيا ... به الحمر عارماً لن يلينا
ناشراً للشرور مؤتلفات ... تقذف الهول لا تحس الأنينا
عبر الكون للقلوب فأضحى ... كل قلبٍ به كئيباً حزيناً[1]

الصورة في الشعر الوجداني :

الصورة تعمل على الوحدة الشعرية، وتعين على كشف المعاني العميقة، التى ترمز إليها الصور في القصيدة، فهناك صور للكشف والإيضاح، وأخرى للبراهين والإثبات، وهناك صور لتجلية الشعور، والفكر، والصورة الحديثة في الشعر تنقل التأثر والتأثير – مترابطة مع بعضها تكون صور كلية كبرى، والصور النفسية ومجموعة الصور تفيض بمعان عميقة للنص.

والصور عند شعراء بلادنا تكون من الإمداد الذاتي الذي كون الذهنية الأولى فصور القديم تمتد في مساحة شعرهم، وتستمد أيضاً من البيئة المتفاعلة مع تكوين الشاعر الحسي والذهني كالمشاهدات والسلوكيات والمؤثرات، وهي تأخذ

---

[1] الديوان ١ : ٢٤٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كثيراً من التلاقح الحضاري الذي انساب في جداول متعددة لكل إنسان في هذا الكون مع التفاوت الطبيعي، فهناك الثقافي والأسفار والتقنية والتمازج الكوني مما يكون صوراً حديثة جديدة.

وشعراء الوجدان في بلادنا لم يلجأوا إلى الزاوية الخفية ويقرن الفرد ذاته بالطبيعة فحسب، وإنما تجاوز هذه المرحلة إلى التفاعل مع المكونات الحياتية وغلب عليهم الجانب الوجداني في شعرهم، فهم ينظرون نظرة إنسانية عاطفية أكثر منها نظرة عقلية فكرية، وهم يتفاوتوا في قدراتهم الخيالية الإبداعية، فمنهم من ارتبط بالمرأة كثيراً كطاهر زمخشري والقصيبي ويحيى توفيق وعثمان بن سيار، وربما لأن صورة المرأة تحمل التأثير العميق، فهي العاطفية، وهي ذاتها الصورة المتماوجة بفعلها وعاطفتها، وهي مصدر البقاء والخصوبة، فهي الأم الحنون، وهي مشرق الجمال الإنساني، فصورتها مشتاقة أبداً.

ومنهم من سحرته الطبيعة فأخذ يجنح لها، وتكون عند من اعتملت فيه الوجدانية الإنسانية، فأخذ يضرب المثل بما يناسب التجربة من لهيب وظلام وحقد وحسد فيصورها بما عرفت من أمثالها كالنار والحرب والأفعى والظلام وغيرها، ويظهر ذلك في الشعر الحر عند القرشي لكن هذه الصور ليست على النمطية المعهودة في الشعر وإنما اختلفت ألوانها، واختلطت أنسجتها، بل أخذ الشاعر يكون نسيجاً من الصور غير معروف من قبل، فهو يبني كيانها بخياله المبدع من تلاقح وتراكم المكونات الخيالية المتفاعلة مع تجربته، لكنها تعمد إلى الصور الحسية المؤثرة والتي تهدف إلى إشراقات فكرية، فالحسية الملتهبة المدلهمة التي تنبعث منها إشراقات الإيحاء الحزين أو الواقع المرير تلك الحسية هي المهيمنة على صور هؤلاء لكن ما هية الحسية وتكوينها فيه الجدة والقدرة الإبداعية.

والشاعر القرشي حفي بالصورة وهو يستنبطها من واقع بيئته، فقد صور لبنان بالنخلة، فالنخلة عمة العرب وهي الرمز الشامخ، فصورة النخل المتساقط

ترمز إلى أن لبنان له المكانة السامقة بين الدول العربية، أو هو مورد من موارد الخير.

ويعطف بصورة أخرى هي البحر المتمرد وتلك صورة تودي إلى غموض الصورة وهو يصور الأحلام ويشخصها بخروف الغداء حيث تنشطر على شفرة سكين وهذه صورة غزيرة الإيحاء، ويستشرف أن المأساة في بداية التكوين فهي لم تنجب، وحملها من لهب ونار، فإيحاء الصورة يوحي بالشدائد التي تتمخض عن الحرب الدائرة :

يا شجر النخل المتساقط حول النهر

عذراً يا شجر النخل

يا موج البحر المتمرد تحت الصخر

شكراً يا موج البحر

تنشطر الأحلام على شفرة سكين

المأساة الكبرى ما زالت حُبلى بالتنين

وكأنه يرمز لحضارة الشرق من نافذة لبنان التي أضحت عاصمة المشرق الحر، فأخذت تخبو بالدمار، فتصوير الشرق بالمسكين، وذر الرماد تحت سياط المخمورين صور ترمز لغيبوبة العرب إلى غيرها من الصور المتتابعة :

ونضار حضارة شرقي المسكين

قد ذر رماداً تحت سياط المخمورين

انقشعت كل براقع همجيات العصر

وتمطى شيطان العهر وطاغوت القهر

سألوا وأجابوا لم أفهم أبداً أي سؤال أي جواب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أسراب (الدراكولا) تقتحم الأبواب

أشباه الخصيان وأذناب الأذناب

قد برزت من فرج الغاب

عطشى عارية من كل الأثواب

هجمت أظفار تنهش في المرج وأنياب

والشاعر يوظف الأسماء توظيفاً رمزياً لتوحي الصور الكلية المشابهة (بيروت) (هوميروس) (أوراق التوت):

أنكرتك أمس أنا أنكرتك يا (بيروت)

أنكرتك عروس الفجر عجوزاً في التابوت

أنكرت قصيدة (هوميروس)

سقطت أزهار الأشجار

وأشواك الصبار

وذابت أوراقك يا (توت)

وبدت عوراتك ما أقبح أن تبدو العورات

ما أفظع أن يجري الدم في كل الساحات[1]

والشعراء حاولوا أن يرسموا صوراً ويعرضوا لوحات فنية في نبضات لغوية مخالفة للوسائل الشائعة في البلاغة، فهم ابتعدوا عن التشبيه المباشر، والاستعارة والمجاز وأخذوا بالوصف المباشر، والإضافة، واستدعاء الحواس، واستدعاء الصورة، كقول القرشي:

---

[1] زخارف بين أطلال عصر الجون ٣٠، ٣١.

مع انتفاضة الآلام في الوريد

يا إخوتي ما زال ذلك الصديد

ينضح من جراح الوطن المكبل العنيد

يزلزل المضاجع المضامة

لناشدي الهوان والندامة

زوبعة الأشعار، والأوتار لم تخلف نغماً

لم يبرأ الجرح فمازال دماً مجمداً وسقماً

تلك الجنازات تطل من يمين وشمال

ومرفأ الشمس-كما كان - بعيداً لاينال

والسحب الجهم وأوجه المرايا

تعكس ظل أدمع السبايا

والقافزون ما يزالون معلقين في الهواء

تربطهم سلاسل الخطايا

قد خرجوا من فرجة الزوايا

يعلكون الكذب المهان

ويزرعون الزور والبهتان

وقد مشوا على الرؤوس

ركعاً، عرايا !![1]

فانظر كيف صدور انتفاضة الألم في الوريد، فما ذلك إلا غضبة شعورية

---

[1] المرجع السابق ٧٤، ٧٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تزيد جريان الدم في الشرايين والأوردة، ولنتدبر في الصور التي تنبثق من ذلك الصديد فقد أشار إليها و لم يحددها وما أكثر جراحات الصديد في العالم العربي.

وتصويره لفلسطين المكبلة فهي صورة شمولية، ويستخدم المجاز ـــ أحياناً ـــ فالمضاجع المضامة إنما هي جزء من كيان الإنسان المقهور، وعبر بالمضجع لأنه الملجأ والمأوى الليلي الذي تتداعى فيه الهموم، وصورة المباشرة للدم الجامد والسقم الواضح، ومرور الجنائز والسحب الجهم وأوحه المرايا كل هذه صور ذات إيحاء ودلالة فما أروع تصويره (سلاسل الخطايا - ويعلكون الكذب - وزراعة الزور والبهتان).

والشاعر يصور الغد المجهول لينقذه من المعترك الحاضر الذي يدور في رحاه، فهو ينتظره كانتظار الوليد، وآماله تتشعب كتناثر السحب في الأفق يتأملها البدوي والشمس تتعاطف معه وتتقمص شخصيته، فهي وهي إلى ذلك المجهول، والمجهول بماهيته البائسة أو السارة إنما هو أهون من واقعه:

دفء ذلك الغد أرنوا لـــه الآن ... أرقبـــه كانتظار الوليـــد

كنضار من السحب منثرة في روى ... الأفق والشمس تغرب وهي الشرود

دافيء دافيء وأنا حجر شفه البر ... د ألوت به عاصفـات الجليـد

فهل ترى ما هو المجهول؟ أهو انتظار الموت والانقطاع من الحياة لفرد الشاعر، أو هو الأمل للأمة العربية الإسلامية المجهول لها فالانقطاع أخف مما تعانيه؟ تختلف القراءات فالنص قابل لتعددها.

وعرف المنظرون للنقد الحديث الصورة بأنها « قوة ذات نشاط ذهني توحد بين القلب والعقل، وبين الوعي واللاوعي، تثار بحافز عميق، ويصحبها انفعال منظم لتنتج صوراً وأشكالاً تعبر عن تجارب متجاذبة متنافرة، لكنها منظمة

منسجمة وتولف كلاً موحد»[1].

والشاعر يحيى توفيق قد لاحم بين قلبه وعقله ووعيه وغير الوعي منه، وقرع قلوبنا بانفعاله المنظم، ورسم لنا لوحات في ميدان نفسه ورياض شعره، لأنه يلتمس صوره من المدركات الحسية الماثلة في واقعه، وينتقي المتقارب والمتآلف منها والذي لاينزو على الشعور أو يذيبه في حياض العقل، فهو « يحوك الكلام على حسب الأماني، ويخيط الألفاظ على قدود المعاني»[2] التي تنغرس في نفسه وتقدح تجاربه فيتمازج ذلك الشرر من الشعور بما يدور في ذاته ويشه في قوالب لفظية سهلة ميسورة تتدانى قطوفها كما يقول الأصمعي « هو من طبق المفصل وأغناك عن المفسر »[3].

ومن روعة التصوير قوله :

وفجأة عصف الرنين بـ (هاتفي)	**فرفعته وأناملي تتلهف**
وسرى إليَّ مع الغروب هديلها	**همساً تبادلني الحديث وتلطف**
راحت تضاحكني ورحت أبثها	**كلفي بها فتهيم فيَّ وتسرف**
ورأيتني أسمو بأحلامي إلى	**أفق السماء محلقاً أتعفف**
ولمست من شغفي النجوم وهمت	**في ظلل السحاب كأنني متصوف[4]**

وهذه القصيدة تتلون فيها الصور الذهنية والشعورية والحسية في تلاحم وانسجام وفي رقة وعذوبة وقرب مأخذ، فصورة ارتعاش الأنامل من الوله والهيام أمر لاينكره منكر في حال الانتظار لمحبوب أو رفيق أو صديق أو شفيق ورسمه

---

[1] د/ عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري ٨٢.

[2] ابن رشيق، العمدة ١ : ١٢٨.

[3] المصدر السابق ١ : ٢٤٩.

[4] يحيى توفيق، سمراء ٤٧، ٤٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لنغم أصواتها هديل الحمام، والرسمة الحقيقية الحسية في المضاحكة بين العاشقين، والصورة الذهنية والشعورية تكاد أن تتداخل مع أي صورة من الصور الحسية، فالمحلق والمتصوف أمران يرمزان إلى دلائل نفسية ثره.

ومن هنا يتضح أن شعر الشاعر تفاعل بين القلب والخيال، يقوم على هزة القلب ومتعة النفس في تشابك وتلاقح وتناغم، والشاعر لم يبدع في هذا وحسب وإنما رسم لنا لوحات متتالية من صور البيئة التي تلاقح فيها فكرة وشعوره وتغذي بلبنها، فالبيئة الحضارية في الحجاز تزخر بالحدائق الغناء والشواطئ الجميلة، وشباب اليوم يعيش في قصور ذات حدائق وبهجة وشرفات ودروب، وقد رسمها لنا الشاعر بعد أن بث فيها الحياة من خلال إشعال روح الحب فيها بين العاشقين، يقول على ساحل (أبحر)[1] :

ولست بناس إن نسيت وقوفنا ... بـ (أبحر) عند الفجر والبدر سامر

تميلين نحوي في دلال وفتنة ... وثغرك بسام وحسنك ساحر[2]

ويقول:

وعلى الرياض إذا خطرت فعرجي ... نحو الخميلة وانشري رياك

فلعلني يوماً ألوذ بظلها ... فأشمه وأعيش في ذكراك

وأهيم فيها كيفما شاء الهوى ... وأعيش فيها عيشة النساك[3]

ويقول :

أراك على دربٍ فأعبر مسرعاً ... لكي لايراني عاذل ويراك

---

(1) أبحر : قرية ساحلية بجانب جدة واتصل بها المشروع الجمالي للشاطئ.

(2) يحيى توفيق، أودية الضباع ٦٥.

(3) المرجع السابق ١٩.

تسيرين في وهن ووجهك مطرق حياء وقد أوهى الغرام خطاك[1]

والشاعر يقتفي أثر أولئك الذي يُعلون من شأن الخيال، ويجعلونه العنصر الأول في الشعر، ولايعترف بوصاية العقل كثيراً، غير أننا لانعدم الوصاية العقلانية الحتمية في إبداع البشر، وشعره وإن لم يعتمد على فكر عميق لكنه تركيبه يستدعي العقل دائماً، فالصورة من الواقع والشعور، والفكر ونسج الإبداع لايستطيع أن يتعرى منها أولئك الذين يدعون إلى التدمير من أهل الحداثة، فكيف بشاعر إبداعي ملتزم بعقيدته ولغته، وربما إن انغماس الشاعر في الرقة الغزلية التي تستدعي اليسر والوضوح والسهولة قد صبغته بصبغتها الدائمة في جل شعره فأعرض عن التأمل وتداعيه في الفكر العميق.

والأمر الآخر أن الشاعر معني بالشعور، فالشعر عنده هو الإحساس النابض من مشاعر الإنسان، والعمق يرجح بالعقل ويلفظ الشعور، لذا فإن الشاعر أعرض عنه، وكذلك تأثر بموهبته واستعداده التي جذبته إلى هذا اللون من الفن، وتواصله مع أسلافه من شعراء الحجاز، وتلاقحه مع البيئة الحجازية الرقيقة، وانتسابه للمدرسة الرومانسية الحديثة التي تومن بأن الخيال هو أساس الشعر ومكونه ومخلده، وغذي كل ذلك تجاربه الحياتيه.

والذي جعلنا نغرق في صور الشاعر وتقرع أعماق نفوسنا وتتجذر في قلوبنا استعانته باللغة البليغة المنتقاة التي لانبو فيها ولاثقل، ومقدرته البارعة على الإنشائية الرقيقة التي لا تتأتى إلا لمن رزق موهبة شاعرية.

والشاعر في غزله لم يسلك سبل الأوائل في رسم صور المعشوقة، فالسابقون من الشعراء شبهوها بالمها والغزلان والإبل الجرب والمطاردة، أما شاعرنا فإنه يصور لنا الدلال والابتسام والتثني في إغراء فيقول :

---

[1] المرجع السابق ٧٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يا جميلاً بشط أبحر يلهـــــو ... يتحدى القلوب عند الغروب

نظرة منك كالسهام أحـالت ... خالي القلب مفعماً بالكـروب

قلت يا قاسي الفؤاد ترفـــق ... بقلوب الشباب قبل الشـيب

رد همساً بلهجة حيرتـــني ... وكلام في نبرة التـــــأنيب

لاتكلمني أنت شاب غريـب ... وأنا لا أحب همس الغـريب

فتبسمت والشمس في فؤادي ... وتضاحكت والجوى في جنوبي[1]

ويقول:

أشاقتك من ليلى لحظ فواتـــر ... وثغر كثغر الطفل غـظ عاطـــر

ووجوه عرفت السهد لما عرفته ... وسلمت في ضعف وكنت تكابر

وخصر وهي حتى حسبت كأنه ... إذا هبت النسمات قد يتناثـــر[2]

ونقول: إن الشاعر ابتعد عن الصور القديمة في حل شعره، فلم يذكر السيف والقنا والأفاعي والثعبان والوحوش والغزلان وغيرها، فاستعان بمشاهداته وواقعه التي تغاير مشاهدات أسلافه وبيئاته، ثم إن الشاعر لم يكون ذهنيته في عهد الصبا بالرواية والحفظ لأشعار القدامى، فلم تنحفر وتنغرس في آلياته الشعورية وغير الشعورية.

واعتمد في تصويره على رسم اللوحات التي تبتعد عن التشبيه والاستعارة أحياناً وتستعين بهما أحياناً، واعتمد على إدخال عنصر الحياة التي تتآلف فيها الطبيعة مع العاشقين، وكذلك فإن الحركة التي تمتاز بها الصورة عند الشاعر تنبض بالحياة، وليس هذا فحسب وإنما تنبض بالشعور الذي يحسه العاشق.

---

[1] أودية الضباع ٥٥.

[2] المرجع السابق ٦٤.

واسعتان في صوره الذهنية بالمحادثة والحوار بين العاشقين، فكأنه يرسم ضحكاتها وقهقهاتها العابثة، ويرسم البشر والمرح والمزاح أمام المتلقي، أو الحزن والأسى في البعد والفراق، يقول:

أه من الشوق يا ليلى يحرقني	شوقي إليك إلى عينيك يضنيني
عيناك بحر عميق لا قرار لـه	غرقت فيه بروحي قبل تكويني
كم يوقظ البعد أوجاعي ويشعلها	فأين أنت بروح الحب ترقيني

ويقول في القصيدة ذاتها :

ودعتها ودموعي لاتكف أسى	وعينها جزعاً تبكي وتبكيني
قد كنت أغبط نفسي في مودتها	والحب يغمرني والوصل يدنيني
واليوم أبكي عليها بعدما رحلت	بقلب واهٍ جريح الروح محزون[1]

والشاعر يستلهم الصور الواقعية التي تثير إحساس الإنسان لكون هذه الصور ملازمة للمرأة في كل زمان ومكان، فلا غرابة أن تدرج على ألسنة الشعراء القدامى كما يصورها الشاعر الوجداني المعاصر، فرنو الطرف، وتأثيره في القلب، والبسمة الحيرى، والحسن الباهر، والجفن الأكحل، والشعر الأسود تلون السحر الجمالي عند يحيى توفيق :

رنوت بطرفك الساحر	لتضني قلبي الحائر
وجدت ببسمة حيرى	أنارت ثغرك العاطر
كشفت الستر عن وجه	تجلى حسنه الباهر
وجفن أكحل يغوي	وخد فاتن زاهر
وجيد صيغ في حسن	يفوق تصور الشاعر

---

[1] سمراء ١٩ - ٢٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وشعر كالدجى سبط وخصر ناحل ضامر[٢]

لم تكن هناك موارد ثقافية، ومجالات لاتساع الأفق البشري مثل عصرنا الحاضر، فأحييت العلوم القديمة، وتيسر الاطلاع عليها، والاستلهام منها وتوافدت الثقافات من الشعوب المختلفة، وتكاثر الجديد من ألوان المعارف، وتمكن الكثيرون من الاطلاع على معالم الطبيعة والحياة، وتفتق الوعي بها والشعراء أكثر التقاطاً للصور وأكثر وعياً بمكونات الحياة والبيئة وسائر الكون، والرومانسية اشعلت الانفعال وأيقظت الإحساس بهذا الكون، ومن هنا فإنا ندرك أن المخزون الثقافي قديماً وحديثاً يكون مجمعاً لانتقاء الصور ويعين المخيلة على نسيج من ألوان الصور الذهنية والحسية.

والمتأمل في شعر الوجدان في بلادنا يدرك أن الصورة معلم من معالم جماله التي استعان بها الشعراء لتحمل، ما يعتلج في مخيلتهم وما ينجم عن فكرهم وما يصدر عن انفعالهم.

والشاعر المنصور يعمد إلى تشخيص الذهنيات التي تدعو للشوم مثل الفناء الذي يجعل له لعاباً ساماً مميتاً كالأفعى، ويفتك بالخير الذي لاصراع عنده بل يصحبه ليفتك بمن يدنو، ففلسفة الحياة تقوم على اقتران الجميل بالقبيح، الخير والشر، الحياة بالموت، فالزهر يترنح ولواه الردى وهو رمز للطهارة الإنسانية من الأصفياء يفتك بهم الشر :

ثم مجت لعاب الفناء

فوق زهر الربى

فترنح ذا الزهر ثم انحنى

ولواه الردى فارتمى

---

[٢] أدودية الضياع ٨٣.

وهو يجمع شتات المنغصات التي تقف في سبيل الإنسان في هذه الحياة، ففحيح الأفاعي بين جميل وشوشات الغصون، فالظلام الذي يكتنف المعابر الحياتية.

فحسبنا الفحيح على دربنا

وشوشات الغصون

سكرت بالرؤى

شفتاه.. وغام الضياء

دربنا مظلم

كلنا ساحر يجتلي بالرقى

داجيات المنى..

ويوارى عن المشتهى

لابسا ثوب زهد.. كذئب عوى

ضارعاً وهو يشكو الطوى

ثم قدمن اليل جلبابه الأسودا

وارتدى

وكذاك الشياء

خدعت بالشفاء

وبثوب يلف الرؤى الجانعات

ضاق بي دربكم أيها الأصدقاء

وسئمت الدروب التي تسلكون

ودروب الحياة التي تعرفون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ودروب الرؤى الجائعات

ويستمر في تصوير حسي مشحون بالشوم، والمكدرات فالدرب لجة ويسيل دماً والدموع تفيض من سالكيه واليوم قائظ شديد الحرارة، والنهاية سراب.

دربنا لجة

طفاح بالدماء

بدموع الأسى

من جراح القلوب

عصرتها الحياة

أمسنا مائت ضائع

يومنا لاهث جائع

غدنا المقبل اللامع

مثل شمع يذوب

أو سراب بعيد

أن دنى يحتضر

وتحث المسير وراء السراب البعيد

وجراح يئن على دربنا

زاحفات على منكبي أمسنا

روعت يومنا اللاهثا

وسراب الرؤى قد بدا

لامعاً كالضحى

فحشنا الخطى[1]

وتظهر الصورة الشعورية عند البواردي في (لماذا أصرخ) فصوره الصراخ الحسية وصوره بأقبح الأصوات عند النعي، فهو يحمل أرزاء، والقلب يتحول إلى مادة جارية من وقع الألم، وصورة الكون تشارك الشاعر الأنين فالأفق يئن ذليلاً بل أصيب بالجنون الهائج لهول الأمر على الأمة أو الفرد الذي يرمز للأمة، ويوظف لونا من المفارقة الفردية للرمز فاليوم يتحول إلى كيان يحس فهو يسخر لأنه يحمل في ذاته الأنسان، وهيمن ظلام الشاعر على نوره :

أنا إن صرخت بملء صوتي الناعي

فلئن قلبي ذاب في أوجاعي..

ولئن آفاقي تئن ذليلة..

جُنت هول كيانها المتادعي..

ولئن أمسي راح يسخر من غدي..

ولئن يومي هام في ضوضائه..

يهفو لها بمشيئة المرتاع..

ولئن داري – وهي أصدق منزل

وطأته أقدامي _ سعت لخداعي

ولأنها قيثارتي جُنت معي..[2]

فالشاعر مازج بين الصورة الذهنية والحسية، وصهرها في كيانه فاشتعلت الصورة بالانفعال، والصورة ترمز بالفرد للمجتمع.

---

(1) الموسوعة ٥.

(2) شعراء نجد ١٦٦.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والصورة عند القصيبي تتحمل بنقل البوح الذاتي مصحوباً بالتصوير الحسي الحركي، الموحي بالوهن من أثقال الحياة :

قبل أن أرتمي كطير غريب وجد العش في إخضرار العيون

فهو يتساقط إعياء، وهو في حياته محلقاً أعياه التحليق، لعله يجد حياة أفضل تشبه الطبيعة في صفائها، وهو في أمل كرؤية الطير المحلق لخضرة العيون التي أرتمي إليها ولاريب من حجبه عنها.

ويصور الوجيب الداخلي بصراع البشر الحسي، والعذاب المولم يستقر وينام في جفونه :

من صراع تظله سكناتي من عذاب ينام تحت جفوني

فالصورة عنده تحلق في فضاء الإنسان، وتستدعي معه صفاء الطبيعة، ويُسقِط عليها صراع الحياة البشرية.

وما أجمل تصويره، بقايا الحنين، والأمل بالخريف الشاحب:

حين تذوي الشفاه يمشي خريف همجي على درب الحنين

وهو يرمز للآمال بالنجوم فإنطفاء الآمال كأفول النجوم، ولاتختفي الآمال إلا بقوة الطعن :

عندما تطفئ النجوم وتغتال شذى الزهر طعنة السكين [1]

والوجداني يميل إلى الواقعية لكنها باشكالية رومانسية حيث غزارة حشد الصور الغريبة، فالواقعية ينزعها الشاعر إلى غربة التكوين لكنه يستمد مكونات الصورة الكلية من الواقع المشاهد.

---

[1] المجموعة الشعرية ٤٩٤.

فصورة الساغبين الذابلة الصفراء الذين يأملون في سنابل المصيف وسنابل المصيف وهمية لأن السنابل القمحية شتوية إذن فهم يأملون تغيير الحقيقة أو قريباً من هذه معاصر الخريف، فالخريف وقت ذبول الأشجار وتساقط الأوراق فلا نتاج إلا ورق متداع ذابل لايشبع ولاينفع ويحشد صور كلها سرابية لاحقيقة فيها فكأنه يأس من معالجة قضايا الفقر في العالم الإسلامي.

فهو يكثر من الصور، وهي تصور يأسه، وتلقي ظلال المآسي على المجتمعات، وهي ذات تأثير يؤدي إلى القشعريرة لدى المتلقي فوظيفة الصور تطهير وتبرأة لضمير الشاعر الذي يعاني من قضايا مجتمعه فهو يكشف عنها لعلها تجد معالجة :

الساغبون يضحكون من سنابل المصيفْ
تجذُّها الأوهامُ والأحزانْ
ويطمعون في معاصر الخريفْ
ويحلفون للعراءِ .. للرغيف
يُلوِّحون في الرمضاء للظِّلال والحنانْ
كأنهم في عَتْمَةِ الأشجان
جنادبٌ مقصوصةُ الساقينِ لا تَطيرْ
خُرافةٌ في خاطرِ النسيانْ
ويُخرِجونَ ألْسُناً مُهترئة
لِيَلْعَقوا الغبارَ من أنوفهمْ
ويصنعوا بريقهمْ بَهارْ
ما أطولَ النّهارْ ..!
ألْسُنُهُمْ باردةُ القرار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كجثّة تغطُّ في الصقيعْ
أو رنةٌ مهزنة
يسوقها إلى العيال معدَمٌ فقيرْ
قد فقد الخيار ..!
لكنهم يمشون في اختناقْ
تدحرجا كهمهماتِ كيرْ
ويزحفون .. يزحفون .. يزحفونْ ..
والأخطبوطُ خلفهمْ كعاصفِ الهجيرْ
كلهفة القبور في مفاوز الدهورْ
ومن أمامهمْ تراكم الضبابْ
حتى السرابُ لم يعُدْ سرابْ[1]

إن معاناة الأمم العربية والإسلامية ليست قريبة العهد، لكنها أطول من عمر الشاعر الذى عايشها، واثقلت كاهل المثقفين والمفكرين، وهما يأملون حلولا، ولكن تزداد ضراوة، وشدة، وتعقيداً. فالأمل أصبح سراب فهي صور حسية تناسب الموضوع الاجتماعي.

وشعرونا لكل منهم خصوبته في تكوين الصورة، وكل منهم جنح إلى الاستخدام الحديث الذى لا يباشر إعلان الصورة بأدواتها المعهودة، من ألوان التشبية كالكاف، وكأن، ومثل، وغيرها لكنهم أدمجوها في كيان التركيب وأكثر ما تُستبان من الإضافة مثل (خيوط الضياء) و(أنفاس باسمات الزهور) و(ضاحك الروض) و(خفق النجوم) و(صارخ الفتنة) يقول زمخشري :

في خيوط الضياء من مطلع الفجر، وأنفاس باسمات الزهور

---

[1] غناء الجرح ٥٨.

في حفيف الغصون من ضاحك الروض، وقد فاح بالشذا في البكور
في فنون الأصيل لاح على الأفق، وخفق النجوم في الديجور
في معاني الجمال، في صارخ الفتنة في رجع معزفٍ مخمـــور
في عقود الجمان من جيد حسناء ومن دُرِّها النظيم النثـير
في نياط القلوب، في ثورة الحب، وفي لاعج الهوى في الصدور
أرسلت سحرها فجاء بيانا فاتن الجرس، صادق التعـــبير[1]

فهو جعل الضياء خيوطاً ليشرك حاسة اللمس مع رؤية البصر، فتدل على نظرة الشاعر وقوة إحساسه بانبثاق الفجر، وصورة الأنفاس للزهور التى لم تدرك إلا بالعلم الحديث فإنه ضخمها، بل وشخصها، فجعلها تبتسم، ودلالة الصورة هنا تعبر عن نفسية الشاعر الذي يبتهج بالصورة الكلية للكون والطبيعة لإشراقة الفجر على صفحة الطبيعة متفاعلاً معها الشاعر، بالبسمة تارة، وبالضحك تارة أخرى، فالشاعر أسقط أحاسيسه على الطبيعة.

وهو في بيته الثالث : يرسم رسماً مباشراً جمال الأصيل بلا تدخل من الإحساس، لكنه يسقط خفقان قلبه في مآسيه على النجوم في ظلامها.

وفي البيت الرابع : تتجلى فلسفة الشاعر في الصور الطبيعية والكونيه، فهو يريدها مكتملة، صارخة الفتنة والتأثير، فالعزف يكون صاخباً من مخمور، والمرأة ذات أشعاع بعقودها، ودرها، يريد الحب ثورة عارمة يلتهب في القلب، يريد أن الجمال يهيمن على البشر بسحر مؤثر يتجاوز فعله العقول إلى القلوب.

وإذا نظرنا إلى مصادر الصورة في هذا النص نجدها مستمدة من الطبيعة أولاً، ومن حياة الكون، فالشاعر استمد صورة من مشاهداتها و لم نجد أثراً للتراث في تكوين صوره.

---

[1] مجموعة النيل ٤٠٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والقارىء لشعر زمخشري يعيش في غابات من الصور، فالأصيل له خيوط،

والفتنة تُنسج في مغزل، والشذى يتحول إلى سحب من العطر يختال في الفضاء والبشاشات البشرية يسقطها على الطبيعة، ويجعلها تعجب وتثير دلالا. وصفاء الطبيعة يتجسم في البسمة البشرية :

من خيوط الأصيل في مغزل الفتنة حاكت لها المحاسن ثوبا
وعلى نسجة المورد طاقات شذاها الفواح يختال سحبا
وبأفوافه الفتون بشاشات تهادت بها دلالاً وعجبا
ويفيض الصفاء منه ابتسامات صداها يشع في الأفق شهبا[1]

وصوره رومانسية تذوب رقة، تدور حول أشعة الضياء، وألوان الأصيل، ويمازج بين بهجة الإنسان ورقة الزهور، وعذوبة الماء، فهي مرتبطة بالبشاشة والبشاشة والابتسامات يقول :

إذا افترَّ عن معنى الصباح بشاشة ... يعانق ما يهفو إليه عميد
ويجمع حبات القلوب ابتسامه ... ويلهو بها كيف اشتهى ويريد
وأحلى من الشهد المصفى رضابه ... وإغراؤه بالخال عنه يذود

ويقول :

وإن جاد بالدر النظيم حديثه ... فعذب الأماني من صداه يجود
فيا لأصيل في الشفاه شعاعه ... تضاحك فيه الورد وهو نضيد[2]

---

[1] المرجع السابق ٥١٧.
[2] المرجع السابق ٥١٦.

المفارقـــة :

من المصطلحات الفنية الحديثة التي وفدت من الغرب، وكانت تدور في فلك الفلسفة ثم عرفت في النقد، وهي في مجملها تـدور حـول الجدليـة والحـوار الـذي يتفاعل في النص الإبداعي، عن طريـق التضـاد، والمعارضـة، وتقـابل المنطـوق مـع المفهوم، وتقابل الحكاية المنطوقة مع مفهومها، مع الإشارة إلى كل ذلك في النص، بقرينة تدفع المتلقـي إلى التـأمل، وتكـون بـين متضـادين مفرديـن، أو فرديـة ترمـز لجماعة، أو حكاية كلية تدعو إلى مفارقة مع الحكاية معاصرة، وبعضهم حصرهـا في الأدب العربي في أسلوب السخرية لكن الذين تحدثوا عنها، فتحوا لها الأبواب، والجامع لها كون النص يدعو للحوار بين متقابلين.

وأكثر الشعراء ميلاً للجدل الذي ينتمي للمفارقـة الأسـلوبية والفكريـة فهـو يحاور أو يجعلك تستدعي الجدل لمـا يجمـع بـين المتعارضـات، أو المختلفـات كـأن يجمع بين الجبال والسهول، والظلال والنور، والنهار والليل :

ياجبالا تعممت بثـــلوج	**وسهولا تأرجت بزهور**
وسماء دكناه جللها الغيـم	**بثوبين من ظلام ونـــور**
لست أدري أأستوى بنهار	**لايريني الطريق أم ديجور**

وتارة يقارن بين الطبيعة الحياتية في الإنسان والحيوان، فيكون عقلـه في تـأمل لرؤيته للمتباعدين المختلفين بل إنه يصنف البشر على تلك الحيوانات المتصارعة:

ههنا نلتقي بغاب ليـــــــوث	**مثلما نلتقي بفردوس حور**
فنرى في كليهما العقل والجسم	**كدوح نما بدون جـــذور**

ولايخفى العمق الجدلي لهذه الأبيات، فإن البشـر يتمـاثلون في سمـات كثـيرة، ويختلفون في عقولهم وأعمالهم، وسلوكهم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويصعد المفارقة ليقارن بين الحياة والموت :

ويرون الحياة مغنم من عاش فماذا من بعد غير القبور

ويلجأ للمفارقة الفكرية بين العقل والفؤاد

كنت أشقى على السمو بعقلي ثم أشقى على الندى بفؤادي

وهو يحترق في جدله وحواره الدائم بين الشقاء والنعيم، فهو لايرتاح لما يكون فيه حتى النعيم :

فأنا بين شقوة ونعيم ههنا بين جذوة ورماد

فهو إن تنعم تذكر الذبول فينطفئ الابتهاج وهو يتأمل مسيرة الجدل والحوار في الحياة، فهو يدور في فلك تلك المفارقة. فالقوة في نظره تودي إلى الكفران، والضعف يودي إلى القيم المحمودة :

هذه قوة تجيش بكفران وهذا ضعف كريم السجايا

أفتحتم على القوي التجني وعلى الواهن الضعيف الرزايا

أه لو يهتدي القوي إلى الرشد وتصفو للناس منه الطوايا

أه لو ينزع الضعيف إلى القوة حتى ولو سقته المنايا

لرأينا الورى نشاوى فمائم فروق ولامدى وضحايا

وهو يعود إلى ظاهرة التلون البشري في سلوكه، وتهافته على المادة، وتنافسه الدائم، فهو يتدبر التعامل الظاهري، والوجه الآخر المستتر:

رب نور قلوبنا لنرى الظا هر منا كالباطن المستتر

ليس أقسى على الانام من الحـ ـقد تبدى لهم بوجه أغر[1]

---

[1] الأعمال الكاملة ٤/٤٢٠ .

والشاعر محمد حسن فقي يتأمل في مفارقة حياة البشر في الأعمال الصغيرة والكبيرة الجليلة والحقيرة، وسلوكه الظاهر والباطن، في مفاخرة، ومعايبه في ضعفه وقوته تجده يشعل الجدل الحي في كيان الإنسان، ويلامس في حواره واقعه مع غاية

دينه، وسلوكه مع عمله :

صغائر يلقى الضعيف عنها عقوبة — مشددة ترمي بها لكبائر

وقد كان فيها لايجاهر خشية — من الذنب أوحيا بتقوى المظاهر

وجاهر قوم بالكبائر فاستوت — كبائر لاترضى بلوم المجاهر

ومنها :

فكيف ترى في الأمر ضعفا وقوة — نقيضين في الجوزاء أو في الحفائر

وكيف تظن القوة الضعف يرتضي — مدى الدهر أن يشفى بهذى المسافر

خناجر تدمي قلبه كل لحظة — فلابد من ثلم لهذمي الخناجر

وهو يتمنى حياة مثالية لا القوة تغتصب، والضعيف يهان، والعبرة واضحة في المقادير الكونية، فالقوة لاترد مرضا ولا موتا :

متى يستوي في الأرض ضعف وقوة — قد استويا دوما أمام المقادر

قد استويا حتى بدا العز في الثرى — كما الذل دودا في ظلام المقابر

وهو يرى أن الجمال والقبح في الظاهر لا في المخبر والباطن :

رفاقا فما يتماز حسن مدلل — عن القبح إلا باحتواء النواظر

ثم يضع البراهين لجدله فكل أبناء البشر سواسية لأنهم أبناء آدم فلما الظلم والتجني :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وما نحن إلا من سـلالة آدم فكيـف شقينا باختلاف العناصر؟

وكيف تقسمنا الحياة..فقادر تجنى – بلاحق – على غير قادر[1]

وهذا النهج يكثر في شعر محمد حسن فقي. والباحث يستنبط المفارقة من شعر الشاعر محمد العيسى وهو يلج في شعره إلى الجدلية بين الواقع والأماني، وبين الواقع وفكر الشاعر، وبين العقل ومثالية الشاعر، فالجدل كامن في كيانه يثور كثيراً ثم

يعود للهدوء الحذر.

وهو ينظر لواقع الإنسان، الذي لايجد مأوى، فينام على الرصيف تحت الأشجار المنسقة، فالمفارقة هي الجدل بين سكنى الرصيف، وسكنى المنزل.

وهناك مفارقة بين الغريق في قاع البحر، ومن يعيش على ضفافه، وينعم بخيراته والجدل يتكشف عند الذي يلهث بهتاف الحب ويموت ظمأ، ومن لايعرف الحب، ويتخم شبعاً :

منسوغ تحت الشجر على كل رصيف

مسجور في قاع البحر

بمحارات ندوب الليل

يلهث بهتاف الحب

يموت ظمأ

والدنيا حلم[1]

ويوظف المفارقة الصريحة في التقابل بين منطوقين متعارضين يجعلنا نحس بالمفارقة المتعارضة بين الشاعر وأسلوب الحياة، فالأمواج تتحداه، لكنه يحطمها

---

(1) الأعمال الكاملة ٤ : ٤٤٦.

(1) الإبحار في ليل الشحن ٢١٩.

على صخوره، والرياح الحارقة تذوب في سعيرة المتوهج، والخطوب تترى، وتتمزق وتخمد في تصديه :

طاولتني الأمواج عنفا ولكن حطمتها على الشواطئ صخوري

داهمتني الرياح عصفا هجيرا فتلاشت من لفح وهج سعيري

أنا صنو لكل خطب جسيم والعوادي تمرغت في ثبوري[٢]

ونلمح الفارقة في قصيدة (ثقوب في جدار العروبة) للقرشي. فما دام تكثر الأشباح، في أرض العروبة فإن المعادلة تقتضي اضمحلال الأمن والأنس وانتشار الرعب والخوف، وانتشار الدهاليز الكئيبة يقابله فقدان القصور المريحة، فالجدل بين المنطوق والمفهوم يولد تلك المفارقة.

وكذلك فإن الأخاديد التي تفقر فاها يقابلها بناء الحياة الناعمة التي تضمد الجراح :

تكثر الأشباح في أرض العروبة

والدهاليز الكئيبة

والأخاديد التي تفقرفاها

والدنيا تغرر بتجملها وجاذبيتها، فهي تغري، مما ينفي الحذر منها، لكنها تفتك كما يفتك السيل بالشجر فهو يغذية ويدمره.

وكثرة الباكين والشاكين، والمستضعفين، يقابله مفارقة مع الباسمين، والراضين والأقوياء، فالغلبة للتداعي والضعف :

كلما ازينت الدنيا

لكي تبلع كالسيل جناها

---

[٢] المرجع السابق ٧٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يكثر الباكون، والشاكون

والمستضعفون

وهو يشير إلى أن الباذلين من البشر العاملين بإخلاص لايرتوون وينالون ما بما يعادل جهدهم لكن ينال المال من لايستقي بالأيدي، إنها مفارقة ذات مضمون اجتماعي يشتكى منه في كل زمان ومكان.

والذين يكسبون بلا مقابل وبذل وعطاء للمجتمع فإنهم لاضمائر لهم توبخهم بينما الآخرون يحاسبون أنفسهم، وأولئك الأشرار، يجرحون الخير والضياء والمفارقة أن العاملين وأهل الخير حتما عليهم المحافظة على الضياء واستدعائه :

والألى استقووا بلا أيد

ومن أوزارهم لايتعبون

يثقبون الصبح

يلغون رؤى الحق المبين

ومنها :

ويسيرون نياما

ثم هم لايشعرون

يعلمون الباطل المحض

ولكن في ضلال يعمهون

شارد هذا إلى الغاب

وهذا ضاحك من غير أسنان

واشداق

وهذا سارق من أحلام أطفال صغار[1]

فنحن نلتمس المفارقة في هذه الأسطر فكل منهما يموج بجدل بين المفهوم والمنطوق. ويقف القصيبي عند المرأة في بلادنا وقفة المتأمل كاشفا الحقيقة عن طريق المفارقة الفنية التي تكشف الجدل بين المتعارضين أو المختلفين.

فالمفارقة المضمونية لقوله : « نشرت الشراع وأبحرت » يقابل ذلك المتجمد الذي لم يبحث و لم يتجول و لم يعلم، فعلم الأول يصدر عن معرفة إذن فهو يقول لنا : إن حكمه متفرع من وعي ومعرفة. وقوله : « همت وراء وجوه الحسان الثقيلة بالعطر والكحل والبسمات التي ما التقت السعادة فهناك حسان وجوهها غير مثقلة بالعطر والكحل والبسمات المجانية، فالمفارقة بينهما أيهما أفضل وما دام أنه لم يلق السعادة مع المثقلات، فحري به أن يجدها عند الوجه البسيط فاستغنى عن نفي تكلف الزينة.

وتأتي المفارقة في« كأفكار طفل» فإن المرأة الشرقية لم تثقل بلعنة الحياة الغربية، بينما المرأة الغربية تحمل الفلسفات النظرية والعلمية، فحياتها مؤطرة بالمقابل والعقلانية مما يجعلها تفتعل الأنوثة فهي في غربة عنها، بينما تشع الأنوثة من المرأة الفطرة أو النابعة من تصرفات طبيعتها المقتدية بالدين وضوابط العقل غير المثقل بكاهل الفلسفة :

نشرت الشراع وابحرت
همت وراء وجوه الحسان الثقيلة
بالعطر والكحل والبسمات التي
ما التقت بالسعادة
وجهك أنت بسيط

---

[1] أطياف من زمن الرماد ٤٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كأفكار طفل
وما زخرفته الأيادي الذكية
مازال يعكس حزنا.. وجوعا.. وخوفا

فالوجه لوحة تنبيء عن تموجات المشاعر، فالمفارقة تأتي عند أولئك النساء الغربيات اللاتي يتظاهرن بالحب ولاحب فهي قادرة على إخفاء المشاعر الداخلية. وهو عندما يشير إلى ابتعاد المرأة في بلادنا عن الفلسفة فإنه راغب في ذلك لأن مشاعرها لم تدنس بالفكر البشري التائه، ويعتمد على فطرته في معرفة الخير والشر والحب والبغض ويدرك الإخلاص بمفارقة للرياء، فمن يعرف الرياء يعرف الإخلاص

ويضحك حينا.. ويعبس
وجهك أحلى وجوه البشر
نشرت الشراع وابحرت
همت أصارع سر الحياة
واسبح في لجة المعضلات
وأنت.. ذكاؤك ما صارع الفلسفات
ولا امتد خلف حدود الطبيعة
يسأل.. لم يدع العلم
لكنه يعرف الخير والشر..
ينفذ عبر ضباب الرياء[1]

والمفارقة تظهر في حوار داخلي فالشاعر يحاور بين الواقع والأماني وهي مفارقة أبدية ويحدث مفارقة بين أيامه الأولى ذات الأنس والهناء وأيامه الحاضرة

[1] المجموعة الشعرية ٤٨٣.

ذات العناء والشقاء يقول صالح العثيمين :

كلانا شقي بتلك الحياة　　يعيش على خفقات المنى
ويندب أيامه الخاليات　　ويبكي زمان الهوى والهنا

☆ ☆ ☆

ويهفو إلى خطوات الصبا　　ويرنو لأشباحها الحالمات
وينظرها نظرة المستجير　　ويرنو لأشباحها الغانيات

☆ ☆ ☆

ترامت بنا فوق لج الأسى　　مقادير أرست بوادي الجوى
فصرنا نجوب بأرجائه　　إلى أن دهتنا صروف النوى

☆ ☆ ☆

كلانا وحيد بآلامه　　يعيش على متن أسقامه
ويبكي على صبح أيامه　　وكيف تدجى بأوهامه[٢]

ومن الرمز التراثي ما أورده الخطراوي في قصيدته (أنا في طيبة) من تاريخ يثرب قبل الإسلام كماء (الضحيان) للشاعر أحيحة بن الجلاح وبعض مياه الخزرج كفارع وزيدان :

ويناجي الأحلام عبر رحاب　　طوقتها بسرها اللابتان
فكأني من فرط زهوي مقيم　　في بني جحجبا على(الضحيان)
وكأني بالخزرج الصيد هبوا　　من ذرى فارع ومن زيدان

ويشير إلى الأقوام الغابرة التي غزت يثرب، واعتركت مع القبائل العربية صاحبة الديار:

فهي آجامهم نمتهم فكانوا　　قدرا مصلتا على الإذعان

---

[٢] شعراء نجد المعاصرون ١٨٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مرغت أنف تبع ويهوذا وحباها جبلية الغساني

فعليها من عزمهم نحات ماوعى مثلها سجل الزماني[1]

فالمفارقة تأتي من استدعاء الحوار والجدل بين حياة الأمم التي تتابعت في استيطان يثرب. وقصيدة (رسالة إلى بختنصر) تزخر بزخم الاستدعاء التراثي الموغل في القديم الذي يمثل الصراع مع الأمه العربية قبل الإسلام وبعده، ومن ثمَّ تكون المقارنة بجدل المفارقة فهو يشير إلى انتصار القائد بختنصر على اليهود :

رعاك إلهك يا بختنصر

رأيت خيولك تبكي دما

تهز الذيول ابتذالا

ويملأ أعرافها الحزن

وتلهث عبر الحقول تجر السمادا

تباع كسقط المتاع

تسام الهوانا

ويشير إلى عبث اليهود ببقايا وآثار الجيوش البابلية في بيت المقدس ويذكر أورشليم (وبنامين) و(بابل) وعشتار وسيرميس :

رأيت دروعك في (أورشليم)

يرابي بها بنامين

ويطرحها في المزاد لكل الصغار

وتبكي بـ (بابل) خضر الحدائق.. يعول فيها العنب

ويخبو اللهب

(1) تفاصيل في خارطة الطقس ١٠.

بمعبد (عشتار) أو (مسيرميس)

يجاوبه الشاطئ الذهبي

بـ (أيلة : وبختنصر)

رأيت سيوفك تشكو الضياع

وتبكي التياعا [1]

والقصيدة تحفل بالرمز التاريخي القديم، ولكنه تحمل رمزا كليا للعصر الحاضر، فالأحداث المعاصره تتكرر في صورة القديم وكذلك القديم يتجلى في صور الحديث ألم تلحق الهزيمة بالجيوش العربية، ويُنهب بيت المقدس وتُباع تحفه بالمزاد العلني، وتحرق بالنيران وتبكي سيوف الأمة العربية ويكون الضياع.

ويرمز بالخناجر رمزاً فردياً، وكذلك يرمز بالمدن إلى أممها، وبالمطابخ إلى مواطن القرار السياسي :

رأيت خناجرك (العربية)

تجوب المطابخ

تمضي ذليلة

تقبل أعتاب (باريس)

تعنو (لندن)

تلقى (نيويورك) بالحب والقبلات

تسافر نحو الكرملن بالزنجبيل

وتمنح (بكين بعض الصلات)[2]

فهذا رمز لواقع التأثير السياسي المعاصر اليوم. وتظهر المفارقة للصورة الكلية

(١) المرجع السابق ٨٥.
(٢) المرجع السابق ٨٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في قصيدة (على هامش مسرحية حديثة جداً) فالشاعر يستدعي الصور القديمة لتكون المفارقة بين واقع الأمم المعتدية على الأمة الإسلامية، فالذي يدرك واقع الانتصار لجنكيز خان، وهمجية التتار فإن المفارقة الجدلية تكون بين أمة منتصرة والأمة العربية المهزومة :

جنكيز : رأسه مكلل بالغار

يعبث في حقائب السمار

مصفقا للويل والدمار

فالويل والدمار حل بالأمة الإسلامية فالقارئ يستحضر الجدل للفكر التاريخي والمفارقة تكون هنا بين استحضار الرموز أيضاً فهو في هذه القصيدة يستحضر قائد إسلامياً، وآخر معادياً مثل بابك الخرمي، ويستدعي القيم أيضاً :

فأين يا (أبا عبيدة) تسير بالأجناد

والخرمي (بابك) يضحك في استهتار

ويقول : ونعش نور الدين

في جامع الوليد

ويقول : وينحنى (لمزدك) (مانئي) وماجن حمار

فالقصيدة عاصفة من المفارقات الجدلية المستوحاة من التاريخ المتمازج في جدلية كبرى مع الحاضر، فالمفارقة هنا مزدوجة جدلية كبرى وظفت الرمز لتكون أكثر عمقاً وتكون المفارقة بين أمتين معاصرتين فالأمة اليهودية تبنى معابدها، وتحرق بخورها، وتذبح نذورها، وتقطف الأزهار، في موكب النيروز فهي في عيد سعيد :

وحفنة من (الكومبرس) تلعق الصغار

وتحفظ التلمود.. تحضن الصلبان

تبحث عن (إلهها) في كومة من نار
وتجمع الأحجار
لمعبد النيران
وتحرق البخور
وتذبح النذور
وتقطف الأزهار
في موكب النيروز
وتسهر الليل على موائد الفجار

تلك حالة لأمة فاجرة فهي منتصرة لدين منحـرف، لكنـه يستحضر مأسأة الأمة العربية في جدلية واضحة للمفارقة بين الحالين :

وجئت مبعثرة
تسبح في الدماء
جباهها سمراء
ترعف بالإباء
يلهو بها الفناء
كأنني أعرفها
هل خالد منها ؟ وعمرو؟ أو صلاح؟
وقطز أو بيبرس ؟
ماذا إذا درينا
وكل ما علينا
حضور المسرحية [1]

[1] تفاصيل في خارطة الطقس ١٠٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إذن فهذه مسرحية جديلة تحكي ألوانا شتى من الرمز الموظف لألوان أخرى من المفارقة ففيها المفارقة الأفرادية بين الشخصيات، وبين المذاهب، وفيها المفارقة بين حالة الامم المنتصرة، والأمة الإسلامية المنهزمة، وفيها مفارقة بين القديم والحديث الواقع.

وتظهر المفارقة عند الشاعر عبد الله الرشيد في قصيدة(من يشتري الأكفان). فما دام راجت وشاعت وأصبحت تجارة الأكفان مربحة، فإن المفارقة تتأتى عن طريق الجدل الداخلي للنص فالأكفان يقابلها البسة الجمال فكانت الغلبة للأكفان إذن فالأحزان، وهو يكون من جراء كثرة الأموات. والثياب لكثرة الأحياء لكنها تضاءلت مما يشير إلى قلتهم وكثرة الموتى :

من يشتري الأكفان ؟

من يشتري الأكفان للموتى؟ فقد ضج المدى واستفحل النتن

من يشتري الأكفان ؟

يا أسفا !

في عالم يغلو به الكفن[1]

وما الإعسار عن شراء الأكفان إلى كثرة الموتى، وكثرة الفقر، وقلت العصبية. وتظهر المفارقة بين (الضباب المعطر والملعون) فالمعطر صفة محمودة تدعو للاقبال وملعون من الطرد والإبعاد، والنتيجة الجدلية تبادل الإغراء والإبعاد في الحياة

أذهبي قبل أن تغيب سوياً في الضباب المعطر الملعون[2]

ومن مفارقة السخرية عند الخطراوي أن يجعل الارتواء للظلام الشديد فهو يسخر من هذا الارتواء، ودلالة الارتواء الشائعة تكون رمز للخير أو حقيقة ومن

---

[1] خاتمة البروق ١١٩.
[2] المجموعة الشعرية ٤٩٤.

هنا تظهر المفارقة في قوله :

يالقلبي ارتوت　　منه كف الغسق

ويجعل النسب الباذخ لايهون لكنه يسخر منه في مفارقة دلالية فيجعله يطير عبر دمعة أي بذلة وهوان :

نسب باذخ　　شامخ لا يهون
إنما طار في　　دمعة وأنين
حاضر ميت　　وزمان مشين[٣]

---

[٣] تفاصيل على خارطة الطقس ٩٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الموسـيقى

- الموسيقى .
- الموشحات .
- المثنيات .
- الثلاثيات .
- الرباعيات .
- الخماسيات .
- المرسل .
- الشعر الحر .
- الخاتمة .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الموسيقى :

رجح الشعر الموزن المقفى في دواوين شعراء الوجدان في بلادنا وأصبح هو مصدر شكلهم الفني، غير أنهم لم يلتزموا بالرتابة، والقيود إلتزاماً كاملاً، هم التزموا بالوزن، وتفننوا في القافية والروي، فجعلوا ينظمون على روي مقطوعة من القصيدة ثم ينتقلون إلى قافية أخرى، وثالثة، ورابعة وهكذا، وتكاد أن ترجح تلك المقاطع على القصائد الملتزمة بروي واحد لاسيما في القصائد الطويلة، كما هو عند العواد، ومحمد حسن فقي، ويكثر الالتزام بقافية واحدة عند شعراء الغزل من الوجدانيين مثل الأمير عبد الله الفيصل، ويحيى توفيق، أماّ الشعراء من الوجدانين الذين يتفاعلون مع سائر القضايا؛ فإنهم يميلون إلى القصائد ذات المقاطع وأشهرهم حسن القرشي، وأكثرهم التزاماً بالقافيه هو طاهر زمخشري، أماّ ما عداه، فتكثر عندهم القصائد ذات المقاطع.

ومن إغرام الآشي بالتنويع وعدم الرتابة إيراده قصيدة على مجزوء الكامل، فالعروض مجزوءة صحيحة، والضرب مجزوء مرفل، وهو يأتى بها في أربعة أبيات ثم يأتي بفاصلتين مكونة كل منهما من تفعيلتين متفقتا الروي ثم يتبعهما بأربعة أبيات مختلفة الروي لكنها متجانسة مع الأبيات الأولى في الوزن وعدد التفعيلات، ويستمر في تنوع الروى لكل مجموعة من الأبيات والفواصل، وتارة يوحد الروي في تلك الأبيات والروي في القصيدة ومن هذا اللون قوله :

ما للشباب وأين هم ؟ مالى أراهم فى هجود
بزغت شموس المجد والأوطان جمعاً فى جهود
هلا يريدون الحياة؟ وما الحياة سوى النضال
مافاز فيها غير من مشق الحسام، ومارجال
إلا حمـــــاة للوطن
فى موتهم عز الوطن

لبيك يا وطني وهل يفنى الذى يحيى البلاد؟
لبى الشباب نداءك العالى وهبوا للجهـــاد
سيروا أياشبان قومى للمعالى للأمـــــام
وخذوا وسائل حذركم وابنوا على أسس الوئام
أمجادكم وفخاركم
والعلم فيه فخاركم
سيروا بعزم الناهضين يرف فوقكم العلم
علم التفكر والرزانة وارهفوا حد القلم[1]

والشاعر العواد يجعل المقطوعة من ثلاثة أغصان وبيت كامل، وغصن منفرد ولكل من الأصناف روي مختلف، فالأغصان الأولى جعل لها حرف الروي العين والبيت الكامل وحد بين شطريه بحرف الميم، وختمة المجموعة جعل لها حرف الروي الراء والتزم بثلاثة الأشطر في ثلاثة مجموعات :

يا ليل إني قائل، فاسمع :
هذا (زرادشت) و(ماني) معي
فهل تعي ما قلت، أولاً تعي؟
قد شوها حسنك لي يا ظلام فهل ترى ياليل أن لا أنام ؟
أولا ترى ؟ ـ لا ريب أنت الغرير

☆ ☆ ☆

يا ليل هذا ما روى الأقدمون
عن سرك الهائل، والمحدثون ؟
فهل تعي يا ليل ما ينطقون ؟
لا، لا تعي أنت، ولم تدر ما يخطر في أذهانهم ملهماً

[1] عبد القصور وبلخير ٢٣٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنت لعمري كائن لا يحر

☆ ☆ ☆

ذي قاعتي فيك، وذا مكتبي،
وخير ما سطر ذو مذهب،
من كاتب، أو شاعر مطرب،
أو فيلسوف محدث أو قديم من ملتوٍ في الفكر، أو مستقيم
أو ناصح أمته أو نذير[٢]

وينوع زمخشري قوافيه وحرف الروي، في القصيدة الواحدة، من أجل التفلت من القيود الصارمة، مع مرعاة عدم الخروج عن الوزن، فإنه يقسم القصيدة على شكل رباعيات ويجعلها تختلف في القافية والروي، لكنه يلتزم بقافية وروي بل لفظة (عنى) في آخر البيت من كل مقطوعة :

فقلتُ : البدرُ أعظمُ قَدْرَاً لماذا لا أبوحُ له بحالي ؟
فكم يُصْغِي لزفرةِ كلِّ شَاجٍ يناغيه بأستار الليالي
إذا بالزفرةِ الحرَّى تَشِيدُ جرتْ أنغامُهُ الْجَذْلَى حيالي
فلما أن هَمَمْتُ أبثُّ شجوي تَحَجَّبَ. ثم قال: إليك عنّي

☆ ☆ ☆

فلما الفجرُ لاحَ هتفتُ: بشرَى تُنَضِّد بالسنا قِمَمَ الهضابِ
أرى زَحْفَ المواكِبِ من سناه يندِّي بالشذا خُضْرَ الروابي
فتنفض الطيورُ مغرِّداتٍ بكل حُيلةِ لِمُنًى عِذاب
فلما أن تدانى من مكاني تجهَّمَ، ثم قال : إليك عنّي

☆ ☆ ☆

[٢] السامي، شعراء الحجاز ٣٥.

فجئتُ الروضَ أرجو فيه وَكْراً ... أفيءُ إليهِ من لَفْحِ الْهَجِيرِ
وأسْكُبُ في غلائله نَشِيداً ... ينافِسُ رقّةَ عَبَقِ الزهـــور
فينتعش المصفّقُ في الْحَنَايَا ... ويطربُ من منادَمَةِ الطيور
فلما أن أحسَّ بما أعـاني ... تَنَكَّرَ، ثم قال : إليك عني[1]

وهذه المقطوعات مترابطة في المضمون حتى أن الشاعر ربط بينها بالفاء.

ويأتي زمخشري بشكل آخر فيأتي بمجزء الرمل ثم يعقب بعد ثلاثة أبيات بتفعلة (فاعلاتن) مرفل لكنه مختومة بلفظة (الله) فكأنها نيابة عن التزام قافية :

اللّيالى ومضاتٌ وبروقٍ ثُمَّ تخبـــو
كلُّ من تُنجبُ يبكي ثم للآلامِ يجبـــو
وهى تغريهِ بومَضْ منْ مراليها فيصبـــو
حَسْبَ الخُلد بها، لم يدْر إن العُمْرَ دربُ
قدرة الله

☆ ☆ ☆

عونك الُهَمَّ قد ضج بجنيَّ ضمـــــيري
وفؤادي خافق يرجفُ ملتاثِ الشعـــورِ
وأنا اللاّهثُ فى سعى ولا أدري مصيري
فأنِرْ بالهدْيِ آفاقي وبارِك فى مَســـيري
عونك الله[1]

☆ ☆ ☆

ويميل زمخشري إلى الرقة، فيجعل المطلع أربعة أبيات كل بيت عبارة عن شطر من بحر الرمل متفقات فى الروى والقافية، ثم يعقب ببيتين كل بيت عبارة

---

[1] مجموعة الخضراء ٦٨١.
[1] مجموعة النيل ٩٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عن شطر من الرمل مختلفة عن الأولى في القافية والروي، وهو لم يلتزم بالقافية والروي في الأبيات التالية، وأن التزم في أبيات القفلة :

يا حُمَاةَ الدِينِ آسَادَ بِلادِي
هَتَفَ الثَّأرْ يُنَادِي لِلْجِـــهَادِ
فاشْعِلُوهَا لَهَباً يَكوِي الأعَادِي
وَاتْرُكُوا رَجْعَ الصَّدَى فِي كلِّ وَادِي

شَـاهِداً إنا عَلَى مَر الزَمَنْ
أمَةُ التَوْحِيدِ حُرَاسُ الوَطَنْ

الدَمُ الصَـــارِخُ فِينَا بالاباءِ
يَقْهَرُ الخَطْبَ بِعَزْمِ الأقْـوِيَاءِ
ومِنَ المَجدِ لَنَا أسْمَى لِوَاءِ
لم يزَل يَخْفِقُ فِي كُلِّ سَمَاءِ

شَاهِداً إنَّا على مرِّ الزمَـنْ
أمَّةُ التَّوْحِيدِ حراس الوطن[٢]

فبنى الشعراء في بلادنا جل شعرهم على الموسيقى العربيـة والتزموا بمعيارية الأوزان الشعرية والقوافي، لكن شعراء الوجدان مالوا إلى السهولة والخفة في الأوزان، وتصرفوا في قوالبها باشكال مختلفة من التجزئة، والتشطير والإنهاك، وأكثروا التلاعب بالقوافي عن طريق تقسيم القصيدة بنظمها على نظام الموشحات، والمثنيات، والثلاثيات أو الرباعيات والخماسيات، وسوف استعرض هنا بعض الملامح السمات العامة في الموسيقى الشعرية.

[٢] مجموعة النيل ٧٠٠.

الموشحات :

تكاثرت الموشحات عند الشعراء الأوائل في بلادنا كالعواد، وحمزه شحاته، وغيرهما ومنهم عبد الوهاب آشي ، الذي أخذ ينوع في الموسيقى، ومال إلى الرقة من جوانب متعددة فهو مال إليها من ناحية اختيار الحروف المكونة للفظة، ثم هذه اللفظة تجاورت مع ألفاظ تجانسها رقة، إلى جانب التركيب الخفيف للجملة المكون في أكثر من كلمتين وحرف.

ومن جانب آخر أتت الرقة من الوزن، فهو منهوك الرمل وبيت القفل مجزوء بل أصاب الحذف من التفعيلة الثانية من الشطر الأول والقصيدة اتخذت شكل الموشحة نمطاً لها.

فبدأت بثلاثة أغصان اتحدت في القافية في مجموعتها وإن اختلف في رويها عن الأغصان الأخرى، لكن أبيات التفعيلة أتحدث في حرف الروي، وهو الميم، وهو الأكثر في الموشحات :

إن قلبي الوجيع
ما له من شفيع
عند حِبي الرفيع
فعسى قيثارتي تهدني نحو المرام
يا رفيق الهنا
أين مني المنى
قد براني العنا
هات لي قيثارتي فهي لي طب السقام
في الغناء الأسا
لفؤاد قضى
تحت عسف الهوى
هات لي قيثارتي كي بها أطفيء الأوام
في الغناء الرُقى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لنفوس الـــورى[1]

والشعراء في بلادنا وظفوا الشكل الموسيقى للموشحات بألوانها المختلفة. فالشاعر عمر عرب ينوع فى روي أبيات الأغصان فجعل الأولين يشتركان في حرف الحاء ، وجاء بما لم أر له نظيراً، فالتزم بروى موحد للغصن الثالث من كل أبيات الأغصان فجعل رويه حرف العين، والتزم بحرف الباء لروى الفاصلة التى تنوب عن بيت القفلة.

يا بلبل الروضة حي الصباح
مقبلاً عنى ثغور الاقـــاح
واصـــدح فإني مـوله مولع
تيمه الحب !
واعزف فإني قد دهتني الشجون
ومضني الوجـد ولا من معين
فبت دامي القـلب لا أهجـع
وعقني الصحب !
اساهر النجم واهمي الدمـوع
وأذكر الحـب بقـلب هـلوع
وقد تناءى الحـب والمربـع
وأقلع الركب ![1]

فجعل للأغصان الأولى حرف الروي الحاء، وللفاصلة الباء، والأغصان الثانية جعل النون للبيتين الأولين، وللثالث حرف العين مماثلاً للثالث من المجموعة الأولى وما بعدها.

(1) محمد عبد المقصود وبلخير، وحي الصحراء ٢٢٣.
(1) عبد المقصود، بلخير، وحي الصحراء ٣٦٥.

ومن تنويعهم للموسيقي نجد ان محمد حسن فقي يأتى بثلاثة أغصان جعل الغصنين الأولين متماثلين فى الروى، وجعل الغصن الثالث متفقا مع الفاصلة المكونة من تفعيلة وجزء من التفعيلة، فقد حذف ثلاثة أحرف منها، وقد وظف بحر الرجز

ليكون أكثر تصرفاً في علله وزحافه. وهو قد وحد حرف الروي في الفواصل لكنه جعله متحدا فى كل بيتين وهما يختلفان عن الروي في الأغصان الأخرى.

يأيها الغريد فى روضه

وأيها المحروم من غمضه

نبشت فى قلبى الشقاء الدفين

فحسبك الآنا

يكفيك يا طائر هذا النحيب

لا تبك إلفاً قاسياً لا يجيب

وخل ذا النوح وهذا الأنين

فالفجر قد حانا

حتام تبكيه وتذرى الدموع

وانت لا تأمل منه الرجوع

فكفكف الدمع الذي قد أهين

في إثر من خانا[1]

والشاعر زمخشري استقى الشكل الخارجي من الموشحات غير أنه لم يلتزم فمثلاً نظم بيتين في التزم في صدريهما بقافية، واتفق ضرباهما في قافية أخرى لكنه لم يلتزم بهما عند إعادة البيتين بل لم يلتزم بقافية عجز الأبيات :

(1) عبد المقصود، وبلخير، وحي الصحراء ٤٢٠

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا تسل قلبي لماذا يرسل الزفرة حائر ؟
لا ولا طرفي لماذا في الدجى الراعب ساهر

ثم نظم ثلاثة أبيات مشطورة اتفق روي البيتين الأولين، واختلف الثالث عنهما:

فالتهب حُبِّي
تشعل النار بقلبي
ثم تجريها دموعاً في العيون

ثم يأتي ببيتين مختلفين روياً عن المطلع، ويتبعها بثلاثة أبيات متفقات في الروي. لكنه يلتزم ببيت القفلة بروي النون في جميع المقاطع.

خفقةُ القلبِ استحَالَتْ صرخةً من صدرِ عاشقْ
ثم لما أن تَعَالَت ضَجّ باللوعة خافِقْ
كان في دنيا التمني
بالهوى العف يغني
والصدى يملأ أطباق السكون[1]

ويأتي زمخشري بالمطلع في ثلاثة أبيات تتفق القافية في صدرها الأول وفي عجز الأبيات بل ويزيد أن تتفق مع المقطع الثاني في عجز البيت الذي كتب كل شطر منه في سطر ليكون فاصلاً :

ها هنا النشوة فاضت من حَنيني بعدَ أن ذابَ فؤادِى فى أنيني
وهنا البهجةُ لاَحَت لعيونى فى الدُجَى الراقص من عذب الشجون
فجرّى السحر نغوماً فىَ لُحونى راقصَ الإيقاع فتّان الرنين
ثم لما هُمتُ فى دُنيا الفتون

[1] مجموعة النيل ١٣٣.

عَصفَ اليأس بخفاقِ حَزيْن

☆ ☆ ☆

ها هنا الحب عَلى الربوةِ طَـابا غمـرَ الكـونَ تَرانيـمَ عـذاباً

والصدى يُرجع لحـناً مستطاباً والرضـا أوحـى بأنّا نتصـابى

فنسـجنا مِن تصـافينا الثـّيَاباَ وَاقْتَطَـفنا مِن أمـانينا الرغـابا

ثمَ لما كـدتُ أن أنسـى العـذاَبا

ضجَّت اللوعة حولى فى السكون

☆ ☆ ☆

ها هُنا القبرُ فى النّفْس الأمـانى وهُنا أخفـى عَـذابى وهـوانى

وهُنا أرضى من الطّيف هـوانى إذ تجافـانىَ من بعـد التّدانى[٢]

ويجعل زمخشري موشحة من نوع الأقرع التى يستهلها بالأغصان بجعل الأبيات الأولي شطراً تتفق في القافية والروي ثم يعقبها ببيت يلتزم فيه بقافية متقاربة في سائر أبيات القفل.

جنّح اللحـنَ وغـرد يا (حياتى)

واطْرُد الأشباح من حولى وسادى

فسميرى أنت إن طـال سهادى

وإذا ثـارتْ بجـنْبَىَّ الشـجـونْ ـ فى الدجونْ ـ فترنّمْ

☆ ☆ ☆

لا تـائمْ للـيالى المـاضـيـات

فالصَدى العذبُ مثير الذكـريات

والشجا قبرٌ لأحـلى الأمنـيـات

[٢] المرجع السابق ١٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والأسى إن جدَّ يغتال السِّنينْ ـ بالأنينْ ـ فترنمْ

☆ ☆ ☆

وَتَرَنَّم بأمانيَّ العذابِ
بصَدى أفراح أيام شبابى
كلما همَت ولاحَتْ باقترابِ
قال دهرى: عودة الماضى مُحالْ ـ وضلالْ ـ فترنَّمْ

☆ ☆ ☆

وترنم تبسم الدنيا لَكَا
كم فؤادٍ فى شجاهُ هَلَكَا
والذى إن ذاب شجواً ما اشتَكَا
وهو بالحسرة مشبُوبُ الْضرامْ ـ إن تألم ـ يترَنَّمْ[1]

وهو التزم ببحر الرمل في الأغصان والأبيات، والتزم بعدد الاغصان ثلاثة، وبيت واحد للخرجة وقل أن نجده يلتزم بالقافية للبيت كالتزامه هذا.

---

[1] مجموعة النيل ١٢٩.

المثنيات :

وهم يبنون قصائدهم على شكل مثنيات؛ فيلتزم حسين عرب بروي موحد للبيتين، وينوع الروي للمجموعات، بل ويضع فواصل بنقط ثلاثة لتشير إلى انفصال كل مجموعة فهي تقترب من الشعر المرسل.

كلما أشرق الصباح عليها، أشرقت من خدورهنَّ الكعاب

يتهادين (للغدير) بأعطاف ـ تهادى بها، الهوى والشباب

☆ ☆ ☆

وإذا أقبل المساء، رأيت الرّوض ـ منهنّ ـ مستسر المرائي

يتناجين بين أغصانه الخضر، ويمرحن، في هوى وصفاء

☆ ☆ ☆

وتفيأت دوحة تنثر الزّهر، إذا مسها نسيم البكور

أتملى، من خلف أوراقها النضر، سنا الحق في ظباء الخدور

☆ ☆ ☆

الخدور التي استحالت لهباً، والقدود التي استمالت بعطف

والعيون التي إذا حدثت قالت : كلاماً يجل عن كل وصف[1]

فقد جعل للمجموعة الأولى رويا هو حرف الباء، وللثانية حرف الهمزة، وللثالثة حرف الراء والخامسة حرف الفاء، وقد التزم ببحر الخفيف في أبياته.

وممن بنى قصيدته على نظام المثنيات الشاعر حسين أبو بكر قاضي، فجعل كل مجموعة مكونة من بيتين يتفقان فى حرف الروي، ويختلف روي كل مجموعة عن المجموعات الأخرى وهو يستخدم علامة الترقيم الفاصلة بين كل مجموعة. فالمجموعة الأولى جعل حرف الروى فيها الميم، وحرف النون للمجموعة الثانية،

---

(1) الساسي، شعراء الحجاز ٣٠٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وحرف الراء للمجموعة الثالثة وحرف الباء للمجموعة الرابعة، وكذلك فعل في بقية مجموعات القصيدة.

ليـــلاي طـــال حنيـــني وزار فـــيك هـــيامي
ليـــلاي طـــال أنيـــني ولـــم أفـــز بمـــرام

☆ ☆ ☆

إلام هـــذا التغـــاضـــي عن قلب مضنى حزين
فـأيـن عـهـــد التراضـــي وعـهـــد حب أمـــين

☆ ☆ ☆

سهرت في الليل وحدي والـذكـــريات تمـــرّ
أســر للـــيـل وجـــدي ولاعجـي يســتحر

☆ ☆ ☆

ســـهرت في الليل أبكي ولا ســمير يجـــنبي
لمن تـــراني ســأشـــكي وليس لي من محـب[1]

والشاعر أحمد قنديل يصف ليله في تجزئه موسيقية كل مجموعة مكونة من بيتين، وخاتمة البيت الأول أخذت رويا مختلفاً في مجموعته لكنه التزم حرف الروي بين البيت الثاني والفاصلة التي ختم بها مجموعته فكأنه القفل. فالبيت الأول رويه حرف اللام وفي المجموعة الثانية حرف الباء، والثالثة الراى، والتزم بالراء في كل بيت ثان وقفلة.

طـاب ليلى وحـبيبى لم يـزل هامســاً بات يناجي في مهـل
صـبه المضـنى فجد لى بالقبل يا حبيبى تحت ضـوء القمـر
حين ضم الصدرْ

(1) الساسي، شعراء الحجاز ٢٧٨.

☆ ☆ ☆

هدأ الليل وضوضاء الصحاب وغدا الناس يسقيني الرضاب

والتقى الصدر مع الصدر وطاب في هدوء الكون ليل السمر

وارتشاف الثغرْ

☆ ☆ ☆

لا تظن الشوق منه قد برد باللمى البارد بل عاد أشد

يا حبيبي قد دنا الفجر وقد ملأ الجو ضياء السحر

قم نحي الفجرْ[1]

وزمخشري يبنى بعض قصائده على شكل مثنيات، يفصل بعد البيتين بعلامة الترقيم التى تشبه نقطة الوقف والانقطاع في النثر، وتختلف القافية والروى في كل مقطع.

وطني يا مطلعَ الفجرِ المنير والضحى المشرقُ بالخير الوفير

عاد إشراقُكَ ليلاً وقتير فَضَلَلْتَ السَّعي واستاء المصير

☆ ☆ ☆

كُنت في أمسك رُبَّان السفين وأراك اليومَ تلهو بالسنين

تلْكَ اللهو ذليلاً للجبين فمتى تُصحو لِماذا تستكين ؟

☆ ☆ ☆

وطنى يا معقل الدين الحنيف عزمهُ الجبار مصقول رهيف

ولهُ القوة فى الدنيَا حليف ناصرَ الحق، رفيقاً بالضعيف[2]

وتلك وسيلة لتنوع الروى والقافية، تقترب من الشعر المرسل بعض الشيء.

---

[1] عبد المقصود، وبلخير، وحي الصحراء ١٧٤.

[2] مجموعة النيل ١٠٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الثلاثيات :

ومن تنويع الجرس الموسيقي نجدهم يوزعون القصيدة إلى مقاطع كل مقطع مكون من ثلاثة أبيات، يتفق البيتان الأولان في حرف الروي بل في لزوم ثلاثة أحرف هي الألف والتاء والهاء، والبيت الثالث ينفصل بروي مخالف وهو الميم، ويتحد البيتان في الروي لكن يختلفان عن الأبيات الأخرى فلكل مجموعة روي ماعدا البيت الثالث لكل مجموعة فإنه التزم بحرف الميم في سائر القصيدة.

أما تذكرين زمان الصبا ... وعصر السرور وأوقاته ؟
وأنسا تقضى بتلك الربى ... نعمنا ملياً بلذاته ؟
نناجي السكون ونهمى الشؤون ... ونبنى صروح الهوى والغرام

☆ ☆ ☆

أما تذكرين صفاء الغدير ... وصدح البلابل وقت المسا ؟
وأنت بقربى ملاك السرور ... يزيل من النفس وقع الأسى
نقضى الغداة ببث الشجون ... ونطفى لهيب الجوى والأوام

☆ ☆ ☆

أما تذكرين وقد جُدتِ لى ... بقطف الورود ورشف اللمى
وقلت مكانكَ قف واجتل ... سناى فعندك بدر السما
فرعياً لعهد الولا والحنين ... وسقيا لعصر الهنا والوئام[1]

☆ ☆ ☆

وينوع محمد حسن عواد الروي في القصيدة، فتارة يلتزم به في بيتين، ثم يلتزم به في ثلاثة أبيات ثم بيتين.

---

[1] عبد المقصود، وبلخير، وحي الصحراء ٣٦٣.

أنا من تركتك شاعراً، وتركت ليلك جاثمـــاً

وتركت قلبك هائماً، وتركت فكرك حالمـــاً

وتركت شعرك ظالمـــاً، وتركتـه متشـــائماً

☆ ☆ ☆

ونشرت حولك للقراءة صفحة الكون الرهيب

وسريت في الليل البهيم بفكرك العاتي الخصيب

☆ ☆ ☆

وخلفت أفـــكار التشاؤم فيك تلتذع الفـــؤاد

وتطيل ليلك بالسـهاد، فلا فـرار ولا رقـاد[1]

☆ ☆ ☆

وهو التزم ببحر الكامل بعروض تامة، وضرب مرفل، وواضح الاختـلاف في حرس حرف الروي بين الراء المكسورة، والميم المطلقة، والباء المكسورة، والدال المفتوحة.

ويندر من الشعراء الذين نظموا على الثلاثيـة، وهـي قليلة حتى في المقاطع لبناء القصيدة، و لم أعثر عليها إلا في قصيدة واحدة بعنوان (حدتي) للشاعر زمخشري، والشاعر التزم بروي واحد لجميع المقاطع :

كم سرى فيك موكبٌ في ابتهاجٍ وفي احتـفال

الصَّبا فـيـه راقـصٌ يتهادى به الـــدَّلال

والهوى يغْمُرُ المَـدَى بالذي أضحك الرِّمـال

☆ ☆ ☆

فهنا الحسنُ والشـذا والأغـاريدُ في سـجال

تـنْكُبُ النور فـرحة فيضها دافـق النَّـوال

يتهادى بها المـــدى بالذي أضحك الرِّمـال

---

[1] الساسي، شعراء الحجاز ٣٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

☆ ☆ ☆

وهـنا الـرَّوْضُ باسِمُ والشَّذا تَاهَ في اخْـتيال
قد تَرامَى على الرُّبى في طيوفٍ من الخَـيال
والرُّؤى تغْمُرُ المَـدَى بالذي أضْحَكَ الرِّمـال

☆ ☆ ☆

وعلى الأُفْـقِ غَيْمَـةٌ أُرْجُـوَانِيَّةُ الظِّـلال
تنسجُ الفيءَ رَوْعَـةً وتغطِّي بها التِّـلال
والنَّدى يغمُرُ المَـدى بالذي أضحَك الرِّمال[٢]

الرباعيات :

وظف أكثر الشعراء الرباعيات لتجاربهم الوجدانية، فتكاثرت في الصحـف، واحتلت مساحات كبيرة في الدواوين، وبعضهم جعل قصيدته من مقاطع رباعيـة، حتى بلغ الأمر أن تخـرج في دواويـن كاملـة، مثـل رباعيـات محمـد حسـن فقـي، ورباعيات زمخشري في ديوان (صبا نجد) ورباعيات لمحمد سعيد العمودي.

والرباعية : مكونة من أربعة أبيات كاملة، و لم يلتزموا فيها الشـكل القديـم الذى يجعل الشطر بيتاً، و لم يلتزموا بتنويع قافية البيت الأخير إلا نادراً.

والرباعية تمثل لفحة شـعورية إبداعيـة، وتـارة خـاطرة تأمليـة، وتـارة نفحـة وجدانية، وغيرها من الموضوعات.

ومن الشعراء الذين أكثر من الرباعيات محمد حسن فقي، فقد ضـمنها مجلـداً ضخماً عدا بعض الرباعيات في بعض مجلدات مجموعته، ومنها ما ينهـج فيـه نهـج الرباعيات القديمة؛ فيجعل لصدر الأبيات قافية مخصوصة ماعدا صور البيت الرابع، ويجعل لعجزه قافية ورويا مخالفين للصدر :

---

[٢] مجموعة الخضراء ٨٩٨.

أتُسعِدُ أم تُشقي ضمائِرَنا الذِّكْرى ... ونجرعُ منها الحُلْوَ أم نجـــرعُ المرَّا
يُخيَّلُ لى أنّا نذوقُ بها الجنى ... جنى غَرْسِنا خَيْراً، جَنى غَرْسِنا شرًّا
فما هى إلاّ بعضُنا جازه السُّرى ... فَأرْخى عليه الغيبُ من دُوننا سِتْـــرا
ايا ذِكرياتي ليس للبِشْرِ ومضةٌ ... بنفسى، فهل فيكنَّ من تمنحُ البِشْـــرا

وبعض رباعياته لم يلتزم بها إلا بالقافية والروي في عجز الأبيات :

إنها النّـارُ التى تحرقُنى ... بلظـــاها .. وهى لا تحـــرقُ
وإذا ناديتُـــها مستعطفاً ... راعـــنى اللّهْـــوُ بها والـــزّرَقُ
أيكونُ العَدْلُ فى شِرْعَتِها ... أنها النّشْـوى، وأنى الشّـرِقُ
أنا لا أهْتِفُ إلاَ بأسمـها ... والجوى يصهَرنى.. والأرَقُ[1]

ويُكثر الشاعر يحيى توفيق من الرباعيات الغزلية ومن ذلك قوله :

يا فرحةً سكرتْ روحِي بنشـوتِهَا ... حيناً وكانتْ أمانِي الحبُّ تُذْكيها
هلّتْ عليَّ فلمَّا أترَعتْ عمُـرِي ... هبَّتْ عليْها رياحُ الشكِّ تُقصِيهَا
وزادَهَا الشوقُ والأحلامُ أنسُجُهَا ... من وهمِيَ الطفلِ آمالاً تنمِّـيها
منْ لي لإذا يِئسَتْ روحِي يعيدُ لها ... صفاءَهَا بعدَ ما عكّرْتِ ما فِيها[1]

ومن رباعياته قوله :

خفِّفْ عتابَكَ عنى فالهوَى قدَرٌ ... هل يسمعُ العتبَ من بالشوقِ يأتزِرُ
تلْهو الحياةُ بما يُشجِي ضمائرُنا ... ويستبدُّ بِنا فى عنفِهِ القـدرُ
وكمْ نحاذِرُ منْ أمرٍ ويدركنَا ... إذا الآلهُ قَضَى .. لا ينفعُ الحذَرُ
ونعشقُ الشيءَ تغرِينَا بوادِرُهُ ... وفى ثناياهُ يغْفُو الشرُّ والكدَرُ[2]

---

[1] الأعمال الكاملة ٢ : ٣٧.
[1] سمراء ١٣٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهو قد جمع عدداً منها في ديوانه سمراء، فيما يقارب من ثلاثين صفحة والتزم في كل رباعية بقافية موحدة.

وزمخشري من أكثر الشعراء استخداماً للرباعيات، فله ديوان (صبا نجد) كله رباعيات، ويوظفها في سائر دواوينه لكنها أقل وهو يقارب في قافية صدر الأبيات، فكل بيتين يشتركان في قافية فالأولان : طرفها، لحاظها، والبيتان الأخيران فتونه، ولحظه :

ونادية الأنفاسِ زادتْ بطُرْفِها ... جمالاً جَلاَها فِتْنةً للنّواظِر

فإن قُلْتُ عنها الشمسُ قالت لحاظُها ... تُشيعُ السنا أهْدابُها بالبواتر

ففي طَرْفها سحْرٌ مثيرٌ فتونُه ... وفي صوْبِها الجذّابِ رجْعُ المزاهِر

وكان لقاءٌ لم يدُمْ غيرَ لحْظةٍ ... ومن بَعْدِها اذمى الفِراقُ محاجِري[٢]

الخماسيات :

والشاعر محمد حسن فقي يبني بعض قصائده على شكل الخماسيات، فهو يجعل القصيدة مقاطع متعددة يفصل بينها بعلامة الترقيم التي تدل على الوقفة ومن ذلك قصيدته (أكباد تحترق) فقد التزم بها، بمجموعات خماسية كل منها له قافيتها ورويها ومنها :

فهل سأنالهُ .. وأنا كليمٌ ... فيشفيني ويذهبُ بالمصابِ

نذرْت دمي له ونَذَرْتُ مالي ... وأبنائي لأظْفَرَ بالثوابِ

وقلتُ لكل رُزْءٍ مُسْتَبِد ... تحكم فالغنيمة في الإيابِ

لئن ذرفتْ عيوني الدمعَ حُزْنًا ... فليس الدَّمْعُ بالشَّكْوِ المعابِ

---

(٢) المرجع السابق ١٣٣.

(٣) مجموعة الخضراء ٦٨٠.

أَنَنٌ وما أبوحُ .. ورُبَّ هَمْسٍ يَئِنُّ ولا يصـــرحُ بالخطـــابِ

❖❖

أفي الآلامِ والأزمـــاتِ طُهْـرٌ ونُـورٌ نستبين به الطريقـا ؟
لقد أحسستُ من نظرى إليها بأن القُـدْسَ أصبـحَ لى رفيقا
وأنّى صرتُ فى الأجواء طيراً يحلق فى جوانبـها.. عريقـا
وأنَّ بباطـنى دَنّـا وكأسًـا سـقتْنى منهـما الدنيـا رحيقا
فَعُـدت وما أبـالى بالمـنايا ولا أخشى الهوِىَّ ولا الحريقا[1]

❖❖

والشاعر زمخشري وظف الخماسية لشعره، فجعلها قالباً فنياً لجأ إليه ومن ذلك قوله :

رغـمَ ما بينَـنَا من الأمْيَـالِ أتَمَـلاّكِ صُـورَةً في خَـيَالِـى
وتنـامُ الأحـلامُ بيْن جُفُوني والنّـوى يزرَعُ الظُّنُونَ ببالي
وعلى رَفرفٍ من الشَّوْقِ طيْرٌ يتخطّـَى الآمـادَ بالآمـال
وبما فيـه من هـوًى يتـنزَّى بوجِيبٍ يجُوبُ سُـوجَ اللّيـالي
كُلّما الصَّمْتُ ضمَّهُ في حَنانٍ طالعَتْهُ الرُّؤَى بسبرٍ الْجمال[2]

ومن الخماسيات عنده أيضاً قوله :

لبنان.. هل يسمعُ الأمْواتُ آهَـتَهُ منْ بَعْد ما صُمَّ للأحْياء آذانُ؟
منْ أخْرسَ اليوْمَ فيه صوْتَ صيْدَحِه فاليـوْمَ ينْعَـقُ فيه وهو حـرَّان
قد كان يرجُـو فُـتاتاً من مَوائـده إذ الفُـتاتُ يَلْقـاهُ أبْـــدان
ومنْ ضَـراوَتها راح الـدَّمـارُ بـه يبكي عليه بدمْـعٍ وهو نِـيران

(1) الأعمال الكاملة ٦ : ٤٢١.
(2) مجموعة الخضراء ٨٨٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي الكنائسِ للأجْـراسِ وَلْـوَلَـةٌ يضجُّ من وَقْعها ديرٌ ورُهْبان[2]

ويقل إفراد الخماسية في الشعر الوحداني ما عدا القرشي فلم أعثر عليها في أكثر الدواوين، ووجدت خماسية واحدة عند يحيى توفيق، وفيها يقارب بين قافية صدر الأبيات بين الهاء مختلفة الحركة، والهاء المطلقة بالألف، ويلتزم بقافية وروي في عجز الأبيات :

وبدَى له والليْلُ يرْخِي ظلـهُ والكائناتُ تلفُّهَا الأشجانُ
زيْفُ الحياةِ وسُخفِهَا تلْهُو بهِ فى قسوةٍ ويحُبُّهَا الإنسانُ
تَصْفو له حيناً ويحْلو عيشُهَا فيعيشُ فيها الوامقُ الوسْنانُ
حتّى إذا ملأَ السرورُ فؤادَهُ عادَتْ تمزّقُ صدْرَه الأحزانُ
قد تغرقُ الأرواحُ فى أشجانِهَا وتعيشُ تحمِلُ عبئَهَا الأبدانُ

يوظف القرشي شكل الخماسية لديوانه (سوزان) في ستة وتسعين صفحة ومنها :

سألقاك مشبوب الحنين وفي يدي أضاميم فجر أين من سحر الزهر؟
وأرويك للدنيا قصيدة شاعر ترددها الآفاق والبر والبحر
زماني قد أضحى بحبك حقبة من الأبد المفتر يعمرها البشر
أنلتِ فؤادي خيرَ ما يسكب الهوى رحيقاً فقلبي ملؤه النور والعطرُ
نشيدُ حياتي أنتِ يا زهوةَ المنى ترتّلهُ روحي ويشدو به العمرُ![1]

ومن خماسياته قوله :

---

[2] المرجع السابق ٨٨٩.
[1] الديوان ٢ : ٦٠.

سمتْ بكِ آمـالي لدنيـا رغيبـة وأزهَـر عمـري من سناك بلألأِ !
وفُتّحـت الآفـاق لي، وتطلّعت لك الروح، واستدنى ليَ القمر النّائي
زهـا ما أرى، هل ماأرى غير واحةٍ تشعّ الزهور النُضْر فيها بصحراني؟
وأراك متفـر الأمـاني لخاطـري فأنت لقـلبي الثرِّ ينبوع أضـواء
نعما بما أسديت لى من جني الهوى ولازلتِ لي شمساً تبدد ظلماتي[٢]

المرســـل :

والشاعر عمر عرب يدلف إلى الشعر المرسل لكنه يخفف من حريته المنطلقـه بإيراد كلمة على وزن (فاعلاتن) وهى التفعيلة المكررة فى بحر الخفيف.

حدثيني عن الصـبا والشـباب عن زمان الهناء بين الصحـاب
حدثيني
حدثيني عن الهـوى يا مهـاتى ان هذا الحديث يحيى رفـاتي
حدثيني
حدثيني عن الـهوى والغـرام وعن الحب واطف حر أوامى
والشجون
يوم كنا طفـلين نمـرح غـيا يوم كنا ولا نرى الدهر شيئاً
حدثيني
يوم كنا نسير فى الروض صبحا يوم كنا نبنى من الحب صرحاً
حدثيني

[٢] الديوان ٢ : ٦١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يوم كنا بجانب الزيزفون نتشاكى الغرام بين الغصون
حدثيني
يوم كنا نخلو بقرب الغدير يوم كنا نسير خلف الطيور
حدثيني
نقطف الورد والزهور ونعدو ولآى الغرام نتلو ونشدو
كل حين[1]

فتكرار كلمة حديثي، والشجون، وكل حين، بروي حرف النون المكسورة أوجدت نوعاً من الالتزام في القافية.

والشاعر عبد الوهاب يأتي بما يشبه العشر المرسل، فهو بدأ القصيدة بروي الميم، لكنه أعرض عنه، وأخذ يأتي بروي مختلف غير أنه خفف وطأة الانفلات من الروي بالتزام البيت الثاني بقافية مكونة من كلمة (السلام) وهذا التنويع قليل الاستخدام :

إذا ما الندى كلل الجلنار وهب الأناسي لكسب اليسار
وحل الرحيل وسار القطار ألا فاذكريني وردي السلام

☆ ☆ ☆

إذا جونة شاقها المغرب وأبهجك الشفق الملهب
وأقبل جيش الدجى اللجب ألا فاذكريني وردي السلام

☆ ☆ ☆

إذا البدر ناف على المشرقين وصال بوجه كصحن اللجين
وبان السهى عارى المنكبين ألا فاذكريني وردى السلام

☆ ☆ ☆

أسلماي هل تعطفين على عليل يقاسي عذاب القلا

[1] عبد المقصود، وبلخير، وحي الصحراء ٣٧١.

ألا فاذكـــريني وردى إلى　　فتاك الحياة برد السلام[1]

والعواد ينأى عن رتابة الروي، ويقسم القصيدة إلى مجموعات، وينوع الروي في بعض مجموعاته كقصيدته (أنا والليل) التى يلتزم فيها تارة بروي لكل مجموعة وتارة يجعلها من الشعر المرسل لكن يعوض عن ذلك بتوحيد حرف العروض والضرب شأن شعر الأراجيز :

أما التي بالهوى　　ترمي إليك النوى
للهجر مستسلمه　　ليست لها مرحمه
في زهزها تحتدم　　بالعطف لا تصطدم
فالرأي فيها عمى　　إذْ ما أنا المغرما
والحب في مذهبي　　جهل فلا تعتب
ما الحب إلا خيال　　ما الحب إلا ضلال
فهل تراني فتة العاشقين　　كالناصح الحق الصدوق الأمين
أولاً، ترى ذلك ما لا أرى
الحب عندي شرر مستطير[2]

ويجنح عمر كردي إلى الشعر المرسل قليلاً، و لم أعثر في ديوانه إلا على قصيدة واحدة من الشعر المرسل هى (تهاويم ذات ليلة) من مجزء الرجز ومنها :

دعنا نعيش على رؤى الجمالْ　　وحولنا الأحبة
وليلنا سمير　　ونتنشى في عالم الخيال

مع الاضطراب في تناسق التفعيلات بين الأشطر كما هو واضح، ثم ينتقل

---

[1] مقصود، وبلخير، وحي الصحراء ٢٢٦.
[2] الياسي، شعراء الحجاز ٣٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلى مشطور الرجز ومنها :

أمَّـا أنا ففـي دُنـى الحبيبْ
وطيْـفـه الجـمـيـلْ
أعـيـشُ ألـفَ مـرَّةٍ ومرَّة
والليْـل فى سـكونه الرَّهيبْ
نـسـيـمهُ عـلـيـلْ
ذكـرى لنـا يا ليتـها تعـودْ
حـديـثُـهـا مـسـراه
وأنتِ من بعـيـدٍ تنظرين
أراك فـى عـيـونـي
كـصـفـحـةِ القَـمَـرْ
أمـا أنـا فـلـيلقي حـنينْ
تحـوطـهـا ظـنـونـي
مُحـتـارةَ الفِـكرْ[1]

والقرشي مال إلى الشعر المرسل وهو يوظفه عندما يطول نفسه في القصيدة على خلاف جل شعره، فقصيدته (ظلام) من أكثر قصائده أبياتاً. فاستعان بالتحرر من قيود القافية لينطلق مع موجات شعوره، وخواطره ومنها قوله :

(1) لن يكون هواها ١٠٣.

وعـــدتُ للـــكتـــابْ
كـتـابِـهـا الْمُهـــدَى إلـــيّ
يَـا لـــــه رفـــيـــقْ
كان صـديقي جاءَني في زحمة الغرام
كـتـابُـهـا قِـصّـــةُ حـــبٍّ
عـــاشَ فـــي أوهـــــامْ
وحيـنـما أشـرقَ في الصّـبْحِ
عـلـيـــه النّـــــورْ
وغـــــرّد العـصـفـــورْ
وفاحَ في الرّبى شَذاه الفاغمُ المسحورْ
قَضَـى الغـرامُ نحـــبَـهُ
كـالـصـــمـتِ فـي القُـبُـورْ
وبـطـلُ القـصّـةِ ضمّه العذابْ
قد عَشِيتْ عيناه وانسلّ إليه الداء[1]

وملخص القول أن الشعراء لم يكثروا من استخدام الشعر المرسل وعوضوا عنه بتوزيع القصيدة إلى مقاطع، يلتزمون بروي في كل مقطع، وتارة بثلاثيات ورباعيات وخماسيات. في إطار القصيدة الواحدة.

---

[1] الديوان ٢ : ١٧٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشعر الحر :

الشعر الحر ـ هو ما تحرر من القافية ومن رتابة الوزن، وهذا ما حاوله رواده الأوائل ومنهم نازك الملائكة، وصلاح عبد الصبور، والسياب، ومحمد حسن العواد، ولكن نازك كتبت كتاباً نقدياً، حاولت أن تضع له قواعد من ناحية التفعيلة، وعددها في السطر الواحد، وقد عابت الخروج عن الوزن، وفقدان موجات من التقفيات في الأسطر، ولاسيما بعد أن اتسع الخرق على الراقع، بعد أن رأى الجيل الأول من دعاة الشعر الحر التفلت عن قيود الوزن عامة وعن التفعيلة خاصة، وكون الشعر أصبح لا يخضع لموسيقى، مقيدة والشعر الحر عند الشعراء الأوائل في بلادنا جمع بين الالتزام بالتفعيلة وعد الالتزام بها، ويظهر ذلك في شعر العواد، وشعر القرشي، وشعر محمد فهد العيسي، وشعر القصيبي.

وهذا اللون يقل عند الشعراء الذين مارسوا الشعر الموزون المقفى ما عدا القرشي، فإن هؤلاء الشعراء يميلون إليه عند تجارب شعرية مخصوصة، بل بعضهم يورده على استحياء، كما أشار يحيى توفيق إلى ذلك صراحة[1] . حتى العواد الذي بادر إليه في عام ١٣٤٢ هـ، فهو من أوائل الشعراء العرب لم يرجح هذا اللون على سائر شعره. وأكثرهم توظيفاً له القرشي، وقد ورد في مجموعة شعر القصيبي عدد محدود منه لكن هناك شعراء مالوا إليه، وآثاروه على غيره، وأشهرهم، محمد فهد العيسي والرميح وأبو أحيمد، والمنصور، فإن جلّ النماذج التي أتى بها ابن إدريس لهم من الشعر الحر. ونجد أن محمد فهد العيسي قد وظفه في ديوانيه دروب الضياع، والإبحار في ليل الشجن.

والباحث يقف عند نماذج منه يشير إلى ملامحه العامة.

---

(1) انظر، صحراء ٥٠.

ونجد أن عزيز ضياء يأتي بالشعر المنثور الذي لا يلتزم وزناً موحداً ولا تفعيلة موحدة، وإنما ينوع التفعيلات، وتختلط من الأبحر ويلتزم بما يتلاءم مع الوقفة الشعورية، وإن كان يأتي بما يشبه وقفات الروي، فهو يكرر الحرف في خاتمة السطر أحياناً مرتين كالنون والهمزة والراء.

كنت يا أمتي فجراً فضياً في ظلمات الماضي السحيق
وأصبحت بصيصاً خابياً في نور الحضارة الجديد
كنت يا أمتي شمساً يستضيء بها الضالون
وأصبحت ظلاماً يضل فيه المهتدون
كنت يا أمتي قوة يخافها الأقوياء
وأصبحت ضعفاً يعبث به الضعفاء
كنت يا أمتي أسداً كاسراً
وأصبحت حَمَلاً وديعاً
كنت يا أمتي حديداً وناراً
وأصبحت ثلجاً ورماداً[1]

وحسين خزندار، أتى بالمنثور الذي يلتزم بوقفات تماثل الدلالة الشعورية وهو ما يسمونه بالشعر المنثور، وهو يسردها سرداً نثرياً.

وهلم فتعالى إلى المحراب
فقد آن وقت الصلاة !
وابتهلي إلى الله في أن يديم هناءك وسعادتك !
واساليه أن ينير لك طريق الحياة الوعر
وأن يديم لك السعادة والهناء

---

[1] عبد القصور، وبلحير، وحي الصحراء ٣٠٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في ظل الحرية !

فكل نأمة من نأمات الطبيعة !

وكل حركة من حركاتها

رمز من رموز الحياة

وسر مستغلق فيها

وبيانه !!؟

الحرية، أو الموت !!

* * *

أرأيت تلك السهول الفسيحة ؟

فهناك في تلك الأكمة الخالدة؟![1]

والقرشي تارة يعتمد على بحر واحد، ويورد التفعيلات منفردة في السطر، أو مكررة، وربما جعلها تمتد إلى أكثر من ثلاث :

وتهتف بي نعاسك طالْ

وهذا الليل يعصفُ بي

يؤجُّ النارَ في جسدي

تعالْ تعالْ

فعندي الوجدُ، والمصباحُ في حمريِّ أضوائهْ

وعندي ذهلة الحاضرْ

جبان أنت إن لم تأت

دلو ناضب الماء[2]

والشاعر القرشي دلف إلى الشعر الحر لكنه يلتزم بالتفعيلة والبحر، ويعوض

(1) عبد المقصود، وبلخير، وحي الصحراء ١٨٦.

(2) الديوان ٢ : ٣٥٦.

عن القافية بالإكثار من أحد الحروف ليختم به السطر، ففي هذه القصيدة نجده يكثر من الختم بحرف الراء المقيدة، وأسطره متقاربة، وبناء تفعيلاته على بحر الرجز.

عَاشا مَعاً مشرَّدَيْنِ في القِفَارْ
وقبْل مَوْلدِ النّهَارْ
رأيْتُ أنّا قد كبُرنا قد تزوَّجْنا وانجبْنا صِغَارْ
وَعيْشُنا قد كانَ في مَدينةٍ بلا بشَرْ
كانَ هناكَ الصخْرُ قد كان الدُّخانْ
يغلّف الآفَاقَ .. قد كانَ المَطَرْ
يُلقّحُ الأشجَارَ لكِنْ لا ثَمَرْ
أضرَبتِ الأشجارُ، عَرْبدَ الزاَهَرْ
فَرِحْتُ إذ رَأيْتُ طفلَنا الكبيرَ يعشَقُ الخَطَرْ
قد كانَ يَجْري كالرَّجالِ لا يُبالي المنحَدرْ
حَصَانُه الصغِيرُ صاهِلٌ ضَجِرْ
كان يسيرُ تائهاً لغيرِ مَا مَقَرْ
وَفجْأةً تَرنّحَ الطفلْ .. وضَاعَ في الحُفَرْ[1]

والقرشي تارة لم يلتزم بتفعيلة ولا ببحر، وأن اقتربت من التفعيلات بوجه عام غير أنه لم يظهر أي التزام، ماعدا خاتمة الأسطر؛ فإنه أكثر من ختمها بحرف الراء مسبوقة بالياء أو الواو.

يا فارسِي الصغيرْ
في ثوبكَ الفِدَائِيِّ البشيرْ

---

[1] الديوان ٢ : ٦٩١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شَمْسُ غد تفجّرُ الصُّخُورْ

وانتَ وإلبٌ هنا هُناكَ تزرعُ الهديرْ

تَصِيحُ لن يظلَّ في بلادَنا الصهَاينة

لا لن يعيشُوا في الظِّلالِ الآمنة

وتطلقُ الرّصاصَ صارِخاً

وتنفُخُ البوقَ وتطلُقُ النفيرْ !

* * *

يا فارسي الصغيرْ

يا جيلَ تحريرِ الضميرِ والشُّعُورْ

والقصيبي يوظف الشكل الحر، ويجعل وقفته تتأثر بتموجات الشعور لكنه يحاول الأتيان بوقفات تُشعر بالقيود مثل تكرر الميم، والمد والباء.

طوافٌ حول دائرةٍ من الأوهام ..

تبدأ كلما قلتُ انتهتْ ..

وتطول قُدّامي

وأحلامي

كنوسٌ أن تعبت شربتها وسكرتُ ..

فاستسلمتُ للدربِ

ويا قلبي !

أتعرف أنّنا ضعنا ؟

قضينا العمر نضرب في دجى الصحراء ..

نرقبُ كوكب الحبّ

وهل يرعى دجى الصحراء ..

إلاّ كوكب الجذبِ[1]

والشاعر العيسى أكثر من أبحر في الشعر الحر ليشاكل شعوره الداخلي الذى يهرب من كل قيد، لكن يكثر عنده الوقفات على حروف متماثلة في آخر الأسطر:

لَيْتني ...
نجمةٌ تعيشُ في عوالمِ الْفَضاءْ
بعيدة ....
بعيدةٌ عن الأرضِ التي حياتُها الشّقاء
لَيْتني ...
أكونُ شيئاً ليس يُدرَكُ ...
لن يُنالَ ... فوقَ ... فوقَ ... في مَدارَةِ السَّماءْ[2]

ومن الشعر الحر الذى يكثر من التزام حرفاً في آخر أغلب الأسطر:

لَيْلُ شِتَاءْ
الرِّيحُ تُزَمْجِرُ في عُنْفٍ كَالإعْصَارْ
تَصْفَعُ (شِبَّاكِي)
تَلْفَحُ بَابَ الدَّارْ
النَّارُ في اسْتِعَارْ

تُصَارِعُ الرَّمَادَ في (الْوِجَارْ[3])[1]

---

(1) المجموعة الشعرية ٢٥٣.
(2) دروب الضياع ١٢٤.
(3) موقد نار القهوة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخلاصة :

أذن فالشعراء أولئك وظّفوا الموسيقى لما يتناسب مع المضمون في إطار المحور العروضي، فغالبية شعرهم من الموزون المقفى، لكن بعضهم لجأ إلى التشطير والمجزأ، وآخرون آثروا التفعيلة وتقسيم البيت الواحد إلى أسطر، ومنهم من جمع في قصيدته بين البحر الكامل والمجزوء منه والمشطور، وربما يكتفي بكلمة على وزن تفعيلة يذيل بها بعض الأبيات أو المقطع، ومنهم من يستخدم الشعر المرسل أو تنويع القافية والروىّ في القصيدة، حيث توزع القصيدة إلى مقاطع، وكذلك القصيدة النثرية.

ويكثر في أشعارهم الميل إلى السطر وشعر التفعيلة، وقد أكثر منه القرشي[1]، وهولاء يتأتى لهم عن قدرة فنية وربما لجأوا إليه ليمنحوا شعرهم سعة في الإيحاء وتتابعاً في الصور وإشراقاً رمزيّاً.

فمن التنويع أن يأتي الشاعر ببيتين كاملين ثم يأتي بعدهما ببيتين مشطورين وهكذا، كقول ابن سيار :

أوراق السهد بعيني وأزهر ... وحبيبي ناعس الأجفان سالي

أترى ما زال ـ رغم البعد ـ يذكر ... عهدي الماضي وأيامي الغوالي؟

أم تراه قد تناسى ... ذلك الغد الجميل ؟!

يوم كنا والهوى ما ... بيننا ظل ظليل

يا حبيبي عش معي في الذكريات ... وابتسم للعيش فالواصل قريب

سوف ألقاك وإن طال الشتات ... أملي يا أملي ليس يخيب

---

(١) الإبحار في ليل الشجن ٧٠.

(١) انظر، الديوان.

عش مع الذكرى وحيداً فأنك مثلك وحدي[٢]

وابن سيار يقتنص التفعيلة ويميل إلى السطر الشعري، لكن يسجع في سطوره لكل مقطع من مقاطع القصيدة، وتسمى القافية لكنها غير ملتزمة :

حين سرنا في ظلام الصمت يا ليل الشقاء
كالحيارى فيك مثل ذرات هباء
حين مائلت لنا في الأفق نبعاً من صفاء
وأتيناك فكنت الفرية الكبرى
وسوط الكبرياء
* * *
ما الذي أعطيتنا يا ليل بعد الانتظار ؟!
غير أنّات الحيارى بعد سهد وادّكار
بعد ما كنت رفيق الدرب في هذي القفار
صرت يا ليل الشقاء
دمعة في الجفن حرّى
ظمأً من غير مـاء
آه يا ليل الشقاء
هل نظل غرباء ؟!
قدتنا يا ليل للأفق البعيد
نثرتنا كفك الحمقاء[١]

وتراه التزم السكون في قوافيه إشارة لاكتمال الوقفة الشعورية والوقوف عندها، وأكثر ما يتألق البناء الموسيقى متلاحماً مع النبض الشعوري عند شعراء

(٢) عثمان بن سيّار، إنه الحب ٥٥.
(١) إنه الحب ٧١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوجدان في شعر يحيى توفيق حيث تجربته الشعورية الذاتية التي انقدح ضياؤهـا في ثنايا شعره، فأنت تحس بـالوهج الشـعوري، فتبلـورت قـدرة الشـاعر في انسياب الوهج الشعوري في ينابيع شعرية ثرّة قويّـة، فاسـتغل الدفقـات النفسـية في تلويـن الموسيقا حيث الإحساس الراعش المرتجف، والأنين البـاكي، والحبـور والأنـس، وكلها دفقات نفسية نراها ماثلة في شعره :

وفجأة عصف الرنين بـ (هاتفي) فرفعـته وأنامـلي تتلهـف

وقوله :

أعيدي وهج روحك وأشعليني فإن النـار تشـعل حـنيني

إليك فمن سـواك يهـزّ قـلبي ويعصف بالركود وبالشجون[1]

وهو تارة يميل إلى تجزأة البحر حتى يتناسب مع الوابل الشـعوري المتراقص، فقد أتى بمجزوء المديد حينما باشر الخطاب مع محبوبته :

يا حبيبي :

رب ليـل قد قضـيناه يناغينا القمرْ

نتساقى الحب ما أحلى التساقي في السّحرْ

ونجوم الليل ترعانا وقد طاب السـهرْ

ونسيم الفجر يهفو والندى بل الزهر[2]

ومن المؤثرات في شـعره : قـدرة الشـاعر علـى انتقـاء الألفـاظ، وسـكبها في تراكيب متآلفة متجاورة متلاحقة، منسجمة مع بعضها البعـض في تنـاغم أخـذت برقاب بعضها، وقد استطاع أن يلوّن بناءه الشعوري والمضموني، وبناءه التركيبي ببنائه الموسيقى، وربما يشغلنا الشاعر بموسيقاه وبنائها الجمالي عن التفكير بمضمون

---

(1) سمراء ٨٩.

(2) أودية الضباع ٢٤.

القصيدة، بل استرق منا أنفسنا وجعلنا نستوعب هذا المضمون ونحس بأحاسيسه من حيث لا ندري :

سمراء رقّي للعليل الباكي ... وترفقي بفتىً مناه رضاك

ما نام منذ رآك ليلة عيده ... وسقته من نبع الهوى عيناك

أضناه وجد دائم وصبابة ... تسهّد وترسّم لخطاك

وهو الذي بات الليالي ساهراً ... يرعى النجوم لعله يلقاك[٣]

ورغم أن هناك كثيراً من الأدباء قد صنّفوا الأوزان الشعرية حسب الأغراض،

فالطويل والكامل والبسيط والخفيف للمدح وما شاكله، والغزل له الأوزان القصيرة والمجزوءة والمشطورة، إلا أن الشاعر رغم رقّة شعره ونعومته، وانغماسه في الوجدانيات فإنه حاك موسيقاه على الأوزان الطويلة كالبسيط والخفيف والطويل والرجز، وروّضها لمحاكاة نفسه وشعوره، ولم يلجأ في أغلب شعره إلى الأوزان القصيرة أو المجزوءة أو المشطورة، الأمر الذي يجعلنا نستدل به على عدم صواب آراء التصنيف، وإنما الأمر بيد الشاعر الموهوب.

والقافية لها دورها في جمال الموسيقا، وتأثيرها عند شاعرنا، وأكاد أجزم بأن الشاعر لم يكلف نفسه البحث عنها في جل قصائده، وإنما تستجيب لمحاكاة التجربة الشعورية الداخلية، والذي استقرؤه من ديوانه أن الشاعر وظّف المد كثيراً داخل الأبيات وفي قافيته، فإذا كان الأمر غزلاً وهياماً فإنه يلجأ إلى الألف وإلى الردف والتأسيس وألف الإطلاق، ومن التزامه بالتأسيس قوله :

خطرت أمامي في الغروب الأخر ... سمراء ترفل في جمال سافر

عذراء في عمر الورود رقيقة ... كحلاء كالريم المدل النافر[٤]

---

[٣] المرجع السابق ٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما الردف :

وقد حسدت عليك الأر ض يا أملي فأنت في القلب والأضلع مثواك

وألمح الناس قد ضجت محاجـرهم بالحسن يختال في زاهي محيّاك

وأنتِ لاهـية عيـناك سـاجـية تمشين حالمة في سحر دنياك[1]

وأما إذا كان تأوّه وتحسّر واحتزار الذكريات، فإنه يأتي بالواو أو الياء قبل حرف الرويّ :

عادني الشوق بعد طول سكون ودعتني للحب سود العيون

يا حـبيي وأنت أعـلم مـني بعـذابي ولوعـتي وحـنيني

وأراني وقد بكيت طويلاً عزّ دمعي فما تجود عيوني[1]

وربما جمع بين المد من الردف وغيره وألف الإطلاق في شكواه العاطفية :

شكونا إلى الأحباب ما فعل الهـوى فلم يسمع الأحـباب منا شـكاوانا

أضعنا ربيع العمر في الشوق والنوى وشبنا وما شاب الهوى في حـنايانا

وعشنا نلهّي النفس بالوصل والمُنى ونكتم في الأحشاء وجداً وحرماناً[2]

فانت تراه كثّف المدات ولاسيّما الألف في القافية لتتناسب مع الوقفة الحزينة أما حرف الرّوي فقد نوعه في قصائده كثيراً، ولا نستطيع أن نرجّح أحد الحروف على غيرها اللهمّ إلا الكاف المكسورة فإنه أكثر منها، وربما يعود ذلك لنجاح قصيدته سمراء، فقد كررها في قصيدته (عيناك) وغيرها :

---

(1) أودية الضياع ٢٩.

(2) المرجع لسابق ٢٦.

(1) أودية الضياع ٣٧.

(2) المرجع السابق ٣٩.

عيناك حلمي والمنى لقياك　　فدع الصدود وصالح مضناك

والشاعر التزم بحرف رويّ موحد لقصائده، إلا في قصيدتين اثنتين (حيرة) و(حكاية) فإنه أتى بهما على شكل مقطّعات كل مقطّعة التزم بها رويّ خاص.

وقدرة الشاعر على جلب مقومات الموسيقا السلسلة التي يطلقون عليها (التوزيع الموسيقي) ظاهرة متبلورة في جل شعره، ومن مقوماته المدات وثقل الحروف بالشدة أو التكرار والحدة الصوتية التي تعلو وتنخفض، وقد منحت شعره لوناً موسيقياً خاصاً اقترب به كثيراً إلى واقعية الغناء وآلاته الموسيقية ومنه توظيفه للتكرار كقوله :

يا عاشقاً ذات الرداء الفستقي　　ومتيماً بهوى الشباب الرّيق

فنلاحظ تكراره للقاف.

وقوله :

يا حبيبي مرت علينا السنين　　في عذاب النوى ونار الظنون[1]

فكرر النون سبع مرات مما نسج تلاحماً في الجرس الموسيقي.

وقوله :

عيناك حلمي والمنى لقياك　　فدع الصدود وصالح مضناك

عيناك ليل غامض في سحره　　ذوب الشجا ورؤى الفؤاد الباك

عيناك ألهبتا فؤادي نبضه　　فصبا إليك وهام في دنياك

فتكراره لـ (عيناك) يدل على ولعه بالعيون وتأثيرها السحري، والعيون لها مكانة في عالم الجمال الجسدي للإنسان، ويتمحور تأثيرها حسياً ومعنوياً، فالحس يتشكل من التكوين الجمالي من سعة العيون ومن سوادها عند العرب وزرقتها عند الأوربيين

[1] أودية الضياع ٣٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعند العرب بعد الحروب الصليبية، ومن جمال رموشها وتزجيج حواجبها، وأما المعنوي يدل على قدرة الشاعر الإبداعية، ويظهر كثيراً من الإيحاء في تكراره المدة في عيناك ولقياك وصالحي ومضناك، وتكراره للكاف والجر التي تمثل نصف حرف الياء كما يرى ذلك علماء فقه اللغة.

والتماثل في الأحرف وتشكيلها في التراكيب ومداتها، والتجانس والالتزام بها في القوافي والمقاطع إنما هي وقفات صوتية بمثابة المنظّم الوحيد الذي يلازم القصيدة ويظهر التلاحم بين القافية والموسيقا الداخلية كالأبيات من تجانس الحروف وتجانس الألفاظ، وتماثل النطق بها، وربما تتقابل وتتعارض في جدلية أو تتواصل في تلاحم مما روّض شعره للغناء، وقليل هم أولئك الشعراء الذين يمدون المغنين بقصائد، ولذا اشتهر نفر قليل في عصرنا الحاضر هم : أحمد رامي، والأمير عبدا لله الفيصل، ويحيى توفيق، وغيرهم آخرون، وتلك خاصيّة للشعر الموزون المقفى تمنحه ثقة وتمده بالبقاء.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الخامس

شعراء الوجـــــدان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

شعراء الوجـــدان

مدخـــل :

تقـوم الحركـة الوجدانيـة في المملكـة العربيـة السـعودية علـى التلاحـم بـين التجربة الشعورية واللغة الشاعرة وواقعية المضمـون ، فالشـاعر الوجدانـي يقـترب من الطبع، فـالذي يعتمـل في كيانـه يجلـوه للعيـان ، ممـا جعـل عواطفـه وآمالـه ، وأفراحـه وأحزانـه تتجلـى في تصويـره الإبداعـي ، فهـو ينبـض بـالواقع، وإبداعـه جداول صادقة من شعوره الداخلي فـإن كـان الشـعور صافيـا غزليـا تهـزه المعـالم الجمالية الفاتنة للمرأة ، فهو ينبجس عنها ، و إن كانت مفاتن الطبيعة تستأثر به، فهو يناجيها، و إن كان الشعور مجللا بقناع أسود من الحزن والكره والبغض فـإن جداوله تكون عكرة المورد أيضا تطفح لغته بتلك المأساة .

والشعراء في بلادنا لم يوظفوا الوجدانيات للهروب من الواقـع ، لأنهـم لم يعانوا المعاناة التي تهوي بهم إلى سحيق الانعزالية لعدم الانفصام الفكـري ، وهـم أيضا لم يأخذوا بالرومانسية المتطابقة مع الرومانسية الغربية ، حيث الخيال السـلبي ، والخنوع والهروب والتمرد على كل نظام وعقل غير أننا لا نعـدم تـأثر الشـعراء بالرومانسية تأثرا مباشرا ، لكنهم وضعوها حسب تجاربهم ، فلم نعثر على شـاعر وقف إبداعه على مناجاة الطبيعة وحسب ، غـير أن الأسـلوب الفـني امتـد ظلالـه على شعراء الوجدانيـات ، فالشـاعر أحس بذاتيتـه والتحمـت العوامـل الخارجيـة المؤثرة بمشاعره ، وانصهرت بها حتـى خـرج الإبـداع وليـد الشـاعر المكـون مـن جيناته المباشرة أولا .

ونحن لو تأملنا في الجينات التي كونت ذهنية كل شـاعر ، لرأيناهـا مختلفـة المصادر ، وتتلاقح مع الوافدة ، ومن هنا تبلـور صـدي التكويـن الذهـني والثقـافي

والمخاض الخاص لكل شاعر في إبداعه ، فاستجاب شعرهم لظواهر الحياة الاجتماعية وخضعت لذهنية الشاعر ، وتلونه مع الحياة المحيط به ، بل لنقل : أنه شارك بعقله ورأيه من خلال نتاجه الفني في مسارب الحياة ، ومن هنا تنوعت موضوعات إبداعهم .

ولما استقرأت الدواوين الشعرية في بلادنا استبان لي توجه كثير من الشعراء إلى الاصطفاق الوجداني الذي يثير أمواجهم الإبداعية ، لكونهم أكثر التصاقا بها أو أكثر ميلا مع رياحها في معية الشباب ثم تحويرها ، أو انتقال التعاطف إلى المظاهر الوطنية ، والاجتماعية . ومن هنا فإنني استعرض عددا من الشعراء الذين رجح عندي غلبة الاتجاه الوجداني على إبداعهم ، وقد حاولت أن يكون ذلك حسب تقدمهم في السن :-

محمد حسن فقي :

ولد في مكة المكرمة عام ١٣٣١هـ[1] و درس بمدارس الفلاح في جدة ، ومكة وتخرج فيها عام ١٣٤٨هـ ، عمل مدرسا بها حتى عام ١٣٥١ هـ ثم رأس تحرير صحيفة (صوت الحجاز) ثم التحق كاتبا بوزارة المالية ، ثم مديرا عاما لوزارة المالية ثم عين سفيرا في إندونيسيا عام ١٣٧٤هـ ثم عين نائبا لرئيس ديوان المراقبة العامة بالرياض .

وهو كاتب مقالة ، وشاعر غزير الإنتاج ، قال الشعر مبكرا وأقدم قصيدة نشرت له في السادس من رجب عام ١٣٤٨هـ وهو لم يتجاوز السابعة عشر من عمره ، ودراسته في مدرسة الفلاح صقلت موهبته لما تقيمه من المنتديات الأدبية

---

[1] انظر ، معجم الأدباء والكتاب، مقدمة ديوان قدر ورحل ، والموسوعة الأدبية لعبد السلام الساسي، والموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي لعمر الساسي ، وشعراء الحجاز ، والحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ،والتقليد والتجديد للفوزان والشاعر الفيلسوف لكتبي .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التي تصقل الموهبة ، وتولد روح التنافس والقصيدة الأولي تلك تحمل جذوة فلسفته التي صحبته طوال حياته ، فهو يخشى من مداهمة اليأس ، ومواجهة الآخرين ، ويعلن أنه في ميدان حرب وصراع الحياة .

لا تدع اليأس يحتل قلبي فإني أرى اليأس صنو الممات

وقوّ جناني على حرب من هم أنفس الذئب في ثوب شاة[1]

وقد أخر نشر شعر الصبا في بداية المجلد السادس من أعماله ، وأول ديوان نشره هو (قدر ورجل) في عام ١٣٨٦هـ وكأن نشر الصحافة لشعره خفف حماسة المبادرة لنشره مبكرا في ديوان ،ثم خرجت مجموعته الشعرية الكاملة في سبعة مجلدات ، استهل المجلد الأول بالإسلاميات، ثم بالإيحاءات ،و التحليات ثم بالقوميات والوطنيات ، وشعره في العرب و العروبة ، وختمه بآراء في السياسة والمجتمع العربي ،وخص المجلد الثاني بالرباعيات ، أما المجلد الثالث فكأنه سيرة لحياته الذاتية ،فهو حديث وجداني متألم عن الحياة من منظار الشاعر .

* وكذلك المجلد الرابع يدور في فلك الذات وشجونها ،فهو عن الفكر ، والحكمة والطموح ، ويضم المجلد الخامس وجدانيات وغزليات ،وعن الحب والجمال .

* أما المجلد السادس فإنه يضم شعر الصبا، وجمال الطبيعة، والصداقة والأصدقاء ،وفي الأدب والنقد الأدبي ، وبعض المناسبات ، والمراثي .

وقد قدم الأديب محمد مغربي للمجلد السابع ، الذي يحتوي على عروبة وإسلام و طنيات ، وتأملات ، وغزليات و وجدانيات ، و إخوانيات، ومراثي ، ورباعيات ومما قاله مغربي في شعر الشاعر « يتميز بسلاسة التعبير ،وجمال الصياغة ، وصحة الأداء ، يمده رصيد ضخم من الألفاظ تسلس معه له القوافي ،

---

[1] المرجع السابق ٧ : ٩

فكأنها طوع يديه ، يتناول منها ما يشاء »[1] .

ونحن أمام شاعر من أشهر الشعراء العرب المعاصرين ، وأغزرهم نتاجا ، وأكثرهم نشرا ومن أطوعهم لغة ، وأقربهم مأخذا ويسرا وسهولة مع أن المعاناة عميقة فلسفية أو شعورية لكن قدرته الإبداعية واللغوية أخرجت تلك الأفكار في سلاسة وليونة ، وعلى حد عملي هو أقدر الشعراء المعاصرين على البوح بانفعاله وأحاسيسه ولست أعني بالقدرة المصراحة ،وإنما أعني بها مجاراة الإبداع للانفعال مع رمزية لا تنفك أن تتجلى ، ولا تبتعد عن المواجهة .و الشاعر يمتلك القدرة على توليد المضامين ،وكذلك على صياغتها في قوالب مختلفة ،وكثيرا ما يستعين بالتصوير الشعوري وشعره يمثل فلسفته في السياسة ، والفكر الاجتماعي ، ويقف طويلا عند صراع الحياة ، وسلوك الفرد . وشعره متأثر بأسلوب الصحافة ، فهي تقوم على اللغة القريبة ، مع عدم الابتذال ، وتعمد إلى التفصيل ومعالجة القضايا، وكذلك شعر فقي .

* والشاعر يسرد معالم سيرته الذاتية في قصيدته (موجز حياة)ويجعلها في أربعة مقاطع :

١- ففي مقطع الأول ، يحكي لنا، جمال صورته ،وحسن معاشرته ، مما جعل له تأثير على صحبه ، فكأنه الرائد بينهم ،وهو موضع رعاية من حوله ، يقدرونه ويدللونه لنجابته وحياته ، وتلك معالم ترفع من إرادة وعزيمة الفتى ، وتزرع له القبول عند المحيطين به .

١- بدايـــــة :

لنبدأ حكايته من صباه .. فقد كان ذا صبوة عارمـــــه
وكانت له فتنة ما تطاق .. فكانت على صحبة الحاكمـــه

---

[1] الأعمال الكاملة ٦ : ١١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يدلـله الناس في لهفة .. ويرجون لحظته الباسمـــــــه

فيغضي حياء .. وقد يستثير بإغضائه الفتنة النائمـــه

وقد يستبيح المنى الضارعـات إليـــه .. بنظرته الحالمـــه

والصبي في صباه أزدان بالحياء و العفة ، فهو يقمع نزواته وشهواته ،ويغضي حياء ممن حوله ، فهو يخشى لوم الناس وتدنيس العرض

وعاش الصبي يزين الصبا.. بما يقمع الرغبـــة الآثمـــة

تكاد العيون تصد القلوب .. إذا ما رأته عن الواصمـــة

ولأن الفتى نشأ يتيم الأب ، فإن الأسرة ترنو إلى فتاها ، فتعلق آمالها عليه وقد رأت فيه الأسرة معالم النجابة ، فغمرته بالحب والتقدير، مما أذكى فيه المثابرة وحب التفوق ، والعزيمة حتى يحقق تلك الآمال ، فهو القائم على شأن أسرته ، يبتغي لهم السعادة ، ويتطلع للمعالي .

وشـــب ،ومـــن حولـه ثلـــة .. تـــرى فيـه آمالهـا القادمـــــه

تقدســـه مرتـــين النتـــين .. فأفكـاره كـالرؤى الناعمـــــــه

لـــه كـــالرواء ذكـــاء عريـــق .. يضـــيء معالمـــه القاتمـــــه

ويفضـي عليهـم رقيـق الشـعاع لكـي تشـرق الأوجـه الجاهمـه

لقـد كـان راعيهـم في الحيـاة وكـانوا رعيتـه الهائمـــــــه

وكـــان يهدهـــد آمـــالهم... فتحلـم بالصفقـة الغانمـــــــه

وتحلم بالمجد يغـــرى الطمـــاح .. ويقتـــص اللحظـــة الحاسمـــه

وقد حقق الله له ذلك ، نال حظا وافرا من التعليم والذكر الحسن , ولمع نجمه في الصحافة ، والإعلام ، وذاعت شهرته بإبداعه الشعري ،فقرت بلابله ،بهذا الترقي في الوظائف، وهذه الشهرة

٢- واستقـــرار :

وقـرت بلابلـه فاسـتراح .. إلى مجـده .. وإلى ناســـــه

وألبسه الدهر حلو البرود .. وجاد عليه بأطلاسه

فما غرة كل هذا النوال .. فقد لاذ منه بإيجاسه

فقد كان يخشي عليه الزوال .. ويرهب أيام إفلاسه

وبالغ أصحابه في الثناء .. فما ضاعفوا غير سواسه

يقولون أنت الفتي الألمعي .. وأنت المضيء بنبراسه

وقد تنعم بحياة الاستقرار تلك ، وعاش حياة ناعمة ، فتكاثر الأصحاب، وأمطروه بوابل من الثناء ، لكنه يدرك زيف الناس فلم يغتر و لم يتعال .

* ولكن الشاعر يتردى في نكسة من حياته ، فانفض الناس من حوله، وكانت عظة وعبرة ، فالناس يتهالكون وراء حطام زائل وهذه أشعلت جذوة تأمله في حياة البشر ، وتشنيعه الدائم عليهم فتتراءى له المثالب والمطامع، بل أضحى يتأول كل سلوك إلى جانب الرغبة و الطمع ، ومخالفة القيم والمبدأ.

٣- انتكاسة :

وشاخ وغادر بعض التراث .. فغادره الناس في إثره

وما كان إلا تراث الفناء.. فما يرخص المرء من خسره

وأهله ما رأى من خلاق .. فراح يفكر في أمره

فهل يركض الناس خلف الحطام.. على نفعه وعلى ضره(١)

فلا يأبهون بحس الكريم .. ولا بالأوابد من فكره

وماذا هو القدر عند الأنام .. سوى النفع يغلون من قدره؟

وقد يخضعون ،وهم كارهون .. لبأس يخافون من شره

وفكر .. هل ثم بعض الرجاء.. وإلا هو اليأس في نكره ؟

هنالك رهط ظماء.. ظمأ روتهم سحائب من قطره

فهل هم مع المرء في يسره وهل هم على المرء في عسره؟

إنه صور تلك الحالة المأسوية التي انغرست في نفسه ،وزلزلت ثقته بالحياة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والبشر، فصحبته في حياته ، ونمت تلك الغربة الرومانسية المقيتة التي لا تربو مع نفحات الأمطار بل حتى وبله ود يمته ،ولو لا معرفتنا بحياة الشاعر التي تخالف إبداعه ، لحكمنا حكما آخر عليه ، لكننا ندرك مكابدته للمعالي ، ولطف معشرة ، وإنجازه للعمل ، وترقية في الوظائف حتى بلغ مديرا عاما لوزارة المالية ثم سفيرا في جاكرتا وله من الأبناء الذين بلغوا مكانة رفيعة في الدولة ، فالرجل في مكانة سامقة سامية حتى المجتمع ، أخذ يعنى به ، فكانت الجوائز الكبرى تدفع باسمه ولدراسة نتاجه الإبداعي .

* وهو في خاتمة حياته ، يحمل أثقال الماضي ،ويرى أن الإنسان كالثور يجر الساقية ، فهو يشقى لِيُسعِدَ الآخرين .

٤- وخاتمـــــة :

وجر الزمان ذيول العفاء .. على هذه القصة الداميـــــة

لينسج من بعدها للأنام .. كعادته قصـــــة ثانيـــــــة

أليسوا خيوط النسيج العجيب ؟ أليسوا هم الثور والساقية

وهو في خاتمة حياته يعلن يأسه ، وحكمه على البشر بأن نفوسهم مظلمة شريرة .

سعيت إلى النور نور النفوس فأهويت للظلم الداجيـــة

ولا قيت فيها ألوف الرفاق فما أكثر الناس في الهاويـــة[1]

وهو يظن حياته قرية النهاية في عام ١٣٨٧هـ لكنه مازال حيا حتى إعداد هذا البحث في نهاية عام ١٤١٧هـ لكنه مازال يجتر تلك الفلسفة، والتي انبجست في كيانه أو هو زرعها في عقله وشعوره ، .

والقصيدة تمثل إبداعا جديدا في بلادنا بسرد الحياة في حكاية قصصية .

---

[1] المرجع السابق ٣ : ٢٣٣ .

* وهو يصارح من داعبته ، بأن الشيخوخة أقبلت برعشتها ، ونضب معين الحياة ، فلم يبق إلا هيكل يماثل الأشباح وهو كشجرة السدر التي تساقطت أوراقها في الخريف :

فيا فتاتي ! وما أخادعها لكنني ، اليوم ، صادق الخبر
أما رأيت الرجيف في جسدي؟! أما رأيت المشيب في شعري؟
فكيف ترجين صبوة ، نضبت نضوب عذب المياه في الشجر؟
لم يبق من هيكلي سوى شبح ضاو ، تفاديه أسوأ الذكر
فلا تشدي الربيع ، مؤتلقا وعابا بالزهور والثمر
إلى الخريف المصفر، ودعه وريقه ، فاستحال كالسدر[1]

والواقع أن تأله من الحياة صحبه مبكرا ، لكنه أخذ يئن منه في إبداعه بعد أن تجاوز الستين ولا تكاد تجد قصيدة ، في الشكوى تخلو من الحديث عن ضعفه ،وفعل الأيام به ، وكل قصيدة يتصور فيها خاتمة إبداعه ،ونهاية حياته . فهو يقول عام ١٣٧٨هـ :-

أبنيتي .. يأكل حبي في الوجود .. وكل مجدي
كوني لأختك .. إن ذهبت شقيقة بالروح تفدي
إني أحس بان نجمي غارب فيثور وجدي
هل تسمعين وصيتي يا خير من أرجوه بعدي[2]

وأظن أن تلك البنت قاربت سن اليأس وهو مازال ينعم بصحته .

والشاعر عند تجاوز السبعين شعر بثقل الشيخوخة ،ودب إليه الضعف ، وذهب ماء الشباب ،وقوة الكهولة ، واستشعر قرب أجله قال :

لم يبق إلا القليل من عمري فكيف أصبو للهو والهذر

---

[1] المرجع السابق ٧ : ٧٠٦

[2] الأعمال الكاملة ٣: ١٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو يرسم لنا لوحة لحياته قد دقت بالدسر في كل مكان منها ، كلما تكسرت عادوا إلى تلاحمها ، وتارة يصور نفسه بأرض قفر لا ماء و لا شجر ، وتارة يستدعي صوره الليمون التي عصرت وأخذ ماؤها ،وهو يتألم لحالة الضعف.

لقد سهرت الشباب أجمعه ... فما الذي قد جنيت من سهري
جنيت منه اللغوب مقتحما ... شيبي اقتحاما ، يقول من عمري
يا ليت كان الشباب متئدا ... أو كنت من غيه على حذر
في كل يوم كانت مزاهره ... تروي ، ويسبي ، بالكأس والوتر
فما نهاري يمضي بلا مرح ... وليس ليلي يمضي بلا سمر
ورب شيخ يعيش منكسرا ... كأنه اللوح دق بالدسر
أو أنه القفر ،ما به أثر ... من شجر مخصب ،ولا مطر
وارحمتا للشيخ، حين غدا ... شلوا ،بأقسى وأفدح العبر
لكأنه ليمونة عصرت ... فاستهونتها كف معتصر
كم قلت للنفس ، وهي واجمة ... لن نجتني النفع من أولي الضرر[1]

* والرومانسية الوجدانية تتجلى في نزعته الشعورية فإبداعه ينبع من أتون داخلي يتدفق حارا أشبه بالمياه المعدنية التي تتدفق بحرارتها من باطن الأرض ، ووجدانه يغمر كل موضوعاته الشعرية ، فهو ينزلق إلى قاع النفس البشرية ، وفلسفة سلوكياتها ،وصراع الحياة الاجتماعي ، فهو حرب على الذين يخالفون القيم ، وتجرفهم المادة إلى الانحراف ، وتحطيم الضعفاء ، وابتزاز الأموال ،وقهر من لهم الحق أو الأفضلية ، فهو يخاطب الإنسان العربي .

إلى متى نبقي نستعذب الرقا وغيرنا يرقى إلى سما المجد
إلى متى نرضى الفوضى وعينا الغمضا هل غمضنا يجدي؟

(1) الأعمال الكاملة ٧ :٣٠٥

إلى متى النوم يا أيها القوم فقد دنا اليوم ذو الأخذ والـــرد
لا نبلغ الأوجاع بمشية عرجا وفكرة هوجا فهذه تـــردى
بل نجمع الأمر ونترك الوغرا لنجتني النصر بالجمع والحشد
ألا نرى الغرب قد طاول الشهبا وجاوز القطبا بالكد والجد[٢]

* وتلك الحالة من الصراع الفكري الذي لا ينفك عن الشاعر دلفت بـه إلى الغربة الإبداعية ، فإنه صراع دائم مع الأقربين والأبعـد يـن ، فالغربـة تتسـرب في حل شعره .

وتتجلى الرومانسية في ذاتيته التي تبلغ مرحلة الأنـا أحيانـا ، فهـو يخـاطب رفيقة :

أنا من شـــاد لك المجـــــد وأعلـى شرفاتـــه
والذي مهد وعر الدرب من كـــل جهاتـــه
وأنا النجم الذي شع لماضيك وجلى ظلما ته[١]

وتظهر في وحدانياته الغزلية ، وفي ذاتيته الشعورية التي تلج في فضاء الغربـة . وفي توظيف الطبيعة التي ترمز لجوانب الحياة البشرية .

الغـــزل :

* الشاعر درج في الحياة يحمل معاناة الكدح ،فعاشها معتدلا في سلوكياته ، يسعي حثيثا لطلب الرزق ، والترقي للمعالي ، فنـال حظـا مـن التعليـم النظـامي ، ونال أكثر من الثقافة العامة . وكل هـذا يواكـب سـائر الغرائـز . ومنهـا الحـب وغريزة الهوى ، فهي لم تستحوذ عليه لكنه أحس بوقعها بعد أن سايرها في صباها مستأنسا بوقعها لم يفكر في عواقبها :

---

[٢] المرجع السابق : ٦: ٦٥

[١] المرجع السابق٦ :١٧٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أتذكر إذ كنا صغيرين نلتقي غبيين لا ندرى الحياة كما هيا
خلين إلا من هوى متبادل عزوفين عن دنيا تجن الدواهيا
درجنا على فجر الهوى وضحاته ولما يجد منا قلى وتجافيا

لكن الفراق يقرع جرس الحزن والأنين واللوعة ، ولغرة محبوبه ، فإنه يتمنى البعد حتى يشعر بألم الحب ،ويذكي الغرام ، فالفراق في نظر المحبوب محمدة ، لكن الشاعر لا يقنع بهذه الفلسفة ، وإنما يريد الحب وصلا دائما لا أن يصطلي بلهبه وحرقته ،وهو يقف منه موقفا ماديا أخذا وعطاء فكيف يترك يوم المسرات كي ينتظر يوم الألم والانتظار ،فهو ليس بالدنف المستغرق في عماية الهوى ، فما نفع الحب الذي لا يغذي المشاعر:

فرجعت فيه الطرف ترجيع مشفق من الدهر ألا يرجع الدهر غاديا
ورجع في الطرف وسنان حالما تطوف به الذكرى فيرتد صاحيا
فقلت لو أن البين يرضى بفدية ويقصر عنا بالروح فاديا
فقال أليس البين يذكي غرامنا ويشعل حبا كان بالقرب خابيا
فمالك تلقاه بنفس حزينة وعين سكوب وهو يلقاك حانيا

والشاعر يفتق المعاني ويولدها كما كان يفعل ابن الرومي ، فانظر كيف يورد البراهين على لسان المحبوب كي يقنع بلذة الافتراق والابتعاد، فهو يودي إلى الشجو ، ويثير عواصف الوجد، ويدعو إلى اليأس وكلها تولد لوعة العشق والهيام

ستحمد منه الشجو يشرف بالمنى على جنة ما دمت في الشجو فانيا
ستحمد منه الوجد يلقاك عاصفا فتلقاه طودا لا يزعزع راسيا
ستحمد منه البأس يلقاك كاشرا فتلقاه بسما بحالك راضيا
إذا خفت من بعد اللقاء قطيعة فإنك إن فارقت ترجو التلاقيا
وان خفت في القربة من الحب سلوة فانك لا تلقى من البعد ساليا
فقلت له إني امرؤ أمقت الدجى وإن كان صبحي خلفه متواريا

أخاف من الآلام ما كان مائلا ... وأهوي من اللذات ما كان ثاويا
أريد الهوى وصلا وقربا فإن بعد ... قلى وبعادا لم أكن منه صاليا
إذا لم أنل من (واقع) الحب بغيتي ... فما ضرني ألا أنال الأمانيا
وإني لا أدرى أأحيا إلى غد ... وأدرك مما قد أجن مراديا
أأترك يومي حافلا بمسرتي ... وأرقب يوما قد تحجب نائيا
لقد كنت ريانا فأصبحت ظامئا ... وقد كنت شبعانا فأصبحت طاويا
ولست بصوفي الهوى متشوق ... إلى غاية ترمي بنفسي المراميا
و لا دنف مستغرق في عماية ... ومعتنق حبا يشيب النواصيا
سريع متى يزجر عن الحب خائبا ... يقل في الغد المأمول ألقى جزائيا
وما نفع حب لا يغذي مشاعري ... ولكنه يسطو عليهن ضاريا
يريني عذاب الهون إن جئت ضارعا ... فإن رحت غضبانا تبرج داعيا[1]

* والواقع أن القصيدة تمثل فلسفة الشاعر الواقعية ، في الحب لأنها قيلت عام ١٣٦٢هـ ، فهو في مرحلة الشباب ، وهذه الفلسفة هي التي جعلتنا نفتقد الغزل الوجداني ، لأنه لم يعان منه ،و لم يحترق بلهيبه . وتظهر روح الأنا عند الشاعر فهو إما يبادل حب بحب ، مشحون بالتواصل وإلا يقلع عنه .

من أجمل إبداعه الغزلي الذي يفصح عن تجربة صادقة ،وهي تجربة ليس فيها امتداد لوعة، لكنه تجربة متواصلة أسعدته تم انبتر ما بينهما ، غير أنه لم يلتاع بهواجس اللقاء ثانية و لم يتعذب بمكابدة معاودة الفراق واللقاء .

يا حبيبا لست أذكره ... خشية أن تُفشي الذّكر
في حنايا النفس منزله ... حيث لا يدرى به البشر
تفتديه الروح راضية ... ويقيه السمع والبصر
ليته ما كان لي قدرا ... فلقد يلهو بنا القدر
كنت في أمن وفي دعة ... طاب منا الورد والصدر

[1] الأعمال الكاملة ٣ : ١٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يحتويني الليل متئدا ... رائعا يحلو به السهر
ولقد أشدو به غردا ... فيناجيني به السحر
ليس لي هم يؤرقني ... في دياجيه .. ولا فكر
فلو أن الليل ذو بصر ... كالورى ،مالفه الضجر
فهو لي خدن بهيبته ... وإذا ما شعشع القمر (١)

* لأن الشاعر مال به الاتجاه الفكري، ومعترك الحياة ، واستمطره جل فكره ووقته في معاناة الوظيفة صباحا ، والصحافة مساء ، ومواكبة الحياة الزوجية ، مما جعلنا نفتقد الغزل الوجداني في دواوينه الأولى ،فلم يضع له بابا إلا في ديوانه السابع ، و لا تظن تأخير نشره عن إرادة وقصد ،وإنما القصائد التي قيلت كانت متأخرة في ما بين عام ١٤٠٤هـ إلى عام ١٤٠٧هـ وهي في مرحلة الشيخوخة ،لكنها نسمات الذكريات ، وتلك ذكريات متعددة لمواقف متغايرة تمر مع كل إنسان ولأنها كذلك فإن الأسماء تعددت ، فقد خص كل قصيدة بتجربة مع فتاه مثل مي ،ودعد وبثينة .

فهو قد ذاق صبوة الهوى مع (مي) و ورد سلسبيله، لكن هاجس ألم الفراق يمازج لذة الالتقاء ،فكلاهما يحضران في زمن واحد ، وإخال أن الشوم يغلب عليه فيرجح بالفرح ويتده ، لكنه في هذه التجربة يطفح بالابتهاج، ولعل مصدر ذلك كونه ذكرى من الذكريات :

أقول :يا مي ! أخاف النوى ... من بعد ما ذقت نعيم الوصال
لله ! ما أعذب هذا الهوى ... لله ! ما أروع هذا الجمال
فكيف أقوى حين أصلي الجوى ... على لظاه ، يا نسيم الشمال؟
أوردتني السلسل حتى أرتوى ... روحي ،فهل أظمأ بين الرمال؟
فنظرت لي نظرة ،تصعق ... مترعة بالحب، خلف الدموع
قالت ، وقد أسعدها المنطق ... ما أوجع النأي ، وأحلى الرجوع
لاقيت ما لاقيت ، يا شيق ... فحالف السهد ،وعز الهجوع

تغرب عنـــي ، وأنـــا أشـــــرق فتطوي بالريح منـــا القلـــــوع

فهو ليستدعي الأيام الجميلة التي أنس بها ، في رياض من الطبيعة الجميلة و الطيور المغردة والنسيم العليل .

فكيف أنسى الروض و الجدولا والطير يشدوبأغاريـــــــده
وكيف أنسى العش ، ما أجملا فوق الربى ، فوق أماليـــــده؟
والنسمة الحيرى كمثل الطلا كالشعر يسبي بأناشيـــــده
لو كان قلبي في الهوى جندلا لكنت أرمي بمقاليـــــده[1]

لكن صفاء الحب هذا قليل في إبداع الشاعر قلة قصائده الغزلية ، أو لنقل قلة تجاربه الوجدانية الغزلية ،فهو رقيق الإحساس لكنه لم يتعرض لمواقف تذهله تتلاحق أحداثها فشعره الغزلي الصادق التجربة يمثل مواقف متعددة.

الذاتيـــــة :

وعندما كبرت ابنته الثانية، وحفته بحنانها، رأى فيها سلوة عن ماضيه الحزين الغابر ، فخاطبها ، مظهرا حبه لها لكنه كشأنه في جل شعره ، لم تغب عن خاطره المنغصات للحياة ،فتذكر موت ولديه الأولين غير أنه يرى في ابنته هذه العزاء :-

أبنيتـــي ! ولقـــد رعيـــــــت طفلـــة بـين المراضـــع
حتـــى استويت خريـــــدة تختال ما بـين الروائـــــع
فكأنهـــا الســـحر الحـــــلا ل كأنها الأمـــل المشـــارع
واســـيت قلبـــا مزقتـــــــه الماضيـــات مـن المباضـــع
قـــدر أطـــاح بمقلتيـــــــه إلى الـــتراب إلى المضاجـــع
كـــان الضيـــاء لـــه .. وكـــا ن الروض يهـــزج بالسواجـــع

---

[1] المرجع السابق ٧: ٣١٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فقـــدا كقفـــر .. ولا طيـــو ر ولا زهـــور ،ولا منابـــــع
لكنـــه مـــا ضـــاق ذرعـــا م واستطال علـــى مصائبـــه القـــوارع
فهـــو القضـــاء.. وجـــل ربـــي عـــن منازعة المنـــازع
لله فينـــا الأمـــر ، تحمـــد ه العمـــائم ،عانيـــات ،والبراقـــع
لرضيت منـــه بمـــا قضـــا ه رضـــا المنيب لـــه ، المطـــاوع
كانـــا ودائـــع ،فاستـــرد بحقـــه منـــي الودائـــع
ولقـــد حبـــاني العـــزاء فأزهـــرت مني البلاقـــع[2]

لكن الشاعر عند مخاطبة ابنته في قصائد متعددة ، تطفو عليه روحه المتشائمة التي لا تنفك عنه حتى لتبلغ بالقاريء أن يصفه(بالأنا) ، فهو ينظر إلى الأشياء من خلال ذاته مع بناته ومن ذلك قصيدته (وماذا أفنيت) فكلها شكوى يستهلها بقوله :

بعـــد الكفاح المر بعد مكـــاره العمـــر الطويـــل
لم ألـــق غير اليأس غيـــر السجـــن والقيـــد الثقيـــل[1]

تسير مقاطع القصيدة على هذه الشاكلة ، ومثلها قصيدة " البزوغ والأفول" وكذلك " إليك يا ابنتي " [2] فهو يتحدث عن ذاته لا عن بناته ..

* ومن عوامل تكوين الذاتية عنده ،معاناته لفقده ابنته (فوزية) التي أكملت تعليمها الجامعي في أوربا ثم أصيبت بمرض أودى بحياتها ،وهي في مقتبل العمر ، فرثاها بعدد من القصائد التي تصور حرقة الأب على ابنة لها مكانة خاصة في نفسه ، وكذلك فقد ابنه (عبد العزيز) الذي مات أثر حادث مروري في نيويورك ، فكانت مأساته كبيرة في ولديه .

---

[2] الأعمال الكاملة ٧: ٨٥

[1] المرجع السابق ٧ :٧٦

[2] انظر ، المرجع السابق ٧ : ٨١ ،٨٤

* ينازعني فكري حول الشاعر فتارة أضمه للشعر الوجداني، وتارة أميل إلى أن أضمه إلى قافلة الشعراء المفكرين نتيجة لشعره التأملي الذي يحتل مساحة كبيرة من دواوينه غير أنه يلوب في ذاتية الشاعر أولا ، ثم في فكر متقارب متشابه ،وتأمله ينبع من واقعية الحياة ، فتارة يعصف إبداعه في سلوكيات البشر ، وتارة يقف أمام سنن الكون ،وأخرى يتأمل الطبيعة لكنه بحضور وجداني ، فهو يستحضر تلك الأحداث لذاته ، فكأنها ترمز لمعاناته، أو لنهاية حياته . فهو يلج إلى الرومانسية من ناحية الذاتية ، والغربة والفيض الوجداني الذي يغلف الفكر ، وقضايا المجتمع .

ومن ذلك تأمله في بستان يرى جفاف الأشجار ، واقتيات الدود بها حتى تندثر ،ويرنو الدود إلى الأعواد الخضر لعلها تذوي ففي موتها حياة له .

رأيت الدود في البستان يمشي تحت أشجاري
وينظر للجذوع الخضر نظرة جائع ضاري
وما يعنيه أن تسقط أثماري وأزهاري
فقلت له : يا أيها الدود ! إنني أراك على جوع ، تلوذ ببستاني
فهل ختله حلا لجوعك ترتمي عليه بأضراس حداد ،وأسنان
فترتع فيه كيفما شئت عابثا بجذع طري ، أو بزهر وأغصان
وما تتخشى حارسا مترقبا يصد ويطوي بالردى كل عدوان
فرح عنه ،وأنشد غيره فهوعلقم مرير وسم ، ليس يحلو لديدان
وما أنا بالعادي عليك إذا استوت خطاك على درب سواه ولا الجاني[1]

وكأني بالشاعر يرى صورته في حياته ومماته كهذا البستان الذي تتداعى أشجاره ، فإن الشاعر سوف تذبل أوراقه ثم يسقط صريعا يتغذى به الدود وهذا مصير كل حي سنة الله في هذا الكون .

---

[1] الأعمال الكاملة٧ :١٤٣

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الطبيعـــة :

* والشاعر يهرب لحياة الطبيعة ، وهو يستوقفه البلبل دائما ، فهو يشدو في الطبيعة الجميلة حيث الحياة الهادئة ،والبعيدة عن الإنسان وشروره وعن الأحقاد ، والضغائن ،و الشاعر يرمز لذاته بالبلبل ، لكنه يعاني ما لايعانيه البلبل، فهو يتمنى حياته الناعمة .

يا بلبلي في روضه الأخضـــر وعشه الرابض بين الغصـــون
غرد وجاوبني على مزهـــري إجابة تنفض عني الشجـــون
في الليل هذا الساكن المقـــمر يبدو لنا الروض شديد الفنـون
يبدو كتابا مشرق الأسطـــر كالجنة العذراء بين الحـــزون

يا بلبلـــي إلفـك في نشـوة مثلك في عشكما في هنـــاء
مـا أروع العيش بلا جفـوة ترى بها عيشك مثل الهبـــاء
عشت بها أهث في شقـــوة عرفت منها لونه الأشقيـــاء
أود لو أحلم في غفـــــوة بالحب يحنو بعد طوال الجفاء[1]

* والشاعر يرى في معالم الطبيعة الصفاء و النقاء، فهـو يهرب إليها دائما ويتمنى أن يستوطنها ،منفردا عن البشر .

* والشاعر ينظر إلى المساء نظرة الرومانسيين ،فهو رمز لنهاية الحياة ، فهو يرى أن الشمس تدلف إلى المغرب حزينة ، فهي تسير إلى نهايتها بعد أن أنهكها ما بثته من أنوار وأشعة في هذا الكون الرحيب وكأن الشفق دماؤها تنزف حولها، وقد أصفر جسمها ، ذاهلة من مصيرها في غياهب الظلام .

رأيتها تمشـي إلى المغـــرب حزينـة محنيـة المنكـــــب
منزوفة من فرط ما أرسلـــت من ضوئها في يومها المتعـــب

---

[1] المرجع السابق ٦ : ١٣٥

الشفق الدامي لها هالـــــة كأنه من دمها الصيـــــــب
مسلولة أضعفها جريهـــا في حلبة المشـرق والمغـــرب
مصفرة تحسبها غـــــادة مذعورة من سطوة الغيهـــب
فصحت يا شمسي ففي لحظـة وو دعيني قبـل أن تذهبـــي
فإن هذى لحظة أفـــــدى تجديدها بالعمر والمكســـب[1]

ولكنه منظر الغياب ، والشمس تدنو من البحر لتذوب فيها وهو يعث بأمواجه فرحا وابتهاجا بقدومها وكأنه يرمز بعطاء الشمس لذاته ،فهو ذبل بعد أن قدم ضياء من الفكر .

* والشاعر يعيش فلسفة المفارقة ، فهي التي تقدح فكره ، وتجلل إبداعه بجدل فكرى ، فهو يجمع بين المتضادات ، فيتأمّل الفقي حياته عندما يكون في شموخه وعلوه ،وعندما يسقط إلى السفح ، ويستحضر حاليّ الفرح والحزن معا لكن يخفف من هذه المفارقة إنها وافته بعد أن يئس من أمانيه وغاض معينه لكنه يعود إلى تلك المفارقة الماضية ، فهو ذاق المرارة في غربته وإقامته

أفي ذروتي ألقى المنيـة أم سـفحي؟ وبالحزن يلقاني المصير أم الفـــرح
فلست أبالي بعد أن عقت المنـى طموحي وأيسن الذى اخضر من سرحى
أعيش كما عاش الطريد بـداره يضايقها جدى ويغضبها مزحـــي
وأشهد فيها للدخيـل تطـاولا على فما تقوى يداى على الكبـــح
يسيل دمى منـه فمـا يستفـزنى لثأر دمي هذا الذي سـال من جرحـي
وكيف ولـو حاولتـه لتصرمـت حبالى ،فلم أغلس بدارى ولم أضحى
وذقت الطـوى في غربتـى وإقامتي فما بهما لى من شعير ولا قمـح
فلست ملوما حين أخشى من النوى فأغمض من عيني لأطمع في الصفح
وإلا فإني عند أهلي وجيرتـى شقى لأنى لست أصغى إلى النصح
فويلى إذا أسلمت مت من النـدى كريها ، وإن قاومت مت من الشـح

[1] الأمثال الكاملة ٦ : ٩٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

سبيلان قد ألقى الردى من كليهما وإن كان بعض المدح شرا من القدح[1]

وكأن ميزان الاعتدال مفقود عند الشاعر حتى في بذل المال فالكرم عنده يودي إلى الموت فإن أبى فاضحى شحيحا فهو مودي للموت أيضا ، في نظر الشاعر .

وقد زرعت فيه فلسفة المفارقة التي تقوم على الجدل والصراع الداخلي بين رغبات الإنسان وفكره ، وبين ذاته وسلوك مجتمعه ،وبين المثالية والواقعية، وبين الرغبة والعقل . إنها فلسفة ظهر صداها في أسلوب الشاعر حيث المفارقة التي تكاد تصحب كل بيت ، فالنشاط والكسل يصحبان الشاعر ، وينتابه اليقين ويعتريه الشك ، ويريد الهروب إلى الفضاء الرحب لكن يحن إلى الطبيعة والحياة فيها ويزهد تارة ، وتجذبه الدنيا ببريقها .

وأنشط كالمهر الكريم توثبا ويغلبني الطبع الكسول فأقصر
وأومن كالقديس ثم تردني مصاديق شك بين عيني تظهر
وتسبح روحي في السماوات نشوة ويرجعها رغما إلى الأرض منظر
ويحطم عهري هيكلي فأصونه فتقتل اللذات فيه وتجأر
وأزهد في الدنيا فتنصب المنى أمامي فيغريني البريق المسيطر
ويدفعني عزمي إلى مورد العلا ويصرفني عنه الخمول فأصدر
ويندرني شيبي بأن لصوتي حدودا فيلهو بالحدود التهور
وأطوى على الغدر الجوانح ساترا سلاحي . وأدعو للوفاء فأجهر
وأرهف سمعي للتعصب جامدا وأصغي إذا نادى العقول التحرر
وأسخر من رجعية مستميتة ويسخر من دعواي فيه التطور
وأبخل بالسحوت حينا على الطوى ويعرف عني اللهو أني المبذر
ويزدهر الحب الشذي بخافقي فيذوبه بغض سمه يتقطر
وأجزع من عنفي فأهرع نادما إلى الليـن لولا أنني أتقهقر

---

[1] الأعمال الكاملة ٣ : ٢٢٦

ويفتنني حـــب الظهور فأشتهـــي بوارقه لـــولا انطوائي الميكـــر[1]

والشاعر يوظف الطبيعة للرمز ، فهو لا يريد من المرأة الانطواء ،وكأنه يرمز إلى الحجاب ، فهو يريدها أن ترى وتُرى ،ولذا يرمز لها بالورده التي تنحسر عنها أكمامها في قصيدته (عذراء الربيع) .

ولمحت عذراء الربيع وقد توارت بالحجـــاب
ترتد حين تنوشها الأبصـــار خشية أن تـــذوب
ياوردتي .. أفتبخليـــن ؟
وأنت رى الظامئيـــن ؟
أفأنت خائفة؟ وهل يخشى الجمال العاشقيـــن؟
أم أنت قاسية ؟ فما يصغي فؤادك للأنيـــن؟
أم أنت غاضبة ؟ فواعجبا .. على من تغضبين؟
أتغضبين على القلوب الواهات بحبها.. يا ويلها!
شقيت بحبـك مرتيـــن
فويلها من شقوتيـــن
شدى الكمائم ،وانزعيها عنك .. ياذات البهـــاء
حجبتك والحسن الوضيء يشف من خلف الرداء
لا ترهبيها .. واستبيني ، واملئـــي الدنيـــا رواء
قولي لها . هذا الوجود يحبني وأحبـــــه
فأنا لـــه ، أو للعفـــاء
فالحسن يذبلـــه الخفـــاء[2]

وهو أنس بالطبيعة ووظفها في الرمز ، ولامس جوانبها النباتية والحيوانية طائرها وحشراتها ، وزهورها و وردها ،وبحارها وأفلاكها .

---

(1) المرجع السابق ١ : ١٥٣ .

(2) المرجع السابق ٦ : ١١٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تارة ينعم بجمالها ، وتارة بفطرتها وطبيعتها ،وتارة يهرب إليها[1]

* وتعيش في الشاعر نفس معذبة ، يفترسها التشاؤم ، إن لم يداهمها الشك أحيانا .

* والشاعر يوظف القص ويرمز بالطبيعة، فهو يبكي على لسان الطير ، والبحر والليل ، و الورد و الزهر ،والبلبل ،وهو يوظف الحوار لكن حواره مطول ، يولد المعاني ويقف متأملا حاليا ذلك بالوصف الكاشف الصريح ، فهو في قصيدته " النملة والإنسان " يتحدث على لسان النملة التي تقف أمام صفوف النمل ويسترسل الشاعر في وصف النمل الذي يسير بسرعة ،ويعيش حياة هادئة ، ثم يعلن على لسان النملة سؤاله ألا يخشى الموت إنه بهذه السرعة يدلف إلى الموت :

قالت النملة للنمل الذى سار صفوفا وصفوفـــــــــا
أيها النمل الذي يسرع في السير ألا تخشى الحتوفـــــا
أنت مازلت بذا الشهد ، وان أرداك بالسم ،شفوفـــــا
قف ولا تسرع إلى الموت.. فلن تجني من العيش القطوفا
وطئتني قبلك النعل فعاد الحب في قلبي عزوفـــــا
فتواريت ولو بنت .. للاقيت من الضر صنوفـــــا

ثم يتحاور النمل في دوافع الرهبة والخشية ،والرغبة في بلوغ العيش

فمال النمل للنملة يستنبئها الأمـــــرا
وقد أمل في القوت ولم يستشعر الشـــرا
وقال لها : لماذا قلت ياهذى .. خذوا الحذرا؟
فكم من مـــرة ذقنا ،هنا في لحاله التمـــر[2]

---

(1) المرجع السابق ،الجزء السادس باب الطبيعة .

(2) المرجع السابق ١ : ١٦٨

والشاعر يتحرر من التزام القافية ، بتعددها ،فتكاد كل قصيدة أن تتكون من عدد من المقاطع المختلفة الروي، وهو لم يكتف بهذا بل وظف الرجز ليستطيع مجاراة أسلوب الحوار القصصي الرمزي على لسان العصفور وبقية الصوادح و استنطق معالم الطبيعة حتى الدوح والشجر .

تقدم العصفور للصوادح ... يشكو إليها سطوة الجوارح
وقال: إني قد تركت وكري ... من أجل أولادي قبيل الفجر
وعدت ظهرا مع بعض الرزق ... أطعمهم منه ومنه أسقي
فلم أجد وكري ولا أفراخي ... فانهل دمعي . وعلا صراخي
وقال لي الدوح وقد أشفقه ... مصيبتي ،بل إنها أبكته
عوضك الله،فان الصقر ... صاد الفراخ ،وأباد الوكرا
فاسترسل العصفور في نواحه ... ولم يطق صبرا على جراحه
واستنكر الطيور جرم الصقر ... ونصحوا صاحبهم بالصبر
وسمعتهم دودة موتورة ... فقهقهت راضية مسرورة
ثم توارت في حشاء الشجر ... خشية هذا المعشر المقتدر
ومن وراء حصنها المنيع ... نادت بصوت جذل مطيع
ماذا الذي أسمعه من جحري ... ولا أراه خشية من قهري[1]

---

[1] الأعمال الكاملة ١ : ١٥٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عبد الرحمن رفة :-[1]

عبد الرحمن سليمان رفة ، ولد في المدينة المنورة عام ١٣٣١هـ ، ودرس في حلقات المسجد النبوي الشريف ،وحصل على الشهادة الابتدائية النظام القديم ، وعمل تاجرا ،ثم التحق بالوظائف الحكومية ،فعين مديرا لفرع المطبوعات في المدينة المنورة حتى عام ١٣٨٦هـ أحيل إلى التقاعد وهو مازال يتمتع بصحة جيدة، فقد التقيت به في أمسية شعرية في نادي القصيم الأدبي ، وكان حافظا للشعر ،ولأشعاره ،لطيف المحادثة ، يعد من أبرز أعضاء أسرة (الوادي المبارك) الأدبية ، وأحد مؤسسي نادي المدينة المنورة الأدبي .

من أعماله : جداول وينابيع طبع عام ١٤٠١هـ .

وعبد الرحمن رفة من شعراء الوجدان ، سلس العبارة ،متدفق الشعور و وجدانياته منداحة من الطبع ، وقرب المأخذ ، فهي تستقى من المناهل الوجدانية العائمة على السطح ، أو تقترب من السطح شأنه شأن شعراء الطبع الذين ينأون عن البعد الخيالي ، وهو شارك في الحياة العامة وتفاعل معها، فمن قصائده وصفة ليلة الدخول على الزوجة :

حلت فديت عيونها في مهجتي ... كالماء حل حشاشة الظمآن

لم أنس منها قبلة نولتها ... عفوا وكانت قبلة الوفان

يغضي لديها حين تدنو ناظري ... إغضاء حر في أسار حسان

مستسلم أعطي الفؤاد لغادة ... بخلت عليه بنظرة وتدان

انظر فديتك

انظر فديتك لا تكن في غفلة ... عما أعاني في الهوى وأقاسي

فالورد إن جف الغدير تحطمت ... أغصانه وغدا بلا إحساس[2]

---

[1] انظر ، معجم الأدباء والكتاب ١٣٥ .

[2] جداول وينابيع ٣٤ .

وهو رقيق الإحساس تسوده سمة الحب والعفو عن الهفوات ،وتعلوه البسمة المشرقة في تعامله الأسري والاجتماعي : فهو يبرر تلك الحياة :

قالت تداعب من تلاقي باسما ... فأجبت تلك سجيتي فلتعذري
إني امرؤ خلق الإله فؤاده ... رق الحواشي بالحنان الأوفر
لي من حياتي والحياة معابر ... تمضي بكل معانق أو مدبر
درس وطأت بساطه في نهزة ... ملأت كؤوسي من حياة تذكري
فإذا لقيت أخا الضغينة لم أكن ... ألقاه إلا باسما كالمزهر
وأمد كفي صافحا ومصافحا ... في غير عتب عن جناية موغر[1]

والشاعر الرقة ، يرى من انحراف السلوكيات ما يخالف الدين والعادات والتقاليد ، فقد طرأ نزول النساء إلى الأسواق متحليات، لابسات ما يزيد الفتنة من الملابس ، فهو يقول :

سألت القوم ما بال العذارى ... يزاحمن الشباب على الرصيف
ويمشين الهوينا في ثياب ... قصيرات من النوع الخفيف
ويرسلن الشعور مقصقصات ... كشعر التيس أو شعر الخروف
ويغوين الشباب بما تبدى ... من الأرداف والخصر النحيف
ويبذلن الحياء بلا حياء ... فيا للـه من حال مخيف
أليس العار عارا حين يغدو ... مذالا تحت أقدام السخيف
أليس العار عارا حين يمسي ... مشاعا بين نذل أو شريف
سألت القوم عني في سؤالي ... أرى في القوم ذا رأي حصيف
يرد على سؤالي في إباء ... ولا يخشى من النصح العنيف
فقد و ا لله قد ضاقت صدور ... وغصت بالقذا عين الشريف
وأضحى الأمر كالطاعون يسري ... ليرغم ما تبقى من أنوف
وأمست كل غانية تراعي ... بماذا اليوم تخرج للضيوف

---

[1] المرجع السابق ٣٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أبالروب المعد كما رأينا ... أم الفستان منزوع الكتوف
قصيرا فوق ركبتها مشيرا ... إلى الكلسون من صنف رهيف[1]

طاهر زمخشري :-[2]

هو طاهر بن عبد الرحمن زمخشري ،ولد بمكة المكرمة عام ١٣٣٢هـ، درس بمدرسة الفلاح عمل موظفا حكوميا ، له وبرنامج إذاعي عن الطفولة، اشتهر بشعره الذي صحب حياة الشاعر المبكرة ، وأصدر ديوانه الأول (أحلام الربيع) عام ١٣٦٥هـ وله علاقات مع أشهر الأدباء ،وكان معجبا بالشاعر محمد سرور الصبان ،وكتب عنه النقاد كثيرا ، نال جائزة الدولة التقديرية عام ١٤٠٤هـ .

انتقل في رحلات علاجية إلى مصر وتونس مما جعله ينسب بمجموعتيه الشعريتين إليهما .

* من أعماله إصدار مجلة (الروضة) للأطفال في عام ١٣٧٩هـ وهي أول مجلة مختصة بالطفل تصدر في البلاد . وظلت تصدر حتى عام ١٣٨٣هـ.

وكان تعامله مع الأطفال في برنامجه الإذاعي ،ثم المجلة حتى لقب بـ(بابا طاهر) له أثره في تكوين شاعريته .

* توفي في عام ١٤٠٧هـ وقد جمع شعره في مجموعتين هما ١- مجموعة النيل ٢- مجموعة الخضراء .

* والشاعر طاهر زمخشري أحد شعراء الوجدان السعوديين الذين أبحروا في الوجدانيات الفردية والجماعية الإنسانية ، فشعره ينبعث من الإحساس الداخلي ،

---

(١) المرجع السابق ١٤٨ .

(٢) أنظر شعراء الحجاز للساسي ، والموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي لعمر الساسي ، معجم الأدباء والكتاب ، مظاهر في شعر طاهر زمخشري لعبد الله باقازي .

ويلوب في الروح الإنسانية ،ويشع بعاطفة الحب ،وربما أن النية الخيرة في الذات تكسو حياة الشاعر .

وتنبع أحاسيسه العاطفية من التكوين الذهني لشاعريته ، فنموذجه الذي انغرس في ذاتيته من الشعراء المعاصرين له هم ممن انصهروا في وهج الذات من الرومانسيين ، حيث الدعوة إلى نبذ المناسبات، ونقد أولئك الشعراء الذين يتجردون من ذاتهم في وطنياتهم واجتماعياتهم ،ومن هنا أنسكب في ذواتهم التفاعل النفسي مع المؤثرات الخارجية ، وأيضا فإن التكوين الذاتي يخضع لغرائز الروحانية التي تهيمن على الإنسان ولو لم يكن شاعرا .

ومن المؤثرات عليه التي رسخت تلك الرومانسية إشرافه على مجلة الأطفال وتعامله مع برامج الأطفال زمنا ليس بالقصير ،فتروضت ذاته على الحب والعطاء ورقت حواشيه للطفولة والبراءة ، فانداح ذلك الشعور عبر تجربته الشعرية وعبر حياته الطويلة .

ورغم الوجدان الذاتي الذي جعل عينه كليلة عن المساويء ، وراضية عن الحياة من حوله ، فإنه صهر الحياة المتعارضة في أتون وجدانه الشاعري ، فظهرت أفكاره مكللة بالشاعرية ، تختفي وراءها الواقعية العقلية اختفاء إغرائيا يجعلها تنسكب في المتلقي بعفوية شعورية .

واحتلت مناحي الحياة مساحة كبيرة من شعره ، حتى وجدانياته الذاتية ليست بالخالصة لعاطفة العشق والوله ، والشهوة الغريزية الجامحة ، وإنما هي وجدانيات إنسانية جمالية ،وسلوكية في أكثرها ، وربما قولية تنغرس في ذات الشاعر فتهز تجربته ويتولد عنها إبداع ، وتظهر هذه حتى في عناوين قصائده ، ومنها : مع النجمة العذراء ،ملاطفة عبير ، هيفاء ، الرداء الوردي ،تونس

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخضراء ،الصفاء المغرد [1] صدى ضحكـــــــة .

هاتفية[2]وغير ذلك :

وموضوعات شعره : الوجدانيات الداخلية التي تدور حول العاطفة الغريزية ، والأبوة ،والذاتية ، وهناك الوطنيات ، فهو يشارك في المناسبات والتهاني والمراثي ،والاستقبال للملوك والأمراء من آل سعود والأعيان ، حتى الجمعيات يتفاعل مع موسسيها والقائمين عليها ، و دواوينه تزخر بهذا.

و أقرب دواوينه لمرحلتنا التي نطنب في الحديث عنها (نافذة على القمر) الذي طبع عام ١٣٩٩هـ يزخر بالابتهال ، وبما يشعر بقرب الارتحال الذي يقابله بالابتسام ،وفيه تسجيل لأحداث وقعت في الوطن .

وديوانه الأخير في مجموعته (عبر الذكريات)الذي طبع عام ١٤٠٠هـ ، يشير إلى بعض الأحداث التي تتعلق به من استقبال وتقدير ، وفيه إشارة إلى قرب النهاية أيضا مثل : إلى الموعد[3] ومن وراء البعيد[4] .

والشاعر يلتزم في حل شعره بالوزن والقافية ،ويعدد أحيانا الروي، وأيضا فإنه يأتي بأشطر من البحر للقصيدة فيجعلها متوالية، أو أكثر من شطر، وربما استمر في التشطير لكنه يخالف كتابتها كقصيدة (حراس الوطن)[5] . وهو يرثي الملك فيصل رحمة الله عندما غدر به عام ١٣٩٥هـ ، يرثي فيه جهاده في سبيل الإسلام ، وريادته للتضامن ، ويرثي فيه قيادته الحكيمة للوطن ، والمحافظة على قوة الكيان ، ورفع مكانته بين الدول ، ومنها :

---

[1] المجموعة الخضراء ، ٨٣، ١١٥، ١٢٤، ٢١٨، ٢٣٣ على الترتيب.

[2] مجموعة النيل ٣٩٨ .

[3] مجموعة الخضراء ٨٥٥ .

[4] المرجع السابق ٨٥٤ .

[5] المرجع السابق ٧٠٠ .

فيصل العرب قد أناب فآبا ... للذي قدر الممات كتابا
فيد الغدر لم تصبه ولكن ... أجل بالمنون كشر نابا
ليرينا أن الفريسة شعب ... قد أضاعت منه المنايا الصوابا
فأصابته لا بموت المفدى ... بل لأن الفداء لم يلق بابا
كلنا بالفداء نلقى المنايا ... وبأرواحنا نصد المصابا
والردى مصلت بكف قضاء ... بمقاديره يحز الرقابا
سددت سهمها المصيب فاردى ... كل قلب من الفجيعة ذابا
جمد الدمع في العيون فسالت ... من حنايا به تجود سحابا
لا بكاء كما تريد الرزايا ... بل دعاء نعيده كي يثابا
لا من الموت وهو يقبض نفسا ... قد تزكت بما أتته احتسابا[1]

وقصيدته الوطنية الوحدانية ليظهر الانفعال الحماسي، والخطابة المنبرية، فهي وحدان أمة ينشد بصوت جماعي يقول عام ١٣٩٨هـ .

يا حماة الدين آساد بلادي ... هتف الثأر ينادي للجهاد
فأشعلوها لهبا يكوي الأعادي ... واتركوا رجع الصدى في كل وادي
شاهدا إنا على مر الزمن ... أمة التوحيد حراس الوطن
الدم الصارخ فينا بالإباء ... يقهر الخطب بعزم الأقوياء
ومن المجد لنا أسمى لواء ... لم يزل يخفق في كل سماء
شاهدا أنا على مر الزمن ... أمة التوحيد حراس الوطن
البطولات ورثناها قرونا ... وهي تأبى لحمانا أن يهونا
وعلى الأفلاك شيدنا الحصونا ... وعليها الدهر قد كان أمينا
شاهدا أنا على مر الزمن ... أمة التوحيد حراس الوطن
إن دعا الداعي استبقنا بالعطايا ... وهي أرواح لها الدين مرايا
قد غسلناها بأحواض المنايا ... حطها النصر بأيدينا هدايا

---

[1] المرجع السابق ٣٦٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شاهـــدا إنـــا علـى مر الزمـــن أمة التوحيـد حـــراس الوطـــن[1]

فهذه الأنشودة زئير أسود ، في اندفاع هجومي ، تعلو فيها أصوات التكبير ومناداة الأمجاد ، فهي إثارة عاطفية يختم كل مقطع منها بمكانة الإنسان المسلم التي لا تتغير فهو شاهد هذا الكون ، وهو حارس العقيدة .

ويقف متأملا طويلا في الكون وهو يعلو في الأفق ،مطلا من نوافذ الطائرة التي تمخر عباب الجو ، ثم هو يعرج لمتعته الدائمة التي تلامس شغاف قلبه ، تلك النظرات التي ترنو بها المضيفات ، والاستدارة لبشاشة ضيوف الخطوط السعودية على الطائرة :

فوق هام الأثير شيد لها القصـــر م على متن طائر سبـــــاق
يتخطى برق السحاب إذا ســـار م ويغـزو بـالركض أعلـى الطبـــاق
عبقري السرى إذا ما تهـــادى راح يغـري أبصارنـا باللحـــاق
فمتى حلقت وأوغـل في الإسـراء م أغضـت بخيبـة الإخفـــاق
وعلـــى جنحه مراجل نـــار تردهـي بالبريق والإشـــراق
وعلى طرفه شهـاب يريـــه أي بعـد يريـــد في الآفـــاق
وصفير الإعصـار مـن صوتـــه م الهـادر أغلـى معـازف الأشـــواق
علق القلب بالوجيب عليـــه حين أسـرى وشدنـا بوثـــاق
وهـي في جوفـه تدير البشاشات م وترنـو بـالود والأحـــداق
وبهمس الجفـون في طرفهـــا م الساجي ترينا مصارع العشـاق
ولها نظـرة إذا مـا تحدثـــت بهرتنـا بنورهـا الرقـــراق
تنتمي بالفتـون للأفـق المخضـر م في مربـع نـدي الـــرواق
وهـي مـن ورده بمـا في الحيـا مـن ألـانين روعـة والتـــلاق
أنـا منهـا أطير لها بأحلامـي وتطفـو أطيافهـا في المـــآقي

---

[1] مجموعة الخضراء ٧٠٠

جـوف طـير نـراه في ركبنـــا الســاري شـعارا لعـروة الميثـــاق
كـل أفـق يـرود فهـو المجلـــي بمعـاني لوائنـــا الخفـــــاق
حاكـه الحـب في مغـازل نـــور غمـر الأرض بالسـنا الدفـــاق
نحـن منـه نـدف خلـف مراميـــه م بحـب يمـور في الأعمـــــاق
فـإذا أزمـع الرحيـل استعدنـــا أغنيـات الحنـين بالإطـــراق
وإذا غـاب خلـف العـين حيـرى وإذا آب لهتفـي بالتلاقـــي
وهو في سعيه يـــروح ويغـــدو في أمـــان المهيمـــن الخـــلاق[1]

ولما أثقلته سنون المرض الكلوي الذي اضطره إلى معاودة المشافي الدائمة كأنه يتمنى لقاء ربه ،ويرمز لهذا بالفجر ، لإيمانه بأن ما عنـد الله خير وأبقى إن شاء الله :-

للذي قد لقيته من عـــذاب في اغترابي سئمت طول اغترابي
لقد حملت السهاد فوق جفوني وبثوب الضنى كسوت إهابـــي
وعلى مفرقي بصيص سـراج ملأ العين نوره بالضبـــاب
و وراء الضباب طيف خيـال وعليـه تعلقت أهدابـــي
ومن الذكريـات حولي وشـاح قد تغطى به رفـات شبابـــي
وعويل الآلام قد صم أذنـــي بعد أن عـاد بي على الأعقـــاب
ونثار الأيام في الكف منـي قد روتـه مصائري بانتحابـــي
فمتى يا ترى سيقبل فجـــر يلهم النفس بالسنـا للصـــواب ؟!

فمـا هـذا الفجر الـذي ينتظره بعـد عويـل الآلام ، وعودتـه للأعقـاب ، واحتزار نثار الأيام ليس هناك من فجر إلا الموت الذي يوصل إلى الآخرة.

ثم يعود إلى غربته فما هواه الذي أضناه ، هل هي الآمال في الدنيا للذات والوطن أم أنهـا الحب الغرامي وأرجح الأول ، وإنما يشير إلى الآمـال وأحـلام

---

[1] المرجع السابق ٨٤٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اليقظة الحسان التي تبرق للإنسان فلا يجد لها أثرا إنما سراب يتلو سراب :

أنا في غربتي رهنت حياتـــي ... بهوى شفني وضاعف ما بـي

لم يكن غير خدعة أسلمتنـــي ... لهموم قد ضيعت آرابـــــي

ورمت بي إلى ظلام تـــوارت ... خلف أستاره طيـوف رغابـــي

والظنـون التي تحار بفكـري ... في فجاج الأسى ودنيا التصابي

جعلتني أسوح عبر الليالـــي ... باضطرابي ، ونظرة المرتـاب

وأنا في الطريق أنقل خـطوي ... للتي لا تزيد إلا عذابـــــي

كلما جئتها أبث شكاتـــــي ... حاورتني وأسرفت في التغابي[1]

ويكرر ألمه وتبرمه ، وقرب ارتحاله عن الدنيا في قصائد متعـددة منهـا(عنـد الرحيل) :

للذي قد لقيت من أهـــوال ... قد عزمـت الرحيـل بعد ليـال

فالمتاهات لملمت خطواتـي ... في طريق مداه يرثي لحالـــي

والضياع الذي كنت أشكـو ... منه قد شـد للذهـاب رحالـــي

قد رمتني الأقدار بين نيـاب ... أضعفت من عزيمتي واحتمالـي

فمسيرة الحياة أسلمته للأهوال وتداعى إلى الإنهاك ، كل ذلك يدعو اللبيب إلى عزيمة الارتحال ، فالاعتبار الماثل من التحارب شخص الضعف والحسرة والضياع وكل هذه يعى بها الشاعر ويستشرف أنها تودي إلى الفناء من هذه الدنيا لا محالة، فالنسر إذا غلظ ريشة وقصر ،والحيوان إذا غلظ صوته وبح ، وإذا تحطمت قدراته فإنها علامات النهاية والتعلق بالحياة وهم خادع :

كنت للحب في الحياة أغنـي ... صار لا ترجع الصـدى أقوالي

قد تجرعت من هواها زعافا ... لذعه كان خيبة الآمـــــال

حص ريشي وبح صوتي ودكت ... قدراتي يد تريد اغتيالـــــي

والفؤاد الذي يعيد نشيـــدي ... شد أوتاره بكف الكـــلال

---

[1] مجموعة الخضراء ٧٦٦

لا يكاد السقام يحمل عـــودي ... بعد أن عاد موئقا باعتـــــلال
من ظنون لقيت منها أمـــورا ... أشعلت في ثورة الانفعـــــال
كان وهما بنيت منه صروحا ... دكها الظن بالأسى القـــتـــال
وعلى مرجل من الغدر ألقي ... بالأماني إلى أكف المحـــــال
كيف لا أطلب النجاة لنفسي ... من هواها وأكتفي بالخيـــال[1]

والشاعر طاهر زمخشري عاش في العشرين سنة المتأخرة متأثرا بحياته الأولى، وظل على نهجه غير أنه أخذ يتأمل الحياة ، ويضفي عليها من حبه ،وان بدأ سواد المرض يرسم على حياته ضبابية من الأحزان وهو مازال يقدم عرفانه لمن يمد يده له ، فيشارك في الموسم الوطنية ويشكر الأفراد ،وله ديوان شعر – مع الأصيل – لم أعثر عليه لكن اسمه يوحي بإحساس الشاعر ،بقرب أجله وأن حياته قريبة المغيب .

والدكتور عبد الله باقازى حصر أبعاد الرومانسية عند زمخشري في عالم الألم ، والاغتراب والوحدة العزلة ، وهذه ينبع بعضها من بعض ، وتودي إلى المظهر الآخر وهو العودة إلى الغاب[2] ليلجأ الشاعر إلى الطبيعة لأنها لم تحمل الأحقاد والأضغان والصراع البشري على الحياة يقول الشاعر :

لا أري فيك حسرة تلهب الحقد ، ولا شقوة تحز وتينـــي
لا ولا يمرض التبلد وجداني ، ولا أكتوي بنار الظنـــون
لا ولا تقتل المواجد إحساسي ، ولا ترسل المآسي شـــؤوني
لا ولا تنهض الضغينة بالأحقاد وتجتث خطوها في جنـــون[3]

فعنصر الحب الذي يهيمن على الشاعر ترقى به إلى أمنية حياة يصفو فيها

---

(1) انظر ، مظاهر في شعر طاهر زمخشري ١٧ حتى ٤٠
(2) المرجع السابق ٧٦٧ .
(3) مجموعة النيل ٧٠٢

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحب تلك هي حياة الطبيعة .

والشاعر الذي يفيض بالوجد ، يداعب الحياة في مقتبل العمر ، لكنه ما يلبث أن يحترق بنارها :

وهل بسمة الآمال وهي خوادع سوي الآل يعري ساريا حين يلمع[1]

وأغلب الظن أن معاناة الشاعر في هذه المرحلة معاناة ليست من القساوة الحقيقية ، لكنها نبعت من مجاراة الأحلام ، و لم تتجسد قوية في نفسه وربما أن جعله السراب يظهر للساري في الليل يصور تلك الحالة السرابية، فلو كان يعاني لمشى في الهاجرة والتهب بلوعة العطش ، وهناك يلمع السراب أما الليل فلا رؤية للسراب فيه .

والشاعر تلهبه الآمال ، والأحلام ، فكأنه يسبح في نعيم لكن تلك الأماني ، نسمات عليلة على النفس ، وسراب يمتد ، وعندما يعود الشاعر إلى واقع الحياة ، فإذا به في مفترق معابر بين الحقيقة والوهم فكأنه يصاب بخيبة أمل ، ويتبرم من الذين يعتقد الشاعر أنهم وقفوا في طريقه.

قضيت العمر أحلم بالمحال وأدأب في مجالدة الليالي

لكن هذا العمر في مقتبل عمر الشاعر لأن القصيدة ضمن ديوانه الأول ، فهو يمثل طموح الشباب ورغبته المندفع إلى تحقيق إرادته :

هي الأوهام هاضتني وصبت زعاف السم في صرف الزلال[2]

وهو يلج إلى الرومانسية من أوسع أبوابها بضيقه بالحياة والتبرم من القيود، ومحاولة الهروب إلى الفطرة :

فقيود العيش أضنت كبدي بعد أن غالت زفيري وشهيقي

كبلتني فتعثرت بها ثم أهثت ولم تصدق بروقي

---

(1) المرجع السابق ٢٠١

(2) مجموعة النيل ٢٦ .

فهو يهرب إلى الغاب لضيقه من الحياة .

ليتني بالغاب إني بالأسى ضائق النفس فرحمى بالغريق[1]

* والعزلة تنبع من كيان الشاعر وتفكيره ،ومن لفح المؤثرات الاجتماعية التي تتفاعل مع فكر الشاعر، ويتأثر بها في سلوكه وحياته اليومية ،وتذهله تموجاتها ، وتضادها ، وتعارضها مع مثالية القيم ، وبعد الشاعر لم يتولد عن غربة وطنية وحسب ، وإنما عن استنكاره لصراع الحياة ، ولفح أعاصيرها على الشاعر :

أنا في الوحدة فكري شـــــارد أيقظ الحسرة في الطرف السهير

والنوى ما طال لكـــن بالـــذي ذقتـه أوشك يلتاث شعـــوري

أشتكي الهجر ولا هجـــر ســوى أنني الملـذوع من لفح الهجيـــر

كان لي صبر وقـد كنت بـــه أزرع الفرحة في القلـب القرير

الجوى ألقى به مـن حالـــق ورمى بي لأخاديـد سعيـــر

والخطى كانـــت إلى غايتهـــا وثبات في طريق مستنيـــر

وأرى العتمـة حـــولي عيلمـــا صاخب التيار ، موصول الهدير

يتضاغى الرعب في أغـــواره ويدوى بعويل وزئيـــر

وأنا أنقـــل خطوا وانيـــا في المتاهات و لا أدري مصيري

والبراكيـــن التي في خافقـــي رجعت تصرخ من هول مثيـر[2]

فالشاعر أدركه اليأس فالعتمة المظلمة أحدقت به ، وهدير المهلكات دوت من حوله ،وزئير الوحوش يقترب منه ، إن تأمله المثقل بمرضه ، صاحب التأمل ، وصاحب الإحساس المرهف يئن أمام مداهمة الحياة وثقلها بعد أن تقدمت به السن المصاحبة لألم المرض الجسمي والتياع النفس الداخلية .

---

(1) المرجع السابق ١٤٥ .

(2) مجموعة الخضراء ٢٣١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* والشاعر ينزح إلى حياة الفطرة ، بل إلى فقدان القيود ، وإلى حياة عدم التكليف وفقدان العقل البشري، فهو يتمنى العودة إلى الغاب كي ينجو من الشيطان وتأثيره على الحياة البشرية ، فهو يعيش حياة حيوان الفطرة كما يعيش الغزلان

ليتني أرجع للغاب فلا ... أجعل ، الشيطان، في الدنيا رفيقي
آكل الأعشاب فيها وأرتوي بالندى ... المسكوب في الغصن الوريق
مرحا أركض في أدغاله ... كل همي في غروب أو شروق
أن أجار الوحش في وثبته ... وأباريه على الخطو الطليق
وحوالينا ربيع مورق ... يسكب العطر ويزهو بالبروق

وصفير الريح نأى رجعه ... يقرع الأسماع في الصمت العميق
فإذا ما غرد الطير به ... دبت النشوة في الوادي السحيق
وإذا ما رقص الغصن له ... نثر الأزهار في كل طريق
وإذا ما أنصت الوحش له ... راح يلهو في كهوف وشقوق
وأنا الناهل من غبطتهم ... في مجاليهم صبوحي وغبوقي
بل أنا المجدود لا أدري الشجا ... لا و لا أعرف أهوال الحريق
أقطف الزهر من الغصن وقد ... لفني منه بتحنان المشوق[1]

* وهو يشكو من الغربة الواقعية ، فهو إما يكون وحيدا في غربته في تونس عند تلقيه للعلاج ، وإما منعزلا في داره مثقلا بمرضه ، هجر الأصحاب ، والأصدقاء ،وتلك حالة يعاني منها المتقدمون في السن في عصرنا الحاضر لاسيما في المدن

ها أنا في الحياة نهب اغترابي ... ليس لي غير وحدتي من صحاب

---

[1] مجموعة النيل ١٤٤ .

وربيعي الذي طويت لياليـــــه ... وأبقي الجـراح في أهدابـــــي
أتعزى بمغزل في يميـــــني ... نسج الوهم بالأماني العـــذاب
من وعود سرابها يملأ العيـــن ... بريقـا بمظهـر خـــــلاب
لا يبل الغليـل إلا بما يشعـــل ... من حر لاهب صخـــــاب
حر في الضلـوع يذكي التباريح ... ويبقي أوارها فـي إهابـــــي
فإذا جاش في الجوانـح منـــى ... ثم أجـراه بالفـؤاد المـــذاب
صـور الوهـم لي بأن احتمـالي ... للظـاه المسعـور أحلى التصابـي

* *

لهـف نفسي وكل ما أتمنـــى ... أن يزيـل السكـون عنـى اكتئابي
فلقـد ضقت الشجـون تنـــزت ... من عيوني و وتـرت أعصـابـي
و وراء الدجـون ألقـت بي الأوهام ... ما بين حيرة وأضطـــراب
يتمطي الظلام حولي فلا ألمـــح ... إلا مخايـلا من ســـراب
كنت من غفلتي أخف إليهـــا ... وأنا الآن صرت أخشى اقترابـي
فسراب الأوهام ما عاد يغرينـــي ... فقد أترع الرضـا أكوابـــي[٢]

---

[٢] المرجع السابق ٨٠١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأميـر عبد الله الفيصـل آل سعـود[1] :

ولد في الرياض في ١٣٤١/١١/٥هـ وتلقى تعليمه الأول في نجد بالرياض ، واحتضنه الملك عبد العزيز ثم أنتقل مع والده إلى الحجاز ، فالتحق بالمدارس النظامية ونال شهادتها الابتدائية التي تمثل أعلى مستوى في حينها. درس على بعض العلماء المشايخ ، وو اصل تعليمه ذاتيا ، عمل وكيلا لوالده فيصل نائب الحجاز ،وكان ينوب عن والده في رئاسة مجلس الوكلاء . عين في عام ١٣٧٠هـ وزيرا للداخلية والصحة ثم تفرغ لوزارة الداخلية حى عام ١٣٧٨هـ .

* نال عددا من الجوائز الكبرى ،من باريس عام ١٤٠٤هـ وجائزة الدولة التقديرية ١٤٠٤هـ صدر ل من الدواوين الشعرية :-

١- وحي الحرمان عام ١٣٧٣هـ ٢- حديث قلب ١٣٩٣هـ ٣- مشاعري ٤- خريف العمر .

* وعبد الله الفيصل عاش حياة النهضة الأدبية العربية ، فعاصر كبار الرواد في هذا العصر من أمثال أحمد شوقي ،وحافظ إبراهيم ، وأحمد رامي ،ومن النقاد طه حسين ، والعقاد ومصطفي صادق الرافعي .

كما عاصر النهضة الوطنية في بلادنا فهو يقترن بكبار الشعراء الأول كالغزاوي ،ومحمد حسن عواد ، وحمزة شحاته وحسين سرحان ، وعبد الله حميس وعبد الله إبن إدريس وأحمد قنديل ويحيى حسن توفيق ،ومحمد حسن فقي وغيرهم الكثير ، وقد ساهم في إحياء ونشر دواوينهم الشعرية فقد أعلن عن استعداده لطباعة ديوان الغزاوي ، وأسهم بطباعة ديوان حمزة شحاته .

---

[1] انظر : عبدالله الفيصل ، حياته وشعره لمنير العجلان ، وعبدالله الفيصل عبقرية الشعر الخالدة لعبدالكريم نيازي ، وشعراء نجد المعاصرون ، ومعجم الأدباء والكتاب ، وقد كتب عنه عبدالله الحيدري كشافاً ، انظر : المنتدى السنة ١٤ ع ١٦٣ رمضان ١٤١٧هـ ص ٣٣ .

وعبد الله الفيصل عاصر نشوء المدارس الأدبية والنقدية في البلاد العربية بل هيمنة المدرسة الرومانسية التي تعنى بالوجدان الإنساني ، وكأن هذا الاتجاه استهواه فجرى في موكبه مع رواد الشعراء كأبي شادى والشابي، وإبراهيم ناجي وعلي محمود طه ، ونزار قباني ، وغازي القصيبي ، لكن الأمير الشاعر انفرد عنهم مع نزار قباني بمباشرة واقعية التجربة الوجدانية ، وانفرد عن نزار قباني ، بمسحة الحياء والبعد عن الكشف ووصف الأعضاء الجسماني والصراحة في الوقوع،وإن رأينا إبداع عبد الله الفيصل أقل من إبداع نزار قباني ، لأن الأخير اتخذها مهنة، ثم طور تجربته إلى رمزية اجتماعية .

* إن نشأة الشاعر في البيئة النجدية ملهمة الشعراء الأوائل من الجاهليين والإسلاميين ، ثم أخذت عيون الشعراء من المتأخرين ترنو إلى هذه البيئة في الأعصر الإسلامية المتتابعة هذه البيئة والموطن لا ريب من تفاعلها مع مكونات الشعر الذهنية والوجدانية ، فقد غارت في تكوين نفسيته ،ثم إن تفتح شبابه في البيئة الحجازية موطن الرقة والعذرية ومهوى أفئدة الشعراء ومنبع الروح الغزلية الناعمة والترف في اللهو العاطفي المتمثل بين محوري عمر بن أبي ربيعة ،والعرجي وعبد الله بن قيس الرقيات والمحور الآخر لكثير عزة وجميل بثينة ، تلك الترسبات العاطفية والشكلية معا تجدها تلألأت في جمالية الشعر عند عبد الله الفيصل ،فهو يقبس من شذراتهم فيقتفي أثر ابن ربيعة في سرد الحكايات ، ويأخذ من شكلية عبد الله بن قيس الرقيات بأبياته الراقصة ،وتارة يتأوه تأوه العذريين الهائمين الولهين .

فهو يحكي صراحة مغامرات عمر بن أبي ربيعة:

إن انسى لا انسى يوما قلت يا أملي متى تجود بوصل قلت لي :آلانا

أسقاني الوجود من حرى مراشفه وارتويت وأضحي القلب سكرانا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حين انتهينا وطيف الحب ثالثنـــا وأعين البدر من علياه ترعانـــا[1]

وهو يذكرنا بابن الرقيـــات حين يرق شعره ويلين :

ليلـــة مـــرت بدهـــري لم تكن من خيط عمـــري

إن تكن مـــرت سريعـــا فهي مازالـــت بفكـــري

لست أدري كيف مـــرت ياحبيبي لســـت أدري

قد نسيـــت النفـــس فيهـــا وجعلـــت الحب خمـــري[2]

وأنت تستدعي بذاكرتك كثير عزة ، وابن معمر حين تقرأ الأبيات وترتسم صورة الهيام والهزال والحسرة :

حالي بمعترك الحـوادث حالـــي فيم الســؤال ولات حين ســؤال

فيم التساؤل والســؤال وقد بـــدا لك ما ترى من محنتي وهـــزالـي

أأنا الملـوم لأنني أنزلـــــت T مالي بموكب حسنك الخـــذال؟!

أم كان حسن الظن مني زلـــة جوزيت عنها فاجع الأهـــوال

لم ألق من صفح لديك وإن يكـن ذنبي إليك ومنـــك إقبالـــي[3]

وأحيانا تستدعي ألم الصدود وحكايات العرجي .

ألاقي من عذابـك ما ألاقـــي وحبك في حنايا القلـب بـــاق

وتسرف في الصدود وفي التجني وأسرف في التياعـــي واشتياقـــي

ولو يدري فؤادك ما أعانـــي وما ألقـاه من ألم الفـــراق

لما أمعنت في هذا التجافـــي ولا أذللت من دمعي المـــراق[4]

والشاعر عبد الله الفيصل انتقل إلى الحجاز وهـي ترفـل بـالأمن والتطور في العمران وفي حياة رغيدة من العيش، إذن فنحن نجد أوجها مـن الالتقـاء والتشـابه

---

(1) وحي الحرمان ١٤٦ .

(2) المرجع السابق ١٥٠ .

(3) المرجع السابق ١٠١

(4) المرجع السابق ١٠٦

بين تلك المرحلة الغابرة وهذه الفترة المعاصرة وقد لمع بعض الشعراء الذين يقتفون أثر أولئك من أمثال إبراهيم فطاني ، ويحيى حسن توفيق ، وكإبراهيم فودة وعبد السلام هاشم حافظ .

مكونات الرقــة والسهولــة :

* النشأة المترفة ،، فهو أمير شاب عاش في رغيد من العيش ، لم يمارس الكدح العملي ، و لم يشق بلقمة العيش ،يلبس أفضل ملبوس في مجتمعه ، ويستوطن أفضل القصور في بيئته ، وتقع عيناه علي أفضل معالم الجمال ، وترنو إليه عيون الإعجاب فيزهو بهذا ويسمع أفضل القول ،كل ذلك له تأثيره الجمالي علي ذوقه الفني الجمالي ،وعلي أسلوبه النثري والشعري معا فالبيئة الجمالية تولد الذوق الحضاري وتلفح كيانه ومن هنا ظهرت الحلل الجمالية الفنية مماثلة للنمطية الجمالية التي توطر حياته.

لا أوحش الله خيالي من الحـــب ... م ولا تلك الليالي الأخـــــر
حيث صباك البرعم الغـض في ... أوراقــه يشتاقــه من عبـــر
يوحي إلى الدنيـا أهازيجـــه ... مبتدعـا في كل قلـــب وتـــر
فيصدح الكـــون بأوصافـــه ... كم صور الله وكم ذا ابتكـــر[1]

فهذه صورة تنبئ عن ذوق شفاف متأنق و وجدانه يشارك في معالم الصورة.

جنـة ذات زهـور غضـــة ... عبقت طيبا كما لذا جناهـــا
يسعد القلب إذا مـرت بـــه ... ساعة الذكرى وأيام صفاهـــا
فيغني طاردا لوعتـــــه ... مبعدا عن نفسـه كل شجاهـا[2]

---

[1] وحي الحرمان ٤٢

[2] المرجع السابق ١١٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصورة الحدائق الغناء التي تكسوها الزهور المنسقة التى تحف بالقصور والأفنية وتعني بها عبقرية المهندسين ومصففي الزهور تلك راسخة في مخيلة الشاعر فهي مواطن السلو واللهو والأنس، فكيف إذا أصبحت موطن لاجتماع الأحباب وتبادلت الهمس ولعله لا يبلغ اللمس .

* وعبد الله الفيصل شأنه شأن غيره من معاصريه لم يخضع للتعليم المرحلي المنظم ،وإنما أخذ ينمي معارفه ،ويكون مفاهيمه الذهنية حسبما يتلاءم مع ذوقه فهو أخذ يطلع علي المولفات المعاصرة ، ذات الفكر الحي ، الذي ينمي ثقافته ، فهو لم يأخذ بمنهجية في تدريس اللغة مثلا وإنما توافر علي معجمه اللغة من الأساليب الأدبية الحديثة من المولفات ، والدوريات والصحافة ،و ملاحقة الإبداع الشعري الذي أخذ يحفل بالوجدان أو الاتجاه الرومانسي كما يسميه النقاد .

وهو أيضا يستمد معارفه من البيئة المثقفة من حوله من جلساء جدة وأبيه، فهم من ملأ المثقفين من أقطار العالم العربي ، ومن أولئك الذين يتأنقون في القول ،ويشحذون الفكر النابض الحي ، ليصاغ في تراكيب مشرقة ،ولا ريب أنه من أولئك الذين نهلوا من غزارة الصحافة العربية كمجلة الرسالة والهلال وغيرهما من صحف المدارس الأدبية وربما كان على رابطة مع الروابط المهجرية ، مع الاختلاف بملامسة الواقعية الوجدانية عند عبد الله الفيصل ، وامتزاجها بالفكر المستغرب عند المهجريين . إلا ترى تلك الأمشاج المعاصرة في قوله :

قد ساءلت من أنت ؟ قلت أنا الذي ... قضيت عمري مدنفا أهواك
وأطعت عيني في الغرام وخافقي ... أقضى الليالي السود في نجواك
أرنو إليك علي بعادك مثلما ... يرنو الحزين لساطع الأفلاك
وأبث للنجم المسهد لوعتي ... يا ليتني بعد النوى ألقاك
ما كنت أو من بالعيون وفعلها ... حتي دهتني في الهوى عيناك

الحسن قد ولاك حقا عرشه فتحكمي في قلب من يهواك
قلبي كما تبغين إلف صبابة قد مل كل فريدة إلاك
يا الله يا أملي الحبيب ترفقي إني وربك في الهوى مضناك[1]

غلبة الوجدان على إبداعه :

* فالوجدان نتيجة لهيمنة المشاعر والأحاسيس الذاتية ، وهو الصق بفيض الحنان، المدفوع بطبيعة التحاب والتآلف بين الجنسين ،والطبيعة الشعورية المنغرسة في ذات كل فرد المتمثلة في غريزة العشق التي تضاف إلى الحب الإنساني والي فاعلية نظرة الرجل إلى المرأة فكيف بهذه إذا أججتها نار التآلف والتحاب والإعجاب ، ثم الهيام والحب ، فإنها تكون المهيمنة بل القرينة والأقرب رحما وهذه منبع وفيض الإبداع الشعري و من هنا أطلق على هذا الإبداع شعرا. والشاعر عبد الله الفيصل أصيب بهذه الرقة الشعورية التي تشكلت في الرقة الإبداعية الشعرية ،ومن هنا تكشفت تلك الرقة في الألفاظ ومكوناته الحرفية ، ثم في تراكيب الجمل القصيرة ، ثم تواصل معها الأبيات النابضة بالحيوية المباشرة التي تموج كما تموج النفس البشرية أثناء تداعي الخواطر ، فهي أشبه بالخطى القصيرة فكانت أبياته تميل إلى قصر النفس فهي من الأوزان القصيرة .

وأقرب شاهدا تتمثل فيه قصيدة (كنا وكان) التي صدرت له بعبارة لها دلالتها وهي (إلى الحبيب الأول والأخير) .

يا حبيبي أين تلك الأمسيات
يوم كنا من هوانا في سبات
يا حبيبي كيف ذات الحب مات ؟
عندما دبت به روح الحياة

---

[1] المرجع السابق ٧٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

**

يـــا حبيـــبي ذكريـــات الأمـــس تهفـــو
أبـــدا أصحـــو عليهـــن وأغفـــو
كلمـــا و دعـــت طيفـــا لاح طيـــف
أترى قلبـــك بعـــد الهجـــر يصفـــو[٢]

ونلحظ في القصيدة تجاوبها مع التداعيات والتموجات النفسية التي تتلاحق، فكل خاطرة تفرض موسيقا داخليا خاصة حتى الوقفات أخذت تلك التموجات، فكل مقطوعة تمثل خاطرة، انفردت بموسيقاها الداخلية وقافيتها المتساوقة معها المشاكلة لها كفيض الانسياب الشعوري :

يـــاحبيبي إن يكـــن طـــال جفانـــا
وذوى في زهـــره العمـــر صبانـــا
فلنعـــش يـــاحب في ذكـــر هوانـــا
ولنقل عـــن حبنـــا كنـــا وكانـــا

وينتقل إلى خاطرة أخرى :

ليتنـــا يـــا حـــب نحيـــا فيـــه ساعـــه
نوقـــظ الـــزورق أو نزجـــي شـــراعه
ونناجي ضفتيـــه في ضراعـــه
تسعـــد القلـــب ولا تشقـــي التياعـــه

ويتضح أثر الوحد على الألفاظ فهي قرينة التناول ،وهي متناسقة المخارج فتنضام الحروف في اللفظة – لا ثقل فيها منفردة ولا مجتمعة في تركيب، وهي ألفاظ تلامس شغاف القلوب ، وتنطلق في عفوية للبوح عن خاطرة الحب في المحادثة الهامسة المباشرة التي تستدعي المضامين الرقيقة لتحاكيها الألفاظ والتراكيب

يـــا حبيـــبي لوعـــة الحـــب سعـــادة

---

[٢] المرجع السابق ٦٥ .

تزهـــــد القلـــــب فيـــــمو بالزهـــــــاده
ويـــــــرى حرمانـــــــه في الحـــــــب زاده
حـــــين لا يبلـــــغ في الحـــــب مـــــراده[1]

وتتضح السلاسة والتدفق في شعر عبد الله الفيصل الوجداني ، عند مقارنته بالشعر الذي يمثل القضايا الأخرى كالوطنيات والمدائح لوالده والمراثي، فإن الألفاظ تميل إلى النبر القوي ، فالتراكيب المفعمة بالمعاني المكثفة تهيمن على جل شعره الوجداني :

فلتقرأ الأبيات الآتية من قصيدة له ألقيت في مؤتمر الأدباء ..

في رحاب النهى وصرح العلـــوم جمع الشمل مثل عقد النظيـــم
أعيدت إلى عكاظ أمـــــان كن حلما مجنح التهويـــــم
فاستعاد الأديب والشاعر الصداح جنحا له مطاف النجـــــوم
أيها الصرح يا منـــارة علـــم حملت رايـة الإمام العظيـــم
هو عبد العزيز خير مليـــك حصن الملك بالسلوك الحكيـــم[2]

فأنت ترى تعدد الجمل وكثافة المضمون وفخامة اللفظة وقوة التركيب والموضوعية التي تبعد عن مباشرة الذاتية .

والقارىء لا ينبهم عليه ذلك الأثر للمخاطبة المباشرة ،وأثر روح المحادثة على رقة إحساس الأنا التي تفصح عما يعتلج في مرجل الشعور ،

وما توطره المواجهة من تفاعل نفسي يقترب من رقة الطفولة ، فما أكثر اشتراك الهيام الوجداني بالفيض الشعوري الذي يداعب الحب المتفرغ من أغصان الفطرة في شتى مجالات الحنان الأمومي والأبوي والأخوي ،والطفولي من أي إنسان .

---

[1] وحي الحرمان .
[2] نادي الطائف، الشعر ٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يـــا ابنـــة البـــــــدر وينبوع الشذي العطـــري
وملهمتي تسابيحـــــــي وآياتي من الشعـــــــر
وساحرتـي بعينيهـــــا و روح كالسنا يســـري
وبالبسمات من ثغـــــر شهي بالهـوى يغـــري
وباللفتـــات من جيـــد به مـاء الصبـا يجـري
وبالوجنـات فيه الضـــوء يلهب لونها الخمـــري[1]

فأنت ترى كأنه يداعب طفولة بريئة ،ورغم فطرة هذه الرقصات الشعورية إلا أن عمقها الإبداعي يتألق دائما لمن يملك الموهبة الشعرية المتدفقة.

وإذا ما استحضرنا جانبا للمقارنة لنوازن بين هذا المقطع المخملي المتأثر بالمحادثة وبين شعر وجداني يفيض بالتأمل الداخلي الذي لا محادثة مباشرة فيه وإنما هو استدعاء لماض ينزو إلى النفس من ترسبات الغابر نجد أن موجات الألم والحيرة والتأوه تأخذ سبيلها في تعبيرية أكثر إيحاء ودلالة ومن ثم أكثر تكوينا تركيبيا للجملة ، فجمله أطول وأضخم نبرة .

حارت الأشعار في ماذا تقـــول شرد الفكر وقد جد الرحيـــل
أزمعوا بينا وشدو رحلهـــم فتوارى طيف أحلامي الجميـــل
وتهاوى الدمع في آثارهـــم وهو كالجمر على الخـــد يسيل
إنها روحي أراها أدمعـــا تملأ الأجفـان والليل يطـــول
يا فؤادي إن يكن جد النـــوى فلياليـــك من اليـوم شكـــول
ليس فيهـن رؤى بسامـــة كل ما فيهن شكـوى وذهـــول
ولقد أقفـــرت الدنيـا فمـــا تبصر العين إلا ما يهـــول[2]

إذن فنحن نستطيع القول : إن التجربة الشعورية الوجدانية تلون الشعر الوجداني بألوانها المختلفة فالمحادثة لها تأثيرها، و الشكوى لها أسلوبها ، والعتاب

---

[1] وحي الحرمان ٦٨

[2] المرجع السابق٣٣ .

له نمطيته ،والوصف المشاهد له وقعه ولوحاته ، والحيرة ، والإحجام لهما تركيبهما الذي يناسبهما واستدعاء الذكرى له جذوته التي تشعلها .

هـــل تذكرت الذي كان لنا بالضفتيـــن
يوم كنا والهوى يجتاحنا كالزهرتيـــــن
إذ بعثنـــا من هوانا و جوانـا زفرتيـــــن
وسكبنا فوق سطح النهر منا دمعتيـــن
هل تذكرت الذي كان لنا في الكرنـــك
حين أشهدنا على الحب نجوم الفلـــــك
فكأني لم أمتع بشذى من حسنـــــــك
كنت أبكي ياحبيبي عند لألا التلاقـــي
يوم كنا نقطع الحلم بنجوى اشتياقـــي
خائفا مستبقا في الوصل أيام الفـــراق
غاب هل غاب و ودي لك بـــاق؟[1]

توظيف الخطاب النسائي :

إيحاء ياء المخاطبة و نون النسوة بالمرأة أسلوب فيه كثافة دلالية و صياغة المضارع يولد مشاركة شعورية ،وتاء التأنيث المجرورة فيها دلالة التأكيد على ثبات الإحساس وعمقه الداخلي ، والاستلذاذ بمد النفس والثبوت الوقفي نتيجة المد الصوت للياء في حركة تاء التأنيث أو إلحاق ياء المخاطبة أحيانا وقد تكاثرت تلك في إبداع الشاعر ، ويلح إلحاحاً على حرف الروي كالكاف المجرورة أو الجر إذا وقف عليه اكتمل نطقه الصوتي بالياء ذات المد الطويل فهي تحاكي نفس الشاكي المولة فمثلا إذا أخذنا قصيدته (هل تذكرين) ولو أحصينا حرف الياء في هذه الأبيات أو ما يلحق به من الضبط و الشكل (حرف الجر) لعجبنا لهذه

---

[1] المرجع السابق ٥٠ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الكثافة الموسيقية فهي ساهمت مساهمة فاعلة في بناء الموسيقى الداخلية لهذه الأبيات حتى منحتها مذاقا خاصا مخالفا لما يماثلها من القصائد المشابهة لها في الوزن والقافية ، ومن هنا برزت ما يسمى بخصوصية الموسيقى الداخلية والجر من خصوصيات الضمائر الأنوثية :

هل تذكرت و داعينا مصافحـــة ... أودعت فيها كريم الأصل يمناكِ
أو تذكرين بوادي وج وقفتنـــا ... وقد فاضت علينا الطهر عيناكِ
وحين غنت علي الأغصان شادية ... أنشودة الحب في ترديدها الباكي
أنت الحياة لقلب جد مكتئـــب ... وليس يسعده بالوصـــل إلاكِ

ويتجلى الخطاب النسائي الوجداني لاستحضار المشاهد الغارسة في النفس في صراحة ظاهرة ، فهو خطاب مباشرة يثريه هذا التساؤل الذي يلهج به ومصدره حلم اليقظة و الخواطر التي تنداح في نفسه ،فهو يستفهم عن موانع اللقاء الذي لا ضرر منه ،فاللقاء مصدر سعادة الشاعر فلم البخل به ؟

و للتعامل الحسي المشاهد في الخطاب النسائي ميزة وتبادل الأثر و ردة الفعل وهو الموقف يفرض الصراحة ، وتحديد الإطار لمقتضي الحال ،ولا تجعله يخرج إلى الرمزية ،بل توحي بهيمنة الحدث الوجداني على تفكير الشاعر ، وهذا الاستحواذ الروحي كان مصدر الهام الشاعر ، بل غلبة الموقف أضفت على التفكير العقلي ستارا :

ماذا يضيرك لو حققت أمنيتـــي ... فيسعد القلب من شوق لرؤيـــاك
ففيك للقلب أهواء مجمعـــة ... وفي لقائك دنيا الشاعر الشاكـي
أقصى أماني لو تبدين باسمـــة ... استلهم الشعر من باهي محيـــاك
دنياي نار من الهجران محرقـــة ... إذا نأيت و روض حين ألقـــاك
فإن نسيت ودادا كان يجمعنـــا ... علي العفاف فقلبي ليس ينســـاك
والذكريات إذا ما عز قربك لي ... سلوى فؤادٍ علي الأيام يهـــواك[1]

---

[1] المرجع السابق ٢٥ .

لغـــة الشاعـــر :

القارئ أو السامع لشعر عبد الله الفيصل يدرك حسن التلاؤم واكتمال الانسجام والتجانس بين اللفظ ومضمونه وما يحمله من دلالات ، ونحن أمام مضمون وجداني رقيق مما جعله يستدعي الشكل الرقيق من اللغة التي هي الوعاء والحلة الخارجية والتدفق الوجداني الفطري الإنسانى الذي ينساب في كيان كل فرد من البشر إنما هو يستدعي تلك الرقة يتجلي ذلك في المحادثة الهامسة بين عشيقين أو بمجرد محادثة الرجل للمرأة ،فأنت تحس بفارق المكالمة الهاتفية في محادثة الرجل حين يكلم المرأة أو الرجل ،و المرأة نهيت عن الرقة في القول ، فيطمع الذي في قلبه مرض لكنها لا تستطيع أن تغير معالم صوتها إذا كان رقيقا غير أنها لا تزيد فيها ومن هنا فإننا حين نلتقي بالشكل الجمالي الذي يتجلى في اللغة فإننا ندرك ظاهرة التآلف والانسجام بين الشكل والمضمون في شعر عبد الله الفيصل و لا أريد أن

أضع القاريء أمام هذه التنظير فحسب ولكني أطرح أمامه التطبيق الفعلي الذي يقوم علي استنباط مفهوم الرقة للشعر من حيث الحرف و اللفظ ،والتركيب فلكل من هذه المحاور الثلاث أثرها الواضح من حيث البنية اللغوية ، فالحروف وجهوريتها ، وهمسها وثقلها ، وقصرها ،وطولها وصامتها له أسسه في أصول تكون اللفظة و اللفظة تتأثر باجتماع الحروف من حيث جهوريتها ، وهمسها وثقلها ،وتكرار الحروف وثلاثيتها ورباعيتها ،وهكذا و الجملة تتأثر بالألفاظ أيضا وكل هذه معالم جمال التركيب عند شاعرنا فلننظر إلى معالم السهولة والرقة .

وتتضح السهولة في إكثاره من الحروف اللثوية والأكثر منها ل – ن – س – ز – ن– ل –[1] ونحن نجد هذه الحروف تتكرر كثيرا في شعره مما يدل علي

[1] د. محمدعلي الخولي ، الأصوات اللغوية ١٢٥ ، ١٢٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انتماء شعره للسهولة والرقة كقوله في قصيدة (سمراء) .

سمراء يا حلم الطفولة ... يا منية النفس العليلة

كيف الوصول إلى حماك ... وليس لي في الأمر حيلة

إن كان في ذلي رضاك ... فهذه روحي ذليلة

و وسيلتي قلب به ... مشواك إن عزت وسيلة[1]

فنحن نرى اعتماده على هذه الحروف الأكثر تداولا لسهولتها ولا تكاد الكلمة الواحدة تخلو من هذه الحروف فكلمة (سمراء) تضم السين والراء، ونلحظ تكرار اللام في حلم والطفولة والعلية ، (أما البيت الثاني فيضم عددا من هذه الحروف وهي الواو واللام في (الوصول) وتكرار اللام في الشطر الثاني في كل كلمة ، ونشعر بتكرار الراء في البيت الثالث أما البيت الرابع فتظهر فيه السين واللام والزاي ، وانظر إلى تكاثر تلك الحروف في قوله :

ياحبيبي أين أيام الصفاء

في تلاق وعناق وهناء

أو رأيت الطير يشدو بالغناء

يوم كنا بين سمار الليالي

يوم كنا كل صبح ومساء

إن رأيت البدر في كبد السماء

ياحبيبي أين أيام خوالي

نتهل الحب ونغني في الجمال

وعلى النيل مواعيد الوصال[2]

ألم ترى هذه الكثافة للنون و اللام وحرف اللين ، ونغم الحياء والجر في هذه الأبيات الأخيرة .

---

[1] وحي الحرمان ٦٢ .

[2] وحي الحرمان ٦٢

ومن معالم الرقة والسهولة في إبداع الشاعر عبد الله الفيصل شيوع الحروف المهموسة في شعره فتلك الحروف أقرب نسبا إلى وسوسة محادثة العاشقين الولهين فلم نقبس مثلا اعتباطيا فإننا نواجه بفيض من الحروف الهامسة التي تتحقق في الحروف ، ت ، ك ، ث ، س ، ص ،ش ، ح ، خ ،هـ[1].

فنحن نجدها في كل لقطة من ألفاظه وكثير من الأحيان تتكرر هذه الحروف في لفظة واحدة ومن ذلك قوله :

هل سمعت اللحن من قلبي ينساب لقلبي

ثم يرتد فيروي لك ما قصة حبي

ويناديك إلى عش هوانا المستحب[2]

فتجد أن حرف الهمس شطر كلمة هل ، والسين والتاء اجتمعتا في (سمعت) وحرف الهمس الحاء ، وحرفي اللثوية اللام والنون اجتمعتا في اللفظة (اللحن) ، وحرف اللام الأكثر شيوعا والباء التي كونت كلمة قلبي ، واشتركت النون والباء اللثية مع حرف المد الصامت ، مع السين لتكون الكلمة الهامسة ينساب وتكرار كلمة قلب من ناحية دلالتها الحرفية ودلالتها الإيحائية .

ونجد أن الحرف الهامس يشاطر حرف المعنى (ثم) كما شاطر (هل) من قبل ونحن نحس بقوة كلمة (يرتد) لأن الهمس اختفى بمجاورة الدل ، واشتراك حرف اللثة مع الهامس لتكوين كلمة (قصة) ونجد أن كلمة حبي مكونة من الحروف الهامسة الحاء ، والباء اللثوية الشائعة ، ونجد تكرار الحروف الهامسة في الشطر الثالث الكاف ، والسين ،والهاء والسين والتاء ، وتمتزج هذه الحروف مع الحروف اللثوية .

والعلماء أشاروا إلى حاجة المعنى العنيف إلى موسيقى فيها مشاكلة

---

(1) د. محمد الخولي ، الأصوات اللغوية ١٢٩ .

(2)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للمضمون وأشاروا إلى أن المضامين القريبة الوجدانية تقترب من الموسيقي الحقيقة وهم أيضا قسموا الحروف المكونة للألفاظ إلى هذا التقسيم فرأوا أن هناك حروفا إذا تكررت في الكلمة جعلتها عنيفة وإذا تكررت ألفاظها الحاوية لها في الشطر أوحت بعنفه ،وتلك الحروف العنيفة حددها إبراهيم أنيس بسبعة حروف هي : الخاء والقاف والجيم ، والضاد والطاء ، والظاء والصاد[1].

ولما نستقرى شعر عبد الله الفيصل نجد أنه لا يكرر هذه الحروف في ألفاظه بل إنه لا يورد ألفاظا متتابعة فيها هذه الحروف وليس ذلك نابعا من أدراك الشاعر لهذه الظاهرة ،بل انه نابع من ملاءمة المضمون للشكل وانظر إلى قوله :

هل سمت بالوهم دنياك إلى حيث وجـــــودي
وتوهمت علي البعد رضائي وصـــــــدودي
وأنا – حيث أنا – أعبث في دنيا خلـــــــودي
هل أداري الألم العاصف في قلبي بصبـــــري
أم أبوح اليوم بالسر ، وهل يجهـــل ســـــري
لست أدري، هل أبوح الآن ويحيـــى لست أدري[2]

فأنت ترى أن أغلب الألفاظ يخلو من هذه الحروف ، وأن حل هذه الحروف لم يتكرر في البيت الواحد ، ما عدا (رضائي ،وصدودي) في البيت الثاني فأنت ترى أن الصاد في كلمة ، والصاد في كلمة تالية لكن بينهما فواصل كثيرة وتكرر الصاد في البيت الرابع في العاصف ، وبصبري ، لأن المضمون استدعى هذا الثقل المركز

---

(1) موسيقى الشعراء .

(2) وحي الحرمان ٣٨

محمد فهد العيسى[1] :

ولد محمد فهد العيسى في عنيزة عام ١٣٤٣هـ، وانتقل مع والده إلى المدينة المنورة وتلقى تعليمه في مدارسها، ثم تلقى دبلومات متقدمة في الإدارة في القاهرة .

بدأ حياته الوظيفية عام ١٣٥٩هـ، ثم ترقى في الوظائف ومنها :

١ - مدير عام فرع مصلحة الزكاة والدخل في الرياض، ثم وكيلا لوزارة العمل ثم مستشاراً بوزارة الخارجية وسفيراً بالكويت ثم الأردن وقطر.

وله مشاركاته في الصحافة والإذاعة، والتلفاز وشارك في عدد من المؤتمرات الدولية.

ومن دواوينه :

١ - على مشارف الطريق صدر عام ١٣٨٣هـ. ٢ - ليديا صدر عام ١٣٩٣هـ.

٣ - الإبحار في ليل الشجن صدر عام ١٤٠١هـ. ٤ - دروب الضياع صدر عام ١٤٠٥هـ. ٥ - ندوب.

وله بعض الدواوين المخطوطة:

١ - الكبرياء في مقالع الرياح. ٢ - حداء البنادق ٣ - عندما يزهو الشوق.

وله من الكتب :

١ - الدرعية قاعدة الدولة السعودية.

٢ - الشعر والموسيقى والترابط العضوي بينهما.

والشاعر محمد العيسى (الفهد التائه) من أقدم شعراء بلادنا ولوحا في القصيدة الحديثة بل هو من روادها، وهو أكثر المبدعين فيها نتاجاً.

---

[1] انظر، شعراء نجد، ومعجم الأدباء والكتاب، ومقدمة ديوانه الإبحار في ليل الشجن، ودليل الكتاب والكاتبات.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وشعره صدى لأحاسيسه التي تتمايل تحت هوج العواصف تلك التي تلفح الشاعر بقرها وحرها، ولانسيم في حل إبداعه فهو إما غائر في ركام الثلوج، أو ملتهباً في أتون الجحيم.

وشعره يمثل التلاحم بين الانفعال واللغة، فلغته مشحونة بالأحاسيس. فهو رائد في شحن الكلمة الشاعرة بدلالة نابعة من صميم التجربة، وممتدة في دلالات الشاعر المعجمية التي يتواصل شظى لهبها في التراكيب والصور.

إن شاعرية الشاعر تكمن في حرارة الانبعاث الداخلي التي تصحب الكلمة والتراكيب التي تقدح شهباً بلهيب الاحتراق الداخلي، وصورة ترسم سحب ضبابية تدفعها العواصف إلى لانهاية، كما يندفع الشاعر إلى المجهول الذي لايكون أفضل من الواقع بخلاف كثير من الشعراء الذين يلجأون إلى الطبيعة لفطرتها لكنه يلجأ إلى الطبيعة الشرسة يمتطي الهائج المائج منها، وتارة ينصهر في جحيمها.لكن الشاعر لم يعرج على مكونات الحرقة واليأس و لم يشخص معالم الألم وأسبابه، ولو عن طريق الرمز، فهذه حلقة نفتقدها، وكان محمد حسن فقي أكثر واقعية منه في هذا الجانب، وكذلك فالعيسى لم يشكل لنا فلسفته وغايتها، ولو كان شعره ينبعث من فلسفة واضحة المعالم، ويطمح إلى غاية سامية، لكان لشعره التأثير البليغ.

يحور الشاعر محمد فهد العيسى في لاحب من دروب الحب. فله أحاسيس خصبة بالحب تتداعى إليه في شفافية، ويغمره الجمال بوهج إشعاعه، فيترنح ولها.

غير أنه يواجه بصراع داخلي، وحذر في البوح الإبداعي، لكنه لايرعوي عن ذكر متعة الجمال ومعالم الحسان، فهو يستعيد ذكرى جمال الليالي والمرأة والطبيعة في (فينا).:

كم ليالٍ (بفينا) عشتها

خصبة الحب بليل السمر

كم تغنت أحرُفي راقصةً

للعذارى، في هدوء السحر

والشفاهُ – الكرز – تدعو وفاً

وهي نشوى لاقتطاف الثمر

فالشفاة نشوى لاختطاف الثمر لكن الشاعر، يكتفي بالنظر للدلال،ورؤية ميعة الصبا، وظمأ الغرائز والشاعر أشد ظمأ وهياماً .

والعيون الزرق فيها أبحرت

أمنياتي في شراع الحور

يا عطاء الشوق من – دانوبها

املأ الكاس – فلا من حذر

لفتى ضل بدنيا الكدر

والشاعر مع صراعه في مواقفه تلك إلا أنه لا ينسى امتزاج اللذة والألم في استعادته ليستمتع بأحلام طواها الزمن، بل يداهمه الظلام وهو بين الرياض الغناء، وملاعب الجمال ومزارع الإغراء فعتمته تكتسحه من الداخل فتجلو الفرح :

ضاع حبي في ظلام شرس ضاع عمري في شقاء خطر

مزقت قلبي الليالي صلفا حطمت كأس (الخزامى) العطر[1]

والشاعر تارة يلفعه الحب، ويكون وجوده أو هو ومَنْ أحب العالم الموجود وحسب إنها حالة الهيمنة الوجدانية، وارتقاء الأنا فوق ما سواها، فهو يغوص في أعماق ملذات الحب، يمتص لمالة كأسه لكنه لا يعمد إلى التفصيل المكشوف .

---

[1] دروب الضياع ٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التقينا

نزع الأنخَـابَ – عباً

أثملتها شفتانا

واحتضنا كل ما في الكون

من لهفة وجدٍ

وكأنا..

لم يكن في هذه الدنيا سوانا

وهو في غمرة الحب، ينحسر الزمن فالف ليلة كالطيف تعبر في خيالـه، وحيـاة اللقيا والتداني، تُنسي الإنسان أبعاد الزمان، فهو

ألف ليلة.

لم تكن إلا شراعاً.. مر كالطيف.. على شطآن ليل

بجناحيه احتوانا

لم نكن ندري

أعام مر أم ألفان

أنسينا – للفح الشوق

أبعاد الزمان[1].

والشاعر يزجر الزاجرين له على حبه، فهو لايبتغي به إتباع غريزة،وإنما يكـون حبا عفيفا، ملهماً.

---

[1] الإبحار في ليل الشجن ٢١١.

مالي وللحب ألقى في طرائقـــه سحم الوجـوه ياكثاري وإقلالي

نادى بي الدرب لاترضى بمعصية إني وربي عفيف الذيل إطلالي

مالي وللحب إلا فيض منهلـــه أحبر الشـــعر من إلهامه الغالي[1]

فالشاعر محمد فهد العيسى من الشعراء الذين استجابوا للذاتية فشـعره جـدول من جداولها ينساب نفحات عاطفية أحياناً، لكنها ليسـت مـن العمق الثابت وإنما دمعة شتوية ترميه بوابلها، وتارة نسمات إنسانية تتواصل مع رقة الشاعر:

فوق البحيرة جسر كنت أعبره وحادي الشوق للأحباب يحدوني

الغيد وقع خطاها فوقه وتـــر يُرجِّـع الحب من (ليلى لمجنون)

ويختمها بقوله:

ما أضيع العمر لولا الحب يعمره عطف يؤمل في اللقيا لمفتون[2].

لكن سموم الواقع للحياة الاجتماعية أخذ يلفحـه فتطفح مشاعره بفيـض مـن الحيرة والضياع، فهو يمتد به العمر في زمن تمـور بالعـالم العربـي والإسـلامي قضايا مدلهمة من حروب ودمار وخنوع وخضوع، واحتـلال، وفقـر، ونكبـات، وتخلـف وضعف، وهو في هذه لايهتدي إلى دروب النجاة فيقول:

شربت كل درب

مزقت ألف ليلة كألف دهر

تسمرت خطاي فوق كل مفترق

أبحث عن وميض نور

---

[1] دروب الضياع ٨١.

[2] دروب الضياع ٢٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أبحث عن ينابيع الضياء في الغسق

الأرض بي تدور...

تحت أقدامي تميد... تحترق

أبحث عن وميض نور[1].

وأنت تراه يلوب في الغسق الشعوري الذي يمتد إليه من الخارج، فشأنه شأن الذاتيين يتأثر فينزف داخلياً، ولايصارع خارجياً، والشاعر من أولئك الذين يكتفون بالدعاء والأماني وأحلام اليقظة، فهو يتمنى لو ينشر النور للشعوب النائية، ويهدي الحب ويشنق الفقر والعوز والمذلة:

لو أن لي قلباً كأبعاد الفضاء بلا انتهاء

لو أنه مزن يلف الارض في ثوب الرجاء

لسجرت فيه الظلم.. حتى ينثر النور العدالة

وطويت فيه الحب أهديه.. لكل في سخاء

وأنا أموت من الألم

فرحاً.. أدندن أغنياتي للغيوم وللسماء

لو أن قلبي مثل غابات ترف بها الطيور

أو أنه كهف سحيق في تواريخ العصور

لشنقت فيه الفقر والعوز- المذلة في الطريق

ورجمت فيه الذل والهون الملثم والغرور

وأنا أموت بالاختناق..

---

(1) دروب الضياع ٦١.

فرحاً.. أدندن أغنياتي للظلام وللنسور[٢]

فالشاعر لم يحدد الأسباب للعوز والفقر والظلم، و لم يفصل القول في القضية كلها، و لم يطرح حلولاً إنما أمنيات، ولكن نقول : إن الأمة أحوج للعمل من الأمنيات، لكن ذلك الأسلوب لا غبار عليه فإن الشاعر يكتفي باللمحة والإشارة ليكشف ويترك الإجابة للآخرين.

ويتداح إبداع الشاعر تارة في موجات عارمة، وتارة في تموجات وانسياب في جدول متدفق بطيء الاندفاع والعيسى له تجديده من خلال نظرته إلى الطبيعة، فهي نظرة عطاء، وملاذ للإنسان وليس نظرة إعجاب جمالي ومنظر يخطف الأبصار.

والشاعر العيسى شأنه شأن الذاتيين يتأمل الطبيعة ويقف عندها ويناجيها أو يماثلها فهو يريد أن يقدم عطاء بلا منّة ، ولا حقد من الإنسان ، فيجرد الإنسان من الأحاسيس السالبة ؛ فالإنسان القادر يجب أن يكون كالمنهل العذب ، أو كالبحيرة أو النهر، ينهل الإنسان منها في صفاء بلا حركة ولاتعب، ويريد أن يعطي هو أيضاً بلا جهد ولافكر.

لو أن لي قلباً – كليمان – البحيرة في الشمال
أو أنه كالنهر رقراق التموج في دلال
لأرقته للناس.. حتى يرتوي منه العطاش
لسكبته (...) وحباً.. لليمين وللشمال.
وأنا أموت من العطش..
فرحاً.. أدندن أغنياتي للضفاف وللظلال.
لو أن لي قلباً كغور البحر مسفوح المياه

---

[٢] المرجع السابق ١٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أو أنه كالتيه كالدهناء في عمر الحياه
لدفنت فيه الحقد والسواءات والحسد المشين
ولحدت فيه الإثم – إثم الظن – من بعض الشفاه
وأنا أموت من النصب..
فرحاً أدندن أغنياتي للمياه وللرمال[1]

لكن هذه الحالة الهادئة لا تدوم على الشاعر ، فيغلب عليه الصراع نتيجة لإحباطه . وقد أشار الناقد رجاء النقاش في مقدمته المطولة لديوان العيسى (الإبحار في ليل الشجن) إلى عنونات القصائد، ودلالتها النفعة العميقة التي تنبع من لولبية الغربة في أحاسيس الشاعر وكذلك معجمه الشعري، حول الإبحار، والقلق، والإعصار، واستدعاء أسماء الأماكن التي توحي بإبحاره إلى المجهول، واستمرار الرحلة العقلية فهو لايستقر له قرار في مكان ولاتفكير، أنه يهرب من سراب إلى سراب فمحور الرفض في انفعاله يحارب كل إضاءة من القناعة.

الشاعر العيسى الذي استلهم غربة الرومانسية، بكل أبعادها النفسية، لكنه لم يخضع لنتيجتها التأثيرية، فيركن إلى الخنوع والخضوع، والخشية من مواجهة الواقع والقيود بل إنه يرفع سيف التحدي، ويتصدى للعواصف، والأمواج، فيصدها كالصخرة الصماء العظيمة، ويقابل حرارة الأحداث الدنيوية بوهج جهنم الأخروي:

طاولتني الأمواج عنفا ولكن حطمتها على الشواطئ صخوري
داهمتني الرياح عصفا هجيرا فتلاشت من لفح وهج سعيري[2]

---

[1] المرجع السابق ١٤٠ – ١٤١.

[2] الابحار في ليل الشجن ٢٤.

وكذلك فإنه حين يدلف إلى المعاني الذهنية يقف صامداً مومناً إيماناً كاملاً لايتزعزع أمام التيارات الفكرية، فالتيار الذي يحمل الضلال يقابل من الشاعر بشمس اليقين، والظلام الدامس لايقف عثرة في مسيره، وإنما عزته وعزيمته تدفع إلى المعتزل :

زد ضلالاً فملء قلبي يقين ... وضياء شموسه من ضميري

حالمات هي الليالي بدربي ... فشموخي بكل درب نصيري

تلك هي ماهية الرومانسية في شعرنا المعاصر.والشاعر يتمرد على ذاتيته أحياناً، فيقلو المرأة، ويتحسر على تلك الأيام التي أفناها في الوجد والهيام، فقد كان يراها في كل شيء واستحوذت على فكرة وإبداعه ومسارب خياله، وهو الأن يرفع شعار التمرد عليها :

كُنت الدُنا في الحب حتى إنني ... قد كنت في كل الوجوه أراكِ

فنسيت في بلةٍ خرائد معزفي ... وضللت في عمهٍ دروب هواك

ونسيت يوم لقائنا لما به ... جُن الغرام عدمت يوم لقاك

لا كان ليلاً إن سهرتُ نجيهُ ... من أجل حُبك.. أو لطول جفاك[1]

والشاعر يجوب آفاق التيه فهو يجوب البحار حتى صدأت سفينته وتداعت، وعمره الزمن المعادل لتتداعي الحديد الصلب مكبل بالأخطبوط، فحياته شقاء في واقعها وفي غربته وهروبه :

أكل الضبابُ قلوع سفينتي

ما بين أذرع أخطبوط

---

[1] الإبحار في ليل الشجن ١٧٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فوق مائدة اليباب

وتحطم المجداف بين يدي

على صخورٍ من نسيج الليل

في درب السراب[٢]

فلا نتيجة لهذه الرحلة السرابية، والغربة النفسية، والاغتراب في عباب البحر الصاخب، فصخب الكون يحدق به حتى في مغتربه، حيث يلجأ إلى الأماكن الموحشة أو ذات الرهبة والخشية.

والشاعر العيسى يعاني من الحياة المتماثلة في وقعها وواقعها في معاودة ليلها ونهارها، فهو في حياة لاحديد فيها سئم رتابة أيامه ولياليه :

ضاع بين أضلعي الزمان

الليل مثله النهار

اليوم مثل أمسه

مُلعثمُ الحِوار

مزروعةٌ ساعاتُه – تُدق في الحمأ

لم تَبرَح المَكان

وكأنه في حالة انتظار دائمة، فالليالي والأيام متمددة كأنها ألف ألف عام كأنه في حلقة تدور :

نفسه المكان منذ ألف ألف عام

وأنتن الوساد واضمحل المُتكأ

* * *

[٢] المرجع السابق ١٣٠.

فالزمانُ يارفيق دربنا الطويل
الزمانُ يا رفيق هو الزمان
حلقةٌ تدور
اتونٌ – مُغلق – يُمور
وقوده – الوميض – من معارج الغسق[1]

ورحلة الشاعر مع المعانـاة الداخليـة في إبداعـه جعلتـه يـستمرئ حيـاة البـؤس والحرمان، فهي التي تعاشره دائماً، فيعرفها وتعرفـه، وكـأن بينهمـا تـواد، فيلجـأ إلى البؤس والحرمان، مثلما يلجأ إلى الطبيعة الجميلة.

يا ليالي البُؤس والحرمان..
خُذيني...
أنا لا أعرف إلا أنت..
في كل سنيني
لي أنت القُوت..
ومن الحرمان – ترتاضُ
على الشقوة نفسي

والشـاعر يبتغـي تحقيـق الآمـال، وإمتـلاك الحقيقـة، ويضيـق صـدره بالأمـاني والأوهام :

وبأغوارِ سحيقاتِ لبُؤسِ
شَرقت – بالتعلاتِ ظُنوني
وغَفَا.. بالوهم حُبي وحنيني

---

[1] الإبحار في ليل الشجن ٩٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فخُذيني..
فالتماعُ النار في الجبهة
نبضٌ في الجَبينِ [1]

فهو هروب من الأخف وطأة إلى الأشد فتكاً وضرر، ليصور الشاعر ثقل واقع الحياة وتأثيرها المرير على كيانه.

وشعره يعمد إلى التصوير ليحمل الوهج الداخلي للشاعر، فصوره مرآة لنظرة الشاعر المعتمة. من ذلك قصيدته " إنسان بلا حدود " فيرسم الزمان في صورة الإنسان. " أحدودب الزمان" [2].

فالصورة الأولى تشخص الزمان بأنه عجوز متقدم السن انهكته السنون فانحنى ظهره، ودلالة الصورة تنقلنا إلى تركيبها، فالصورة تستعار لدهر الشاعر الذاتي، وربما نظر إلى البوساء بمنظاره، أو يكون الزمن المعاصر كله أضحى يعمل بالإنسان هذه الصورة بعوائقه الفردية والاجتماعية.

وتبادل الصور فإن التاريخ والزمن يوزعان الشيب في الإنسان لكنه أسند الشيب إلى التاريخ، فهو الذي شاب، فهذا الزمن هو فاعل الشيب قبل أن يحين وقته، وظل هذا التاريخ الأشيب المكان فثقل الحياة اجتمع على الإنسان في زمانه ومكانه وتاريخه، أو أن المكان استعاد سلطته على الظل الذي يأوي، فأبعد الإنسان فهو محارب مع الزمان أيضاً وحلت عوادي واعداء الإنسان هذا الظل الظليل، فأصبح الإنسان شامشاً والصورة وإن أسقطها الشاعر على الإنسان ؛ فهي تمثل صورة الشاعر صورة الإنسان كلاهما يرمز للأخر يقول محمد العيسى :

---

(1) الإبحار في ليل الشحن ٢٠٥.
(2) المرجع السابق ٤٥.

أحدودب الزمان

في دروب الشاعر الإنسان

وشاب في إهابه التاريخ

واستغاء ظلمة

لا تغزل اسمه الحروف

ضاعت الحروف عند سفحه

وضلت القنان

استجارت العوادي فيئه

فكان[1]

فما المصير للإنسان بعد تصوير الشاعر له ولمكانه فماذا يكون؛ لعل الله يلطف بنا ولا ننظر نظرة الشاعر.

والشاعر ما زال ينعم بصحة تعينه على الإبداع ، وهو إلى عهد قريب يجوب الأقطار سفيراً لبلاده أحسن خاتمته .

---

[1] المرجع السابق ٤٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حسن عبد الله القرشي [1] :

ولد بمكة المكرمة عام ١٣٤٤ هـ. ودرس بمدرسة الفلاح بمكة المرحلتين الابتدائية والثانوية، كما حصل على شهادة المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة.

ثم حصل على ليسانس آداب - قسم التاريخ - بدرجة جيد جداً مع مرتبة الشرف من جامعة الرياض.

عمل محرراً بديوان الأوراق بوزارة المالية ثم كاتباً بالمكتب الخاص بوزارة المالية.

ثم عمل رئيساً للمذيعين في مطلع تأسيس الإذاعة السعودية،وانتدب للتدريب سنة دراسية على فنون الإذاعة المختلفة بالإذاعة المصرية.

وعمل بعد ذلك مديراً لمكتب وكيل وزارة المالية للشئون الاقتصادية فمديراً لمكتب وكيل وزارة الاقتصاد، فمساعداً لرئيس ديوان الشئون الاقتصادية بوزارة المالية، ثم مديراً عاماً مساعداً لوزارة الاقتصاد.

وانتقل بعد ذلك سكرتيراً مالياً بوزارة المالية ثم مساعداً لمدير المكتب الخاص بوزارة المالية والاقتصاد الوطني.

وبعد ذلك عمل مديراً للمكتب الخاص برتبة مدير عام وزارة. ثم عمل سفيراً للملكة في السودان.

وهو من الشعراء المثقفين الذين لم يقفوا عند مرحلة من التحصيل بل قرأ كثيراً في شبابه في الأدب القديم وكون مكتبة كبيرة جداً تضم ما يقارب سبعة الآف كتاب، ثم تواصل مع المثقفين العرب، وكون له صدقات مع اشهر الشعراء، واطلع على التكوين الثقافي.

---

[1] انظر الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، والقرشي شاعر الوجدان للدسوقي وتجربتي الشعرية، ومقدمات دواوينه، وخاتمه الجزء الثاني من ديوانه.

وقد نشر انتاجية النثري والشعري في جميع الصحف والمجلات المحلية وفي كبريات الدوريات الأدبية العربية الشهيرة.

ومثل المملكة العربية السعودية في مهرجان الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي الذي أقيم في مدينة تونس عام ١٩٦٥م، وفي مؤتمر الأدباء السابع، ومهرجان الشعر التاسع الذي انعقد ببغداد عام ١٩٦٩م، وفي مهرجان الأخطل الصغير الذي انعقد أواخر عام ١٩٦٩، كما دعي إلى كثير من المهرجانات والملتقيات الشعرية. كما حاضر في بعض الجامعات والمنتديات الثقافية.

مؤلفاته:

(البسمات الملونة) الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧ والثانية سنة ١٩٧٢.

(مواكب الذكريات) الطبعة الأولى سنة ١٩٥١ والثانية سنة ١٩٧٢.

(الأمس الضائع) الطبعة الأولى سنة ١٩٧٥ والثانية سنة ١٩٨٦.

(سوزان) الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣ والثانية سنة ١٩٧٢.

(الحان منتحرة) الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤.

(نداء الدماء) الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤.

(النغم الأزرق) الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦ والثانية سنة ١٩٧٢.

(بحيرة العطش) الطبعة الأولى سنة ١٩٧٦.

(لن يضيع الغد) الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦.

(فلسطين وكبرياء الجرح) الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠.

الآثار النثرية :

(شوك وورد) مباحث - الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩.

(أنات الساقية) أقاصيص - الطبعة الأولى سنة ١٩٥٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(فارس بني عبس) -دراسة - الطبعة الأولى سنة ١٩٧٥.

(أنا والناس) صدر عام ١٩٧٢م.

وله من المخطوطات:

(زحام الأشواق - شعر).

(ثنيات الوداع) - مسرحية شعرية.

(خطرات في الشعر والنقد) - مباحث.

(شوقي عبقرية خالدة) دراسة.

(حب في الظلام) أقاصيص.

(أبو القاسم الشابي - شاعر الطموح والجمال والحب - دراسة).

(الشريف الرضي) - دراسة.

(قصتان طويلتان).

(ديوان من الشعر)[1].

والقرشي من كبار شعراء المملكة العربية السعودية ومن أشهر الشعراء المعاصرين في العالم العربي، وهو مازال ينعم بصحة جيدة آدامها الله عليه، وهو من أغزر شعراء المملكة إبداعاً.

والشاعر حسن القرشي من الشعراء الذين تواصل عطاؤهم في العشرين سنة الأخيرة، وقد أصدر قبلها ما يقارب من خمسة دواوين وله أكثر من ثلاثة دواوين في تلك الفترة، والشاعر القرشي قد ذاع شعره في الأقطار العربية، حتى ألف عنه الدكتور عبد الرحمن الدسوقي ورصد اتجاهات شعره، فمنها الوجداني، والواقعي، والتأملي، والواقع أن شعره يمثل حياته، فهو في شبابه شاعر وجداني، وفي كهولته

---

(١) نقل بتصرف من الديوان ١٩٧٢م.

وطني مندفع، وأحياناً كثيرة يقف مع المقاتل الفلسطيني في مسارب دروبه، وفي تشرده، ومخيماته، ويئن تحت وطأة المؤامرة عليه، ثم إن الشاعر اصطلى بنار الحرب اللبنانية وحرب الخليج.

والشاعر في وجدانياته يرق شعره ويماثل البيئة الحجازية، التي توارثت الرقة، والتنعم، والعاطفة الغزلية المتوهجة، وهو قد نظمها في قصائد شعرية غزلية ملتزمة الوزن والقافية، ثم بعد ذلك اتجه صوب شعر التفعيلة وإن تعمقت صوره وأشرقت إيحاءاتها، والشاعر يلجأ إلى الرمز التراثي بوصف الأحداث والشخصيات، ومستلهماً تلك المواقف، وهو أيضاً يرمز بأسماء قديمة من الرسل والأنبياء، والأماكن المقدسة، وأيضاً ببعض الأساطير.

وشعره الحر ينطفئ فيه الانفعال، وتبرز التأصيلية في المضمون والصنعة في التراكيب والصور، وتختفي فيه الخطابية مما يجعل إنشاده في ثقل، وهو يتلفع بالغموض السريع التجلي، وربما تكون المسميات القديمة والأحداث تؤدي إلى هذا الإبهام، والواقع أن اتجاهه هذا جاء متأخراً، ويمثل ذلك ديوانه (زخارف فوق أطلال عصر المجون) الذي طبع عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، فأكثره يقوم على الموسيقى الداخلية التي تلتزم بالتفعيلة.

فالشاعر يصور الحرب اللبنانية وكيف آلت به إلى الدمار والخراب في أسلوب تصويري تتمارج الصور فيه كتتابع الموج:

يا شجر النخل المتساقط حول النهر

عذراً يا شجر النخل

يا موج البحر المتمرد تحت الصخر

شكراً يا موج البحر

تنشطر الأحلام على شفرة سكين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المأساة الكبرى مازالت حبلى بالتنين

ونضار حضارة شرقي المسكين

قد ذُرَّ رماداً تحت سياط المخمورين

قد ضاع حطاماً في مقبرة المسحوقين

انقشعت كل براقع همجيات العصر

وتمطى شيطان العهر وطاغوت القهر

سألوا وأجابوا لم أفهم أبداً أي سؤال أي جواب

أسراب (الدراكولا) تقتحم الأبواب

أشباه الخصيان وأذناب الأذناب

قد برزت من فرج الغاب

عطشى عارية من كل الأثواب

هجمت أظفاراً

تنهش في المرج وأنياب !

* * *

فهو يرمز إلى حضارة المشرق بحضارة لبنان، فيرى الغرب أن التقدم الذي وصل إليه لبنان يمكن أن يتأثر به الآخرون، مما جعلهم يبادرون إلى تدميره، وهو كذلك يرى صراع الحضارات الخارجي يوظف أبناء لبنان لاتجاهاتهم، فهم يتقاتلون نيابة عن العناصر الخارجية، وهو يرثي بيروت العاصمة الشرقية التي تساقطت أغصانها وتعرت من حللها البهية.

أنكرتك أمس أنا أنكرتك يا (بيروت)

أنكرتك عروس الفجر عجوزاً في التابوت
أنكرت قصيدة (هوميروس)
سقطت أزهار الأشجار
وأشواك الصبار
وذابت أوراقك يا (توت)
وبدت عوراتك ما أقبح أن تبدو العورات
ما أفظع أن يجري الدم مجاناً في كل الساحات[1]

لكن الشاعر في ديوانه (أطياف من رماد الغربة) الذي صدر عام ١٤١٠هـ يعود إلى الوزن والقافية،فيمثل مساحة كبيرة من الديوان ولعل رحلته مع الشعر الحر وغربته عن الوزن والقافية أقنعته بالعودة إلى النبع الأصيل لكنه يتسم بعقلية الشيخ الوقور لا اندفاع الشاب المغرور، فهو يصور أحداث فلسطين الأخيرة المتمثلة في الانتفاضة " حرب الأطفال بالحجارة ".

كسروا عن الدر المحارة ... وأستنطقوا الصم الحجاره
وأتت إشارتهم بأن ... لنا قلوباً مستعارة
قست القلوب فليس (معتـ ... ـتصم يناضل أو (عمارة)
الكل منا حامل ... رغم التجلد منه - عاره
إنا بشقشقة اللسا ... ن محاربون لغير غاره
بشجاعة خرساء بالد ... مع الجبان وبالعبارة
لا (الحرب) نصلاها ولا ... نستاف من سلم غباره
أسمعت لو ناديت من ... يعطي إذا يممت داره
لكنما جف العطاء ... فلا دماء مستثارة

(١) زخارف فوق أطلال عصر الجنون ٢٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فركازنـــا أبـــداً تفرقنـــــــا كمـــــن يشـــــري دمـــــاره
والحـــر يـــابى أن يـــــــــدان وأن يضيـــــع الإفـــــك ثـــــاره !

◆ ◆ ◆

وأخيـــــة الطفـــــل الفلســـــــ ـــــطيني إن عفنـــــا شـــــعاره
وإذا تقاعســـــــنا فلـــــــــم ننصـــــره أو نرفـــــع منـــــاره
فلكـــم نكصنـــــا بعـــد إقـــــ ـــــدام،وكـــم كســـدت تجـــارة
كـــم قـــد خســـــرنا نحـــن مـــر تهنـــون،ومـــا أقســـى الخســـارة
ولربمـــا بعـــــد انتفـــــــــا ضتنا وقـــــد غـــدت البشـــارة[٢]

والواقع أنك تجد في شعره الحر غزارة المضمون، وكثافة الإيحاء، من جوانب متعددة من الألفاظ والتراكيب، وتبلغ الذروة في تلاحق الصور المشرقة وهو يوظف تراسل الحواس، فالخطايا سلاسل ووشائج صلة، وينزرع الزور والبهتان، ويعلكون الكذب :

مع انتفاضة الآلام في الوريد
يا أخوتي ما زال ذلك الصديد
ينضح من جراح الوطن المكبل العنيد
يزلزل المضاجع المضامة
لناشدي الهوان والندامة
زوبعة الأشعار، والأوتار لم تخلف نغماً
لم يبرأ الجرح فما زال دماً مجمداً وسقماً
تلك الجنازات تطل من يمين وشمال
ومرفأ الشمس – كما كان – بعيداً – لاينال
والسحب الجهم وأوجه المرايا
تعكس ظل أدمع السبايا

---

(٢) القرشي، أطياف من رماد الغربة ٦٧ حتى ٦٩.

والقافزون مايزالون معلقين في الهواء
تربطهم سلاسل الخطايا
قد خرجوا من فرجة الزوايا
يعلكون الكذب المهان
ويزرعون الزور والبهتان
وقد مشوا على الرؤوس
ركعاً عرايا !!
* * *

وهو يرمز لواقع الأمة العربية وضعفها، واستكانتها، فلم تهتد إلى طريق يدفع بها إلى القوة والتلاحم والتآزر إنما تئن تحت جراحها، وترداد الويلات عليها، ومع ذلك فإن الغلبة لأولئك العابثين بأوطانهم :

أن تجهد في تبرير الأخطاء
أن تمشي فوق سطح الماء
أن ترقص أعزل متشحاً بسلاح الوهم
وتستخفي عبر الأضواء
إن تغرق في تيار الأهواء
أن تمضغ شوك السهد
وتستندي قيظ الصحراء
أن تتلاشى فوق رماد الريح
أن تستنبت مطر الحقد
وتحسبه أزهار الحلم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن تندس مع الأشباح الغرباء
وتعانق مقروراً أطيافاً هوجاء
فحياتك مضيعة، ورماد، وهباء!
* * * * *
مزقت حنايا الليل ألومك يا سمراء
وأجرب أقنعتي سوداء، وحمراء
وأعانق أشرعتي في كبد الدأماء
يا ناراً تلهب أوردة الصحراء
يا ظمأ، وسراباً، وظلاماً، ورياءً
يا شفقاً يتلون في كبد الشمس الصفرا
أعفيتك من لومي، أبغضتك يا حمقاء![1]

ذلك إحساس الشاعر الذي عايش حياة الأمة العربية والإسلامية، وتفاعل مع قضية فلسطين في حروبها، وتشريد أهلها، ومايقدمون به من بطولات وعاصر انتفاضة الحجارة ، وصراع السلام، وكل تدلف بالإنسان العربي في ظلم وسراب، ورياء وظمأ، وهلاك.

القرشي والرومانسية :

يدرك الدارس لحياة الشاعر القرشي المؤثرات التي دفعت بها إلى الاتجاه الرومانسي ثم تحول ليكون وجدانياً ذاتياً وجمعيا، وأقصد بالجمعي هو استشعاره لحياة المجتمع لكن القرشي يتسع بمجتمعه ليشمل الوطني، والعربي والإسلامي، والمؤثرات الرومانسية تتمثل في الآتي:

١ - البيئة الحجازية التي اتسمت بالرقة النابعة من الرحمة الإسلامية، ومن حياة

---

[1] زفاف فوق أطلال عصر المجون، ٧٤ حتى ٧٧.

الحضارة الدائمة في مدن الحجازة، ومن توارثهم للشعر الرقيق في صدر الإسلام وعهد بني أمية، ولأن الحجاز مجمع الثقافة، ولاتصاله بعواصم الحضارات العربية بالقاهرة، ودمشق لايقتصر ذلك على المعارف وآدابها وإنما على بنية الأسرة وسلوكياتها، وهذه الرقة أثرت شفافية واضحة في نفوس الأدباء المعاصرين ولاسيما القرشي، كان لها دورها المؤثر على تآلف تلك الروح مع الحياة والمجتمع، فتقبل بإعجاب وتدبر بجرح نازف.

٢ - كونه نشأ يتيماً تحتضنه الأم بحنانها وعطفها، زاد من رقته وحساسيته، فإن الأم وجدانية التعامل.

٣ - تجربته لحبة الغزلي الأول، في عهد الصبا والمراهقة تلك الروح الشفافة صادقة الوفاء، كبيرة الأخلاص، لاتدرك أن هناك عوامل تمنع وتجر، ولاهناك مخادع يخدع، الحب في نظر المراهق حالة روحية صادقة يسوده الانفعال والصدق في السلوك فكان انبتار تجربة الحب لها آثرها العميق، فهي أول صفحة تكتب، في تجاربه، وكل من تقدمت به السن يستعيد ذكريات الصبا الساذجة، فكيف بالعميقة.

وقد تجلت في ديوانه الأول " البسمات الملونة" الذي صدر عام ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م.

وصدمة إخفاق الحب الأول لم تسقطه صريعا، وإنما آلمته جراحا ظلت غائرة في أعماقه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كم خانني جلدي واليأس مضطـــــرم ... وكم طوتني الدياجي لضو أغلال

أظل محتدم الأفكـــــار مضطربـــاً ... سدمان والكون دفاق السنا حالي

وأغتدي وبنفســـــي ريح معركـــة ... سجراء للغمر من لبعي وسلسالي

قد حفها اليأس ويح اليأس كم لفحت ... أنفاسه برد أنســـــامي وأصالي[1]

٤- ثقافته الواسعة، فهو مقترن بكبار الأدباء ومنهم طـه حسين الـذي كتـب مقدمة ديوانه (الأمس الضائع) وقرأ للعقاد والمازني، واستوعب الشـعر المهجري، وشعراء العراق مثل الزهاوي والنجفي، والسياب، وقرأ لعدد من الشعراء مثل علـى محمـود طـه، وأحمـد رامـي، وابراهيـم نـاجي، والشـابي، ومحمـد حسـن اسمـاعيل، وغيرهم.

وهولاء يمثلون المدارس الحديثة إبداعاً ونقداً، لكن الاتجـاه الوجداني في العـالم العربي، لقى قبولاً عند القرشي.

وهو كثير التحوال والتطواف في دول العالم، فكان ذلك يمده بسعة الأفق.

الوجدان الغزلي :

لمع القرشي شاعراً غزلياً في مستهل حياتـه، لانقـداح شـاعريته بوهـج تجربة العشق الصادق، فهو قد أحب ابنة الجيران، وهام بها وجدا، فأثرت المرأة في ذهنيتـه متمثلة في جل صوره، وشعره الغزلي يتدفق نبضـاً عاطفيـاً مشـحوناً بلوعـة الحـب يغذي اللقاء بين العاشقين، ويحيي جذوته العفاف، ورغبـة التواصـل بـالحلال فأنـاط بها آماله، وتعلق بها قلبه، وأخلص لها الحب.

وهو في اشراقة الحب يرى كل شيء مشرقاً، يهتز طرباً، فالنجوم تضـيء لهـم، والكون كله ألوان سحرية، وهي تستحوذ عليه، بلحن القول ولطفه.

---

(١) الديوان ١/٥٣ .

نعمت " أسماء " في ليلة صيف عبقريه
بلقاء خف " حسان " له ينشد ريـــه
ونجوم الأفق بالأنوار تزهو لؤلؤيـــه
وشت الكون بألوان من السحر شهيه
أسكرت عاشقها "أسماء" لم تأت فريه
برضاب كم تمنى رشفة منه رويـــّه
تسكب الإلهام في الروح وتحي الشاعرية
وتزف الأمل النشوان للنفس الشقيـة
وسما العاشق مبهوراً برياها الذكيـــة
فجرت فيه المعاني حاليات قدســـية
كم تنشى من ثناياها ورواداً عبهريـــة
وغزا ماخبأت في الصدر من سر ونية
وهفا يغتنم الدفء ويهديها رويـــة
من راى غصنين حفا بالمجاني العاطفية

وطول اللقاء وتكراره مع أمنيات الارتباط الروحي يجعلهما يبنيان قصوراً وهمية من الأحلام لمستقبل حياتهما وكلها مشحونة بالحب والحياة السعيدة.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ورنا البدر لمسحورين في دنيا قصيـــة

رنحت قلبيهما نجوى الأماني العسجدية

وأحتوت روحيهما رؤيا خيال ذهبيـــة

ناجياه في حنان مســـتفز وتحيـــة

أيها البدر وفي مسراك أصداء ســـميه

أترى تدري هوانا ومراميه الخفيـــه؟

هو خمر لم تلامسه شفاه بشـــــريه

هو لحن لم تناغمه قلوب عاطفيـــه

هذه القصيدة نموذجاً لشعر الغزل، وحله يـدور حـول هـذه المضـامين المفعمـة بحرار الشوق، والعيش في سعادة المستقبل والاستمتاع بالمحادثة، ومعـالم الجمـال، في الرياض الحسناء، التي تشـارك المحبين، الرائحة العطرية، والمناظر الخلابـة، وشـعره الغزلي، يحتل حيزاً كبيراً من دواوينه الثلاثـة الأولى (البسـمات الملونـة) و (مركـب الذكريات) و(الأمس الضائع) وهو في ديوانيه الأخيرين يستعيد الحـب الـذي غمـره ويتشظى بلوعته.

وفي ديوان " سوزان " ينتقل بحبه نقلة جديـدة، فقـد كـان وجدانـه الأول فيـه مباشرة وصراحة، بمعاناة واقعية فطرية غير مرتوية من الظمأ فهو يكتفي بماهية الحب بإشراقه لكن ديوانه (سوزان) يزيد ويتوهج بإضاءته الروحية وقـد يداعـب الخـاطر أنه جعل المحبوبة رمزاً للسعادة وللأحلام الفكرية .

إنما أنت فكرة وعريق الشاعر يزهو بجوهر الأفكار[1]

لكن الذي أرجحـه أنـه، وجـد بقيتـه في تجربـة جديـدة، لكنهـا متآنيـة، وغـير

---

(1) الديوان ٢ : ١٨.

محمومة بنشوة واندفاع الشباب ، وأضحى وحدانه يستجيب للعواطف الذاتية ، والاتجاهات الفكرية .

سيري الكون أنني عدت صبا بك بل عدت سيد العشاق

ويرى أنني وهبتك قلبـــــا هو في الحب منهل الأشواق [1]

فهذان البيتان فيهما فتور في العاطفة فهو يصف حبه من الخارج لانابعاً من الايحاء الداخلي ويوحي به صدى الإعجاب وفي البيتين تعالي فهو سيد العشاق، وفيهما منّة، والمرأة لاترضى أن تصحب من يشتاق إلى غيرها.

والواقع أن ديوان (سوزان) يمثل انطفاءات شعلة الهيام لكن جذوته باقية فيها حياة، فليس هناك الاندفاع العاطفي، وقصر نفسه في شعره جداً مع أنه ليس بطويل النفس، فجل قصائده الغزلية قصيرة، في ديوانه الأول فقصرت في ديوان (سوزان) حتى أضحت مقطعات لاتتجاوز عشرة ابيات، وهي تقترب من الرباعيات بالمفهوم المعاصر، الذي لم يلتزم بجعل كل شطر بيتاً كما هو المفهوم في القديم وإنما الرباعية مكونة من أربعة أبيات كاملة، وكان من قبل يستنطق الزهور والرياض، ويجعلها متلبسة بالمرأة أما الآن فهي تسمع حكايته:

سمعت قصتي زهور الروابي ووعتها مرابـــع الوديـــــان

وتهادى في كل سمع حديثي عن هواك الذي سرى في كياني[2]

تلك دعاوى حب وليست بحب

الحب عند القرشي له أوجه لكنه راسخ في كيان يتمناه، وتهفو نفسيته اليه فتارة يغوص في عمق التجربة متداعياً إليها لكنها تجربة عفيفة ذات غاية نبيلة.

---

(١) المرجع السابق ٢: ٣٣.

(٢) المرجع السابق ٢: ٩٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقلت هنا مهد روحي الغريب هنا عش إحلامي الحائمة

لكنه لم يكتب له الوصل والاتصال، فكان ذكرى من الذكريات اللازبة:

وإذا شمت بأزهـار الحديقـــة

زهرة فواحة العطـر أنيقـــة

قلت كانت لي بالأمس صديقة

حلوة شفافة الســـحر رشيقـة

تعشق الزهر وتســتجلي بريقـه

وهي جافتني فهـل لي أن أطيقه[1]

فصدى التجربة مثيراً، واتخذ الطبيعة رمزاً ، فالزهرة والمرأة عند القرشي متشابهتان مقترنتان لكنه كان يشبه الورود والأزهار بالمرأة، فلها الكمال، أما الآن وبعد ان فتر الحب فإنه يشبه المرأة بالزهرة فهي الأقرب والأكمل والأخلص فلا غدر ولاخيانة فهي الصفاء.فهو يخاطب حبه الأول

سواك وإن احببت حينا فإنما عبرن بقلبي كالطيوف من الذكرى[2]

ثم تحولت علاقة القرشي بالمرأة إلى علاقة إحباط، ويأس من رباط قوي لكنه روح تنبث لافكاك منها، وهو لامطلب له بإشباع شهوة غريزية، إنما تجليات وخطرات ومداعبات، تشعل وجدانه أو هي تثير الانفعال بنزواتها ودلها، يريد الوقور التي يستفزها مرح الشباب والأنوثة فتلقي عليه رفيفاً من الأنس فيهتز طرباً، لكنه ما يلبث أن يولي أو هو يريده أن لاينطفي باشباع الرغبة لكنه الحب الغريزي.

---

(1) الديوان ٢: ١٠٦.

(2) المرجع السابق ٢: ٦٩.

سأوافيك، لا ساتعذب البعـ ـد قليلاً واستلذ شقائي

وأناجي الحرمان حينا من العمـ ـر ففيه منابع للصفـاء

زاد روحي لاتهرقي كـل دنٍ خمرة الحب عتقتها دماتي[1]

إذن فهناك حب وتجربة وهناك حب للذكريات، وهنـاك حـب أبـدي، يعشـق الجمال المادي والمعنوي ولايريده ينطفئ، متفاعلاً مع الحب الواقعي بـل هـو وسيلة تصويره، ونما نوع آخر من الحب، تلـك خطـرات الأعجـاب البشرية الدائمـة عـن طريق الرؤية أو المحادثة، أو التواد ؛ فهي لم تنضب ؛ فإنها من ملهمات الإبداع عنـد الشاعر.. ومن هنا فقد زحف الأنين والحنين إلى شعره.

الطبيعة:

لسـت أدري كيف تداخلت الطبيعة، بألوانها وازهارها وربيعهـا ورياضهـا في التكوين الذهني الوجداني عند القرشي، فالطبيعة في الحجاز لا تقارن مع بلاد الشـام وأوربا، والأندلس، والنيل في مصر. لكن هذه الطبيعة ربما تكونـت لـه مـن تكوينـه الذهني خلال القراءات الشعرية، ومن تأمل الطبيعة، وما يشاهده في الحجـاز نمـوذج يوحي بالجمال، وحاسة الرائحـة لها فاعليتهـا السـحرية في إثـارة الأحاسـيس لـدى الشاعر، فكثير من قصائد الغزلية تعبق بالطيب.

نفحات عطرك لاتزال تهزنـي نحو الحنين إليك والهيمـان

قدمـت نشوتها وصفت غرامها شعرا تقاطر من فمي الولهان[1]

ونظرة الشاعر للطبيعة نابعـة مـن تفاعلـه الذاتي، فهـي صـدى لحـب عميـق، بذكرى ألوانها ورائحتها ونسماتها، وتخيله محدود بهذا الانفعال، وتركيب صورهـا

---

(1) المرجع السابق ٢ : ٤٥.

(1) الديوان ١: ١٨٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يدور مع المرأة في أغلبه، لكنه أحياناً يتأمل الطبيعة تأملاً عقلانيا، ويقف معلنا المجهول الذي يلف الأفلاك، ويمتص الأمواج، ولايدري إلى أين تنتهي العواصف والرياح بل هو إلى أين يمضي ما وراء الساعة والغد والعمر؟!.

ألا أيها الفلك الدائـــــــر وأيتها السحب أين المصير

ويا أيها الموج هذي الأعاصر تعدو فأيان أين المســـــير؟

ألا يا غبار المساء وزبد البحر ياليل كيف العبـــــور؟

أروحي وعيني الام الســـرى وأيان نمضي بكون حسير؟

ومع تأثره بالرومانسية، وإهداء القصيدة للشاعر الرومانسي (لامرتين) إلا أنه لم يبحث ما وراء هذه الطبيعة، وإنما عاد إلى معتقده، فأدرك المصير والمعاد لله، وهذه من آياته التي يدرك بعضا منها الإنسان، ويخفي عليه ما يخفى.

إليك يا رب، فالشمس تبدو مصفرة وآنيـــــــه

تقلب ذا الكون أنى تشـــاء لسر حياة بدت طاغيه[٢]

ويكثر شعر الطبيعة في ديوان القرشي، بألوان النبات وهي الأغزر، والأفلاك ثم الحيوان الأقل، فهو يلبس محبوبته جمال الطبيعة، وقل أن يصورها بالغزال والمها.

والطبيعة في شعره متمازجة مع المحبوبة، فلست بقادر على أن ترجح الطبيعة على المرأة مع استمداده لصور الطبيعة في سائر أبياته، لكن تتراءى لك المرأة وردائها فهي رمز لها، وزينة وبهاء للمرأة، وما يلتذ به من الطبيعة فهو هبة للمحبوبة، فأنت تشك هل يريد بالروضة حقيقتها أم ان اللفظةرمز مباشر ، قبل أن تكون الروضة وما فيها رمزاً كلياً.

---

[٢] المرجع السابق ١ : ٢٩٢.

روضة الوصـــــــل تراءت لي وحياتي فداها
هي صفو العيش، سكران، وهل أهوى سواها؟
طالما عانقت عطفيهـــــا، وما قبلت فاهـــا
طالما أقبست نوراً، عبقرياً، من ســـــــناها
وإذا نامت دياجير ضـــــــلالي في عماهـــا
كان لي منها هُدىً لله ما أسمى هداهـــــــا !
هو ثغر باسم للروح شـــــافٍ من صداها
يهب النفس نعيماً باهراً يُدني مُناهـــــــا

لاشك أن رؤية المرأة في هذه الآبيات أكثر تبلوراً من الطبيعة، فالوصل، والتحية وصفو العيش والمعانة، ودياجير الضلال، والثغر الباسم، كلها من معجم المرأة ثم في الأبيات التالية، الرؤية الهيام والخفقان والثورة للقلب، واللوعة كلها من فعل المرأة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كم شممت الورد يعلوها فيصبيني شـــذاها
كم بها الأغصان نشوى حانيات في حماهـــا
شـــد ما أهفو إليها اذ تراني ناظراهـــا
شد ما يخفق قلبي بهيامـــي إذ يراهـــا
ويثـــور الثورة الكبرى مريقاً من شجاها
فيزيد النار وقدا لاهباً يُذكـــي لظاهـــا
ليتني إذا عصـــف الروعُ بها كنتُ فداها
إذ أفاضَ اللوعة الحرَّى وفيزوف أســـاها
فاســـتُطير الزنبقُ الزاهي ونوار نماهـــا
وذوت جرداء يعلوها شحُوب قد براهـــا
تذرف الدمـــع سخيناً ناعياً غضَّ صباها
وتعيد اللحن نوحاً، بعد ما كان غناهـــا
أيها الروضة لا تبكـــي تفديك دموعـــي
طالما هدهدت ما في النفس بالعطف الوديع[1]

أذن الشاعر يمازج بين المرأة والطبيعة، وهو يجمع بين جماليهما، لكنه تجاوز الطبيعة للمرأة وجعلها مجرد أداة. فحبه للطبيعة لم يكن نابعاً من ذاتها وإنما لأنها تمثل غيرها.

---

[1] الديوان ١/ ٩٠ .

الطبيعة العلوية :

والطبيعة العلوية تأملها الشاعر السعودي كثيراً، فهو يقف عند البدر والهلال وسائر النجوم مجتمعه ومتفردة، يصعد إليها هارباً، ويرى جمالها وتألقها تارة، ويغبطها على شموخها وعلوها، ويستنير بضياتها، ويسقطها على آماله، وتارة يراها خافتة ذابلة، تتوارى خلف الغيوم، وتارة يستبطىء أفولها، أو يستعجله إنها نظرة المعاصرة التي تجمع بين الوعي القديم بالطبيعة والوعي المعاصر، فإذا اخترقت الحاسة للتبصر فيها، فإن الشاعر في بلادنا يستلهم التوجيه الرباني، ولنقف مع الشاعر القرشي في وقفاته الوجدانيه العلوية :

فنظرة إنسان الغرب إلى السحب فيها استشقال لأنها تحجب الشمس بينما نظرة الإنسان العربي نظرة إعجاب لما تحمله من خير فهو أحوج ما يكون إلى المطر الذي ينبت الزرع، ويدر الضرع.

فالقرشي يرى في السحب الجمال لما وراءها، ويرى الجمال الحسي فيها يتمثل في تساقط الهتان والرذاذ والبرد.

والشاعر مغرم بالجمال، فهو يرى جمال الطبيعة الأرضية إذا تنعم بلقاء المحبوبة فإذا رفع بصره وبصيرته، تأمل جمال الأفلاك والقمر،فهي زينة لهما كما هي زينة للسماء، وكلاهما يكونان منظراً جميلاً، والطبيعة العلوية تمده بالصفاء، وتوحي له بدوام السعادة، وإرتقاء المكانة، وهو يفتقد النجوم والبدر والسماء كاملة إذا فقد الحب، فالطبيعة مسكونة بمحبوبة أو بآماله العذاب.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وإذا ما الأفق بالسحب تزيا

شاعريا ذهبيا جوهريـــــا

ممطراً لؤلؤه شيئاً فشـــــيا

مرسلاً ذكرى هوانا قرمزيا

جاشت الآلام إذ غاب محيا

كان يسقيني حناناً عبقريا!

فهذه الطبيعة العلوية ترسل الذكر للحب فتتزاءى له المرأة من خلال ذلك الجو الضبابي، فهي إطلالة لموجه حب ولى واحتجب، لكن ذكراه حسية كحسية الرؤية لهذا المنظر الجميل.

ويجتمع مع حبيبته للمتعة برؤية الأصيل، فسناه من سنى الحب شفافا آسرا موثراً.

والأصيل العذب كم كنا نراه

أملا يسكر روحينا ســـــناه

شفقيا تغمر الكـــــون رؤاه !

عبهريا تأسر القلب حـــــلاه

عاد لي أطياف الآم خطـــاه

تبعث الرعب فيغزوني صداه!

لكن لما غابت المحبوبة استدعى توظيف الأصيل للأمل، فهو ينبئ عن الغياب والانقضاء، وهو في المرحلة المتأخر يصدق حين يبعث الآلم، لكن الشاعر، لم يسقط حالته على الأصيل.فهو جميل مع وجود المحبوبة، مرعب في غيابها.

وإذا النجم زها فوق السماء

وتبدى البدر سحرى الـــرواء

ولقد كنا معاً إلفي وفـــــاء

نرقب البدر بأحلام وضـــــاء

ثم عدنا في الهوى كالغربـــاء

صاح قلبي:أين بدري وسمائي؟

وإذا كانت السماء بأفلاكها تغيب مع غياب الحب، فإن الليل إذا جمع المحبين الاثنين فإنه لوحة شاعرية، رومانسية، فيه الظلال الوارفة والهدوء، والبعد عن المنغصات، فإذا غاب الحب وتوارت المحبوبة فإن الليل يكون مصدراً للأشباح، وتجتاح الهموم فكره إذاً فإن الطبيعة تتأثر بحالته.

وإذا ما أوغل الليل وليلـــــي

كان لي آفاق فـن، كان ظلي

كان حلماً يزع الأفراح حولي

حين ألقاك به، قد عـــاد غلـي

عاد ليلي مسرح الأشباح شُغلي

فيـه قلب بلظى الأشواق يغلي

والفجر لا يكون فجر إلا إذا حمل ذكريات المحبوبة، فهي حياة الطبيعة، فما جمال الطبيعة إلا ظلال لجمالها ولحبها، وما نسمات الصبا إلا رسل من المحبوبة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإذا ما رفرف الفجر عليـــا

والكـرى قد يتصبى مقلتيـا

خفق القلب لذكراك مليـــا

وهفا يشـكو لي الداء الدويـا

فاجتويت الفجر إذ يهدي إليا

ذكريات تهصر الروح الشقيا

فإذا استوطن الأرض فإنها تحل في كل مكان فهي مصدر إعجابه بهذا المكـان، وطيفها يفيض روعة للمكان الذي يدرج فيه.

وإذا ما طفت يوماً بمكـــــان

ضمنا حيناً بماضٍ من زمـــــان

أهبتني ذكر شتى المعانـــــي

طيفُها باقٍ بحســـــي وكيانـــي

هي كانت عيد روحي، مهرجاني

موطني بعد سفاري، وجناني[1] !

إذن فمظاهر الطبيعـة من خـلال المرأة، بخـلاف الرومانسيين الذيـن يهربـون للطبيعة. فحياة الطبيعة بحياة الحب، وغبطة القرشي بالطبيعة لأنها تمثـل حيـاة الحـب الآفل وتجعل الشاعر يعيش في رومانسية.

الغربة :

تنبع غربته من لواعج ذاته الملتهبة بأحاسيسه، فماذا قدم وماذا أخر، وما الـذي

---

[1] الديوان ٢ : ١١٢ إلى ١١٥.

يتاح له تحقيقه، وماذا ينتظره، فالإبداع الشعري لم يؤثر في حياته، ولاحياة أمته، لم يبلغه مراده، وهموم العالم من حوله تخيم على نفسيته، فهو يبتغي الحب من الآخرين وللآخرين، فلايجد من يبادله أنس ذلك الحب، ولايرى معالمه في علاقة الناس ببعضهم، بعد رحلة طويلة من العمر، يستشعر الوحدة، وهي تجلب الهم والغم، بعد الكهولة كأن الوحدة في مرحلة الشباب تجلب الآمال والأحلام، وهي في مرحلة اليأس تجلب الأحزان والكآبة، فهو يئس من الحياة الرغيدة الناعمة التي ترمز لها السفوح الخضراء، وهو الآن يستشعر الفراغ الذي يؤدي إلى ظلمة الحيرة، تنتابه الهواجس من وحدته، وعدم تحقيق آماله ومن معاناة العالم الخارجي:

عدت وحدي أعيش فوق البراكين ... وأحيا هُنا حياة الأسير

السفوح الخضراء ضاعت رؤاها ... فأنا رهن مهمه وهجير

عدت وحدي في قبضة العدم المر ... وفي مجثم الظلام الكفور

غارقاً في متاهةٍ من شجوني ... ضارباً في دُجى حياتي الضَّرير[1]

والشاعر يعلل غربته، ويسقطها على المجتمع، الذي لايبذل للمبدعين، ولايرعى حقوق المخلصين، ولايقدر جهد المنجزين، وإنما مقاسه التملق والتعاسة والتذلل لمن هو أعلى ولمن لا ينهض بالعمل على المبدأ الفكري الذي يراه الشاعر حقاً، بل إن الذي يبادل بالمصلحة ويختلس من أجلها ذلك هو الذي تتاح له الأعمال، وتفتح له الأبواب :

وما رضيت لنفسي أن تلين وما ... كنت الخؤون لآمالي وأفكاري

إن يحبُ غيري سناها عرضةٍ جذلاً ... فإنني من جناها غير مشتار

يريد مني دهري أن أبادله ... آثامه كي يُوافيني بأزهار

يريد مني أن أحبو الود شيعته ... من طُغمةٍ كجُفاء النهر فجار

---

(1) الديوان ١ : ٤٨٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وما درى أن مثلي لايروعـــــه تألب الغدر أو يعنو لإعصـــار
فلو شرقت بآلامي التي ارتكمت لكنتُ ميتاً وكان اللؤم حفاري![1]

لكنه يركن إلى الفضيلة وعزة النفس، ولايخضع لتلك المغريـات. وهـو في قمـة صحته يقف حائراً في مسيرة حياته وأول ما يتبادر له أين نتيجة الجهد؟ ويقصد بهـا التآخي والتآلف الذي يزرع محبة المجتمع فهو لم يحقق لذاته تلك المحبة في هذا العمـر فهل تعود تلك الأيام الأنيسة. لتنشر ظلالها الوردية فما أحـوج كـل مـن بلـغ تلـك المرحلة إليها.

إلى أين أجهد روحي الرحيل أما من محطٍ لجسمي العليل؟
أما من رجوع؟ أما من قفول وحتّام أهتف أين الدليـــل؟

***

إلى أين؟ ما ثم لي من مقيـل وما من رفيقٍ وما من خليل
يشاركني السير بين الطلول سوى أمل مهطع للأفـــول

***

إلى أين: إني ذرعت الفضاء فلم ألق غير الأسى والشقاء
طماحي عاد وني وانطواء ويأسي قد غل مني الرجاء

وآمال الإنسان أكبر من واقع الحياة التي يعيشها مهمـا بلـغ مـن مكانـة فكلمـا ترقى يريد من المجتمع مزيداً من رد الواجب والتقدير ويعتقد أنـه قـادر علـى العطـاء فيما هو أعظم شأناً فالشاعر القرشي الذي ملأ الوطـن أبداعـاً، واستوعب الثقافـة، يطرأ عليه السؤال الجارح ثم ماذا ولا إجابة هذا شـأن مـن ينتغـي المكافـأة في هـذه الدنيا وحسب، لايستشعرها الرجل الذي يعمل لأخرته ويحتسب عن عقيدة وعمل،

---

[1] الديوان ١ : ٤٩٥.

وقليل ما هم أولئك الذين لايئنون تحت وطأة الحياة، لكن الأغلب يسعى إلى المأثرتين معاً :

إلى أين؟ هذي أفاعي الخريف وهذا فحيح الظلام المخيف
يسربلني صاعقاً كالحتوف أما لم روح لقلبي الشفيف؟

***

إلى أين؟ أحستُ صمت اللحود وأدركت أني طريد الوجود
أثمة في الكون مثلي وحيـــد واعزل قد أثقلته القيـــود!

***

إلى أين؟ أدركت معنى السأم وسر العذاب ولفح العـدم
فأيقنت أني حليـــف الألم وأني روح غريب النغـم[1]

فعزيمة الشاعر القرشي نابعة من الفراق فراق المحبوب وفراق التحاب والتآخي وفراغ عوامل السعادة، واليأس من عوامل التكوين الذاتي.

---

[1] الديوان ١ : ٥٠٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقبل العيسى :

- ولد في عنيزة عام ١٣٤٧ هجرية.
- قضى السنوات الخمس الأولى من حياته متنقلاً مع أسرته بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وينبع.
- توفي والده .. وهو في السادسة من عمره .. وظل في المدينة حتى العاشرة .. انتقل بعدها إلى مكة وظل بها حتى حصل على الشهادة الثانوية من مدرسة تحضير البعثات ..
- ابتعث إلى القاهرة عام ١٩٥٠ ميلادية.
- بعد حصوله على ليسانس الحقوق ألتحق بوزارة الخارجية .. وعمل في بعض ممثليات المملكة في بلدان مختلفة.
- حضر بعض المؤتمرات الدولية وبعض دورات هيئة الأمم المتحدة.
- يحمل وسام النيلين من الدرجة الثانية .. من حكومة السودان.
- أحيل للتقاعد عام ١٤٠٤ هجرية ..

وله قصائد في كتاب (وحي البعثات السعودية) وله (قصائد من مقبل العيسى، وصدر له ديوان (الهروب من حاضر)[1].

والمقبل شاعر وجداني، ففكره يصدر عن وجدان يهرب من التفلت ويرى الالتزام بالقيم الدينية والإنسانية، وكذلك الأسس الاجتماعية، وغربته نابعة من فراقه الوطن، وتنقله في بلاد العالم فحنينه إلى نجد وربوعها، وكذلك جاءته من غربته عن الحياة الغربية بل تمرد على الحياة السلوكية. لاسيما الحب والمرأة، فقد كانت صدمة الفكر والسلوك لهما أثرهما على غربة إبداعه.

ومقبل العيسى يلوب في فلسفة الوجدان، لاسيما الحيرة، التي داعبت نفوس

(١) انظر، معجم الأدباء والكتاب ٢٦٣، وانظر، مقدمة ديوانه الهروب من حاضر.

الرومانسيين وما هروبه من الحاضر إلا نتيجة لهذا التأمل والحيرة أولاً ثم اليقين ثانياً فما فائدة هذه الحياة ذات المكابدة ثم يتبصر فى ذاته من العجز والضعف، والقدر والقضاء على الإنسان :

تحيرت يا خالقي في حياة ... تعود إلى درك من شقاء
تحيرت يوماً بعجزي وضعفي ... وفكرت في قدر أو قضاء
فقلت لروحي هل الضعف منك ... أم الجسم يهوى الردى والفناء

ثم يعود بالتدبر عن حيرته ويلجأ إلى الله سبحانه وتعالى، فيقنع بإرادة الباري عن طريق الحوار التأملي بين الجسم والروح :

فلولاك، ما نبضت بالدم ... عروق ولاحل في الجسم داء

وهو يشير إلى قدرة الباري الذى جعل الطين إنساناً عاقلاً بانياً مستبداً في الأرض ومع ذلك لا يقاوم الضعف في طبيعته التى يدرك من خلالها أنه سيعود إلى الأرض كما بدأ :

فهل أنتِ.. يا روحُ من جوهرٍ ... نقي.. وما الجسم .. إلاّ رداءْ!!
يعود إلى الطّين.. من حيث جاء ... على الرغم.. من ولعٍ.. في البقاء!!
خطيئتهُ .. في الورى .. شاهدٌ ... على ظلمه.. رغم عدلِ السماء!!
فلولاه .. لم يَختلجْ .. لحظةً ... باعماق.. قابيل يوماً.. عداء!!
ألم تنفجرْ من يديه الدّماء ؟ ... ليلفِظَ منه التُرابُ الدمـاء ؟

وهو يقف عند الروح والجسم في محاورة، وأن الجسم أكثر مكابدة، وفي ذلك شقاء ومرض، وما مصير الروح، وهل الإنسان يدرك علة ذلك، لا يدركه إلا اللطيف الخبير :

فقال .. لي الرُوح.. لستُ الذي ... تكابد .. دنياك منه الشّقاء !!
ولست أنا .. موكلاً بالشفاء ... إذا .. ما اعترى الجسم والعظم داءْ!!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قضاءٌ..!! وهل يملك المرء أنْ يردَّ .. إذا شاء حكم القضاء ؟!

وكيف يدرك الإنسان تكوين العقل من الطين، وكذلك الذكاء، والدم واللحم تلك في الإنسان ذلك العالم المجهول ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ :

فقُلتُ .. تعاليتَ يا خالقاً من الطِّين عقلاً.. قويَّ الذَّكاءْ!!
أغثني بنور يضيء .. الفؤادَ فإنّي من كُلِّ زيغٍ .. بَراءْ!!
ويا خالق الكون.. والكائنات ومانِحَها .. فطنةً .. أو غباء !!
أعدني إلى النُّورِ .. يا خالقي إليك.. إلى لحظةٍ.. من صفاء!![1]

وفلسفة الحب عنده تخضع لمبادىء سامية، فالاحتجاب والامتناع، وعدم التبذل نابع من الدين، ثم الحياء، وقد نشأ الفرد في بلادنا على هذه القيم، فانغرست في كيانه، وهو إن رأى المتبذلة المستهترة يشمئز منها، ويرى أنها فقدت أنوثتها، وإن الذين يدعون الأشواق إنما هم ذئاب مفترسة، تصطاد، كل يوم فريسة جديدة يقول مقبل العيسى :

اعذريني .. إن كنت لا اشتاق يزرع الشوق في فؤادى الخلاق
اعذريني وإن تفرَّدتِ بالحسن لناديك .. وأرتمي عشاق
فلئن أمطروك يوماً بشوق ليس صعباً على الذئاب النفاق
أو أراقوا من اجل عينيك عطراً معدن الخمر معدن لا يراق

وهو لا يجذبه الحسن المنطلق المتاح الذى لم توطره الأخلاق و لم يصنه الحياء، ويحميه العفاف وأن يكون سامعاً عالياً لا هابطاً ساقطاً مبتذلاً، والجمال لا يدنس ولا ينتهك :

فاعذريني.. إن كنت لم أبد شوقاً لجمال.. قد نال منه.. انطلاق!!
أعشق الحسن .. غير أني أراه..!! في جمالٍ.. تصونه الأخلاق..!!

---

[1] الهروب من حاضر ١٥.

قيمة الحسن .. أن يكون .. شموخاً بل شموعاً يروع.. منها احتراق!!
واحترام الجمال عندي .. سيَبقى لي حياةٌ .. فمبدئي عمـلاق!!
مبدأ الحـرِّ.. أن يكـون .. لحسـنٍ ظلُّ شمسٍ .. يزينها إشـراقُ!!
ما على الحسن.. أن يروم انطلاقاً يُزْهرُ الغصنُ.. أن زكت أعراق!!
فالجمـال الأصـيل.. يشقى بقيدٍ مثلما قد يهون .. وهو انعـتاق!!
ولئـن كان .. للجمـال .. قـيودٌ فقيود الجمال.. عندي الخلاق!![1]

إذن فإن الالتزام هو صون للجمال ولا يكون إلا بالأخلاق التى تمنـع الفحـش والتهتـك والشـاعر السـفير، الـذى رأى روائـع الجمـال في أوربـا وغيرهـا لم يغـره ويأسره، إنما نظر إليه نظرة إشفاق.

فالشاعر يتعجب من الإنسان الذى يتمرد على خالقه، فهذا العقـل البشـرى لم يدرك الظاهر المكشوف أمامه من آيات الله سبحانه، وهذا دليل ضعفه، وكذلك لم يكشف أسرار الطبيعة من حوله، فإن الضعـف والقـوة تختلفـان، فالإنسـان ضعيـف أمام كثير من مظاهر الكون، وغيره أضعف، حتـى النملـة يطأهـا ويسـحقها لكنهـا قوية على النمل الآخر، على كثير من مخلوقات الله فيما هو أدنى منها :

فإن هوى غيّاً.. برغم الهدى يكن .. بحبل الجهل مسـتفداً!!

* * *

لا يفترِي العقل على.. خالقٍ فإنْ غوى يوماً .. فقد بدَّدا!!
مَنْ يجرِىءُ يوماً.. على خالق يضقْ.. بما أبداه .. عند الرَّدى!!

* * *

هل يجترِي.. ضعفٌ على قوة..؟! والضّعف.. في الإنسان لا ينكر!!
كم نملةٍ صالت .. على نملةٍ لكنّها .. باللّمـس قد تُنحر!!
لو جال فكرٌ في مدى نفسهِ يشقى.. بما يُملي النُّهى الأكبر!!

فإذا صعد بصره وبصيرته إلى أعلى، اقتنع بقـدرة خـالق هـذه الآفـلاك إلا مـن

[1] المرجـع السابق ٨١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تمادى في الغي والزيغ :

أو دار في الأفلاك.. يوماً يرى سراً لهذا الكون.. لا يقهر!!
مـدارك الإنسان قد ترتقي والعجز منها.. بالنُهى يجبر!!
فإن تمادى العقل .. في كبره ينهدُّ.. منه السَّيف والمغفر!!

ثم يعلن أن هذا التدبر ومعارضة الباطل، نابعة مـن فـؤاد مؤمـن متدبـر لا مـن فؤاد عقيم لابغي ..

يا ربي.. شجبي للنُهى لم يكن ألاّ.. انتفاضاً من فؤاد حميمْ!!
ماكنت يوماً .. للنُهى منكراً كلاّ.. ولم أجنح لفكرٍ عقيمْ!!
بل كنت دوماً.. بالنُهى أهتدي لكلّ نهجٍ.. في حياتي قويمْ!![1]

ومقبل العيسى من أولئك الذين مالوا إلى الطبيعة يتأملون فيها، بفلسفة عقليـة، مستلهماً التوحيه الرباني، ولولا هذا التوجيه لتاه في فيافي الشك الفلسفي الذي تثيرة الذات وتدفعه إلى الإحساس بالأشياء، والانفعال بها وشاعرنا مـن أصحـاب الحـس المرهف والمشاعر الوجدانية وتلك مدعاة للهاث وراء بريق الجمال، وبريـق الأفكـار لكن إيمانه بالله أنار له التفكير المستنير، ومن هنا لم يتهالك وراء معالم الجمـال، بـل وظواهر القوة البشرية في الفرد والجماعات وإنما استلهم وجدانه من التأمل في معالم الجمال الكونية ومن أبدعها ومن مدبرها، وجعلها تعيش في ألـوان شتى مـن معـالم الحياة لما يناسب الإنسان والحيوان والنبات كل جزئية لها عالمها.

فما هذا الجمال الكامل في الكون بأسـره، ومـا هـذه الآفـاق، وتلـك الروابـي الخضراء والأطيار، كيف ؟ ولماذا ؟ وأين ؟ أسئلة يثيرها الباطن فلا تجد إجابة شـافية إلا عند المؤمن، فلولا إيمانه لذاب في أتون الفلسـفة الرومانسـية ليحـاول الكشـف والخلق كما يدعون وهم غير قادرون :

---

[1] الغروب من حاضر ١٢.

ما أبدع الكون.. وأبداعه..!! جمالٌ ما ينشقُّ .. عنه الثّرى !!
فهذه الآفاق.. مَنْ صاغها..؟! ثوباً .. قشيباً في الرُّبى.. مُزْهراً؟!
وَبُرْعم الأغصان.. من شقّه لتجني .. الأفواه .. ما أثمرا؟!
ومَنْ هدى الأطيار من خولها أنْ تبني الأعشاش.. فوق الذُرى؟!
بل مَنْ برى من نُطْفَةٍ .. عالماً يفنى .. ؟! فأعيا الخلق ما قدرًا !!
وبثَّ في قلب الورى.. فطنةً تَهدي.. بما أخفى.. وما اظهرا؟!
من لم يكن من قلبه .. مخبتاً لا شيء يهديه .. أذا أحدا!!
فقد يزوغ.. الفكر منه.. أذا أمسى.. بأهل الغيّ مسترشدا!!

ويرى أن الطفولة هى الفطرة، وهى الأهدى، والأكثر إيماناً، ومنزرع الإيمان في الإنسان لكنه، قد ينحرف عن الاستقامة، بفعل ضلال العقل، وتأثير المجتمع المنحرف مع أن كل ما فى الكون آية تدعو إلى معرفة الله سبحانه وتعالى :

فالطّفل لا يصبو إلى .. هفوةٍ ألاّ.. أذا استغواه.. من عربدا!!
طبيعة الإنسان .. أن تهتدي بالعقل.. لكن قد يعاف الهدى!!
وكلُّ ما في الكون.. من آيةٍ تدعو لباري الكون أن يُعبدا!![1]

وتتدفق عاطفة الحب السامي في قصيدة (إلى طفلتي) للشاعر مقبل العيسى، فهو وابنته كالطل يلامس الزهر، وهى نعيم الحياة للشاعر، وهى جنته فى هذه الدنيا، وهى مصدر حنانه وحبه، ويداعب أحلى الأماني في ملاعبته لابنته، فيرى فيها البراءة، والحب المحض الذى يشع من العينين، وهل هناك أكثر شوقاً من حب الطفولة وحب الأبوة إذ يلتقيان ؟!

لعينيك .. يا طفلتي الغالية !! أبوحُ بحبي .. وآماليـــه ..!!
أبوحُ بحبي .. لهذه الحياة كما باحت الطيرُ .. للدّاليه..!!
كما باحت الزّهر.. في قفرةٍ إلى قطرةٍ .. للنّدى حاليه..!!

[1] المرجع السابق ٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فأنتِ لقلبي .. نعيم الحياة وعيناكِ لي .. جنّةٌ غاليــه ..!!

* * *

لأجلك .. يا طفلتي أنتمي فؤاداً .. إلى كلّ قلبٍ حنون..!!

أُداعبُ أحلى المنى.. بل أرى بعينيك .. هذى الحياة فتونْ!!

أرى فيهما .. فرحةً في اللّقاء وهل يفضح الحبَّ .. إلاّ العيونْ؟!

وحبُّ الطفولة .. فوق المدى كحبِّ الأبوة.. فوق الظُّنونْ..!!

والأولاد في طفولتهم مصدر السعادة للأبوين، وهم زهور البيت، ورفيف الهواء العليل، وهم رياضه، وهم أقماره وأنواره :

سأفرح.. يوم ينادي الرَّبيع!! عليك .. وتبسم .. أزهاره..!!

وحين يوافيك.. سحر الهوى وتشرق.. في البيت.. أقماره..!!

سأفرح.. حين يجود.. الزَّمان بسعدٍ .. وتنجاب أكداره ..!![1]

والشاعر يرمز إلى المرأة بالزهرة لكنه رمز مفرد، لا يلبث أن ينجلي فقد زار طيف المرأة الجميلة الحانية التي تزيل الشقاء، وتكون روضاً روحياً للشاعر، وهو حين يبحث عنها لا يريدها لإشباع الشهوة، والارتواء من الظمأ إنما ليبثها همومه، ولتكون الحانية الرؤوفة به، فالمرأة في نظره هي مصدر السعادة والطمأنينة :

أوَّاه .. يا حبيبتي لو تعلمين ..!!

كما أنا .. مُتيَّمٌ حزين ..!!

الشَّوق غمرٌ .. والفؤاد دائم الحنين ..!!

إلى الضِّياء من عينيك ..

يا حوريَّة .. العيون ..

للدِّفء .. من فؤادك الحنون ..!!

فهو يبحث عنها في أسفاره وترحاله لأن فيها الراحة بعد العناء :

---

[1] الهروب من حاضر ٧٨.

لقد بحثت عنك كلَّ حين ..!!

لا تشتكي إليك .. غربتي ..

وحيرتي .. والشكَّ .. واليقين ..!!

لكنَّ البحثُ عنك .. طال ..!!

كالبحث ... عن معالَم الطَّريق ..

في الرمال ..!!

كالبحث .. عن محالْ ..!!

ويسأل عنها الرياض الغناء لأنها تجمع مفاتن الطبيعة، ففيها الماء الزلال، وفيها الجمال الكلي، وفيها الزهر، وفيها النسيم العليل :

سألتُ عنك .. كلَّ حقل للنَّدى ..

وبيدر الجمال .. والهدى ..!!

وساحة الضَّمير ..

وعنك قد سألتُ زهرة الرَّبيع ..!!

لأنَّ فيك من أريجها عبير ..

وفيك من عطاء الغيث .. والغدير ..!!

☆ ☆ ☆

لكنَّما .. صدى السؤال ..

يرتدُّ دائماً .. في مسمعي .

ليلاك .. زهرة الخيال ..!![1]

---

[1] الهروب من حاضر ٤٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عثمان بن سيار المحارب[1] :

عثمان بين سيار المحارب، ولد بالمجمعة عام ١٣٤٨هـ - درس الابتدائي والثانوي في المجمعة، ثم انتقل إلى دار التوحيد، وأكمل دراسته الجامعية في كلية الشريعة بمكة المكرمة، وتخرج منها عام ١٣٧٣هـ، حصل على دبلوم الدراسات العليا من المعهد العالي للدراسات والبحوث بالقاهرة.

عمل في التدريس، ثم في الرئاسة العامة للكليات والمعاهد قبل أن تتحول إلى جامعة الإمام ثم استمر في التوجيه التربوي حتى أحيل للتقاعد وقد التقيت به عندما كان مديراً للتوجيه في الجامعة، وعندما كنت مدير المعهد العلمي بتبوك .

صدر له ثلاثة دواوين :

١ - ترانيم واله. ٢ - إنه الحب. ٣ - بين فجر وغسق.

وهو شاعر وجداني ذاتي في جل شعره، وله وطنيات تستشعر روح المثقف العربي عامة، وهو قصير النفس فليس له قصائد طويلة ولا مطولات بل قصائد قصيرة وهو ليس من أولئك الذين يفصلون القضايا بل يرمز لها رمزاً، ويتشكل شعره من ذاته وفكره الثقافي، ولم يطور شعره، فهو متقارب الأسلوب، ولم يعن بالظواهر البلاغية كما لم يعن بالكلمة الشاعرة.

وهو كثير الأسفار للبلاد العربية، وتكررت الإشارات للمغرب العربي في شعره، وكذلك لبلاد الشام.

وهو شاعر غمرته الأحاسيس العاطفية فهو معني بالحب، هيمن على وجدانه واكتوى بناره، وتلهف على نسائمه، وأنغامه، واستمرأ أحلامه وأوهامه.

---

[1] انظر، شعراء نجد المعاصرون لابن إدريس، ومعجم الأدباء والكتاب.

شب في صدري حريق الأمانـــي منذ كان (المغرور) ابن ثمان
وأشـــرأبت عيونه للغوانـــــي أسرته لبه العيون الروانـــي
عرف الحب رعشة تعصر القلب ولقيا تمـــــده بالحنـــــان[1]

وتمادى في هيامه، وطار في مغانيه، واستلذ بألاعيبه، ومداعباته، ورنا إلى المرأة، طروبا لعوبا مولها في أسر الحسان يتنقل من لذة لقيا إلى وجد جديد.

فاستحوذت المرأة على حياته، وتربعت على عرش شعره فهي مصدر سعادته، وشقاوته يعيش في ذكرياتها الدائمة، لكنها لاتخضع لتجربة غزلية واحدة، وانما يتعشق الجمال أنى لاح، ويعيش ذكرياته كلما زال فالمرأة رياضته النفسيه :

فـؤادي أي كل أرض درجت عليها حبيب به تنسب
تغنية أحلى أغاني الغرام ويقصيه عنك المدى الأرحب
ترجعه زفرة زفرة أمالك عن حبـــــه مهـرب ؟ ![2]

تلك هي حالته وحياته، وقصائده الوجدانية تحكي موجة مـن موجـات الحـب لاسيما بعد أن حضرت حادثته في قلبه فهو خطـرات لذكريـات ممـا جعلـه يـأتي في قصائد قصيرة جداً، أشبه بالقصة القصيرة.

والمرأة تتجسم له في كل شيء، فهو يراها في الطبيعة وفي الأوطان، وفي الحرية. يقول :

بنت الشآم عرفت الجوى مثلي لما عني صبـت السلام[3]

ويمثل الوجدان في ديوانه الأول (ترانيم واله) والثاني (إنه الحب).

---

(1) إنه الحب ٧.
(2) المرجع السابق ١٣.
(3) المرجع السابق ١٢٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبعد أن دلف إلى الكهولة، تحول إلى عشق الوطن، فنظم شعره في الجزيرة، وبعض المدن لاسيما بلدته المجمعة، فتحتل الوطنيات مساحات من ديوانه " بين فجر وغسق " ولسان حاله يقول :

لم تعد تأسره حمر الشفاه ... ولاسحر العيون النوم

لذلي السهد كأني موجع ... في الدجى يرقب مسرى الأنجم

أتملى العيش قلباً حائراً ... بين تاريخ وضيء معلم

وحياة كسيت أرجاؤها ... بسواد كضمير المجرم[1]

وتظهر معالم الوحدان في شعر ابن سيار في الغزل، والغربة، والوطن.

١ - وشعره الغزلي ينجم عن تواد وتلاق، وملاطفة ومداعبة، فيكون الفراق عامل له أثره في نفسية الشاعر، فتهيج مشاعره، لصدى الذكرى الفائتة، فهو يجري وراءها ويستعيد خطراتها، فيتمنى اللقاء، وترتسم معالم الحسرة والألم على الشاعر الواله، وله قصيدة (نداء) يناجي فيها فتاته التي أثارت اشجانه والتي خلقت له الضنا والنحيب، وحطمته قبل المشيب، ويطول نهاره المنتظر :

يا حبيبي أدعوك هلا تجيبُ، ضاق بي الهم، والضنا، والنحيب؟!

أنا في ميعة الشباب حطام شاب من قبل أن يحين المشيب

شاعر زاده التهاويم، والأحلام، والشدو، والخيال الرحيب

ليلتي فجرُها بطيء التجلي، ونهاري شموسه لا تغيب

أرقتني أطيافُ ماضي حبيب، كلما لُحن لي أكاد أذوبُ

وعودة الحبيب فيها نشوة الحياة، وجلاء للقطوب والكآبة، واحتجاجه فيه

---

[1] بين فجر وغسق ٧٦.

الهلاك والذبول والشحوب وهو يستنزله بذكر لهيب الشوق والدموع، والمرح، وحلو القول :

يا حبيبي عُد لي تعد لي حياة لم تشبها كآبة أو قطوب

قبل أن يطمس المنون محيا، ما علاه لولاك هذا الشحوب

وأذكر ساعة لقيتك فيها، مقلتي دمعة وشوقي لهيب

أين ضحكاتنا، وقد لفنا الليل، وغصن الغرام غض رطيب

أين يا فتنتي عتاب يرف الحب في ظله وتشدو القلوب

وعناد أشتاقه من حبيبي هو عندي مهما تمادى حبيب

ثم يستمطر الفراق بين العاشقين، ففيه الوله، وإشرقة الوجدان الحزين، وفيض الدموع الغزير واضطراب القلوب.

يا حبيبي هلا أدكرت حنيني، قدمي حائر ودمعي صبيب

يوم ودعتني فراعك مني أن تعالى في الصدر مني وجيب

ثم غبنا في قبلةٍ سكر الحب بها، وانتشى الفؤاد الكئيب[1]

إن شعره يمثل ذلك الآتي من صحراء جرداء إلى رياض غناء رائعة المنظر فيه الحياة وفيها نشوة الروح، فأخذت عليه لبة فهو دائم النجعة لها.

٢ – الغربة :

وغربة الشاعر نابعة من حياته الغزلية التي تعلق بها، فهو ينتقل من بلد إلى بلد يمتع ذاته بروائع الجمال وكأنه نسى حياته الذاتية العائلية، فتآخر عن الانجاب مما جعله في غربة في يوم عيده فكل يأنس وتهتز الدار طربا، فإذا به منفرداً :

---

[1] إنه الحب ١٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

طال لَيلِي، واستطالَت وحدَتي، نازحَ الدارِ، مَدِيدَ الغربةِ
هرع الناسُ إلى أعيادهم، كل ثغرٍ طافحٌ بالبَسمَةِ
وطواني ركنُ بيتي عابساً، وحدتي فيهِ تناجي وَحشتي
كلما اجترُّ ذكرى فرحتي ذاتَ يومٍ تَتداعى عَبرتي
خُلقَ العيدُ لكيما يزرع الفرحَ وَرْدِيًّا بِقَفْرٍ مُسنِتِ
وهو للنائين عن أحبابهم كربة ما بعدها من كربَةِ

* * *

مرَّ بي العيدُ فسألَت دمعةُ العِيدِ حرَّى أينَ منها دمعتي؟؟
شامَنِي في فرحةِ الناسِ وَلي أنَّةُ الثُكلى نَديمي آهَتي
لا تُرَعْ يا عيدُ إني مَفردٌ، غابَ عني مؤنسي في وحدَتي
أين مني فرحة العيد ولي شادِنٌ عني بعيد النجعَةِ ؟!
كان عيدي يومَ لقياهُ، وها أنا في الشَرقِ أُرجِّي أوبَتي
سارحٌ عنهُ، بجنبيَّ الجوى تتلظى نارُهُ في مُهجتي
غربتي طالت فيا عيدُ أَعِدْني إلى حِبِّي وبَدِدّ غربتي[1]

إذن فغربته ليست متأثره بالرومانسية المعاصرة إنما هي صدى لحياته الغزلية العابثه. التى غاب عنها الاعتدال، فهو لم يغترب فكرياً، أو بدافع اجتماعي، إنما لبعده عمن يهوى ويعشق، لكن غربته زالت بتغريد ابنتيه عنده بعد طول تأخير منه.

٣ـ **الحرية** : ويريد التحرر من تسلط الغرب على مقدرات الشعوب، فرمز إلى تلك الدول بالزنجية الحمراءرمزاً مكشوفاً، فهى امرأة، تأخذ وتكفر العشير، تمد يدها ولا تعطي، يستجاب لنداها، ولا تلبى طلباً، يدافع عنها، ولا تدافع إنها إمرأة ذات أنانية :

---

(١) بين فجر وعشق ١٣١.

سَلِ الزنجية الحمراء في ألياء واديهـا
أما زَالت ترانا إن دعت نصغي لداعيها
أبعد الكفر بالنعماء تجرمنا، ونعطيها ؟!
وتنصر من يعادينا، وتغضب أن نعاديها
وصلناها فما وصلت وجارت في تحديها
وأسـقتنا على ظمإٍ زعافاً من أياديها
فلِم تنكرُ إن لحن أتينا اليوم نسـقيها
لقد كنا لها يومـاً أحباءً نراضـيها
ونصدق في مودتها كراماً لا نداجيها
وعند الجد أدركنا هواها كان تمويها

* * *

فيا زنجـية في لحظها شُمنا معاصـيها
دعينا من (أحاديث) الهوى عفناك رُديها
ودوري في رحاب الأرض مهما شئت دوريها
قفلنا دونك الأبواب قاصيها ودانيـها
فلن تلقي سوى غر إذا ما بعتِ يشريها[1]

وتلـك شـأن الغـرب في مقـدرات العـالم الثـالث الـذي يسـتفيد مـن ثرواتـه، وأسواقه، ويلبي رغباته، ولا صدى لذلك، وكانت هذه القصيدة إحساس المجتمـع في تلك الفترة عام ١٩٧٣م أيام الحرب مع إسرائيل، وبعدها إعلان رفع أسعار البترول، فكان له ثمرته لأقتصاد البلاد.

والشاعر يستدعي المرأة للوحدة التي تجمع الأوطان، وتقـودهم إلى النهضـة،

---

[1] بين فجر وغسق ٤٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فالشعر يبتهج بها، والمجتمع يتفاعل معها، والفكر يتداولها ويريدها تكتسي بالحرية التي تنشر الآمال، وكل فرد ومجتمع يعمل من أجلها :

حيُّها يا شعرُ في فجر صباها حيَّها كالروض معطاراً شداها
حدثوا عنها، وعن ميلادها فاشرأبَّ القلب وجدًا للقاها
هيَ بنت الشمس في إشراقها أتراها تنزع الأم غُلاهَا
نحن في شوق إليها حرَّة تنشر الآمال في شعب طواها
نحن في شوق إليها فبَّا يحرق الأجفان في ليل كراهَا
بسنا الإخلاص يزهو جيدها ومن الوحدة، والحب رواها
يجمع الأوطان في صفحتها هاتف حر، تلبي إن دعَاها

وهو يعلن تبرم الأمة افراداً وجماعات من التخلف الذى يرسفون فيه فالجهل أدل دعائمة، ولا إزاحة له إلا بتعليم الشباب ففيه اليقظة :

قد سئمنا في الدياجي ناعقًا يوسع الظلماءَ مدحًا إذ يراهَا

☆ ☆ ☆

يا حُداة الفجر من مشرقه أشرعوا الأقلام واحدوه نزاهَا
فوق هذي الأرض منا أمة فنيت إلاّ رسوماً تتباهى
كبَّل الجهل قواها فمشت للمنى زحفاً، فهيهات مناهَا
أمطروها من شبا أقلامكم أدباً حياً، وعزماً، وانتباهَا
علموها كيف تبني مجدها واحملوا المشعل في ليل سراها
علموها أن لِلذلِّ يدًا من تراب الجهل والجبن يراهَا
أيقظوا فيها شباباً خاملاً هام في بيداء لا يدري مداها[1]

☆ ☆ ☆

(1) بين فجر وغسق ٨٨.

يحيى توفيق :

هو يحيى توفيق حسن جاد الله، ولد في مدينة جدة عام ١٣٤٩هـ وقيل ١٣٥٤هـ درس في مدارس الفلاح، ونال شهادتا الثانوية عام ١٣٦٨هـ، تعلم الانجليزية والتحق بدورات في التجارة والعلاقات العامة، ثم عمل مديراً عاماً لشركة الحاج عبد الله علي رضا وشركاه بالدمام ثم انتقل إلى مدينة جدة في ١٣٩٠هـ.

والشاعر يحيى توفيق من شعراء السعودية الذين يعيشون في عقدهم السادس وتألقت شاعريته بعد صدور ديوانيه (سمراء) و(أودية الضياع) وكثير من القصائد المبثوثة في الصحف السعودية، وغزارة نتاجه جاءت متأخرة بعد أن تجاوز الأربعين من عمره أوقل كثافة نشره غير أنه أكد على قلة نتاجه الشعري في مقدمة ديوانه (أودية الضياع) لكن صدرت له مجموعة شعرية تضم خمسة دواوين قبيل صدور هذا الكتاب.

وقصيدته الغنائية (سمراء) لها مكانتها البارزة في نفس الشاعر، فقد أطقلها على ديوانه (سمراء) وقد استهل بها ديوانه (أودية الضياع)، وديوانه (سمراء) عشرت على طبعته الثانية وهوبمجموعة من القصائد، يغلب عليها الوجدانيات، ومجموعة أخرى من الرباعيات الغرامية أيضاً، ويضم قصيدتين وطنيتين هما (ابن الجزيرة) و(العيد الوطني)، وقصائد أخرى قيلت واحدة منها أمام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، ومقطوعة أمام الأمير سلطان بن عبد العزيز.

والديوان يمثل مجموعة من القصائد المتباعدة العهد، والمختلفة المضمون، فبعضها عام ١٣٦٩هـ ومنها ما هوفي عام ١٤٠٤هـ مثل قصيدة الفرسان الثلاثة وهم الأمير عبد الله الفيصل، وأحمد عبد الغفور عطار، وطاهر الزمخشري، الذين فازوا بجائزة الدولة في الأدب.

أما ديوانه (أودية الضياع) فهوأكثر تألفاً وتوافقاً، فيشمل على أكثر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وجدانياته، والشاعر الذي غلب عليه الوجد فإنه يحرص على تقديم الوجدانيات في ديوانه ثم يورد بعدها شعر المناسبات والأخوانيات، وربما لتصنيفه هذا رغبة ذاتية لميله لشعر الشعور والإحساس، وكذلك فإن قدرته الفنية وجودة شعره في المناسبات أقل جمالاً من وجدانياته التي أبدع فيها، وربما إن إحساسه بغلبة الوجدانيات هوالذي أوحى له بتسمية ديوانه (أودية الضياع) تلك التي تنفر منها الآذان، وينغلق منها الصدر، ويمجها العقل، فليس كل من قال شعراً وجدانياً ضاع وتاه، وإنما هي نزعة من النزعات سرعان ما يعود الإنسان عنها، وبعضها الآخر يتسم بالعفاف ويبتعد عن المجاهرة، وما ظهر لنا من الديوان فإنه يبتعد عن الغزل المكشوف والمجاهرة بالفحش.

شعره :

الرقة والعذوبة والحلاوة، ورشاقة الأسلوب وسهولته وحسن الانتقاء للألفاظ، وجمال التركيب وتناغمه وتلاحمه، وتواصل وشائجه وجمال تركيبه، سمات متبلورة بارزة المعالم في شعر الشاعر الحجازي، يحيى توفيق، توالد كل ذلك عن البيئة الحجازية التي تمثل لب الحضارة في الجزيرة قبل الإسلام وبعده، فقد كانت مكة المكرمة العاصمة الحضارية للعرب، ثم جاءت الدولة الإسلامية والخلافة وتلاهما الثراء في العصر الأموي.

إذن فإن التراكم الحضاري الذي يولد الرقة والحضارة والترف كان له كبير الأثر في تكوين ذهنية وأليات الشاعر الفكرية والذوقية واللغوية والاجتماعية، ويتواصل في نمطية سلفية مع أسلافه عمر بن أبي ربيعة، والعرجي، وعبد الله بن قيس الرقيات، وينهل من رحيقهم، ويرتشف من سلافتهم فهويتواصل مع عمر بن أبي ربيعة في سرده القصصي مع سهولة ويسر وقرب المأخذ، ويتلاقى مع عبد الله بن قيس الرقيات مع حسن النغم وخفة النبر وعذوبة الصوت وتناغم الإيقاع.

فابن قيس نشأ في خضم الإيقاع الغنائي في المدينة المنورة وصحب المغنين والمغنيات في صباه فكان له كبير الأثر على موسيقاه الشعرية التي تمثل الخفة والرشاقة، وكان يخضع شعره للأصوات الغنائية المعاصرة.

ويحيى توفيق استهل ديوانه (أودية الضباع) بقصيدة سمراء التي تشنف الآذان وتدعو إلى الاستمتاع وتطرب القلوب :

سمراء رقي للعليل الباكي	وترفقي بفتى مناه رضاك
ما نام منذ رآك ليلة عيده	وسقته من نبع الهوى عيناك
أضناه وجد دائم وصبابة	وتسهد وترسم لخطاك
أتخادعين وتخلفين ميعاده	وتعذبين مدلهاً بهواك
وهوالذي بات ساهراً	يرعى النجوم لعله يلقاك

والشاعر يسرد قصصه الغرامية في لمحات خاطفة، بعيداً عن التفصيل، والتجسيم، والكشف للعورات، غير أنها في أسلوب يخلب الألباب، ويتناسب مع الرقة النفسية التي تشع من لقاء الأحبة وهي إلى السردية والسطحية أقرب، الأمر الذي يجعلنا نقرنها بالشعبية التي تمحورت في شعر أبي العتاهية فلا هي بالساقط ولاهي بالمستعصي بل هي السهل الممتنع :

عيناك حلمي والمنى لقياك	فدع الصدود وصالحي مضناك
عيناك ليل غامض في سحره	ذوب الشجا ورؤى الفؤاد الباك
عيناك ألهمتا فؤادي نبضة	حتى دعتني للهوى عيناك
كم كنت أنعم بالحياة وبالصبا	حتى دعتني للهوى عيناك
ففقدت في رنق الشباب سعادتي	وأضعت عمري في انتظار لقاك[1]

[1] أودية الضباع ١٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تلك أبيات من قصيدة (عيناك) ونلحظ تكرار لفظة العين مثناه أيضاً ليدل على أثرهما في نفسه، وعمق أثرهما لفؤاده، واكتمال جمالها، فأخذ يلهج بهما ولايسأم منهما، وزاد من جمال اللفظة المدة التالية لها الكاف المجرورة لتأخذ مشاكلة بين اللفظة والتأثير النفسي.

أما قصيدة (خلجات القلب) فتمتد بجذورها لتركيب القصيدة العربية حيث المقدمة الغزلية الطويلة ثم الاستغراق في بث شجونه وأحزانه مما يعتريه من الغربة عن الوطن والمجتمع معاً، مضمناً لنا شعوره في حكم برهانية :

أمبق على الذكرى تصون وتؤثر	أم الشوق قد ولى فما عدت تذكر
ليالي كان العمر غصناً يانعـــاً	وأنت على عرش القلوب تسيطـر
تقرب من تهوى وتبعد من دنا	وتختال في عز الشباب وتأمـــــر

فنحن أمام عقلانية منطقية قد ماجت على خاطر الشاعر بعد تقاضي زمنها واندثارها، وإن بحاورتها لحالته الشعورية التي تنزف بالشكوى اطفأت من إشراقة الحب فيقول شاكياً غربته :

تغربت أعواماً وواجهت غربتي	وحيداً فلم أجزع وذوالعز يظفر
ولا أهل حولي يسعدوني ولاأخ	أسر له حالي فيأسو ويجبر
غريب وأشجاني يسهدني النوى	أكابد آلام الفراق وأصبر
يعذبني شوق يقتلني أسى فابكي	وجوف الليل لدمع يستر
رأيت غريب الدار أعمى وإن يكن	حصيفاً سديد الرأي عيناه تبصر[1]

والتنويع بالحب الغزلي والحب الوطني في قصيدة (خلجات قلب) له دلالته، فالشاعر يؤمن بتنويع اتجاه القلب،ولم يشأ حصره، وثباته نحو عواطف الحب للمرأة

(1) أودية الضياع ١٣.

وحسب، فخلجات القلب حاوية لحب المرآة وحب الوطن وحب الأهل، وبين الكراهية والبغضاء، وقد تشكل نهجه هذا في بعض قصائده، وكما قال ابن الرومي بأن الشاعر يصف ما عون بيته، فإن الشاعر يحيي توفيق ينقلنا حيث مواطن الحب الحضري، بين الخمائل والشرفات والمنتزهات والحدائق المنزلية والشواطئ البحرية، يقول :

وأخذت مختلساً أراقب كل لحظات اللقاء

ورأيته يوماً يشير إلى الحديقة في رجـــاء

وعرفت بقيته.. لقاء في الخميلة في الخفاء[٢]

ومنه :

في شرفة البيت الكبير أمام منزلنا القديم

وجه يطل بجرأة في هدأة اليل البهيـــم

ويقول :

وعلى الرياض إذا خطرت فعرجي ... نحو الخميلة وانشري رياك

فلعلني يوماً ألوذ بظلهـــــــا ... فأشمه وأعيـش في ذكـراك

وأهيم فيها كيفما شـاء الهـــوى ... وأعيش فيها عيشة النساك[٣]

ومن أبرز الظواهر الفنية في شعره اجتراره ألم الفراق والحسرة فلا تنفك عنه قصيدة من القصائد إلا ما ندر، لذا فإنها تلوب حول موضوع واحد ومن شأنه أن يكرر المضامين تماماً كما حدث للشاعر المرحوم أحمد إبراهيم الغزاوي الذي عاود الإنشاد في حولياته في الحج فتبلور تكرر المضامين وإعادة الابتهال ووصف الأمن

---

[٢] المرجع السابق ٣٥.

[٣] المرجع السابق ١٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وغيرها ولكن نسجل للشاعر يحي قدرته على إخفاء التكرار، وقدرته التعبيرية فابتعد ابتعاداً كبيراً عن تكرار الجمل والألفاظ والصور، واستطاع أن يقذف بها في قوالب تبعد عن الملل والسأم.

ومما علا بجمالية الشعر عند يحيى توفيق التمازج بين الغنائية والمعاناة الذاتية الضاربة في جذور شعره، فالغنائية منحت الشعر قوالب فنية من حيث الجرس الصوتي، وموسيقاه الجذابة وحسن إيقاعه في النفوس، وقصر جمله وحلاوتها وانسيابها، فلما تلاحمت مع المعاناة التي اقتلعت الشعر ونسجته من روح الشاعر وشعوره ، فظلت تمثالاً شاخصاً فتشكلا بالذاتية ، فكل قصيدة سلافة شعورية ورحيق حب وذوب قلب وفيض من نبع متدفق بالعواطف الرقيقة، الأمر الذي جعل الـ (انا) تمد ظلالها وترسي دعائمها وتثبت أوتادها وتمد أطنابها في شعر الشاعر الوجداني، فلا يفتأ يذكر ذاته بضمير المتكلم، غير أنه يخفف من غلوائها أنها انسابت من نبع التجربة والمعاناة، لا من الشعور بالكبرياء والاستعلاء في حل قصائده، مع أننا لانعدم هذا ولاذاك، وتتجلى تلك الظاهرة في حل قصائده ونقتبس للقارئ بعضاً من قصيدة (وفاء).

أعندك للقلب العليل دواء ... فقد شفع من بعد هجرك داء

تضنين بالوصل العفيف تدللاً ... ووصلك للمحروم منك شفاء

وهجرك للمشتاق نار تذيبه ... وبعدك عني لوعة وشقاء

وقربك حلمي في منامي ويقظتي ... وأقصى أماني العاشقين لقاء[1]

وقوله :

رنوت بطرفك الساحر ... لتضني قلبي الحائر

(1) أودية الضباع ٨١.

وجدت ببسمة حيـــرى انارت ثغرك العاطر
كشفت السر عن وجه تجلى حسنه الباهـــر

ويظهر أن شاعرنا ليس من المتهالكين في الحب رغم غزارة نتاجه في الوجدانيات وهو يتحلى بالصبر ويجاهد نفسه عن الاستسلام للوهن المخادع للنفس المنحرف بها إلى التيه والضياع، وفلسفته في الحب بمنأى عما درج عليه أسلافه من الشعراء العذريين الذين ظلوا أسيروا الحب طوال حياتهم وسحب من تحتهم المبالاة والنظرة المعتدلة لمتطلبات الحياة ومقوماتها فغلب العشق على سلوكياتهم، فلا عزيمة ولا صبر ولا جلد، ولا حياة مستقرة متوازنة كما حدث لعروة بن حزام وعبد الله بن عجلان النهدي ومجنون ليلى وجميل بثينة وغيرهم.

وكانت قصيدة يحيى توفيق تطرح فلسفته في العشق حيث يقول :

فلا خير فيمن يذهب الوجـد لُبَّهُ فيلبس ثوب الذل للعيـش قربانـــا
أخا الشوق يكفينا من الحب عطره فتحت ظلال الحب تزهر أمانـينا
بلينا فكنا الصـــابرين على الجوى وكنا على ريب الزمـان المجـــرينا
نحن ونهفو للغـرام وربـــــــما طـربنا لوهم خادع عاد يضنينـــا
وما الحب إلا الوهم يصـنعه لنـــا خـيال مريض إن أطعناه يشـقينا
ونحن على الدرب الطويل يقـودنا هوى النفس نعدو خلفه ثم يغوينا
سنصبر لا يدري الصديق برزئنـــا ونضحك حتى يخدع الضحك مكينا[1]

ويحق لنا أن نسم شعره بالفطرة الفردية التي لا تقنع بمذاق واحد ولا ملبس واحد ولا منظر واحد، كالطائر الذي ينتقل من دوحة إلى دوحة ومن غصن إلى

[1] أودية الضياع ٤٠، ٤١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

غصن ومن فنن إلى فنن، فهو دائم السير في الكون فيرى ألواناً من الجمال، غير أنه لا يرسي سفينته، ليرى عالم آخر وجمال آخر، وهذا اللون من العشق يسمى العبثية العاطفية.

والشاعر يرسم لوحات نابضة بالحياة الواقعية مليئة بالإيحاء والفتنة والحركية، لقدرته على انتقاء اللفظة الكثيفة الظلال التي تفيض بالتجربة الحية :

وودعتها عند الغروب لنلتقي	غداة غد في أيكة الدار في العصر
وجئت لميعادي وقد غاب أهلها	أسير بأشواقي وأسرع في سيري
أحاذر نشواناً وفي القلب سكرة	ألذ على الوجدان من سكرة الخمر
فلما رأتني رحبت بي واشرعت	عيوناً تذيب الصخر تومض بالسحر[1]

ويجدر أن ننبه على الخطأ المعنوي في قوله (غداة غد في أيكة الدار في العصر) ففي أول الشطر ذكر الغداة وهي الذهاب صباحاً ثم ثنى قوله (في العصر) وأظن الشاعر اضطر اضطراراً للأخيرة لأنه في غنى عن معناها ولكنه ليس في غنى عن موسيقاها ورويها.

صنف الشاعر ديوانه (أودية الضياع) تحت مظلة عناوين أربعة : النسيب، والوجدانيات، والمناسبات، والابتهالات.

وقد اعتمد على ما ورد في لسان العرب من أن النسيب رقيق الشعر في النساء وإن خف توهج الكلمة ودلالتها في أيامنا هذه واستعاضوا عنها بالوجدانيات، وأطلق الوجدانيات على ما يثير الإنسان، ويدعوه للتوتر بما فيه من حب وكره، وشحناء وبغضاء وتآلف وتباعد وسرور وشرور وقوة وضعف، ومنه (إني سائلك فلاتجد علي) أي تغضب، ومنه (والله ما بطنها بوالد ولازوجها بواجد) أي أنه لايحبها.

---

(1) المرجع السابق ٩٠.

وهذا يتعانق مع قول أحمد شوقي (فالشاعر من وقف بين الثريا والثرى يقلب إحدى عينيه في الذر ويجيل في الذرى، يأمر الطير ويطلقه، ويكلم الجماد وينطقه، ويقف على النبات وقفة الطل، ويمر بالعراء مرور الوبل، فهناك ينفسح له مجال التخيل ويتسع له مكان القول ويستفيد من جهة علماً لا تحويه الكتب ولاتحويه صدور العلماء)[1]".

ويحيى توفيق شاعر ينبض بذبذبات الحياة، فيهتز لها وتميله حيث تميل فيفيض شعره متأثراً بدواعي التوتر فينتمي إلى الوجدانيات، وإلى شعر المناسبات، وإلى التأمل والتدبر، وإلى الروحانيات ، ويطل كالطل عل الطبيعة، غير أن الغزليات هيمنت على اتجاهه الفني وتركيبه الأسلوب، وزادت مساحتها في دواوينه وقصائده، فأنت تشم عبيرها، ويندى قلبك بعليلها كلما حال نظرك في شعره.

وما يطالعنا في مساحة الوجدانيات من الديوان يدل على انكفاء الشاعر على ذاتيته الإنسانية، وإحابة التأمل في أفراحها وأتراحها؛ فبرز التنازع بين الإحجام والإقدام،والتبرم والصبر، والإباء والخضوع، والأمل واليأس، فإذا ما اصطدم بواقع المجتمع من الأنداد والأقران، فإن شعره يفيض بمرارة السخرية والنظرة الشررية لكنه يلجأ إلى ظلال الحكمة والصبر، وتسلية النفس باجترار معاناته في الغربة وتحليه بالقيم وكدحه في الحياة.

وقصيدته (غربة) تشخيص واضح لمعاناته، فهو غريب الديار وجيوش الليل تضطرم في جوفه لاتصدها أسوار الحزم، فالغربة تخترق الحواجز وترمي لصاحبها في غياهب المذلة والظلم، فلا مناص من مصارعة الزمان وتفجر القلب وتكلم النفس:

غريب وهذا الليل ويضرم فيّ همي ... وبعض صروف الدهر تلهو بذي الحزم

أحاول أن أحيا كريماً ومن يك ... غريباً يعيش رهن المذلة والظلم

---

[1] تطور النقد ١١٤.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أعيش أحزاني وحيداً مع النـــوى أصارع أحداث الزمان على رغـــم
وأكتم في صدري هموماً تعاقبـــت فشاب لها راسي وضاق بها كتـــم[1]

والشاعر صاغ كثيراً من قصائده في الدوائر الكبرى للمشاعر الإنسانية التي تقدح بها ذاتية الأفراد وإن اختلفت أزمانهم وتباعدت أماكنهم، فكل إنسان يتعانق مع الشاعر إذا فاضت أحزانه وأفراحه وحبه وبغضه في جداول لغوية فنية، أومتى أطال التأمل وأبدع في الخيال، فإذا تأطرت القصيدة بهذه المشاعر الشمولية ضمن لها البقاء والسيرورة :

أنا شمعة تذوي لترسل حولهـــا شعاع الحجى يهدي القلوب الصوديا
أبات وهم الناس همي كأنـــني سقيم وتقتال الهمـــوم منامـــيـــا
وقد صهرت قلب الشجون بنارها وصاغت صروف الدهر مني الحكاويا
وما انا إلا المرء كلي نقائـــص وإن كنت عف النفس والقلب وافـيا
صروف زماني والهموم وعلـــتي أطاحت بأحلامي وشلت صـوابيـــا
فأمسيت في وادي الضياع تحيطني شجون وبؤس بعد أن ضاع مـاليـــا
وأهون مفقود على المرء مالـــه إذا كان ماء الوجه والعرض باقيـــا
تُرِقُّ عيون الدهر للخامل الـذي ينام بلا هـم ويأبـى المعاليـــــا
وتقسو على مضني ينوء بهمـــه فتبلوه بالأحداث تلو المآســـيا
فمالي تداجيني الليالي فأنتشـــي وتختلني حيناً فتدمي فـؤاديـــا[2]

والشاعر لم ينفك عن الوجدانيات أسلوباً مضموناً، حتى في وطنياته فيستهل قصيدته (بني وطني) يقول :

دعيني يا بثينة في شرودي فقد سئم الغرام أسير غيد

---

(1) اودية الضياع ٩٩.
(2) اودية الضياع ١٠٨.

وبثينة رمز الطهر والعفاف والحب العذري ورمز الإخلاص والوفاء، تفـاني في حبها جميل وآثرها على بنات جنسها قاطبة وأخـذ يلهـج بهـا حتـى أضحـت رمـزاً للحب وكون الشاعر يختار بثينة ، ويطلب منها معذرته بابتعاده في سبيل الوطن فإنه يضعه في منزلة عالية تعلو على مكانة بثينة لدى جميل، وتكراره لاسمها وضميرها لـه دلالته على فوقيه الوطن على ما في جوانيته وذاتيه:

دعيني فالهوى يا بثن ألهـــى فـــؤادي عن مناه فلاتعودي

دعيني للمنى أبني طريقـــاً ومجداً من كفاحي للحفيـــد

دعيني قد مضى عهد التسلي بألحاظ الغواني والخـــدود[1]

والشـاعر يلجـأ إلى النهـج العربـي الـذي يرتكـز علـى الخطابـات موظفـاً إيـاه ليلامس الحماسة، ولكي يتواصل مع أسلافه الأماجد الذي أثلوا الحضارة الإسلامية.

حكمنا الأرض بالإيمان حتى هدمنا هيكل الظلم العتيد

ويُعـرض بـالضعف والخـور والتبعيـة الـتي طوقـت العـالم الإسـلامي بـأطر مـن المدلهمات والظلمات :

أتركتم ما عرفتم من يقـين وبتم للهوى صنو العبيـــد

وكونوا للعدا إعصار موت وكونوا للهدى خير الجنود

فظلم الغرب خلفنا حيارى نكافح ما طوانا من قيـود

تلك أبيات ثلاثة مختـارة وليسـت حسـب الـترتيب الـوارد في القصيـدة، الأمـر الذي يجعلنا ننسب القصيدة لعمود الشعر العربي في العصور الأولى، والقصيدة تبـين عمق الإيمان لدى الشاعر ورؤيته الإيمانية، فلا قوة للعالم الإسلامي إذا لم يحمل رايـة

---

[1] أودية الضياع ١٢١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإيمان، ويندفع من أجلها ويتلاحم لنشرها :

سيشقى من تقاعس عن جهادٍ فنيل المجد بالعزم الأكيد

نعيم الدين والدنيا صلاح وزهد لا رياء من سجود[1]

وهذا الضمير الحي بالروح الإيمانية يقف متوازياً مع النفس الرقيقة الغزلية العابثة في مقدمة الديوان، ويدفعنا إلى التساؤل هل شعره الحماسي يلحقه بزمرة الشعراء الإسلاميين أم أن الشاعر الإسلامي هو الذي سخر كل عطائه الفني في سبيل الإيمان والدعوة إليه، الواقع أن كثيراً من النقاد يرى أن الشعر الإسلامي هو الذي يعالج القضايا الإسلامية او لايتعارض معها، وهذا قول حق لأن الإنسان حتى المومن عرضة للسلوكيات السليمة والخاطئة وكذلك أقواله :

وقد عرف الإنسان دوماً بأنه قريب لداعي الشر ناءٍ عن الخير

ولولا سجايا بثها الدين بيننا لعشنا كوحش القفر نصبو إلى الشر[1]

وفي قصيدة (أشجان) يلون لوحة ضبابية تعج بشعور الكآبة والتبرم بالحياة فيشرد إلى أحلام اليقظة واجترار الذكرى الصافية والسخرية من مكانته الاجتماعية التي يطمح إلى أعلى منها، ولكن لاحيلة ولاقدرة له رغم كفاحه وكدحه الذي لم يحل بينه وعذل أصحابه وتأنيبهم :

وحيد أشجاني يسهدني فكري أعلل نفسي بالخيال والذكر

صبرت على الاشجان حتى تفاقمت ولم يبق في صدري مزيد من الصبر

وحطمت نفسي بالطموح إلى ذرى من المجد أعلى من قامي وقدري

يعيرني صحبي بحالي وأنني حريص على الإخلاد للبؤس والفقر

كفاحي طويل في الحياة وهمتي على رغم كل البؤس أقوى من الدهر

وقد عشت وحدي في الحياة وليس لي وفي يواسيني أشد به أزري

---

[1] المرجع السابق ١٢١ .

[1] أودية الضياع ١٢٢.

ونظل نصحب الشاعر في معالجة نفسية تتخللها الحكمة والخشبة الربانية:

فقلت لها لي همومك واصبري فبعض هموم الناس أعظم لو تدري

ولاتشتكي للناس وا لله سامع قريب وسل النفس بالعز والصبر

رأيت عفيف النفس إما مقلد وإما جبان لا يقر على أمر

وإما هداه ا لله – فهو متيم بكل سجايا الخير والفضل والبر

وقد استوقفتنا حين ذيل الشاعر قصيدته بليلة شوق وهيام :

وليلة شوق بت فيها على جوي أراقب وجه البدر شوقاً إلى بدر

فلما تداعى الليل أسعرت قاصداً بيوتاً بأقصى الحي هام به فكري

به سكنت روحي وعاشت مهجتي وفيه دوائي من عذابي ومن أسري[1]

وكون الغزل متأخراً في القصيدة مخالفة صريحة لعمود الشعر، وكونه تالياً لحديث الأشجان والتأنيب والفخر بعزة النفس فإنه مخالفة للمنطقية والعقلانية.

وشعر المناسبات قليل جداً في ديوان الشاعر لتباعده عن غرض المدح، والاسماء التي وردت في شعره ربما تندرج في الاخوانيات، بل إن التقاءهما في الفنون عموماً كان حلقة الوصل كقصيدته (الفنان الإنسان) المهداة إلى الفنان الدكتور/ عبد الحليم رضوى وأخرى إلى الدكتور/ عبد الله المناع صاحب الكلمة الرقيقة الذي طغى أدبه على ميدان دراسته، وألصق القصائد مضموناً بشعر المناسبات، وقصيدته (أبو مدين) الأديب عبد الفتاح أبو مدين، صاحب جريدة الرائد التي استقطبت كثيراً من الأدباء، كما فتقت مواهب عديدة، وهو رئيس النادي الأدبي في جدة.،والشاعر يحتل مكانة بين الشعراء الذين آثروا الساحة والمنتديات الأدبية في أيامنا هذه فقد تكاثر شعره في الصحف السعودية وغيرها.

وكثيراً ما ينشر في صحيفة الندوة و(الأربعاء) ملحق المدينة الثقافي وغيرهما.

---

(1) المرجع السابق ١٢٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

محمد العيد الخطراوي[1] :

ولد، في المدينة المنورة عام ١٣٥٤هـ.

عمل في تدريس المرحلة الثانوية سبعة عشر عاماً، وخلال هذا السنين انتسب إلى الجامعة الأزهرية ونال درجة الماجستير عام ١٣٩٥هـ ثم عين مديراً لثانوية قباء بالمدينة المنورة، ثم حصل على الدكتوراه، وانتقل إلى فرع جامعة الملك عبد العزيز (كلية التربية) بالمدينة المنورة، وترقى إلى رتبة أستاذ مشارك ومازال يدرس فيها متعاوناً بعد أن بلغ الستين من عمره وأحيل للتقاعد.

له مشاركاته الإذاعية، والتلفازية، ويكتب في الصحافة، وينشر شعره أيضاً.

عضو موسس لنادي المدينة المنورة الأدبي ثم أصبح نائباً للرئيس.

من مولفاته : الرائد في علم الفرائض، وشعراء من أرض عيقر، وكتب عن أدب المدينة المنورة في صدر الإسلام.

وقد اعتنى بشعراء المدينة، فحقق عدداً منها (أ) ديوان أحمد الزللي (ب) ديوان عمر البري (جـ) ديوان فتح الله النحاس. (د) ديوان الأسكوبي.

وله من الشعر :

١ - ملحمة أبجاد الرياض ١٣٩٥هـ.

٢ - غناء الجرح ١٣٩٧هـ.

٣ - حروف من دفتر الأشواق.

٤ - همسات في أذن الليل.

٥ - حداء القافلة.

٦ - مرافئ الأمل.

٧ - تفاصيل في خارطة الطقس.

والشاعر الخطراوي صديق التقيت به في كثير من المنتديات الفكرية والأدبية .

---

[1] انظر ديوانه غناء الجرح، ومعجم الأدباء والمؤلفين.

واشتركت معه في مناقشة عدداً من الرسائل العلمية في كلية اللغة العربية بالرياض.

وهو مازال يحتفظ بصحته وقد تزوج بالزوجة الأخيرة بعد أن تجاوز الخميسن، ويداعب أصدقائه برفضه من تدعوه إلى الزواج منها لتكون الثالثة.

وشعره متعدد الموضوعات، منها الذاتي العاطفي الذي يمثل تجربة عاطفية مرت بالشاعر وينبئ عن إحساس دقيق دائم للمرأة. ومن شعره ما يميل إلى المعاناة الحياتية اليومية المتفاعلة مع المجتمع التي يلفح حرها على كيان الشاعر، ومن موضوعاته الاتجاه إلى قضايا الأمة العربية والإسلامية، وله وطنيات متعددة كمطولته في الملك عبد العزيز، ومناسبات أخرى وكثير من شعره يخضع لقراءات القارئ، فهو من الشعراء النقاد الذين تخلو عن تعدد الأغراض ولجأوا إلى القصيدة متعددة القراءات.

وشعره الغزلي يتحلى بالرقة اللفظية والتركيبية والأسلوبية وقرب المأخذ وإشراق الوضوح أما شعره في المعاناه الذاتية، والقضايا الاجتماعية العربية والإسلامية، فهو أميل إلى اختيار الألفاظ ذات النغم الأقوى. ومن ثم التركيب الجزل، وهو في جميع ألوان شعره يعتمد على تركيب الصور المتخيلة وله القدرة على تأليف الصور المركبة، التي تتآلف لتنقل لنا ما يقدح في ذاتية الشاعر، وما يرسم لنا صورة كلية عن الموضوع. ومصادر صورته متعددة بتعدد مصادر ثقافته. وهو يستعين بالأسطورة، والأحداث الإسلامية الخالدة، وظهر له اتجاه متأخر يدلف إلى الغموض الذي يصعب أن تبرهن على موضوعه كما في ديوانه مرافئ الأمل، فإن القصيدة لايستقر لها قرار، وتميل إلى النص المفتوح المتعدد القراءات.

ولاشك في قدرة الشاعر الإيقاعية التي أهلته لأن ينظم الشعر موزوناً مقفى في جله ويوظف الشعر الحر لكثير من تجاربه الشعرية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوجدان في شعره

١ – الشعر الغزلي :

تبدو لوعة الأشواق ظاهرة في شعر الخطراوي، فهي تنبئ عن وهج تجربة عاطفية عميقة، التقت بموهبة شعرية قوية، فكان هذا التفاعل شعراً عاطفياً رقيقاً، تغذى بلبان من الاتساع الثقافي للشاعر، فهو متنام بفعل التكوين الثقافي، فإلى جانب الشاعرية المتدفقة، فإن الرجل أبحر في ميدان العلم فاتجه إلى البحث العميق لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه، وما تبع ذلك من بحوث علمية، وكذلك فإن متابعته للشعر بتحقيقه لعدد من الدواوين الشعرية أكسبه صقلاً لموهبته، ومع تجاوزه الفني لمدرسة شعر تلك المرحلة إلا إن الأثر لا ريب أن ينغرس، وهو واسع الاطلاع على الشعر العربي، والشعر المهجري، والمترجم، وصقل ذلك معرفته ووعية باتجاهات النقد الحديث الذي ندرك أثره على تطور شعر الخطراوي.

ونتيجة هذه الثقافة الواسعة تطور شعره العاطفي من السطحية إلى العمق الذي يظهر في :

أ – انتقاله من الخصوصية العاطفية المحضة إلى التدفق الوجداني العام، مع ظهور صدق التجربة للمرأة إلا أنه انتقل إلى عاطفة الحب العام التي تندرج على القيم السامية.من الحرية والمساواة، والعدالة،والسعادة، غير أن معالم الشوق العاطفي تلح في ديوانيه (همسات) (وحروف من دفتر الأشواق).

ب – كثافة المضامين وغزارتها، وحدة بعضها فإنه ينقلك من لون إلى لون من الأغصان إلى الأزهار إلى النجوم إلى رفيق الحياة البشرية، إلى نسمات الغرام وحركاته اللعوبة الطروبة.

جـ – كثافة الصور المحسوسة والذهنية، وتلاحقها في نبضات شعورية.

د – يبعث الحياة في اللفظة المنتقاه من اللغة الدرجة، فيمدها بالدلالة، والإحساس

الذي يلامس القلب ولايؤدي إلى الانفعال الجياش. أنها لغة الحب الهامسة.

فقصيدة (كلمات مبحرة) تزخر بتلك المعالم التي ذكرت، فنحن لو تأولناها إلى إحدى القيم لجاز لنا التأويل، فهي تتألق بالحب السامي الذي يسمو للقيم ليراها مجسدة مشخصة في صورة الفتاة اللعوب.

وهو يكثف الصور للمحبوبة حتى نعذره في عرام شوقه، فهي صور لها دورها في تنامي الحب وترسيخه.

فالصور الحسية الذهنية لنغم صوتها الذي وصف صاحبتها بالفتنة، وحديثها فاتن أيضاً، و لم ياشر وصف المعالم الجسدية بل رسم لنا لوحات من الطبيعة فهي حقل أزهار متعدد التشكيل، وليست الحديقة تلك خاصة بالأزهار التي تمتع البصر وحسب بل أنها تموج بألوان الأشجار المثمرة ففيها مادية، والأثمار يستلذها بجانب الجداول المائية ثم ملاعب الأنس، أنها مجمل الراحة والأنس للمتعب الذي ظل جاهداً يجدف لشراعه في رعب وفزع، فكيف إذا نجا والتقى في حديقته الشاعرية :

صوتك الآسر يا فاتنتي	حقل أزهار وأثمار جميلة
وينابيع هوى ساحرة	تتهادى بين أشجار الخميلة
ومراجيح من الشوق بها	يجمل العيش بأحضان الطفولة
وضفاف للشراعات التي	أنهكتها ظلمة البحر المهولة
وأنا الراحل في أفيائه	حلماً لم تشهد الدنيا مثيله
إيه يا فاتنتي.. لا تصمتي	أوغلي في داخلي.. كوني المُنيلة
وأزيلي الصمم الجاثم في	مهجتي.. رشي النغيمات الأصيلة
إن في صوتك سراً غامضاً	يتمنى كل حرف أن يقوله[1]

[1] حروف من دفتر الأشواق ٥٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢ – الغربة:

والشاعر الخطراوي تتأتى إليه الغربة من معاناة المجتمع الإسلامي الذي يئن تحت وطأة التخلف والضعف، ويعاني من الهجوم الفكري والحربي والاقتصادي على الإسلام، فهو أحد المثقفين، ويستشعر بإحساس الشاعر.

وهو من أسرة قليلة العدد فكأنه استشعر تلك في قرارة نفسه.

وهو أيضاً كابد الحياة وتطلع كما تطلع غيره من المثقفين والأدباء إلى مكانة اجتماعية، وموارد اقتصادية، فلم يحض بكثير منها، وإنما اكتفى بدخل الوظيفة المحدود.

لكنه الآن أحسن حالاً فله أعمالاً تجارية، وله مكانة اجتماعية فهو يتناقل بين المحافل الثقافية في تقدير واحترام.

وجل شعر ديوانه غناء الجرح، وكثير من أشعاره تجنح إلى الغربة التي تدور حول ذاته، فهو يفجر معاناته باستدعاء صور المآسي من الطبيعة. وسائر معالم الكون، من الطبيعة النباتية والنجوم العلوية، وأعماق البحار السفلية.

وهو أيضاً تغمره المعاناة من الواقع المظلم للأمة العربية والإسلامية فهو في ديوان غناء الجرح، يتلبس حالة الفرد العربي المأسوية الذليلة عند إحراق بيت المقدس، ويستنهض الفرد العربي ويدفع به إلى القمة؛ باستدعاء الرموز المشرقة في أحداث العالم الإسلامي كحطين وصلاح الدين :

زاده الوهمُ، عاش عمْرا شقيا

وبساحاتها تناصر جهدي

عرقاً، وانطوى شروقي طيا

سرتُ خلف السراب فيه أعاني

ظمأ قاتلاً وجوعاً قوياً

يا لَحُلْمِ الجياع بين لئام

والعطاش الظماءِ يبغون رياً. !

يا لترنيمة تضيع بكهـــــــف

ملأته الشرور لغوا دنيـــــا. !

في دروب الفناءِ تمضي حياتـي

أظلمت سحنةً وساءَت محيَّـا

إن يومي يضـيعُ مني كأمســي

وغدى في الغـيوب يرنو حِيِـاً

وصخور الشقاء سدت طريقي

كالشـياطين ضللت إنســيا

يا صحاري الهموم رفقاً بنضـو

تاه في غمرة الوجـود صبيـــا

في طـواياه عاشت الآه حرَّى

وكوت حسَّـه المصـائبُ كيـاً

رغم كل الأشـواك سار حثيثاً

نحو آمـاله يسوق المطيـــــا

هازئاً بالظلام غير مبـــــال

يرقب الفجر والصباح الوضيا

وعلى جثة الصـباح يوالـــي

سيره، لايريد صبحا شقيـاً[1]

---

(١) غناء الجرح ١٦

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لكن رومانسية الشاعر لم تدعه للهروب، فإن الروح الإيمانية هيمنت على تكوين الذهن الوافد من الرومانسية فهو مع كل تلك الظلمات المدلهمة والأشواك الشائكة سار حثيثاً نحو آماله، يرقب الفجر بلاييأس وتلك ثمرة من ثمرات الانتماء الديني، الذي يغذي الحياة بالقوة لصراع الباطل.

٣ - غير المتناهي :

والشاعر الخطراوي يسعى إلى ماوراء الأشياء، وارتياد المجهول،بل إنه يهيم في اللامتناهي، يتجلى ذلك في شعره المتأخر الذي يتعانق مع النص المفتوح غير المتناهي أيضاً. فهو نتيجة لتطور الرومانسية وغير المتناهي في شعر الخطراوي نتيجة أيضاً لتطوره الفني.

وتسمية ديوان شعره(مرافئ الأمل) منه دلالة على ميل الشاعر لهذا الاتجاه، لكنه في كثير من الأحيان يختم القصيدة بخاتمة توحي بالعودة كأن يصحو من أوهامه أو من حلمه فيجعل رحلته عبر حلم كديوانه (تفاصيل في خارطة الطقس) فإنه حله يلوب في فضاء رحب لا نهاية له ومن ذلك قوله :

وتصحو المواجد تستكشف الدرب
تستلهم الغيب
ترنو إلى الضفة الثانية
ويقترب الحُلم من موعده
وتلتمع الأمنيات
عناقيد ضوءٍ على كتف الليل
فوق ظفائره الظامئه
ويرحب في ناظري الوجود
تعود إليه جميع المعاني

وشوق المرايا
إلى اللحظات
إلى الومضات
ليرسم وجهي عليها
ويرحل مني إليها
ويطوي جميع المسافات
كل العبارات
في لفظةٍ واحدة
فيرتعش القلب
ثم ينام بأحضان حلمٍ جميل[1]

---

[1] مرافئ الأمل ١٣٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجوهرجي :

محمد إسماعيل ولد في مكة المكرمة عام ١٣٥٩هـ تخرج في كلية التربية بمكة المكرمة، عمل في التعليم ثم في تجارة الذهب له من الدواوين (أحلام الصبا - النغم الضامي - عطر وموسيقى - اليقين)[1].

والشاعر محمد إسماعيل جوهرجي من شعراء الوجدان الذين تلهب عواطفهم المرأة وعلاقتها، فشعره غزلي وإن ظهرت عليه مسحة العفة لعدم إفصاحه عن الفحش والحديث الحسي، وهو دائم الإعلان لرفض الإغراء، لاسيما في ديوانه الثالث (عطر وموسيقا) وكأنه أخذ بيت مكنونة بطريقة غير مباشرة كمناجاة الطيف أسوة بشعراء القرن الخامس والسادس الهجريين، وشعره يميل إلى الرقة والانطباعي الغريزي، وهو تلذعه حرارة الشوق، وأحلام يقظته يقول:

أهلاً بمقدم طيفها ... يختال في دل ولين

يلقي السلام برمشة ... فيحرك الوجد الدفين

ويثير في صبابة ... حاولت أخفيها سنين

ياليل ما أشهى الرؤى ... في ظل هاتيك العيون

ساءلتها معنى الهوى ... يا منية القلب-الحزين

قالت أراك مجنح الأفكار ... تلهو.. كل حين

ورنت إليّ بطرفها ... فقرأت ما تخفي.. الجفون

قالت إليك إجابتي ... إن الهوى سر.. الجنون

والشوق نار لاترى ... إلا بقلب.. العاشقين

---

[1] انظر معجم الأدباء والكتاب.

وفيها لايعتـــــــرى إلا فؤاد.. المســـتكين[٢]

والشاعر يفصح عن أولئك الخارجات عن القيم، الباذلات المغريات المصارحات المجاهرات، وما أكثرهن في عصر البهيمية الحيوانية في عالم اليوم المتقارب الأطرف بوسائل المواصلات الحديثة.

مالت وقد لعب النسيم بشعرها فتناثرت.. خصلاته.. السوداء
ورنت بطرف داعج. يحكي الهوى وتثيره.. وجداً.. لي.. الوطفاء
قالت تسائل أيهذا.. المفـــتري أو ما سبتك.. نواظري الحوراء؟

وبعد هذا المظهر المثير، الذي يدعو إلى الفتنة ثم دعمها بالمحادثة اللاسعة والدعوة المغرية، يرفضها الشاعر بلطف الشاعر الحجازي القديم، ويشير إلى بعده عن الخيانة الزوجية لتلك الزوجة التي بذلت له حياتها وإخلاصها وتفانيها :

أجبتها إن الفؤاد.. متيـــــم أودي به يا أخت..ذا الإغـراء
لكنما الإحساس في..مشـــرد جم الخواطر.. والرؤى..ظلماء
ما عدت أهفو للغرام وللهـوى فلقد رمتني ظبية شـــــقراء
أودعتها قلبي وفيض مشـاعري فرعتني أشـواق لها وذمـــاء
عاهدتها ألا أخون.. وفاءهـــا مادام.. في عمـق الفـؤاد رواء
هي كل شيء في حياتي والـذي في ناظريها بسـمة .. نجـــلاء
ولكم رأيت الصدق في إحساسه ورضيتها ألفاً فكان .. لقـــاء
أقسمت أني لا أخون حبيبـت فلها بخافقتي حمـــى .. وولاء
إن الحب إذا أحس بحبـــــه حاشاه أن تلوي به الأهـــواء

---

[٢] الجوهرجي، عطر وموسيقى ٦٦، ٦٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهو المحصن لايرى في حبـــه غير التي.. في ناظريه.. ضيـاء
لايخدع الصب المتيم داعـــج كلا ولايودي به الإغـــراء
ويظل موف عهده في حبـــه لايعتريه اليأس.. والإغفـــاء
فلكم رسمت لها الحياة بمهجـتي ونقشتها في القلب..فهي سناء[1]

وهو يطيل النظر في حياة الإنسان الدنيوية، وما تحفها من شبهات ومخاطر ويثوب إلى باريه في تأمل يستجيب له الضمير اليقظ الذي يحيا بالإشراقات الإيمانية:

ضيعت أحلام الشـباب فلامى تنثر عبير الطهر في أجنابـي
حتى سئمت من الحيـاة وزيفها وأفقت عن لغط بها ولعـاب
رحماك يا نفسي الكليمـة إنني أسرفت في الإغفاء والتجواب
والعيب أني لم أزل في غفلـة أهو بأوتار الهوى وربـاب
لم أعقر الكأس الدنية مـرة أو ملت في شوق لها ورغـاب
لكنها الدنيا أعيش لهائهـا وأسير في سبق لها وطـلاب
هل ينفع الأهلون في قاع الثرى أو يشفع الأصحاب للأصحاب
حتى إذا ووريت قبري لم يفد من يحسن التلقين فوق ترابـي
الأهل والخلان كل ودعـوا لم يتركوا عندي سوى النعاب
لاتقنطي يا نفس إني مؤمـن ماسد باب العفو.. للتـواب
فالله يفرح حين نطرق بابـه ونجيئه راجين فتح البـاب
يوم يرى كل نتائج فعلـه في صفحة مقروءة..وكتاب[2]

---

[1] عطر وموسيقا ٨٣.

[2] اليقين ١٢ حتى ١٩، ابيات مختارة.

فامنن عليَّ بتوبة تجلو بهـا ... ما كان في دنياي من أنصاب

واستقبل اللهم عبداً أيبـا ... أفضت سريرته عن الأسباب

واختم بإيمان حياتـي رحمة ... من جودك الفيـاض للأواب

ثم الصلاة على النبي محمد ... ما أشرقت شمس الدنا بهضاب

واصفح عن الصحب الكرام جميعهـم وتولهم-يارب.. بالترحاب

الخاشعين لربهم في ذلـة ... وتنزه عن كثرة الأربـاب[٢]

وديوان الجوهرجي يزخر بالتأمل في الكون، وفي السماء والأرض في النجوم والفضاء، في الأرض وما عليها.. وفي الذات الإنسانية وفي النفس البشرية . فهو يرى قدرة الباري في علياتـه من سماء، وكواكب، وفي أرضه وفي شريان وكيان الإنسان.

إن السماء والأرض كل آيـة ... تحكي صنيـع الله في إتقان

لو أطلق الإنسان فيها عقلـه ... لرأى سـرائرها كما البرهان

سبع رفُعن شوامخاً في عـزةٍ ... من غير تأسيس ولابنيـان

والأرض سواها بساطاً للورى ... يتمشون فوق أديمها بأمـان

يا موغلاً في التيه كف ألاتـرى؟ ... آياته في دقة الشـريان

إن الكواكب في السماء مضيئة ... تهدي الذي قد ضل في الركبان

تستوجب التأمل في نفس ترى ... في عمقها الإبداع.. للديـان

والشمس تجري في إطار محكـم ... كيما تجدد سيرة.. الملـوان!

والبدر في حضن السماء مشعشع ... بالنور في الأرضين والشـطآن

كم صور الشعراء فيه قصائـداً ؟ ... تستلهب الإحساس في الوجدان

فاستنطقوه كما نجي مخلـص ... واستأنسوا بصفائه الفتـان[١]

---

[٢]، اليقين ٣٠ - ٣١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والجوهرجي يتواصل مع الوحدانيات لكنه يتطلع في ديوانه (اليقين) إلى الحب الإلهي والصفاء الروحي، والتأمل الكوني فالشاعر يجعل ديوانه هذا لتجليات الإيمان التي تشرق بها روحه فيلجأ " إلى مرفأ الطمأنينة، وترى الحقيقة للنفس المهاجرة إلى ركب الأصفياء والأتقياء والشهداء والسعداء.. تنزاح عن النفس ركامات الغبار"[٢] وهو يستهل ديوانه بقصيدة (اليقين) وفيها يعلن اليقظة:

ردي إليَّ بصيرتي وصوابي ... فلقد مللت من الحياة رغابي

لاتعجبي أني بديت بلارؤى ... حين الربيع غذ ظلال ضباب

ماعاد يطربني الغناء ولاالهوى ... فكلاهما مستنفر لعذابي[٣]

وهو يستشعر من خلال إحساسه الرقيق مأساة البوسنة والهرسك فكيف ترضى الإنسانية أن تسحق الضعيف، وكيف تدعي الحضارة الصليبية حمايتها، وكيف تدعي الحضارة، والقيم وهي تجمع شملها ضد شريحة صغيرة من المسلمين، تجهز عليهم و لم تراع إنسانية الإنسان، ولاحرمة العرض، ولاحماية الطفل والشيخ الكبير، وتهدم المساجد وتبقر البطون، فأي حضارة ترعاها الدول الغربية التي تبارك تلك الأفعال المخزية :

يا زمناً فيه ألف تفسير ومعنى

مذ بدأنا نتعامى والرؤى تحلم حسنا

هل مضينا لانبالي أينا أكثر غبنا.

يسحق الأقوى أخاه في اشتهاء يتمنى!

---

(١)، اليقين ٥٢ حتى ٥٥.

(٢)، اليقين ٨.

(٣) المرجع السابق ١١.

يصطلي بالنار لفحاً لاهب الإحساس مضنى
يا زمان الدحر حسبك تلهب القلب العليل
وإذا الليل تراخى تنسف الحلم الجميل
وتشيع الخوف ظلاً كامتداد الأرخبيل

* * *

ما الذي تبغيه مني بعد طحن الأبرياء ؟
في ربا (الهرسك) أهلي يجرعون الحنظلاء
ويسامون عذاباً ودماراً وبلاء
وبأرضيهم هلاك نازف أزكى دماء
أين صوت الحق فينا أين صوت الشرفاء
يا زماناً عشت فيه بين نخع وهراء
يلجم الحق ويلوي عن حقوق الشهداء
لايرى للحق وجهاً.. حالم النخب رواء
نسمة اللفح تغني والرؤى شرخ كئيب
وزهور الروض تبدو واجمات في الغروب

* * *

شفها صهد الأماني فانثنت طي الرياح
لم تعد تنبض حساً مثل شفاف الأقاح

* * *

فبدت كومة حزن ترسم الشدو الحزين
خدشت وجه الأمالي عمقت لفح السنين[1]

---

[1] اليقين ٣٢ حتى ٣٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غازي بن عبد الرحمن القصيبي [1]

ولد في الإحساء عام ١٣٥٩هـ، درس مرحلة الإبتدائية في مدارسها ، ثم انتقل إلى البحرين حتى نال المرحلة الثانوية، وأكمل تعليمه الجامعي في مصر من كلية الحقوق جامعة القاهرة، وحصل على الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة كاليفورنيا ثم الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة لندن.

تعين بجامعة الملك سعود، معيداً محاضراً ثم انتقل مديراً لسكة الحديد في الدمام ثم وزيراً للصناعة والكهرباء ثم وزيراً للصحة، وعمل سفيراً للملكة في البحرين. ثم انتقل سفيراً في لندن.

وكان له نشاطه الفكري والأدبي، وكتب في الصحف السعودية، وتعرض للنقد كثيراً مدحاً وقدحاً.

من مؤلفاته :

١- عن هذا وذاك دراسات ١٣٦٩هـ.

٢- هل للشعر مكان في القرن العشرين ١٣٩٦هـ.

٣- خواطر للتنمية ١٣٩٧ هـ.

٤- قصائد مختارة ١٤٠٠ هـ.

٥- قصائد أعجبتني ١٤٠٣.

٦- في رأيي المتواضع ١٤٠٤هـ.

٧- العلاقات الدولية (قام بترجمته) ١٤٠٤هـ.

٨- رواية شقة الحرية.

٩- رواية العصفورية.

---

(١) انظر معجم الأدباء والكتاب ، ودليل الكتاب والكاتبات، والموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي.

الدواوين الشعرية :

هى : ١- أشعار من جزائر اللؤلؤ ١٣٨٠ هـ.٢- قطرات من طمأ ١٣٨٥ هـ.

٣- معركة بلا راية ١٣٩٠هـ. ٤- أبيات غزل ١٣٩٥هـ.

٥- أنت الرياض ١٣٩٧هـ. ٦- الحمى ١٤٠٢.

٧- ١٠٠ ورقة ورد شعر ١٤٠٦ هـ ٨- ورود على ضفائر سناء ١٤٠٧هـ.

٩- فى خيمة شاعر ـ مختارات شعرية ١٤٠٨هـ وصدر أغلبها فى مجموعته الشعرية الكاملة .

١٠ - مرثية فارس سابق .

* والمحور الوجداني يتجذر فى شعر القصيبى فيظهر في موضوعاته الشعرية فيغزر نبعه في غزله الذى يوظفه في مخاطبة الحرية وفى وطنياته ودواوينه الأولى، فهو يتغزل بالحرية، شأنه شأن الشعراء المعاصرين له فى تلك الحقبة، ويناجى أوطانه مناجاة الفتاة اللعوب الطروب الجميلة الهادية، بل إن غزلياته ووطنياته وآماله تتقارب وتتآلف حتى تتلاحم فى قصيدة واحة ربما تخضع لقراءة المتلقي، فهو يصور بيروت بطروب ذات حسن ودل، مترعة النهدين مترفة، قال ذلك عام ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م إبان اشتعال الحرب الأهلية فيها :

بيروت ويحك أين السحر والطيب وأين حسن على الشطآن مسكوب؟
وأين رحلتنا والوجد مركبنا ؟ والبحر أفق من الأحلام منصوب
وأنت مترعة النهدين مترفة دنياك وعد بشوق الوصل مخضوب
فى مقلتيك من الأهواء أعنفها وفى شفاهك إيماء وترحيب [1]

وهو حتى فى عناوينه تلاحقه صورة المرأة الطهور ذات النماء والعطاء، فيسمي جامعة الملك سعود " بنت الرياض " فى عيد ميلادها الخامس والعشرين فى

(١) المجموعة الشعرية ٥٨١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عام ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، فهو يشخصها بفتاة خليلة الشمس فكم طاف حولها الذين نهلوا من عطائها، بل إنه يخاطبها بالمرأة التى تجسد الطهر التى تعشق المجد :

خمس وعشرون ؟! ما أبهاك حسناء ... حوراء خفراء ـ عاش الدل ـ ميساء
في الشمس عينك تعطيها وتسلبها ... شأن الصديقات أسراراً وأنباء
كم طاف حولك من صب وكم سمعت ... أذناك أغنية للوجد خضراء
وكم دعاك الصبا للهو فارتعشت ... أمامك الأرض ألواناً وأصداء
فما تصباك إلا الطهر... يا امرأة ... تجسد الطهر فيها... كيفما شاء
يهيم قلبك بالجلى...إذا خفقت ... بعض القلوب مع الأهواء رعناء
المجد عشقك... ما أحلى زفافكما ... وبورك المنزل المكتظ أبناء[1]

وهو في قصيدته فى حفل الجسر بين المملكة والبحرين يضع لها عنواناً فيه الإيحاء الوجداني (ضرب من العشق) :

ضرب من العشق لادرب من الحجر ... هذا الذى طار بالواحات للجزر
ساق الخيام إلى الشطآن فانزلقت ... عبر المياه شراعاً أبيض الخفر
ماذا أرى ؟ زورقاً فى اليم مندفعاً ؟ ... أم أنه جمل ما مل من سفر ؟
وهذه أغنيات الغوص في أذني ... أم الحداة شدو بالشعر في السحر ؟
واستيقظت نخلة وسنى توشوشني ... من طوق النخل بالأصداف والدرر؟
نسيت أين أنا... إن الرياض هنا ... مع المنامة مشغولان بالسمر
وهذه جدة جاءت بأنجمها ؟ ... أم المحرق جاءتنا مع القمر ؟
أم أنها مسقط السمراء زائرتي ؟ ... أم أنها الدوحة الخضراء فى قطر ؟
أم الكويت التى حيت فهمت بها ؟ ... أم أنها العين كم فى العين من حور ؟
بدو وبحارة... ما الفرق بينهما ... والبر والبحر ينسابان من مضر ؟
خليج ! إن حبال الله تربطنا ... فهل يقربنا خيط من البشر؟ [1]

(١) العودة إلى الأماكن القديمة ٤٢.

وهذا الجسر من أعظم الجسور العالمية البحرية وأطولها، فهو يربط جزيرة البحرين بالمملكة العربية السعودية ، مكوناً من مسارين، وتحته معابر للسفن الضخمة وهو أكثر من خمسة وعشرين كيلاً، وقد حضر الإفتتاح خادم الحرمين الشريفين الملك فهد الذى أمر ببنائه إلى جانب أمير البحرين عيسى وأمراء الدول الخليجية، وأنشدت هذه القصيدة فى ذلك الحفل البهيج.

والمبحر فى شعر القصيبي يقف أمام مسرح يعرض لوحات من حياة المرأة من جمالها وخلقها ودلها، وحبها وعشقها، وسلوكها وفتنتها، فهى المثل الذى يضرب به، وهى الرمز الذى يوحي به، وهى المنظر الخلاب الذى يشدو به، وهى الطمأنينة والأنيسة والطاهرة العفيفة، وهى الأم المانحة فى إخلاص وتفان.

وربما يعود ذلك لفلسفة عميقة ترسخ فى تكوين ذهنية القصيبي لتتلاحم مع غريزته، فالمرأة تهب فى سهولة ويسر، مشدودة بعاطفة الحب فى جميع حالاتها، الحب الغريزي، والحب الأمومي، والبذل القريب الذى لا يصل إلى عراقيل العقل وتأمله.

فهى تحمل راية الحب، ولأنه رأى فى المرأة تواصل الحياة البشرية، ولأنها أم الدنيا، فهى شبيهة التربة الطبيعية التى تمنحك كثيراً فى ألوان مختلفة.

أو ربما أن القصيبى يمثل الواقع الإجتماعى فى بلادنا، فالمرأة مصانة غير مبتذلة، فهى مطلوبة فى أوصافها ومعرفة حقائقها، فالإنسان يحب أن يطلع على المجهول القريب والبعيد، فيظل هاجساً حتى ينكشف أمره.

أو لم يشبع رغبته ونهمه من المرأة، لأنه حف بقيوده العلمية، والمكانة الاجتماعية، واحتوته المعرفة، مما حالت دون بلوغ المرام، فهي إذن درته التى يبحث عنها فى قاع الحياة ومظاهرها، وربما أن تكوينه الذهني اعتمد على المبدعين الذين

---

(١) المرجع السابق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شغلت المرأة مساحة كبرى من إبداعهم في زمننا المعاصر، كالقاصين الذين وظفوا المرأة لفنهم وأطالوا في وصف مفاتنها، ومعالم جمالها، وهو أيضاً قريب عهد بشعر على محمود طه، وشاعرية أحمد رامي، وإبراهيم ناجي والسياب، ونزار قباني، أو لنقل : إن هذه العوامل تآزرت وتعاضدت لتصبغ إبداع القصيبي بصبغة المرأة، فهي منبع خياله، وهي صوره الظاهرة، وهي مضرب مثله.

وشعره كالماء يتلون بلون الإناء، فقد تلون شعره بماهية المرأة التي وصفها جميل بثينة :

لكل حديث عندهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

فشاعريته ترى معالم المرأة عليها، تجذبه بجمالها ورونقها، وقوة إيقاعها ودلها ودلالها، ومضمونها الذي يشرق لك بقبس نوراني، وتارة بمعلم جمالي، وأخرى بنظرة ثاقبة، أو بمثالية روحانية، وربما تمور بموجات عقلية برهانية، ومن هنا يختلف عن شعراء الذاتية الذين ينفردون بالحب العذري أو الشهوة الحسية، أو أولئك الذين ينظرون إلى الدنيا نظرة مأسوية.

الفكر في شعر القصيبي :

وشعر القصيبي وإن تجلل بالرومانسية غير أنه يفيض بالفكر حتى أنك لتدرك فلسفته في الحياة وآراءه الاجتماعية، وتقلبات حياته، وتأثير الظواهر الاجتماعية والخارجية عليه ، بل هو طرف متفاعل فيها، وهو أيضاً متواصل مع أحداث العالم كله، متواصل مع قوارع العالم العربي، بل إنه يسير في كوكبة الشعراء العرب الذين يشرق فنهم بمناح فكرية ترتاض فكر الصفوة من المثقفين العرب، وذوى الأفكار الداعية إلى الإصلاح الإداري واليقظة، فقد انسرب في مركب السياب، وخليل حاوي، وأمل دنقل وأولئك الذين يعالجون القضايا بذاتية

شعورية.

وهو يتأثر بمناسبات كثيرة لها أثرها العميق في المجتمع، كمناسبات الجامعات، وافتتاح الجسر بين المملكة والبحرين، وقضايا الخليج وحروبه، لكنه في ضبابية وجدانية لا انفعال ذاتي كرصيفه أسامة عبد الرحمن لممارسته كماً هائلاً من التجارب، ومعايشته الواقع، ومن تلك الحية المائجة الموانيء التي رسى عليها في حياته العملية، فهو ينتقل من عمل تعليمي إلى عمل إداري ثم وزاري، فيرى ما لم تره عيناه من قبل، ويسمع ما لم يقرع أذنيه من قبل، فيصف غلبة المصلحة الذاتية على العامة، واندفاع الناس وتملقهم لأرباب الجاه والنفوذ، والقصيدة تفصح عن حالة في أربعة موانيء اختار لها عنواناً " الحب والموانيء السود "، يقول في مرساه الأول :

كنت بريئـــــــــاً
أهوى الألعـــــــاب
أهوى أن أنطلق سعيداً
فوق الأعشـــــــاب
أن ابني بيتاً من رمـــل
أن أهدمه فوق الأصحاب
ووقفت على هذا الميناء
فوجدت أمامي جمع ذئاب
بوجوه رجـــــــال
إن حيوا أدمتك الأظفار
إن ضحكوا راعتك الأنياب
وإذا غضبوا أكلوا الأطفال
وتعلمت هناك الخوف[1]

(١) أنت الرياض ١٠٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والقصيبي شأنه شأن غيره من الشعراء الذين تتفق شاعريتهم على الهيام والعشق الوجداني الذى ينبع من المتعة والأنس ولكنه لم يلبث فى كهولته أن ينزع إلى حب الوطن أو حب الفلسفة التى ترتاض ذاته، مثله مثل محمد الفهد العيسى، والقرشي، والعواجي، وكان ديوان " الحمى " الذى صدر ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م يطرح النقلة الواضحة المعالم فى هذا الميدان، فهو يلتهب بلفح الأحداث الإسلامية التى تعصف بالعالم الإسلامى، فللشاعر قصائد فى الحماسة الإسلامية يصور فيها الاندفاع للجندى المسلم لمقابلة المحتل لثالث الحرمين بيت المقدس، والشاعر يستدعى أسماء البطولات الإسلامية التى رفعت راية الإسلام خفاقة، كخالد بن الوليد رضى الله عنه.

والقصيدة اندفعت في تجربتها الشعورية، تقذف حمم الانفعال للمتلقي في خطاب ذاتي، كأنها صدى لتجارب كل مسلم يظل فتح بيت المقدس يلوب فى صدره والقصيدة تمثل الموقف الشائع للمسلمين لدعوة الصلح مع إسرائيل بعد عام ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣ م، فقد قيلت عام ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م.

لا تهيىء كفني.. مامت بعد ... لم يزل فى أضلعي برق ورعد
أنا إسلامي.. أنا عزته ... أنا خيل الله نحو النصر تعدو
أنا تاريخي ـ ألا تعرفه ؟ ... خالد ينبض فى روحي وسعد
أنا صحرائي التى ما هُزمت ... كل ما استشهد بند ثار بند
قسماً ما قفز الخوف إلى ... قبضة الفارس.. ما اهتز الفرند
ما دعانا الفتح إلا شمخت ... هذه الصحراء فالكثبان أسد[٢]

***

لا تهيىء كفني.. مازال لى ... فى صمود القمم الشماء وعد

(٢) الحمى ١٠٣.

لا تغرنك مني هـــــدأتي ... لا يموت الثأر لكن يستعـــد
لا يغرنك نصر موغـــــل ... في عروقي.. فأنا منه أحـــد
لا يغرنك عبد مـــــرجف ... بانتهائي لا يخيف الحر عبـــد
لا تهيىء كفني.. ياسيدي ... لي مع الثأر مواثيق وعـــهد
أومأت لي عزة مجروحـــة ... ودعتني من خيام الأسر هنـد[1]

وهو يعمد إلى التفعيلة في تحليل عميق بروح شاعرية إيحائية لما يعانيه في عمله اليومي المضني .

أرجـــع فـي اللـــيل
أحمل في صدري جراح النهار
يثـقـلـني ظـــلـــي
وتكتسي روحي ثياب الغبار
حـــاربـــت بالشـــعـر
في عالم لا يفهم الشعـــرا
غـنـيـــت للـطـهـــر
في عالم يغتصب الطهـــرا[2]

فانظر إلى مدلول (أحمـل في صـدري جـراح النهـار) و(ثيـاب الغبـار) و (يغتصب الطهرا)، والشعر في ديوانه (الحمى) يند إلى التحـرر مـن الـوزن والقافيـة مجتمعين، لكنه لم يكثر من ذلك، و لم يتجاوز التفعيلة، وكثيراً مـا يعـوض ذلـك بمـا يقترب من السجع أو قرب المخارج، وهو أيضـاً يضـع تآلفـاً بـين الأسـطر الشـعرية بالوزن والقافية فتجده يقصـر في السـطر الأول ويطيـل في الثـاني ويـأتي بعـدد مـن الروي في الصفحة وإن لم يلتزمه.

(١) الحمى ١٠٣.
(٢) المرجع السابق ٢٨.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لكن الشاعر في ديوانه (أنت الرياض) يخلص لشعر التفعيلة بل إن قصائد الديوان كاملة نهجت نهج الشعر الحديث الذي يعمد إلى التفعيلة والسطر ولكنه يحرص على التقارب في التراكيب، والسجع، وطول الأسطر، فالشاعرية واضحة النبض والموسيقى متقاربة الإيقاع، أما في ديوانه (العودة إلى الأماكن القديمة) المطبوع عام ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م. فإنه عاد أيضاً إلى الإلتزام بالوزن والقافية في جل قصائده، مع تقارب فيما عاداه بالضوابط التي ذكرت لديوان (أنت الرياض).

ولنأخذ مثلاً القصيدة المسمى الديوان باسمها :

أحبك حبي عيون الرياض
يغالب فيها الحنين الحياء
أحبك حبي جبين الرياض
تظل تلفعه الكبريـــــاء
أحبك حبي دروب الرياض
عناء الرياض، صغار الرياض
وحين تغيب الريـــــاض
أحـــدق في ناظريك قليلاً
فأسرح في (الوشم) و(الناصرية)
وأطرح عند (خريص) الهموم
وحـــــين تغيبين أنت
أطالع ليل الرياض الوديع
فيبرق وجهك بين النجوم

•••

وفاتنة أنت مثل الرياض
ترق ملامحها في المطـــر
وقاسية أنت مثل الرياض

تعذب عشاقها بالضجر
ونائية أنت مثل الرياض
يطول إليها إليك السفر

***

وفي آخر الليل.. يأتي المخاض
وأحـــلم أنـا امتزجـنـا
فصرتُ الرياض وصرتِ الرياض
وصـــرنَا الريـــاض[1]

الرومانسية في شعر القصيبي :

تظهر الرومانسية عند القصيبي في مثاليته، فهو يأنف من الواقع غير المثالي لا يقصد التمرد الغربي على العقلي وكل القيود، وإنما تهفو إلى ومعالجة ضعف الأمة العربية والالتزام بالمباديء التى ترفع مكانة المجتمع، وتكوين الحب الذاتي لتلك القيم حتى أضحت من الرموز الوجدانية، فيلبسها المرأة تارة لتكون رمزاً لها، ولا ريب في غزله الوجداني الذى ينجم عن نزعات شعورية واستجابات مؤقته، لكنه حب المفكرين الذى لا يستحوذ على جميع الغرائز غير أن هذا الحب امتزج مع الحب الجمعي والفكري، فكانت أمشاجاً في مشاعره تجلي نسيجها في إبداع الشاعر القصيبي.

وكان الحب مصدر الهروب الذي يلجأ إلى ما وراء الواقع، وإن كانت مكوناته من الطبيعه فهروبه ليس تمرداً على الحدود والقيود وليس تمرداً على مخالفة الالتزام بالقيم العملية، والحدود العقلية الواعية، وتمرداً على التملق والصراع الاجتماعي على المادة الذى ربما يودى إلى القهر والظلم.

---

(1) أنت الرياض ٨،٩.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والحب هو مصدر الطبعية عند الشاعر، فهي مكملة الجمال والأنس، وماهية الحب عنده ذهنية قبل أن تكون حسية، ومادام أن الحب هو العنصر المتكشف كثيراً في شعره، فإنه يولد الذاتية فهي المصدر الإبداعي وهي مشعلة الأحاسيس، وقادحة الانفعال، فكأنها المجهر له على هذا الكون.

وتظهر معالم الرومانسية عند القصيبي :

١) الحب والمرأة. ٢) الذاتية. ٣) الغربة. ٤) الطبيعة.

الحب والمرأة :

المرأة مهد الحياة، وجذوتها الدائمة، فهمسها يشعل الحماسة ويحرك الانفعال، ويغري، فإذا كانت نابعة من شهوة غريزية فإنها تسقط الصاعد وتهوي به إلى السحيق، وإذا كان دافع المرأة ساميا، فإنها تنشل من السحيق إلى القمة، والحب بين فتاة وفتى بروح عفيفة، وغاية سامية ليلتقيا لبناء حياة متكاملة، فإنها تنفث القوة بآمالها وأحلامها وتطلعاتها في روح من تحب تدفعه إلى تحقيق الآمال، والشباب الطموح لا يريد أن يضعف أو يتقاعس، فشعلة المرأة تسربت في كيان القصيبي فأحاديثها عواصف مثمرة كالرياح التي تحمل البذور الخيرة، فتزرع وتورق، لمستقبل رسمته، فضحى الشاعر بعمره من أجله، طال انتظاره لبلوغ المأرب لكنه يحث الخطى :

فوق أفق الخيال..فوق حدود	الشعر ما تبعثينه في دمائي
لهب عاصف يؤرق روحي	وغيوم تثور في أجوائي
أي دنيا صنعتيها لي فضحيت	بعمري للمعها الوضاء
أي فجر يلوح لي خلف عينيك	فأنسى سهدي وطول مسائي

أي سحر يغري خيالي فيمضي هائماً..حالما بيوم اللقـــاء[1]

إذن فالمرأة شعلة الحياة تنير المسير، وتكون عونا ومن هنا فإن المرأة العربية الـتي كـانت تدفـع بالرجـال إلى ميـدان القتـال، فإنهـا ابنـة اليـوم تدفـع إلى ميـدان العلـم والترقي. وكلاهما وليد الحب المنبعث من المرأة.

والحب عنده يتجاوز الحب الغزلي إلى الحب السامي الشـامل فهـو يصنـع النية الحسنة، والسعادة النفسية :

لكنني وخيال الحب في حلـــدي أقول : " لازلت في دنيا من الرغد"
من جرب الحب لم يقدر على حسد من عانق الحب لم يحقد على أحد[2]

وإذا كانت المرأة عند القرشي تمازجت مع الطبيعة، فإن غازي القصيبي مازج بين المرأة ومكابدة الإنسان، ومعاناته، وغاياته، وأحلامه وأوهامه، فهي الأحلام التي تحيى ليالي الجفاف المغمومة بالهموم، فإن المرأة رمـز الحيـاة السـعيدة، وهـي تضـيء الفضاء لكون الشاعر وخيلاته؛ فهـي قمـره المنـير، وهـي قرينـه الإشـراق في العمـل والنفس، لكنها المرأة الكاملة، ذات الجمال الكلي رصيفة السعادة :

أراك وراء ليـالي الجفـــــاف خيالاً يمـوج بشـتى الصـــور
ففي ناظريك أمـاني الحيـــاة وفي شفتيك ابتســـام القدر
وألمح وجهك غير الفضـــاء يضـــيء بهالاتـــه كالقمـر
أحن لطيفك عند الشـــروق واشتاق خطوك عند الســـحر
فأينك؟ أين ترى توجـــدين ؟ وفي أي أفقٍ بعيد الســـفر ؟
ومن أنت ؟ يا من وهبتُ الشباب لها.. وهي حلم أتى واســـتتر ؟

---

(١) المجموعة الشعرية ١٦.
(٢) المرجع السابق ٣١١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والشاعر، وإن كان يصنع العلاقة بين المرأة والحياة كأنه يوحي بفلسفة فكرية غير أنه يسكن في أرض الواقع، فلا يُستبعد أن تمثل القصيدة، حيرة الشباب في الزواج، بل حيرة الشاب المغترب في زواجه، فهل يبتغيها من الشقراوات كناية عن الغربيات اللائي يمرحن في معترك الحياة بلا استحياء ولاوجل، أم يريدها من الخضراوات السمروات قليلات المداعبة والمرح. إنه الصراع ولعل تاريخ القصيدة عام ١٣٧٩هـ الذي يمثل مرحلة الشاب عند الشاعر يدعم ما ذهبت إليه من تحليل، فهو يحكي حالته أو ينوب عن غيره.

أشقراء ضحكتها كالصداح ... وسمتها كارتجاف الزهر ؟
أسمراء يسبح فيها الوجوم ... ويمرح في وجنتيها الخفر
وما اسمك؟ ما سرها أحرفاً ... منغمة كحنين الوتر
فتاة الخيال لنا موعد ... أعيش على يومه المنتظر
ويغمرني منه نفح النعيم ... وهمس الأماني وحلو الخدر
فأحيا به.. واغني له ... وأدعوه : يا حُلمي المدخر[1]

وكل فتى يتخيل فارسة الأحلام، ويبني حولها مدينة من الأوهام، ورياضا من السعادة ويكون في هاجس الانتظار.

ويموج شعر القصيبي بالمرأة، فهي مصدر السعادة والكآبة، هي الملهمة وهي المنجية الخصبة فهي الأم والبنت والأخت، وهي الظلام.

وشعر القصيبي يمثل نظرته للمرأة وتأثيرها في الرجل، فهو ذاق نشوة الحب ومرارة فراقه، وأظنه صادقاً في ذلك، وهو إذا ولج في المشاعر، يولد الخيال والأوهام، ويدفع الانفعال المجنون يقول في قصيدة (عن حواء وعنك) :

---

[1] المجموعة الشعرية ٣٩.

نعم أحببت قبلك ألف مرة وذقت الحب نشوته ومره.

فهو لم يعان من تجربة مريرة استحوذت عليه، لكن واقعه الإعجاب بالمرأة وجمالها، فهي تجتذبه، وتقدح فيه السعادة بالإقبال، والمرارة بالإدبار وهي ملهمته بالخيال :

عرفت الحب دنيا من خيال ووهما كالجنون أهيم عبره

فمن دوافع الحب الفتنة التي تتراءى من بعد قبل إشباع الغريزة، فهي كالطبيعة التي يرى الرومانسيون أن جمالها في بعدها :

وفاتنة تراءت من بعيد ووجها ساحراً وبريق نظره

والعفاف الذي يولد الحرمان جذوة الحب والإبداع :

وحرماناً أسميه غراماً وألاما أسميها مرة

وكنت أقول:خير الحب حب يموت من الظمأ ويعاف قطره

أشار للحب العذري وشعر التربادور الغربي. وسريان الحب في الإنسان أمر لايدرك غيبه حتى يكتمل وهجه فالمرأة مصدره في منظرها ومنطقها وفي لقائها، ويشتد ساعة الفراق والوداع :

عرفت الحب يولد في سكون ويكبر قبل أن نجتاح سره

وتحرق الشفاه على لقاء يحرك كل عرق.. كل ذرة

عرفت الحب ليلاً من وصال يخاف من الوداع.. يخاف ذكره[1]

وهذا التنوع في الحبل دليل على عدم هيمنة تجربة عاطفية عليه كتجربة

---

[1] المجموعة الشعرية ٣٧٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القرشي مثلاً بل يكمل فلسفته بـأن المرأة وحبها لايرضى به قيدا يلج في دائرته فحسب :

وأني حين يغدو الحب قيدا أثور أهزه، اشتاق كسره

وحواء عظيمة في نظر القصيبي فهي السعادة إذا أقبلت، والكآبة إذا أدبرت وهي نبع الوجود، وهي مصدر الحياة والخصب، فيمازجها بالأرض، وخلق الله الأنسان من الأرض وجعل المرأة مصدر الإنسان، فهي مصدر الوجود :

أنت السعادة والكآبة
والوجد حبك والصبابة
أنت الحياة تفيض
بالخصب المعطر كالسحابة
منك الوجود يعب فرحته
ويستدني شبابه[٢]

ومعالمها الجمالية من العيون، والإبتسامة، ولطيف القول، تطل على الإنسان فتكون مصدر سرور، ومصدر إبداع المبدعين فكأنه يستوحي المقولة، وراء كل عظيم امرأة.

والواقع أن الشاعر القصيبي يجمع بين الحب والمرأة، يحب الحب السامي، والمرأة الكاملة، فالحب يتدفق منه للمرأة أولاً، ولذاته ثانياً ثم للمجتمع من حوله فالذاتية لم تنزعه إلى مغالاة (الأنا) إلا قليلاً.

لكنه يحب الخير والحق للمجتمع، ويحب الجمال في الطبيعة، ويحب المرأة العفيفة، ذات الفطر والطبيعة، في فلسفتها وتكوينها الجمالي، الأم الحنون، والزوجة

---

[٢] المرجع السابق ٦١١.

صادقة الحب، والمرأة هي جنته التي يلوذ إليها في إبداعه يرتمي في أحضانها، فكأنها تشبه الطبيعة فهي روضته، لكنها تكاد أن تكون خرساء، أو لنقل لاتشاركه همومه أو هو لايدع لها فرصة، فلانقاش ولاحوار إنها المرأة الشرقية أو لنقل : إنه الرجل الشرقي العربي من مضارب بني تغلب .

الذاتية :

تتدافع الذاتية في شعر القصيبي في جميع موضوعاتها، فهو يطل على العالم بأحاسيسه بفرحه وغضبه، وعند إقباله وإدباره، في الموضوعات الغزلية، ومنافذ الحب الأخرى من التآخي والتواد، حتى الرثائية والوطنية، فإنه ينظر إليها برؤياه الملتهبة بالمشاعر الذاتية هي التي تمنح اللفظة الوهج، وتمنح العبارة أحياناً وتمنح الصور كثيراً إن الذاتية هي المنجم الذهبي لشعر القصيبي، وينظر إلى المرأة من خلال ذاته ومن تكوينه الفلسفي للحياة، بل إن قدرته الإبداعية الذاتية شكلت الفلسفة في أمواج من الخواطر الوجدانية حتى غابت تلك الفلسفة وراء ضبابيات الوجدان فهو يريد من المرأة العطاء.

هل تستطيعين إنقاذي من الملل ... هل تستطيعين ارجاعي إلى مثلي

أنا أمامك أفكار ممزقة ... وحيرة لفارس ضائع السبل

لم ترتشف من ينابيع الرضا شفتي ... ولم تنور براكين السنى مقلتي

ما زلت أبحث عن درب لقافلتي ... مازلت أسال عن معنى لمرتحلي[1]

وهو لما يعلن فلسفته الإنسانية في عالم الحياة، فإنه ينبع من وجدان يستشعر الحب ويفيض بالآماني والأحلام، بل يجنح به إلى عمق الفلسفات التي تبني له مدنا من الخيال، لكن خيال القصيبي، يخرج من انفعال ذاتي : فهو يتمنى تلاشي

---

[1] المجموعة الشعرية ٣٢٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحروب وسفك الدماء.

تعلوه السعادة، فهو لايعرف الألم ولا السأم، يريد العيش بلاهم ولاخوف، يريد أن يحجب عنه العواصف المدمرة :

أريده عالماً لايستبيح دماً ولا ينقل في أوزاره القدما

أريده دون خوف دون عاصفة سوداء تنثر ليل الرعب والعدما

فلفظه أريده ذات الفاعل (أنا) مكررة مع ضميره، مع ما توحيه من رغبة مع دلالة المضارعه المتكررة كلها تبلور الذاتية في هذه القصيدة.

ثم هو يتمنى لهم العدل والانصاف ويرمز للحاكم بالأب ذلك الحنون العطوف المنصف لأبنائه يحس بسغبهم ومعاناتهم، فيبذل طاقته لهم يريده ينصف لله لا للجاه والتبجيل، يريد هذا الحكام أن يسعد بمنح المحروم ما حُرم منه، يريده يدرك معانة سائر المجتمع الأعمى والصغير :

أريده لبني الإنسان يحضنهم أبا يوزع في أطفاله النعما

أريده دون جوع.. دون مرتعش في الريح.يحلم لوسال الدجى كرما

أريده دون أوثان يطاف بها أريده دون جمع يلعق الصنما

أريده يعرف الأنسان.. يعشقه أريده يمنح المحروم ما حُرما

أريده يمنح الأعمى نواظره ويمنح الطفلة المشلولة القمما

يا عالماً.. أنا في الأحلام أرمقه يا عالماً.. أنا في الأوهام أسمعه

غنيت.. رددت أشعاري لعل صدى القصيد يبلغ أفقاً منك يُرجعه

إني عشقتك.. باللطيف يمعن في حرمانه.. وأناجيه.. وأتبعه

ياعالمي سوف تحيا في دمي خدراً أقتات منه.. وأحياه.. وأجرعه

ونغمة صبوات الشـــعر موطنها وخاطراً خفقات القلب مخدعة[1]

وما دام أنه يحلم بهذا الإنسان ويعيش معه في آماله والآمه، فإنـه يعطـف عليـه ويجعل فلسفته الذاتية خالصة لهذا الإنسان وحياته، فالذاتية عنده وجدانية جماعية غير أنه يبالغ في إظهار ذاته.

وهو يتمنى على المحبوبة المتمثلة في المرأة أن تنتشله من اليأس وتنتزعه من عقلية الرحولة المهيمنة المعذبة إلى مرح الطفولة الصبياني.

وهل تستطيع احتوائـه، وجـذب اهتمامـه، فلايـرى في الدنيـا غيرهـا، ثـم هـو يصارحها أن مكونات همومه أكثر من حب امرأة أنها ذات جوانـب مختلفـة، فهـل تستطيع المرأة انقاذه، إن الغزل الإبداعي روحه ظـاهر لكـن الـذي لاقـدرة لـه علـى البوح به أعظم فتكاً. فهموم الإنســان والوطـن والعـالم الإسـلامي كلهـا تثقـل قلبـه وتحرق وجدانه :

هل تستطيعين خنق اليأس في قلقـي؟ هل تستطعين بعث الطفل في الرجل؟
وهل لديك عصا سحر تلامســـني فتنفض الخوف والإعياء عن أمـلي ؟
وهل بعينيك تيار يروضـــــــني فلا أذوب إلا فيهما غزلـــــــي ؟
غريرة الجفن ! هل تـــدرين ما ألمي وما صراعي..وما همي..وما عللي؟
لاتخدعنك أبيـــــات أغفهـــا فإن زخرفة الأشعار من حيلـــــي
وأصدق الشعر بيت فر من شـــفتي وضل عن درب قرطاسي فلم يصل
الحب؟ مهلك! هل تدرين قصتـــه وكيف يكبر من وهمٍ إلى خبـــل[1]

---

[1] المجموعة الشعرية ٥٣١.

[1] المجموعة الشعرية ٣٢٣.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

إذن فالمرأة رمز لوطنه ولجميع معاناته، وهي التي يبوح إليها بذاته وهو يصهر الحب الوطني، والمعاناة لقضايا الأمة في ذاته فكأنها محبوبته التي أخذت عليه لبه، فالذاتية تشع في جل إبداعه.

لاينسى القصيبي الشاعر ذاتيته التي توحي له بالحدث، فهو يرى جامعة الملك سعود من خلال الأنا فالجامعة حديرة بقصائد بمضامينها الرائعة، لكن القصيبي لايستغني عن الحديث الذاتي، فهو يزور القفار ويجري في البيد ويركب البحر، ويجوب الدنيا لكنه لم يجد حبا كحب الجامعة التي ترمز لميدان المعرفة يقول من قصيدة في (جامعة الملك سعود في عيدها الخامس والعشرين) :

زرت القفار.. ذرعت البيد أودية من الهجير.. وأهوالا وأنواء
وغبت في البحر.. أغوتني مجاهله فرحت أطلب خلف الموج عنقاء
ورب لؤلؤة في القاع غافية أنشدتها من قوافي الشعر عصماء
سلي الموانئ عني إنني رجل أضنى الموانئ.. إبحاراً وإرساء
وعدت من سفري بالحب ملتصقاً في الحب محترقاً.. كالحب معطاء[1]

فالذاتية علت على الفكرة الأصل للقصيدة، فقد نضب، الحديث عن الجامعة لكنه ثر عن الذات.

ويكاد أن يتحول الوجدان الذاتي إلى الأنا عند القصيبي أحياناً؛ فهناك مؤثرات خارجية تلج إلى أعماق مشاعرة فتوحي بالتجربة وتلك المؤثرات عميقة حافلة بالمضامين، لكن القصيبي يحصرها في إطار وجدانه فحين يتحدث عن البحرين، فإن الأنا تتعالى، فالفرحة تغمره، لكنها محدودة بانتهاء موسم العنب، فكأنها سكرة لافكرة وهو يحمل الجزيرة في قلبه لكنه يبخل بمكونات الوجدان فيها.

---

(1) العودة إلى الأماكن القديمة ٤٦.

يافرحتي.. ورياح اليأس غاضبـــــة يا نشوتي.. حين يذوى موسم العنب
يا ضحكتي..والدموع الحمر تعصرني يا واحتي.. وهجير القفـــر يعبث بي
حملت وجهك في روحي..وطرت به على المحيطات عبر البرق والســحب
أخلو إليه.. فتؤويني بشـــاشـــته وأحتمي فيه من رعب ومن وصــب

ثم تظهر الأنا في مخاطبته للبحرين فهو يحكي قصته وأوصافه

أتذكرين الفتـــى المخبوء في رجل غض الهموم عجوز القلب مضطرب
أتذكرين القدامي من قصائـــده في أمسيات الصبا المغرور واللعب ؟
أتذكرين ندامى الليـــل.. تحملهم إلى النجوم فراشـــات من الحبب؟
أتذكرين اسمها ؟ لو قلته انهمرت على القصيدة أمطـــار من الذهب
وهل تذكرت وجهي رغم ما نقشت سود الليالي على خـــدي من كتب
الأربعون غضون خطها قلـــــم من الشجون.. وتاريخ من النـصب
والشيب في لمتي فجر بلا مـــرح يطل فوق مســـاء خامد الشهب
ضربت في الأرض..حتى مل مضطرتي وطفت في البحر..حتى ضج منقلبي[1]

فهذه قصيدة ذاتية تحكي سيرة حياة الشاعر في البحرين، غلبت عليها الأنا المتعالية، فبدأ وكأنه أسطورتها التي تفخر به، ولاريب أن القصيبي من فلذاتها المشهورين.

---

[1] المجموعة الشعرية ٨٠٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الغربة :

الشباب كل الشباب له تطلعاته الوهمية التى تـرتقى فـوق قدراتـه، ويستشـعر معها التيه والضياع في خطرات متكررة، وربما يعلو وهجهـا حتـى تـودي إلى تمـزق المشاعر أحياناً، فهو يجهل المستقبل، ويرتحـل عـبر رحـلات علميـة يخشـى الإخفـاق فيها، ومن هنا فإن رحلة القصيبـي إلى الأحلام والتيه عند مغادرته البحرين من هـذا الهروب الوهمي المحدود الأجل، الذى لم يقم على إرادة رومانسية :

اليـوم... والأحـلام ضائعـة	مبـددة الشـبـاب
والعمـر أشـلاءً ممـزقة	بأنيـاب السـراب
اليـوم إذ حـان الرحـيل	وهمت في دنيا اغترابى
ومضى شراعي واهن الخفقات	يبحـر فى اليـباب[1]

تلك مقدمة قصيدة (جزيرة اللولو) عندما غادرها القصيبـي لرحلتـه العلميـة التى لا يدرك كنهها، وهذا الهـاجس عـامل إيجـابي يحفـز علـى تخطـي العقبـات، لا النكوص عنها.

والشاعر استشعر الإحباط، ورأى ما في هذه الحياة من صراع واستثقل ما فيها من قيود، تكبل حريته، وربما أن له أحلاماً وآمالاً، بناها مـن الأوهـام، فلـم تتحقـق فى عالم الوجود والواقع، ونظن خبراً أن الشاعر له غايته السامية لأمته، ويظن نفسه قادراً على إسعاد الأخرين، كل هذه مدعاة لجنوحه إلى عالم غـير معقـول، فـلا قيـد ولا عقل، ولا ألم، ولا شقاء، فهو يريد أن يرتحل بعيداً في غاية البعد للبعد، الذى لا قيد له من مكان وزمان ومسافة. بل هارباً منها إلى الفضاء إلىتجاوز المحسوس حتى الضبابى منها كالغيوم، وتجاوز العقل والواقع خلف النجوم، يريـد أن يهجـر الدنيـا،

---

(1) المجموعة الشعرية ١١.

ويهيم في المجهول الذى لا علم له به.

أريـد أن أمضـى بعـيداً بعـيدْ
خلف الغيوم البيض.. خلف النجومْ
أريد أن اجـتاز هذى الحـدودْ
أريد أن أنسى الدنى.. أن أهيمْ
لأيـن ؟ لا أدرى ولكـنني
أريـد أن امضـى بعيداً بعيدْ

لكنه يحمل أمله وهدفه كي يجد مدينته وعالمه وراء الأمد البعيد الذى يعبر عنه تارة بالليل، وتارة يريد أن يجوب البحار لعله يكتشف مراده وأمله في أقاصى البحار، أو فى أعماقها :

أريـد أن أرحـل نحـو الأمـلْ
فهـل وراء الليـل من مرفـأ ؟
أين شراعى ؟ أين مجـذافى ؟
أريـد أن اعـبر هـذا الخضّـمْ
انتظـرونى يا رفـاق الصـبا
لعـلّنى أرجـع عـمّا قريـبْ
وفى ركابـي يتـهادى الأمـلْ

ثم هو يحدد غايته، يريدها واحة جميلة تنعم بالسعادة الطبيعية القائمة على الطبع والفطرة، فهى مكان السعادة، حيث غياب الوحشة والنكد.

أريـد أن أمضـى إلى واحـةٍ
وارفـة الظّـل.. بها جـدولْ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبلبـــلٌ يصـــدح للحـــبِ
حيـــث يمـر العمـر لا وحشـةٌ
خرســاء.. لا ليلٌ طويلٌ كئيبْ
أريد أن امضى بعـــيداً بعـــيدْ[1]

فهذه رومانسية تقليدية ليست كقصيدته الأولى نابعة من حالته وحسب.

وقصيدته (قافلة الضائعين) تموج بمعالم الغربة -لكنني أعثر على مفردات تجعلنا ننقل الغربة من الذاتية إلى الإحساس بالمجتمع العربي، الإحساس بغربة الفلسطيني، وهذه المفردات يطالعنا منها أولاً عنوان القصيدة (قافلة الضائعين) فالقافلة بمجموعة من البشر، فالغربة بمجموعة من البشر، وكلمة الضائعين أولئك الذين لم يهتدوا إلى طريق لهم، ثم توديع الدور، التي طوقت عليهم قبل الرحيل، والفلسطيني كذلك أرغم على ترك الديار والأحباب، والرحيل لغير إرادته، فهو أراد العودة لكن السد الرهيب منعه وحجبه.

قبيل الغروبْ
جمعتُ ثيـابي
وطفتُ بدورِ صحابي
وودعتُهم بدموع الحنين
وعدتُ وكانت دماء الشفقْ
تغطي الأُفقْ
حواني طريق الضياع الطويل
وجاء المساء
وأبصرت أشباحه الواجمة
تحملقُ فيْ

[1] المجموعة الشعرية ٦٨.

وظلّتْ تردّد في مسمعي :
(إلى أين تمضي وهذا الطريق
بدون رجوع ؟)
وضجّ بأذني عويل الرياح
وروّعني من وراء الكهوف عواء الذئابْ
وخلف الحناء الدروب رأيتُ عيون الوحوش
وكدتُ أعود
ولكن سداً رهيباً أطلّ
يسدّ علّى طريق الرجوعْ)[1]

ومن المفردات الأخرى الرفيق، فإنه من الشائع في اللهجة الفلسطينية، والأكيد أن الشاعر لا يريدها بعثية، فإن حزب البعث يستخدمونها كثيراً، والمفردة الأخرى (هجران المدينة) فهم هجروا فلسطين المدينة، والمدينة معاً. ثم التقاء الأخوة اللاجئين من جميع الأنحاء، فوضع كل منهم يده بيد الآخر متآزرين في هذا التيه، وكلهم يشترك أن له في تلك الديار التي إخرج منها، وليداً وصديقاً، أو والداً، والمفردة الأخرى (كروم العنب) وليس هناك بلد أشهر من فلسطين في كرومها:

وفي الفجر أقبل نحوي غريبْ
يردّد (أهلاً بهذا الرفيق !)
وقلّبتُ عيني فأبصرت فيه
هزال الخريف وذلّ المساءْ
وكان سؤالْ

[1] المجموعة الشعرية ٧٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان سؤالٌ طويلٌ وقالْ

(أنا يا صديق من الضائعين

هجرتُ المدينة

وأقبلتْ أدفن بين الدروب

بقايا الليالى الحزينه

فقد كان لي في رحاب المدينة

وطالعُته فى حنان الحبيبْ

وقلتُ : (يدى يا أخى فى يديك

فقد كان لي خلف باب المدينة

قلبٌ وليدْ

كطفلك قد كان قلبي الوليدْ

وذات مساء طواه الردى

فأصبحتُ من غير قلبٍ أسيرْ

فهيا معى)

* * *

وسرنا معاً

وحدّثنى عن أماسى الحنين

وعن بيته وكروم العنب[1]

وتظهر الرومانسية في الرهبة والخشية من الحياة، مما يجعله يتعثر في حياته فهو يترقب الأمل والغاية لحياته لكنه ينثني عندما يصطدم بتلك العقبات وهذه ملمح من ملامح الخنوع والخوف ثم الانكفاء على الذات، وهو يصور نفسه، راكباً شراعاً في

---

[1] المرجع السابق ٧٢.

عرض المحيط فالظلام يمد حوله أستاراً ـ والرياح الهوج تعصف بالكون كله. فما قدرته الذاتيه، والمرسى بعيد عنه، حتى نجوم السماء حال بينه وبينها ضباب البحر ثم هو يدلف إلى اليأس يتنامى معه بداية بعمق البحر، ثم الظلام ثم الرياح الهوجاء ثم هدير الموج، وكلها تحدق به وتحيطه من كل جانب، فهو يبلغ الفناء لا محالة :

أين.. أين المسير.. والبحر طاغٍ
والدياجي تمدّ حولي ستاراً ؟

والرياح الهوجاء تعصف بالكون
فتزبدّ صفحتاه إغبرارا

لا رجوعٌ... البرّ عني بعيدٌ
كلما جئتهُ اختفى وتوارى

ونجوم السماء تبخل بالضوء..
وتمضي عن ناظريَ فرارا
وهدير الأمواج يقلق سمعي
وشحوب الدجي يميت النهارا

زبدٌ أبيضٌ على وجنة الماء
كأحلاميَ العجاف انتشاراً

وظلامٌ كالموت يخنق أيامي
ويجتاح أمنياتي العذارى

أنا القيتُ يا رياح شراعي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فخذيه.. واغرقي البحّـارا[1]

تلك كناية عن موت آماله في هـذه الدنيـا، ولـولا معرفتنـا بالقصيبـي وحياتـه العملية الجادة المنتجة، لقلنا أن هذه التجربة الإبداعية لم تنبع إلا من رومانسي غارقاً في الهروب الداخلي أو بلغ مرحلة الانفصام لكنها قليلة في شعره .

لعلي هنا أهاجم الأنا عند المبدعين التى تمثل الأنا عند الفـرد الإنسـاني، فيعلـن الرفض للمجتمع. لاسيما المفكر الذي يجاهد بقلمه، يسعى طالباً المعرفـة، يطـوف البلاد، يغترب، يعود يصطدم بالواقع، فلا عمل كان يأملـه، ولا مـال يحلـم بـه، ولا جاه يرفع مكانته، ولا سبل مفتحة له، كل هذه من حـق ذلـك المكـافح لاسيما إذا اتيحت لأمثاله أو من هم دونه لكنه هل تودى إلى الغربة، نعم أنها موجعـة للقلـب، لكن لا تقطع الطريق، ونحن عندما نقرأ الإبداع نتوهم، خضـوع وضعـف الشـعراء المبدعين لكنهم، يركبون الجامح منها، وينجحون وهذا القصيبـي، والقرشي، ومحمد فهد العيسى وغيرهم من لا محاكاة بين إبداعهم ونجاحهم فى الحياة، وأشهر منهم في الغربة محمد حسن فقي، والضرر يتأتى من الاقتداء بإبداعهم ، وتأثيره على السلوك.

وهذه (الحمى) قصيدة القصيبي التى أرعشته في مسقبل حياته عام ١٣٧٩هـ:

أحس بالرعشة تعـتريني
والموت يسترسل في وتيـني
وموجة الإغماء تحتويني
فقرّبي مني.. ولامسيني
مرّى بكفيّك على جبيني
وقبل أن أرقـد حـدّثيني
قُصّي عليَّ قصة السـنينِ

[1] القصيبي، المجموعة الشعرية ٨٤.

حكاية المشردّ المسكينِ
طوفٌ عبر قفره الضنينِ
يشرب من سرابه الخوؤنِ
ويشتكى النجود للحزونِ
وجرَّب الغربة فى السفينِ
وهام فى مرافىء الجنونِ
كسندبادٍ أحمقٍ مأفونِ
وعاد بالحُمّى وبالشجونِ
محمّلا بصفقة المغبونِ

إذن فإن الحياة كلها معاناة، لكنها لا تكافىء مباشرة فتجعل الشاعر يحاول الفكاك منها :

تعبت من جوى ومن مجوني ومن كل ما فى عالمي المشحونِ[1]

إذن فالقصيدة تنبىء باستعجال المبدع لمستقبله الحالم، يؤثر الأنا على المعاناة، فمعاناة القصيبي مبكرة، وكذلك محمد حسن فقي، ومعاناة القرشى متأخرة وكذا زمخشري فالأخيرين أكثر واقعية وهذه المعاناة وقتية عند الشاعر، لكنها دائمة في الإبداع.

وغربة القصيبي غربة موقته لكنها متكررة ناجمه عن تفاعله مع الأحداث من حوله، فكل حدث يولد غربة، وغربته ناجمة عن فكره وعن حبه، فله فكر مثالي وله إدارته المثالية، وله حبه المثالي، فلما لم يجد المجتمع من حوله يسير على النهج المثالى لتلك القيم فإنه يغترب عنه، وينتقل بعيداً وأمواج البحر وأعاصير البر هى التى تدفعه

[1] المجموعة الشعرية ٥٧٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلى البعد وغربته عن المجتمع، وهى لاتلبث أن تعود فى أحضان المرأة أو أحضان الحياة، وملاذه المعقول وغير المعقول الموقت لم يكن نابعاً من فكرة فلسفية ليس جهلاً بالفكرة الرومانسية ولكن عدم قناعه، فغير المعقول عنده إنما هو أوهام وأحلام لكنها ليست مصدر كشف.

الطبيعة :

يرى القصيبي أن الجمال فى صمت الطبيعة، فلا تشعر بمايشعر به الإنسان حتى لا تمتلىء حقداً وحسداً لكنه أحياناً، يفيض عليها من وهج أفكاره، ويحزنها بأنينه، ويشعل نارها بزفيره. فإن الليل تأثر بحالته تلك فقد هاج لثورة أفكار الشاعر، وتألم لأنينه، بل شاركه الأشواق التى تلهب كيانه، لكنه ما يلبث أن يجعل الطبيعة لا إرادة لها، فيسلبها الحياة، فهو يتشبه بالريشة التى ترفعها وتنزلها وتدفعها الرياح ثم يجعل الليل الذى كان يئن معه مقبرة، والنجوم تحصي أيامه لا تضىء له، فهى رمز للاضاءات المشرقة في الدنيا التى تخلب الإنسان وتسعده زمناً يسيرا ثم ما تلبث أن تأفل :

أنا في الليل.. ويل الليل ... من ثورة أفكاري
من الأنات تقلقه ... من الزفرات كالنارِ
من الشوق الذى يجتاحني ... يلهب أغوارِ
وجودى ريشة تلهو ... بها نقمة أعصارِ
ظلام الليل مقبرة ... حوت جثة أحلامي
وهذي الأنجم الحيرى ... تعد على أيامي[1]

والرياح الهوج والعواصف من مفردات القصيبي المرعبة في كثير من قصائدة.

---

[1] المجموعة الشعرية ٩٩.

يربط القصيبي الشاعر الطبيعة بالمرأة أو بعوامله النفسية، فهو يري جمالها إن اقترنت بحب عاطفي، أو محبوب، وتفقد جمالها وروعتها إن ذهب الحب وافترق المحبوبان : فالقمر الذي يضيء لهما، ويمنحهما الحب، فإنه بعد المضي والافتراق أفل وتاه بين النجوم :

القمر الذي تسلّقنا معاً حِبالَه

القمر الذى زعمتِ أنّهُ

يمنحنا دون جميع العاشقين حبَّه

القمر الذى رمى

فى مقلتيك مرّةً ظِلاله

تدرينَ ؟ ودَّع النُجومْ

تدرينَ ؟ ضاع فى مجاهل الوجُومْ

ولما كان اللقاء ونار الحب مشتعلة فإن البلبل يصدح طرباً، يوزع السعادة في نفوسنا، فإن بعد الفراق طار وفرّ صريعاً :

البلبل الذى عشقنا صوته

مع الصباحْ

يهمسُ فى قلوبنا

أن الحياة حُلوةٌ

ان الهوى ينتزع الأشواك

من دروبنا

البلبل الذى غفا

على يديك ـ تذكرين ؟ ـ واستراح

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رايتُه على الطريق جُثّة
بلا صُداخْ
رأيتُ عشّه الصغيرْ
يطير من شبّاكنا
مع الرياخْ

وكذلك الروضة الجديدة الجميلة التى اكتشفناها التي ابتهجنا بها كالطفلين، فإن زهورها ذيلت :

الروضة التى اكتشفنا فوق دفء عشبها
فى لحظةِ عذارء أنا عاشقانْ
الروضة التى انطلقنا عبرها
كأننا طفلان يلعبانْ
ننقش فى الجذوع سهماً
نام فيه خافقانْ
رأيتها بلا زُهورْ
بلا طُيورْ
(مشدودةً إلى الصقيعْ
تندب موسمَ الربيعْ

* * *

صديقك الذى صنعتِ فَرحتهْ
منحتهِ المصباح والخاتم والبساطْ
ضيّع في ليل المطار بَسمتهْ
عاد إلى مدينة السياطْ

ينصب في درب الدموعِ خيمَتهُ[1]

وأنا لا استبعد أن هذه المعالم الطبيعية رمز للشاعر وأمانيه، فهو وأمله القمر، وهو البلبل المغرد، والأمل الروضة الغناء، وهذه التأويلات للطبيعة فإنها توحي بالفصام بينها وبين الجذوة الشعورية للشاعر، فهي مازالت خرساء صماء لا شعور لها.

والقصيبي ليس من الذين يكتشفون الطبيعة، ويتأمل فيها كثيراً إنما هي معلم جمالي أو تذكاري، فهو يصورها كما تكون فالبحيرة مكان للالتقاء لكنه مكان يمثل لوحة جمالية، فليس هناك غرابة في البحيرة والقوارب تجوبها والبط يسبح فيها، والأرض مخضرة بل جعل الغربة نابعة من الأرض، وهو يعلو بذاته حينما يكون رفيقه الوسيم البعيد القريب القمر. إنه نقل لنا لوحة بلا انفعال. وهو ربما لا يريد البحيرة الجمالية لكنه يرمز إلى البحرين كاملة، وصورتها مازالت طفولية كعهد البعيد بها أيام الطفولة :

ذكرتُكِ عندَ البُحَيرةِ
حَيث تسيرُ القوَاربُ. يسبحُ سربٌ
من البّط والبَجع المتبخترِ. حَيث
تنامُ السَمَاءُ على خضرةِ الأرضِ.
تستغربُ الأرضُ منْ زُرقةِ المَاءِ.
هَل تذكرينَ البحَيرةَ حينَ يُطلّ
عَليهَا الرّفيقُ الأنيقُ الرقيقُ الوَسيمُ
البعيدُ القريبُ، القمرْ ؟

---

[1] المجموعة الشعرية ٣٨٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَهَل تذكرينَ البحيرَة والصبحُ يمشي
ونيداً ونيداً. ليكلا يروّع آخرَ
حُلْمٍ غفَا فَوق مقلةِ آخر حسنَاء
مِن عاشقاتِ البُحيرةِ ؟ وهو يسيرُ
ونيداً ونيداً لكيلا يخافَ ويهربَ
مِنه القمرْ ؟
وهَل تذكرينَ الثَواني العجيبَةَ
حين تضمُّ البُحيرةُ يوماً جديداً وحينَ
تودِّع ليلاً قديماً ؟ ذكرتكِ عند البحيرَة
أحسَسْتُ أني غَريبٌ ! غريبٌ ! غريبْ ![1]

فنحن لا نجد تفاعلاً بين الشاعر والطبيعة، فوظيفتها أقل من وظيفة المرأة عنده بل هي الطبيعة، مسخرة له يتمتع بجمالها، فلما يأتي البحيرة بلا امرأة فإنه غريب غريب.

[1] العودة إلى الأماكن القديمة ٦٨.

مسرد المصادر والمراجع

- إبراهيم أمين فوده :

– مجالات وأعماق ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة عام ١٤٠٥هـ ، لم تكتب المعلومات الأخرى .

- د . إبراهيم أنيس :

– دلالة الألفاظ ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٦ م .

– موسيقى الشعر ، الطبعة الرابعة ، دار القلم ، بيروت ، بدون معلومات أخرى .

- د . إبراهيم السامرائي :

– لغة الشعر بين جيلين ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، بيروت ، بدون معلومات أخرى .

- د . إبراهيم عبدالله مفتاح :

– إحمرار الصمت ، الطبعة الأولى ، دار الصافي ، الرياض ، ١٤٠٩هـ .

- إبراهيم عمر صعابي :

– حبيبتي والبحر ، الطبعة الثانية ، الدار السعودية ، جدة ١٤٠٥هـ .

– زورق في القلب ، الطبعة الأولى ، الدار السعودية ، جدة ١٤٠٦هـ .

- د . إبراهيم بن فوزان الفوزان :

– الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ١٤٠١هـ .

- د . إبراهيم ناجي :

– وراء الغمام ، الطبعة الثانية ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٩م .

- د . إحسان عباس :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- فن الشعر ، الطبعة السادسة ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٩م .

• د . أحمد سليمان الأحمد :

- الشعر الحديث بين التقليد والتجديد ، الطبعة الأولى ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٣م .

• أحمد الصافي النجفي :

- هواجس ، الطبعة الثانية ، موسسة المعارف ، بيروت ١٩٦٧م .

• أحمد صالح الصالحي :

- انتفضي أيتها المليحة ، الطبعة الأولى ، دار العلوم ، الرياض ١٤٠٣هـ

• أحمد قنديل :

- مكتي قبلتي شعر وشعراء، الطبعة الأولى ، دار الرفاعي ، عام ١٤٠٣هـ

• أحمد محمد الشامي :

- أطياف الطبعة الأولى ، دار العروبة ، الكويت ١٤٠٢هـ .

• د . أحمد المديني :

- أسئلة الإبداع في الأدب الغربي المعاصر ، الطبعة الأولى ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨٥م .

• أحمد كمال زكي :

- ديوان اسماعيل صبري ، تحقيق محمد القصاص ، عامر بحيري ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، بدون معلومات أخرى .

• الحسن بن هانئ :

- ديوان أبي نواس ، تحقيق أحمد عبدالحميد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،١٤٠٤هـ .

• أسامة عبدالرحمن :

- شمعة ظمآن ، الطبعة الأولى ، تهامة ، جدة ١٤١٣هـ

- د . الفت محمد كمال عبدالعزيز :

– نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين ، من الكندي حتى ابن رشد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤م .

- إيليا أبو ماضي :

– من أعمال الشاعر أيليا أبو ماضي ، دار كاتب وكتاب ، بيروت ، ١٩٨٨م .

- إيليا الحاوي :

– البرناسية ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، بيروت ، عام ١٩٨٠م .

– الرومانسية في الشعر الغربي والعربي ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، بيروت عام ١٩٨٠م .

– الشعر العربي المعاصر ، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني ، عام ١٩٨١م.

– الكلاسيكية ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، بيروت عام ١٩٨٠م .

- بشارة عبدالله الخوري :

– الأخطل الصغير ، الطبعة الرابعة ، دار الكتاب العربي ، بيروت عام ١٤١٣هـ

- بكري شيخ :

– الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ، دار صادر ١٣٩٨هـ .

- ترقبيات تودوروق :

– مفهوم الأدب ، ترجمة د. منذر عياش ، الطبعة الأولى ، نادي جده الأدبي ١٤١١هـ .

- جان لوي كابانس :

– النقد الأدبي والعلوم الإنسانية ، ترجمة الدكتور فهد عكام ، الطبعة الأولى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دار الفكر ، عام ١٤٠٢هـ .

- جبور عبدالنور :

- المعجم الأدبي ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت عام ١٤١٦هـ

- حسن عبدا لله القرشي :

- أطياف من رماد الغربة الطبعة الأولى ، دار الشروق ، عام ١٩٩٠م .

- ديوان حسن عبدا لله قرشي ، الطبعة الثانية ، دار العودة ، بيروت ، عام ١٩٧٩م .

- فلسطين وكبرياء الجرح ، دار العودة ، بيروت عام ١٩٧٠م .

- حسن فهد الهويمل :

- اتجاهات الشعر المعاصر في نجد ، الطبعة الأولى ، نادي القصيم الأدبي ١٤٠٤هـ .

- M.L,AGGE :

- نظرية الأنواع الأدبية ، ترجمة الدكتور حسن عون ، منشأة المعارف المصرية ، بالاسكندرية ، بدون معلومات أخرى .

- حسن سرحان :

- أجنحة بلا ريش ، الطبعة الثانية ، نادي الطائف الأدبي ، عام ١٣٩٧م .

- الصوت والصدى ، الطبعة الأولى ، نادي الطائف الأدبي عام ١٤٠٩هـ .

- حمد الحجي :

- عذاب السنين ، الطبعة الأولى ، دار الوطن للنشر والإعلام ، الرياض ، عام ١٤٠٩هـ .

خالد أحمد اليوسف ،خزيمة شرف العطاس :

- دليل الكتاب والكاتبات ، الطبعة الثالثة ، الجمعية الأنطاكي ، العربية السعودية للثقافة والفنون ١٤١٥هـ .

• دواد الزين :

- الأسواق في أخبار العشاق ، الطبعة الثانية ، دار ومكتبة الهلال ، عام ١٩٨٦م .

• رجاء عيد :

- التحديد الموسيقي في الشعر العربي ، شركة آلات ولوازم المكاتب ، الناشر منشأة المعارف ، الاسكندرية .

• رقيه ناظر :

- الريح والرماد ، الطبعة الأولى ، دار العلم ، عام ١٤١٠هـ .

• روبرت جلكنز وجيرالد نسكو :

- الرومانتيكية مالها وما عليها ، ترجمة أحمد حمدي محمود ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٨٦م .

• طاهر زمخشري :

- رباعيات صبا نجد ، الطبعة الثانية ، الشركة التونسية ١٤٠٠هـ .

- مجموعة الخضراء ، الطبعة الأولى ، تهامه ، جدة ، عام ١٤٠٢هـ .

- مجموعة النيل ، الطبعة الأولى ، تهامة ، جدة عام ١٤٠٤هـ .

• د سعد مصلوح :

- في النص الأدبي ، الطبعة الأولى ، النادي الأدبي بجدة ، عام ١٤١١هـ .

• سعد البواردي :

- رباعيات ، الطبعة الأولى ، دار الاشعاع ١٣٩١هـ .

- قصائد تخاطب إنسان ، الطبعة الأولى ، دار الصافي ، الرياض ، عام ١٤٠٩هـ .

• د . سعد علوش :

- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، منشورات المكتبة الجامعية ، الدار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البيضاء .

- سليمان العيسى :

- إني أواصل الأرق ، طلاس للدراسات والترجمة ، دمشق ، ١٩٨٤م .

- د . سهام الفريح :

- بحوث في اللغة والأدب ، الطبعة الأولى ، مكتبة المعلا ، الكويت ١٤٠٨هـ

- سيمون جارجي :

- الموسيقى العربية ، ترجمة عبدالله نعمان ، المنشورات العربية ، بدون معلومات أخرى .

- د . شفيق البقاعي :

- الأنواع الأدبية ، الطبعة الأولى ، موسسة عز الدين ، بيروت ، عام ١٤٠٥هـ .

- د . شوق ضيف :

- دراسات في الشعر العربي المعاصر ، الطبعة الثامنة ، دار المعارف ، بدون معلومات أخرى .

- د . ضيف الله هلال العتيبي :

- شباب الذكريات ، الطبعة الأولى ، مكتبة الطالب الجامعي ، ١٤٠٧هـ .

- د . عبدالحكيم حسان :

- النظرية الرومانتيكية في الشعر ، دار المعارف ، مصر ١٩٧١م .

- د . عبدالحميد جبره ، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، الطبعة الأولى ، موسسة نوفل بيروت ، عام ١٩٨٠م .

- عبدالسلام طاهر الساسي :

- شعراء الحجاز ، الطبعة الثانية ، نادي الطائف الأدبي ، عام ١٤٠٢هـ

- الموسوعة الأدبية ، نادي الطائف الأدبي ، عام ١٤٠٠هـ .

الفرزدق ، عام ١٤٠٨هـ .

- د . عمر الطيب الساسي :

- الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي ، الطبعة الأولى الكتاب الجامعي، عام ١٩٨٦م .

- عمر محمد كردي :

- لمن يكون هواها ، دار الفيصل ، بدون معلومات أخرى .

علي أبو العلا :

- سطور فوق السحاب ، الطبعة الأولى ، دار الفنون ١٤١٤هـ .

- علي بن زين العابدين ، تغريد ، الطبعة الأولى ، دار العلم ، ١٤٠٤هـ .

- علي بن عبدالحليم محمود :

- النصوص الأدبية ، الطبعة الثانية ، دار عكاظ ١٤٠٣هـ .

- علي محمد العيسى :

- تعلو التلال بقارب ، الطبعة الأولى ، مطابع الفرزدق ، عام ١٤١١هـ .

- علي بن يحيى الزهراني ، السفر إلى زمن الأشواق ، الطبعة الأولى ، مطابع الصفا ، مكة المكرمة ، ١٤٠٩هـ .

- غازي عبدالرحمن القصيبي :

- أبيات غزل ، الطبعة الأولى ، مكتبة دار العلوم للنشر والتوزيع ١٣٩٦هـ -١٩٧٦ م

- أنت الرياض ، الطبعة الثانية ، دار العلوم ١٤٠٠هـ -١٩٨٠ م .

- سيرة شاعر ، الطبعة الأولى ، شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، منشورات دار الفيصل الثقافية ١٤٠٠هـ -١٩٨٠ م

- العودة إلى الأماكن القديمة ، الطبعة الأولى ، البحرين ، دار الصقر للنشر ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- – المجموعة الشعرية الكاملة ، الطبعة الثانية ، تهامة ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م .
- فيليب فان تنغيم :

– المذاهب الأدبية الكبرى في فرنسا ، ترجمة قرير أنطونيس ، الطبعة الأولى ، منشورات العويدان ، بيروت ، عام ١٩٦٧م .

- د . كمال نشأت :

– أبو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ م .

- د . ماجد علاء الدين :

– الواقعية بين الأدبين السوفيتي والعربي ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة ، دمشق ١٩٨٤م .

- د . مانع سعيد العتيبه :

– الرسالة الأخيرة ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة الاتحاد أبو ظبي ، عام ١٩٨٧م.

- مجدي وهبه :

– معجم مصطلحات الأدب ، مكتبة لبنان ١٩٧٤م .

- محمد إبراهيم جدع :

– المجموعة الشعرية الكاملة ، الطبعة الأولى ، نادي الأديب الثقافي ، دار البدر للطباعة والنشر ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م .

- محمد إسماعيل جوهرجي :

– عطر وموسيقا ، الطبعة الأولى ، النصر للطباعة ١٤٠٤هـ -١٩٨٤ م .

– اليقين ، الطبعة الأولى ، دار البلاد بجدة ، ١٤١٣هـ ١٩٩٣ م .

- محمد الشبيتي :

– عاشقة الزمن الوردي ، الطبعة الثانية ، الدار السعودية ، ١٤٠٢هـ .

- محمد حسن فقي :

- الأعمال الكاملة ، الطبعة الأولى ، الدار السعودية للنشر والتوزيع (سبعة مجلدات) .

• محمد حسن عواد :

- ديوان العواد ، الطبعة الثالثة ، دار العالم العربي ١٣٩٩هـ .

- نحو كيان جديد ، دار المعارف ، مصر بدون معلومات أخرى .

• محمد بن سعدين حسين :

- الأدب الحديث ، الطبعة الأولى ، مطابع الفرزدق ، الرياض ١٤٠٤هـ

• محمد بن سعد الدبل :

- إسلاميات ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ، ١٣٩٨هـ .

• محمد السعدي فرهود :

- التيار الفكري في شعر عبدالرحمن شكري ، الطبعة الأولى المكتبة السعدية القاهرة ١٣٩٦هـ -١٩٧٦ م .

• محمد سعيد عبدالمقصود ، وعبدالله عمر بلخير :

- وحي الصحراء ، الطبعة الثانية ، مطابع سحر ١٤٠٣هـ -١٩٨٣ م .

• محمد العيد الخطراوي :

- تفاصيل في خارطة الطقس ، الطبعة الأولى ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي .

- حروف من دفتر الأشواق ، الطبعة الأولى ، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي .

- غناء الجرح ، الطبعة الأولى ، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي .

- مرافئ الأمل ، الطبعة الأولى ، دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م .

- همسات في أذن الليل ، الطبعة الأولى ، مطابع دار الاصفهاني .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- د . محمد عبدالمنعم خفاجي ، د . عبدالعزيز شرف :

- الرؤيا الإبداعية في شعر العواد ، الطبعة الأولى ، بدون معلومات أخرى .

- د . محمد علي الغولي :

- التراكيب الشائعة في اللغة العربية ، الطبعة الأولى ، دار العلوم عام ١٤٠٢هـ .

- محمد الفهد العيسى :

- الإبحار في ليل الشجن ، الطبعة الأولى ، تهامة ، جدة عام ١٤٠١هـ .

- دروب الضياع ، الطبعة الأولى ، تهامة ، جدة عام ١٤٠٥هـ .

- د . محمد مندور :

- الأدب ومذاهبه ، دار النهضة ، مصر ، دبون معلومات أخرى .

- محمد هاشم رشيد :

- على أطلال إرام ، مطابع الرشيد ، نادي المدينة الأدبي ، بدون معلومات أخرى .

- د . مسعد عيد العطوي :

- أحمد الغزاوي ، وآثاره الأدبية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

- تبوك قديماً وحديثاً ، الطبعة الأولى ، مكتبة التوبة ، الرياض ، ١٤١٣هـ .

- مصطفى عبداللطيف السحرتي :

- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث ، الطبعة الثانية ، تهامة ، جدة ١٤٠٤هـ .

- د . مصطفى ناصيف :

- اللغة بيت البلاغة والأسلوبية ، النادي الأدبي الثقافي بجدة ، ١٤٠٩هـ .

- مقبل عبدالعزيز العيسى :

- الهروب من حاضر ، الطبعة الأولى ، شركة المدينة ، المنورة ، عام

١٤١٤هـ .

- منصور دماس :

- جرأة قلب ، الطبعة الأولى ، دار العلم عام ١٤٠٧هـ

- معجم الادباء والكتاب، الدائرة الاعلامية ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١٠هـ بدون معلومات أخرى .

- د . نبيل راغب :

- موسوعة الفكر الأدبي ، الهيئة المصرية ، العامة ، ١٩٨٨م .

- د . نذير العظيمة ، مدخل إلى الشعر العربي الحديث ، الطبعة الأولى ، النادي الأدبي الثقافي بجدة عام ١٤٠٨هـ .

- د . نسيب نشاوي :

- مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية ، مطابع ألف باء ، دمشق عام ١٩٨٠م

- نوري يوسف سلامة :

- أزمان النفس في الأدب المعاصر ، الطبعة الأولى طلاس عام ١٩٨٦ م .

- يحيى توفيق :

- أودية الضياع ، دار العلم ، بدون معلومات أخرى .

- سمراء ، الطبعة الثانية ، دار العلم ، عام ١٤٠٨هـ .

- د . يوسف الصميلي :

- الشعر اللبناني .. اتجاهات ومذاهب ، الطبعة الأولى ، دار الوحدة ، ١٩٨٠ م .

- يوسف ميخائيل أسعد :

- سيكولوجية الإبداع ، الفن والأدب ، الهيئة المصرية العامة ١٩٨٦ م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المحتويـــــــــــــــات

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	١
المبحث الأول الرومانسية الغربية	٥
الرومانسيـة	٧
تاريخهـا	٨
عوامـل نشـأة الرومانسيـة	١٢
التعـاريـف	٢٢
الأتجـاه الفنـي	٢٦
اللفظـة	٣٠
الرومانسية عند العرب	٣٥
معالـم الرومانسية في الشعر العربي القديـم	٣٦
الرومانسية العربية	٣٩
الرومانسية في المهجـر	٤١
عناصر الرومانسية العربية	٤٦
أولاً : الطبيعـة	٤٦
ثانياً ـ الحرية في الرومانسية العربية	٥٠
ثالثاً ـ الحب والمرأة	٥٣
رابعاً ـ الغربـة	٥٦
الناحيـة الفنيـة	٦١
المبالغة في الانفعال	٦٢
الناحية الفنية :	٦٥
المبحث الثاني مفهـوم الشعر الوجدانـي	٨٠
دواعي الشعر الوجداني	٨١
الاتجاه الديني	٨٣

الموضـــــوع	الصفحة
٢- الذاتيـــة	٨٦
٣ ـ الدعوة إلى التحرر من التخلف	٨٩
٤- التأثيـر الثقافـــي	٩٣
٥ ـ الثنائية الثقافيـــة	٩٨
٦- تنافس الشرائح الاجتماعية	٩٩
• أوليات الشعـــر الوجدانـــــي	١٠٠
• الفكر عند شعراء الوجدان	١٢٢
المبحث الثالث مظاهر الشعر الوجداني	**١٣٣**
أولا – هيمنة الحب والمرأة	**١٣٤**
الحب الذاتي	١٣٦
الحـــب الجمعـــي	١٤٢
الشعراء الذين جمعوا الحب الذاتي والجمعي ـ	١٥٢
ثانياً – الطبيعة	**١٩٣**
مصطلح الطبيعة	**١٩٤**
ثالثاً – الذاتية	**٢١١**
رابعاً – الاغتـــــراب	**٢٢٥**
الاغتراب في اللغة	٢٢٦
١ – غربـــــة الفكر	٢٢٧
٢ – غربـــة المكان	٢٣٢
٣ – غربـــة زوجـة	٢٤٤
٤- الغربة الشعوريـــة	٢٤٦
٥ ـ الاغتراب في الحب	٢٦٢
المبحث الرابع الظواهـــر الفنيـــة	**٢٧١**
بناء القصيدة	٢٧٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الموضـــــوع	الصفحة
اللغـــة	٣١٥
الرمز في شعر الوجدان	٣٥٣
الخيال	٣٧١
الصورة	٣٨١
المفارقـــة	٤٠١
الموســـــيقى	**٤١٦**
الموسيقى	٤١٧
الموشحات	٤٢٢
المثنيات	٤٢٨
الثلاثيات	٤٣١
الرباعيات	٤٣٣
الخماسيات	٤٣٥
المرســـل	٤٣٨
الشعر الحر	٤٤٣
الخلاصة	٤٤٩
المبحث الخامس شعراء الوجـــــدان	**٤٥٧**
مدخـــل	٤٥٨
محمد حســـن فقـــي	**٤٥٩**
عبد الرحمـــن رفـــة	**٤٨٠**
طاهـــر زمخشـــري	**٤٨٢**
الأميـــر عبد الله الفيصـــل آل سعـــود	**٤٩٤**
محمد فهد العيسى	**٥٠٩**
حسن عبد الله القرشي	**٥٢٢**
مقبل العيسى	**٥٤٨**

الموضـــــوع	الصفحة
عثمان بن سيار	٥٥٦
يحيى توفيق	٥٦٣
محمد عيد الخطراوي	٥٧٦
الجوهرجي	٥٨٤
غازي القصيبي	٥٩٠
مسرد المصادر والمراجع	٦٢٣
المحتويات	٦٣٦

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإسم : مسعد بن عيد العطوي **تاريخ الميلاد** : ١٣٧٠ هـ مكانه : تبوك

المؤهلات :

١- **البكالريوس** : كلية اللغة العربية عام ١٣٩٣ هـ .
٢- **دبلـــوم** : إدارة مدرسية عام ١٤٠٢ هـ .
٣- **الماجستير** : عام ١٣٩٩ هـ .
٤- **الدكتوراه** : ممتاز بدرجة الشرف الأولى عام ١٤٠٥ هـ .

الأعمـال

- عمل مدرساً عام ١٣٩٣/١٣٩٤ هـ .
- مديراً للمعهد العلمي بتبوك من عام ١٣٩٤ هـ حتى ١٤٠٦ هـ .
- استاذاً مساعداً في كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم من عام ١٤٠٧ هـ حتى ١٤٠٩ هـ .
- استاذاً مشاركاً من عام ١٤١٢ هـ .
- استاذاً في عام ١٤١٨ هـ .

الجمعيات والندوات :

١- أمين جماعة تحفيظ القران الكريم وعضو مؤسس في عام ١٤٠٣ هـ .
٢- عضو جمعية التربية وعلم النفس بجامعة الملك سعود .
٣- عضو النادي الأدبي بالقصيم .
- مؤتمرات مدراء المعاهد العلمية من عام ١٣٩٥ حتى ١٤٠٥ هـ .
- ندوة التنمية التي أعدها معهد الإدارة في تبوك .
- ندوة تنمية الطفل التي أعدتها وزارة التخطيط عام ١٤٠٨ هـ .
- ندوة التذوق الأدبي في الجامعة عام ١٤١٠ هـ .
- ندوة القصة في النادي الأدبي بالمدينة المنورة ١٤١٥ هـ .
- ندوة عن القصة بالجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة عام ١٤١٦ هـ .
- محاضرة عن العموض في مراكز ابن صالح بعنيزة عام ١٤٠٩ هـ .
- محاضرة عن الأدب الإسلامي في المركز الصيفي بتبوك عام ١٤١١ هـ .

نال جائزة الملتقى الثقافي بابها لعام ١٤١٥ هـ .

الكتب المطبوعة

١- احمد الغزاوي وآثاره الادبية – ثلاثة مجلدات .
٢- العاشق العفيف " عروة بن حزام "
٣- تبوك قديماً وحديثاً .
٤- المقطعات الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام
٥- الرمز في الشعر السعودي
٦- الاتجاهات الفنية في الشعر ابان الحروب الصليبية
٧- الإتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية
٨- المجتمع في الشعر السعودي
٩- الغموض في الشعر العربي
١٠- الوجدان في الشعر السعودي

المخطوطة :

١- نثر الغزاوي ٣/١ مجلد، ٢- العثابي حياته وأدبه ، ٣- الفكر والشكل في الشعر السعودي .

ردمك ٨-٩٧٦-٣١-٩٩٦٠

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net